التفسير الأثري الجامع

الجزء الأول

المقدمة - سورة الحمد

محمد هادي معرفة

التفسير الأثري الجامع

الجزءُ الأوّل

المُقدّمة ـ سورةُ الحمد

محمد هادي معرفة

مؤسسة التمهيد

الجمهورية الإسلامية الإيرانية.
قم المقدسة. شارع انقلاب. فرع ١٨. رقم ٤٩
هاتف: ٠٠٩٨/٩١٢١٥٣١٩٥٥

التفسير الأثري الجامع

الجزء الأول

العلّامة محمدهادي معرفة

الطبعة الأولى من الدورة
١٣٨٧ هـش، ١٤٢٩ هـق، ٢٠٠٨م
الكمّية: ٣٠٠٠ نسخة
مطبعة ستاره

جميع الحقوق محفوظة

التوزيع:
منشورات ذوي القربى: قم المقدسة، شارع إرم،
بناية القدس التجارية
هاتف: ٠٠٩٨/٢٥١/٧٧٤٤٦٦٣
موبايل: ٠٠٩٨/٩١٢١٥١٧٧٤٨

سعر الدورة: ٣٥٠٠٠ تومان

ISBN: 964-94552-4-8 (Vol.1)

ISBN: 978-600-5079-08-1 (Vol.SET)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾

و بعد فلعلّ أسبق العلوم ظهوراً مع نزول القرآن، هو علم التفسير، الكافل لحلّ معضله وبيان ما أبهم منه أو أجمل، وقد مسّت الحاجة إلى ذلك بعد أن كان القرآن هو المرجع الأعلى للتشريع وتنظيم معالم الحياة، وكان التفسير إذ ذاك مقتصراً على مراجعة الأكفاء: النبيّ الكريم وكبار الصحابة والتابعين والعترة الطاهرة، ومن ثمّ كان المعتمد في التفسير هو النقل المأثور عن مستند وثيق.

كان ابن عبّاس (فارس القرآن وترجمانه) يراجع سائر الأصحاب ممّن يحتمل عنده شيء من التفسير والحديث عن رسول الله ﷺ كان يأتي أبواب الأنصار والمهاجرين ممّن عنده علم من الرسول، فإذا وجد أحدهم راقداً ـ عند القائلة ـ كان ينتظره حتّى يستيقظ، وربّما تُسفى على وجهه الريح، وبذلك كان يستعيض عمّا فاته من العلم أيّام حياة النبيّ ﷺ لصغره، فيستطرق أبواب العلماء من صحابته الكبار، وكان مع ذلك من أنبه تلاميذ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأنبلهم، يأخذ منه العلم ليل نهار. قال: «كلّ ما أخذت في التفسير فهو عن عليّ عليه السلام».

وكان مجاهد بن جبر من أوثق أصحاب ابن عبّاس، وقد عرض عليه القرآن ثلاث مرّات يوقفه عند كلّ آية، يسأله فيها ما شاء. قال ابن أبي مليكة: رأيت مجاهداً يسأل ابن عبّاس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه، فيقول له ابن عبّاس: اكتب، حتّى سأله عن التفسير كلّه.

إذن كان الأصل في التفسير هو النقل المأثور عن مصدر متين.

وحتّى بعد أن ظهر التفسير الاجتهادي في الوجود، كان التفسير الأثري من أوثق أركانه وأعظم منابعه في الاستخراج والتحقيق، هذا مجاهد ـ هو أوّل من أعمل النظر في التفسير ـ كان

معتمده الأوّل في الاجتهاد وإعمال الرأي هي تلك الآثار التي ورثها من شيوخه ومن أكبرهم ابن عبّاس.

وعليه فالتفسير بشتّى أنحائه وأشكاله لا غنى له عن مراجعة الأصول والأقوال المأثورة عن السلف الصالح وسائر الأعلام.

غير أنّ هناك بعض الخلط بين السليم والسقيم من تلك الآثار، بما يستدعي تمحيصاً وتحقيقاً شاملاً، لكي يمتاز الصدف عن الخزف وتخلص الجواهر من الأحجار.

وهذا الذي بين أيديكم محاولة ـ مبلغ الجهد ـ لمعرفة الصحيح من الضعيف من الأخبار، فيما يعود إلى تفسير القرآن الكريم، محاولة في ضوء محكمات الكتاب والسنّة القويمة، عرضاً فنّيّاً وفق أصول تقييم الآثار.

ولعلّنا لم نأل جهداً في جمع الأخبار والآثار من أمّهات الكتب والأصول المعتمدة لدى كافّة المسلمين وعلى مختلف طوائفهم فيما اعتمدوه من كتب الحديث والتفسير، ونضدها ونقدها حسب المناسبة، وعرضها في أسلوب منهجيّ رتيب، عسى أن نكون قد نفعنا بها إن شاء الله.

وساعدنا على ذلك جماعة من العلماء من ذوي الاختصاص بعلوم القرآن في الحوزة العلميّة بقُم المقدّسة، سوف ننوّه بأسمائهم، ولنشكرهم على هذا الجهد المتضامن، ولله الحمد وهو المستعان.

قم ـ محمّد هادي معرفة

١٢ / جمادي الأولى / ١٤٢٥ ق

١١ / تير / ١٣٨٣ ش ـ ١ / June / ٢٠٠٤ م

فهرس مواضيع الكتاب

المقدّمة ١١
فضائل القرآن ١٣
أسامي القرآن ١٩
اشتقاق لفظة القرآن ٢١
التفسير في مراحل التكوين ٢٥
التفسير والتأويل (الظهر والبطن ٢٩
التأويل من المدلول الالتزامي ٣١
طريق الحصول على بطن الآية ٣٢
ضابطة التأويل ٣٣
تأويلات قد تحتمل القبول ٣٧
التأويل عند أرباب القلوب ٤٣
ظاهرة تداعي المعاني ٤٦
تأويل أو أخذ بفحوى الآية العامّ ٤٨
تأويلات مأثورة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام ٤٨
تأويلات هي تخرّصات ٥٢
التفسير بالرأي ٥٥
لسان القرآن ٥٦
صياغة القرآن ٥٨
أسلوب القرآن ٦٤
حجيّة ظواهر القرآن ٧٠

السياق في القرآن ٧١
شرط الأخذ بالسياق ٨١
صيانة القرآن من التحريف ٨٧
التفسير الأثري في مراحله الأُولى ٩٧
التفسير في دور الصحابة ٩٨
تفسير الصحابي في مجال الاعتبار ٩٨
التفسير في دور التابعين ١٠٥
مدارس التفسير ١٠٦
أعلام التابعين ١٠٧
أتباع التابعين ١١٢
تفسير التابعي في كفّة الميزان ١١٩
موضع الحديث من التفسير ١٢١
آفات التفسير ١٢٩
الوضع في التفسير ١٣٠
أهمّ أسباب الوضع في الحديث ١٣٤
الكذّابون على الأئمّة ١٤٢
ما ورد بشأن فضائل السور ١٥١
ما ورد بشأن خواصّ القرآن ١٥٧
قصّة القَلَنْسوة العجيبة ١٧٣
الإسرائيليات ١٧٦
ما ورد بشأن أسباب النزول ١٧٧
الحروف المقطعة ١٨١
هل الحروف المقطّعة آية؟ ١٨٣
التلهّج بالحروف المقطّعة ١٨٤
الحروف المقطّعة في مختلف الآراء ١٨٥

ماقيل في حلّ تلك الرموز ١٨٧
الرأي المختار ١٩٢
الحروف المقطّعة في مختلف الروايات ١٩٢
القول بأنّها أقسام أقسم الله بها ١٩٩
القول بأنّها تشكّل الاسم الأعظم ١٩٩
القول بأنّها أسماء السور ٢٠٠
القول بأنّها من أسماء القرآن ٢٠٠
القول بأنّها هجاء موضوع افتتح بها السور ٢٠٠
القول بأنّها أسرار ورموز ٢٠١
فضل قراءة هذه الأحرف ٢١٧

نقد الآثار على منصّة التمحيص ٢١٩
كيف العرض على كتاب الله ٢٢٢
نماذج من نقد الحديث ذاتياً ٢٣٤
منهجنا في هذا العرض ٢٤٧

سورة الحمد ٢٤٩
فضل سورة الحمد ٢٥٣
ما روي عن السلف بشأن قراءتها ٢٧١
القراءة في الرواية عن السلف ٢٧١
كان رسول الله ﷺ يمُدُّ في قراءته ٢٧٢
قراءة (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) ٢٧٤
قراءة (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) ٢٧٨
قراءة (مالك) في الرواية عن السبعة ٢٨١
قراءة (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) ٢٨٢
قراءة (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) ٢٨٣
قراءة (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) ٢٨٤

اللغة والأدب ٢٨٥
نظمها البديع ٢٨٩
الاستعاذة ٢٩٥
البسملة ٣٠٧
فضيلة البسملة ٣٠٩
البسملة آية من القرآن ٣١٧
البسملة، فاتحة كلّ سورة سوى براءة ٣٢٣
البسملة مفتاح كلّ كتاب ٣٢٤
تفسير البسملة ٣٢٥
تفسيرها الرمزي (الإشاري) ٣٤٥
في الإجهار بـ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ) ٣٥١
ما ورد من الإسرار بالبسملة أو تركها ٣٥٣
في كتابة البسملة ٣٥٧
تفسير سورة الحمد ٣٦٣
تفسير (الْحَمْدُ لِلَّهِ) ٣٦٣
تفسير (الْعَالَمِينَ) ٣٧٣
تفسير (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) ٣٧٨
تفسير (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) ٣٨٠
تفسير (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) ٣٨١
تفسير (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّآلِّينَ) ٣٩١
ذكر آمين ٣٩٩
اختلافهم في المدّ والجهر والإخفات بلفظ «آمين» ٤٠٦

رموز المصادر ٤٠٧
فهرس مصادر التحقيق ٤٠٨

المُقَدِّمَة

فضائل القرآن

التفسير و التأويل

صيانة القرآن من التحريف

التفسير الأثري في مراحله الأولى

آفات التفسير

الحروف المقطّعة

نقد الآثار على منصة التمحيص

فضائل القرآن

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وصدق الله العظيم، جاء القرآن ليهدي إلى أقوم الطرق التي يمكن البشريّة أن تسلكها للبلوغ إلى سعادتها في الحياة، تلك الحياة الخالدة العليا، والتي يكون القرآن وحده رائدها والهادي إليها على وجه الإطلاق. فيشمل الهدى أقواماً وأجيالاً، بلا حدود من زمان أو مكان، ويشمل ما يهديهم إلى كلّ منهج وكلّ طريق وكلّ خير يهتدي به البشر في كلّ العصور مع الأبد. ومن ثمّ فإنّه بشارة لمن آمن به وصدّق برسالته عبر الخلود.

[م / ١] قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالقرآن، فإنّه شافع مشفّع، وماحل مصدَّق، من جعله أمامه قاده إلى الجنّة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار. وهو الدليل يدلّ على خير سبيل. وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل. وهو الفصل ليس بالهزل. وله ظهر و بطن، فظاهره حكم وباطنه علم. ظاهره أنيق وباطنه عميق. له نجوم وعلى نجومه نجوم. لا تُحصى عجائبه ولا تُبلى غرائبه. فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة، لمن عرف الصّفة. فليجل جال بصره، وليبلغ

---

(١) الإسراء ١٧: ٩.

الصِّفَةَ نظره، يُنْجَ من عَطَب ويُتَخلَّص من نَشَب[١]. فإنّ التفكّر حياة قلب البصير»[٢].

[م / ٢] وقال ﷺ: «القرآن هدىً من الضلالة، وتبيان من العمى، و استقالة من العثرة، ونور من الظلمة، وضياء من الأحداث، وعصمة من الهلكة، ورشد من الغواية، وبيان من الفتن، وبلاغ من الدنيا إلى الآخرة. وفيه كمال دينكم. وما عدل أحد عن القرآن إلّا إلى النار. ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾[٣][٤].

وصدق رسول الله، النبيّ الكريم ﷺ.

قوله: «ماحل مصدَّق». الماحل: الساعي يشهد على المتخلّف العاصي. فتقبل شهادته عليه.

«له ظهر وبطن». سوف نشرح أنّ للقرآن ظهراً حسب التنزيل، وبطناً حسب التأويل. لا ينبغي الاقتصار على ظاهر التنزيل وأكثره أحكام خاصّة في شؤون محدّدة بل يجب التعمّق في باطنه المحتوي على علم غزير، وفي مفاهيم عامّة:

[م / ٣] «تجري مع الأبد كجريان الشمس والقمر» كما قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام[٥].

«له نجوم وعلى نجومه نجوم»: الدلائل على مفاهيم القرآن، متراصّة بعضها إثر بعض:

منها شواهد فيه:

[م / ٤] «فإنّ القرآن ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض» كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام[٦].

ومنها في بيان الرسول وأحاديث صحابته الأخيار وعترته الأطهار:

[م / ٥] أخرج الترمذيّ والدارميّ وغيرهما، من طريق الحارث الأعور[٧]، عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستكون فتن! قلت: وما المخرج منها؟ قال: كتاب الله، كتاب الله. فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم. هو الفصل ليس بالهزل. من

---

(١) النشب: الورطة والعويصة.

(٢) الكافي ٢: ٥٩٨ ـ ٥٩٩ / ٢.

(٣) المصدر: ٦٠٠ ـ ٦٠١ / ٨.

(٤) يونس ١٠: ٣٢.

(٥) العيّاشي ١: ٢٢ / ٥.

(٦) نهج البلاغة ٢: ١٧، الخطبة ١٣٣.

(٧) هو: الحارث بن عبدالله الأعور الهَمْداني الخارفي ـ بالفاء: بطن من هَمْدان ـ أبو زهير الكوفي. كان من حواريّي الإمام أمير المؤمنين ومن خُلّص أصحابه الأتقياء. كان أفقه الناس وأفرض الناس وأحسب الناس. وكان من أوعية العلم. سُئل عنه يحيى بن معين، فقال: ثقة. وقال ابن أبي خيثمة: قيل ليحيى: يحتجّ بالحارث؟ فقال: ما زال المحدّثون يقبلون حديثه. أخرج عنه أصحاب السنن جميعاً. توفّي سنة ٦٥. (قاموس الرجال ٣: ٣٩ / ١٦٨٥؛ تهذيب التهذيب ٢: ١٤٧ / ٢٤٨).

تركه من جبّار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله. فهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تَزِيغُ به الأهواءُ، ولا تَلْتَبِسُ به الألسنةُ، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الردّ. ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجنّ إذ سمعته أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾[١]. وهو الذي من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم. خذها إليك يا أعور!»[٢]

قولهﷺ: «لا تَزِيْغُ به الأهواءُ ولا تَلْتبِسُ به الألسن». وفي رواية العيّاشيّ: «لا تُزيغه الأهوية ولا تُلبسه الألسنة» إشارة إلى صيانته من التحريف والتصحيف، ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٣]. ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٤].

قوله: «لا يشبع منه العلماء» أي يزيدهم يوماً فيوماً علماً بعد علمٍ، حيث تتوارد عجائبه، ويأتي كلّ وقت بجديد، كلّما أمعن النظر فيه والتّدبّر في مطاويه.

[م/٦] قال الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام: «وما جالس هذا القرآن أحد إلّا قام بزيادة أو نقصان: زيادة في هدىً أو نقصان من عمى»[٥].

قوله: «ولا يخلق عن كثرة الرّدّ»، وفي كلام الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام: «ولا تُخلقه كثرة الرّدّ»[٦]؛ أي «لا تُحصىٰ عجائبه ولا تُبلى غرائبه».

[م/٧] وفي حديث آخر: «لا يخلق على طول الردّ، ولا تنقضي عِبَرُه ولا تفنى عجائبه»[٧].

أي كلّما رجعوا إليه وجدوا فيه جديداً، فهو غضّ طريّ عبر تصرّم الأيّام.

[م/٨] قال الإمام الرضا عليه السلام: «سأل رجلٌ أبا عبدالله الصادق عليه السلام: ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلّا غضاضة؟! فقال: إنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ لم يجعله لزمان دون زمان، ولناس

---

(١) الجنّ ٧٢: ١.

(٢) راجع: الترمذي ٤: ٢٤٥ ـ ٢٤٦ / ٣٠٧٠، باب ١٤ (ما جاء في فضل القرآن)؛ الدّارمي ٢: ٤٣٥، (كتاب فضائل القرآن)، واللفظ له. وهكذا أخرجه أبوالنضر محمّد بن مسعود العيّاشي من طريق الحارث عن الإمام أميرالمؤمنين باختلاف يسير. قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: أتاني جبرئيل فقال: يا محمّد، ستكون في أُمّتك فتنة! قلت: فما المخرج منها؟ وساق الحديث ... وفي آخره: هو الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. (العيّاشي ١: ١٤ ـ ١٥ / ٢) وفيه: وهو الذي لاتزيغه الأهوية ولا تلبسه الألسنة. ولعلّه الأصحّ.

(٣) فصّلت ٤١: ٤٢.

(٤) الحجر ١٥: ٩.

(٥) نهج البلاغة ٢: ٩١، الخطبة ١٧٦.

(٦) المصدر: ٤٩، الخطبة ١٥٦. سيأتي كلامه عليه السلام فيه.

(٧) العيّاشي ١: ١٧ / ١١.

دون ناس. فهو في كلّ زمان جديد، وعند كلّ قوم غضٌّ إلى يوم القيامة»(١).

[م / ٩] قال أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين ابن بابويه الصدوق ـ عليه الرحمة ـ: حدّثنا الحاكم أبو عليّ، قال: حدّثنا محمّد بن يحيى الصوليّ، قال: حدّثنا محمّد بن موسى الرازيّ، قال: حدّثني أبي قال: ذكر الرضا عليه السلام يوماً القرآن، فعظّم الحجّة فيه، والآية المعجزة في نظمه. فقال: «هو حبل الله المتين، وعروته الوثقىٰ، وطريقته المُثلىٰ، المؤدّي إلى الجنّة، والمنجي من النار، لايَخْلُق على الأزمنة، ولا يغثّ على الألسنة، لأنّه لم يجعل لزمان دون زمان، بل جعل دليل البرهان والحجّة على كلّ إنسان ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾»(٢).

[م / ١٠] وروى القاضي أبو محمّد عبدالحقّ ابن عطيّة الأندلسي في مقدّمة تفسيره «المحرّر الوجيز» عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، «قيل له: لِمَ صار الشعر والخطب يملّ ما أعيد منها، والقرآن لا يملّ؟ فقال: لأنّ القرآن حجّة على أهل الدهر الثاني، كما هو حجّة على أهل الدهر الأوّل، فكلّ طائفة تتلقّاه غضّاً جديداً. ولأنّ كلّ امرئٍ في نفسه متى أعاده وفكّر فيه، تلقّى منه في كلّ مرّة علوماً غضّةً، وليس هذا كلّه في الشعر والخطب»(٣).

[م / ١١] روى المولى العلامّة العارف أحمد بن فهد الحلّي في الباب السادس من كتابه «عدّة الداعي» من طريق حفص بن غياث عن الزهري، قال: سمعت الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام يقول: «آيات القرآن خزائن العلم، فكلّما فتحت خزانةً، فينبغي لك أن تنظر ما فيها»(٤).

[م / ١٢] ومن ثمّ قال الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام ـ بشأن الاستنباط من القرآن والسعي في استخراج لئاليه ـ: «ذلك القرآن فاستنطقوه، ولن ينطق. ولكن أخبركم عنه: ألا إنّ فيه علم ما يأتي، والحديث عن الماضي، ودواء دائكم، ونظم ما بينكم»(٥).

قوله عليه السلام: «فاستنطقوه ولن ينطق» أي لا بدّ من التدبّر فيه والتعمّق في مطاويه، واستفراغ الوسع في استنباط معانيه، فإنّ له ظاهراً محدوداً حسب موارد التنزيل، وباطناً متّسعاً سعة الآفاق،

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٩٣ / ٣٢؛ البحار ٢: ٢٨٠ / ٤٤، و ٨٩: ١٥ / ٨.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٣٧ ـ ١٣٨ / ٩؛ البحار ٨٩: ١٤ / ٦. والآية من سورة فصّلت ٤١: ٤٢.

(٣) المحرّر الوجيز ١: ٣٦.

(٤) عدّة الداعي: ٢٦٧، باب ٦ (في تلاوة القرآن)؛ البحار ٨٩: ٢١٦ / ٢٢.

(٥) نهج البلاغة ٢: ٥٤، الخطبة ١٥٨.

والعبرة بهذا الباطن، الذي هو تأويله وهو مفهوم عامّ مستخرج من فحوى الآية الشامل.

[م/١٣] قال الإمام أبو عبدالله الحسين بن علي عليه السلام: «كتاب الله عزّ وجلّ على أربعة أشياء: على العبارة، والإشارة، واللطائف، والحقائق. فالعبارة للعوامّ (أي لعامّة الناس). والإشارة للخواصّ (ممّن يتعمّق النظر فيه). واللّطائف (وهي الدقائق والرموز) للأولياء (ممّن لهم القربى بساحة القدس الأعلى). والحقائق (الراهنة طيّ ملاكات الأحكام والشرائع) للأنبياء (النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وورثته وخزنة علمه)»[1].

ولعلّ أفخم نعت جاء في وصف القرآن:

[م/١٤] ما ذكره الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال: «لقد تجلّى الله لخلقه في كلامه، ولكنّهم لا يبصرون»[2].

نعم لقد تجلّى الله بكلّ أوصافه المجيدة في القرآن، وفضل عنايته بهذا الإنسان، منذ بدء الخلق فإلى بلوغ الرضوان.

[م/١٥] قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «فضل القرآن على سائر الكلام، كفضل الله على خلقه»[3].

[م/١٦] وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «القرآن غنىً لا غنى دونه ولا فقر بعده»[4].

[م/١٧] وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «القرآن مأدبة الله، فتعلّموا مأدبته ما استطعتم. إنّ هذا القرآن، هو حبل الله، وهو النور المبين، والشفاء النافع»[5].

[م/١٨] وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «القرآن أفضل كلّ شيء دون الله. فمن وقّر القرآن فقد وقّر الله. ومن لم يوقّر القرآن فقد استخفّ بحرمة الله، وحرمة القرآن على الله (أي عند الله) كحرمة الوالد على ولده»[6].

[م/١٩] وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إن أردتم عيش السعداء، وموت الشهداء، والنجاة يوم الحسرة، والظلّ يوم الحرور، والهدى يوم الضلالة، فادرسوا القرآن، فإنّه كلام الرحمان، وحرز من الشيطان، ورجحان في الميزان»[7].

---

(١) جعلنا الشرح مزجاً مع المتن. جامع الأخبار: ١١٦ / ٢١١؛ البحار ٨٩: ٢٠ / ١٨.

(٢) البحار ٨٩: ١٠٧ / ٢، باب ٩ (فضل التدبّر في القرآن).

(٣ ـ ٧) جامع الأخبار: ١١٤ ـ ١١٥ / ١٩٨ ـ ٢٠٣؛ البحار ٨٩: ١٩ / ١٨.

وللإمام أميرالمؤمنين ـ عليه صلوات المصلّين ـ كلمات فخيمة تعبيراً عن القرآن الكريم، نقتطف منها ما يلي:

[م / ٢٠] قال عليه السلام ـ في خطبة له خطاباً مع أهل البصرة ـ: «وعليكم بكتاب الله، فإنّه الحبل المتين، والنور المبين، والشفاء النافع، والريّ الناقع[١]. والعصمة للمتمسّك، والنجاة للمتعلّق، لا يعوجّ فيُقام، ولا يزيغ فيُستعتب[٢]، ولا تُخلقه كثرة الردّ، وولوج السمع. من قال به صَدَقَ، ومن عمل به سَبَق»[٣].

[م / ٢١] وفي خطبة يعظ فيها ويبيّن فضل القرآن وينهى عن البدعة:

«انتفعوا ببيان الله، واتّعظوا بمواعظ الله، واقبلوا نصيحة الله. فإنّ الله قد أعذر إليكم بالجليّة، وأخذ عليكم الحجّة، وبيّن لكم محابّهُ من الأعمال، ومكارهَهُ منها، لتتّبعوا هذه وتجتنبوا هذه، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول: إنّ الجنّة حُفَّت بالمكاره، وإنّ النّار حُفَّت بالشهوات» إلى أن يقول:

«واعلموا أنّ هذا القرآن هو الناصح الذي لا يَغُشّ، والهادي الذي لا يضلّ، والمحدّث الذي لا يكذب. وما جالس هذا القرآن أحد إلّا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدىً، أو نقصان من عمىً.

واعلموا أنّه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنىً. فاستشفوه من أدوائكم، واستعينوا به على لأوائكم[٤]، فإنّ فيه شفاءً من أكبر الداء، وهو الكفر والنفاق والغيّ والضلال. فاسألوا الله به، وتوجّهوا إليه بحبّه، ولا تسألوا به خلقه، إنّه ما توجّه العباد إلى الله بمثله.

واعلموا أنّه شافع مشفَّع، وقائل مصدَّق، وأنّه من شَفَعَ له القرآن يوم القيامة شُفّع فيه، ومن محل به[٥] القرآن يوم القيامة صُدّق عليه. فإنّه ينادي منادٍ يوم القيامة: ألا إنّ كلّ حارث مبتلىً في حرثه، وعاقبة عمله، غير حرثة القرآن! فكونوا من حَرَثته وأتباعه، واستدلّوه على ربّكم،

---

(١) نقع: نقع العطش أي أزاله.

(٢) يقال: استعتبه أي طلب منه العُتبى أي استرضاه. يقال: استعتبته فأعتبني أي استرضيته فأرضاني.

(٣) نهج البلاغة ٢: ٤٩، الخطبة: ١٥٦.

(٤) اللّأواء: الشدّة.

(٥) يقال: محل به أي سعى به إلى السلطان.

واستنصحوه على أنفسكم، واتّهموا عليه آراءَكم، واستغشّوا[١] فيه أهواءكم»[٢].

[م/٢٢] وفي خطبة يصف فيها جبروت الربّ تعالى، وفيها يبيّن فضل الإسلام وصادعه ويعرّج على وصف القرآن الكريم بقوله:

«ثمّ أنزل عليه (على الرسول الأعظمﷺ) الكتاب نوراً لا تُطفأ مصابيحُه، وسراجاً لا يخبو توقّده، وبحراً لا يُدرَك قعره، ومنهاجاً لا يضلّ نهجُه، وشُعاعاً لا يُظْلِم ضوؤه، وفرقاناً لا يُخمد برهانُه، وتبياناً لا تُهدم أركانه، وشفاءً لا تُخشَى أسقامه، وعزّاً لا تُهزم أنصاره، وحقّاً لا تُخذل أعوانه. فهو معدن الإيمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغُدرانه، وأثافيّ[٣] الإسلام وبنيانه، وأودية الحقّ وغِيْطانُه[٤]، وبحر لا ينزفه المستنزفون[٥]، وعيون لا يُنْضِبُها الماتحون[٦]، ومناهل لا يَغِيضُها[٧] الواردون، ومنازل لا يضلّ نَهْجَها المسافرون، وأعلامٌ لا يعمى عنها السائرون، وآكام[٨] لا يجوز عنها القاصدون.

جعله الله ريّاً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومحاجّ[٩] لطرق الصلحاء، ودواءً ليس بعده داءٌ، ونوراً ليس معه ظلمة، وحبلاً وثيقاً عروته، ومعقلا منيعاً ذِروته، وعزّاً لمن تولاّه، وسِلماً لمن دخله، وهدىً لمن ائتمّ به، وعذراً لمن انتحله، وبرهاناً لمن تكلّم به، وشاهداً لمن خاصم به، وفَلْجاً[١٠] لمن حاجّ به، وحاملاً لمن حَمَله، ومطيّةً لمن أعمله، وآية لمن توسَّم، وجُنَّةً لمن استلأم[١١] وعِلْماً لمن وعىٰ، وحَدِيثاً لمن روىٰ، وحُكْماً لمن قضىٰ»[١٢].

أسامي القرآن

ذكر شيخ المفسّرين جمال الدين أبوالفتوح الرازي (من أعلام القرن السادس) ثلاثاً وأربعين

---

(١) أي ظنّوا فيها الغشّ.

(٢) نهج البلاغة ٢: ٩٢، الخطبة: ١٧٦.

(٣) الأثافيّ جمع الأثفيّة: أحجار ثلاثة يوضع عليها القدر عند الطبخ. أي عليه قام الإسلام.

(٤) غيطان الحقّ، جمع غاط أو غوط، وهو المطمئنّ من الأرض.

(٥) أي لا يفنى ماؤه ولا يستفرغه المغترفون.

(٦) نضب الماءُ: غار. والماتح: نازع الماء من الحوض.

(٧) من غاض الماء إذا أخذ في الهبوط والنقصان.

(٨) جمع أَكَمَة: المرتفع من الأرض.

(٩) المحاجّ، جمع محجّة، وهي الجادّة من الطريق.

(١٠) الفلج ـ بالفتح فسكون ـ: الظفر والفوز.

(١١) استلأم: لبس اللأمة وهي الدرع أو جميع أدوات الحرب.

(١٢) نهج البلاغة ٢: ١٧٧ـ ١٧٨، الخطبة: ١٩٨.

اسماً للقرآن الكريم[١]. واقتصر إمام المفسّرين أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي (أيضاً من أكابر العلماء في القرن السادس) على أربعة منها: القرآن والفرقان والكتاب والذكر[٢].

وذكر الإمام بدر الدين الزركشي: أنّ بعضهم (الحراليّ في تصنيف خاصّ) أنهاها إلى نيّف وتسعين اسماً. ونقل عن القاضي أبي المعالي عُزَيْزي بن عبدالملك خمساً وخمسين اسماً، فذكرها وذكر لكلّ واحد منها شاهداً من القرآن[٣].

غير أنّ أكثرها نعوت وأوصاف أُطلقت على الذكر الحكيم بما تحمله من صفات اشتقاقيّة وليست من قبيل الأعلام الخاصّة. أمّا الذي أطلق على القرآن باعتباره عَلَماً له، فلا يعدو ما ذكره الطبرسيّ: القرآن، الفرقان، الكتاب و الذكر. مع التقدّم في الأهميّة حسب الترتيب.

أمّا القرآن فقد جاءت التسمية به في أكثر من خمسة و ستّين موضعاً من القرآن، أكثرها معرّفاً باللام، وجاء بلا لام في ١٥ موضعاً.

والفرقان، جاء في موضعين عنواناً للقرآن[٤]، باعتباره مائزاً بين الهدى والضلال[٥].

والكتاب، معرّفاً في أكثر من أربعين موضعاً[٦]. ومنكّراً في خمسة مواضع[٧].

والذكر، في بضعة مواضع، معرّفاً[٨] ومنكّراً[٩] باعتباره مُذَكِّراً[١٠].

وباقي الأوصاف نعوت وليست بأسماء.

---

(١) أبوالفتوح ١: ٨، في المقدّمة.

(٢) مجمع البيان ١: ٤١، الفنّ الرابع من المقدّمة.

(٣) البرهان ١: ٢٧٣ ـ ٢٨١، النوع ١٥. وأبو المعالي عُزَيزي المعروف بشَيْذلة، أحد فقهاء الشافعيّة وصاحب البرهان في مشكلات القرآن، توفّي سنة ٤٩٤. انظر: ابن خلكان ١: ٣١٨.

(٤) قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ الفرقان ٢٥: ١. وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ. مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ آل عمران ٣: ٤.

(٥) قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ البقرة ٢: ١٨٥.

(٦) منها قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ آل عمران ٣: ٣ ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ البقرة ٢: ٢.

(٧) منها قوله تعالى: ﴿وَ هَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ الأحقاف ٤٦: ١٢. ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ سورة ص ٣٨، ٢٩.

(٨) قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر ١٥: ٩. ﴿وَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ النحل ١٦: ٤٤.

(٩) كقوله تعالى: ﴿وَ هَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ...﴾ الأنبياء ٢١: ٥٠.

(١٠) قال تعالى: ﴿وَ الْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ سورة ص ٣٨: ١. ﴿وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ القمر ٥٤: ١٧.

[م/٢٣] سأل عبدالله بن سنان الإمامَ أبا عبدالله الصادق عليه السلام عن القرآن والفرقان، أ هما شيء واحد أم هما شيئان؟

قال عليه السلام: «القرآن، جملة الكتاب، والفرقان، المحكم الواجب العمل به»[١].

[م/٢٤] وفي حديث آخر: «القرآن، جملة الكتاب. وأخبار ما يكون، والفرقان، المحكم الذي يعمل به وكلّ محكم فهو فرقان»[٢].

[م/٢٥] وفي حديث عليّ بن إبراهيم القميّ بالإسناد إليه: «الفرقان، هو كلّ أمر محكم. والكتاب، هو جملة القرآن الذي يصدّق فيه من كان قبله من الأنبياء»[٣].

وذلك أنّ القرآن اسم لما يُقرأ، فيجوز إطلاقه على جميع القرآن بهذا الاعتبار.

أمّا الفرقان بمعنى المعيار المائز بين الصحيح والزائف، فهي الآيات البيّنات، الجليّات ببيان براهينها الساطعة اللائحة، دون المتشابهات التي يختصّ بعلمها الراسخون في العلم.

اشتقاق لفظة القرآن

القرآن لفظة عربيّة عريقة، لها اشتقاقها وأصالتها في اللغة وفي الاستعمال الدارج. قال الراغب: القرآن ـ في الأصل ـ: مصدر، نحو كُفْران ورُجْحان [وغُفْران].

قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[٤]. وقد خصّ بالكتاب المنزّل على محمّد صلى الله عليه وآله فصار له كالعَلَم، كما أنّ التوراة لما أنزل على موسى، والإنجيل على عيسى عليهما السلام.

قال بعض العلماء: تسمية هذا الكتاب قرآناً، لكونه جامعاً لثمرة سائر الكتب، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم. كما أشار إليه تعالى بقوله: ﴿وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾[٥].

قال ابن فارس (توفيّ سنة ٣٩٥): القاف والراء والحرف المعتلّ، أصل صحيح يدلّ على جمع واجتماع. من ذلك قرية، سمّيت قرية لاجتماع الناس فيها. ويقولون: قريتُ الماء في المقراة:

---

(١) معاني الأخبار: ١٨٩ ـ ١٩٠ / ١؛ البحار ٨٩: ١٥ / ١٠. (٢) العيّاشي ١: ٢٠ / ٢؛ البحار ٨٩: ١٥ / ١١.

(٣) القميّ ١: ٩٦؛ العيّاشي ١: ١٨٥ / ١؛ البحار ٨٩: ١٦ / ١٣.

(٤) القيامة ٧٥: ١٧ ـ ١٨؛ المفردات: ٤٠٢. (٥) آخر آية من سورة يوسف.

جمعته[1]. وذلك الماء المجموع: قريّ. والمقراة: الجفنة، لاجتماع الضيف عليها، أو لما جمع فيها من طعام. قال: وإذا همز، كان هو والأوّل سواء. يقولون: ما قرأت هذه الناقة سَلَىً[2]، كأنّه يُراد أنّها ما حملت قطّ. قال الشاعر ـ وهو عمرو بن كلثوم في معلّقته المشهورة ـ:

ذراعــي عَـيْطَلٍ أدمـاءَ بِكْـرٍ   هِجانِ اللّون لم تقرأ جنيناً[3]

قالوا: ومنه القرآن، كأنّه سمّي بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص وغير ذلك[4].

وعليه فالقرآن مأخوذ من قرأ يقرأ قراءةً وقرآناً وكانت همزته مقلوبة من واوٍ، لأنّه من القرى بمعنى الجمع. قال ابن الأثير: تكرّر في الحديث ذكر القراءة والاقتراء والقارئ والقرآن. والأصل في هذه اللفظة الجمع، وكلّ شيء جمعتَه فقد قرأتَه. وسمّي القرآن، لأنّـه جـمع القـصص والأمـر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض. وهو مصدر كالغُفْران والكُفْران[5].

وقد جاء استعماله مهموزاً في اللغة وفي القرآن والحديث وكذا في كلام العرب رائـجاً. قـال الشاعر[6]:

هنّ الحرائـر، لا ربّـات أخـمرة   سود المحاجر، لا يقرأن بالسُّوَر

أي لا يتلون السور، بزيادة الباء. قال ابن منظور: المعنى عندهم: لا يقرأن السُّوَر[7] وهكـذا قال ابن سيده: إنّه أراد: لا يقرأن السُّوَر، فزاد الباء[8].

فكانت القراءة كالكتابة، في أصلهما بمعنى الجمع، غـير أنّ الكـتابة جـمع الحـروف ونـظم الكلمات في الخطّ. والقراءة جمعها في اللفظ.

---

(١) قال الخليل: شبه حوض ضخم يُقرَى فيه من البئر ثمّ يُفرَّغ منه في قروٍ ومركن أو حوض. والجماعة: مقاري. (كتاب العين ٥: ٢٠٤).

(٢) السَّلَى: جلدة يكون في ضمنها الولد في بطن أمّه.

(٣) العيطل: الطويلة العنق من النوق. الأدماء: البيضاء منها. والأدمة: البياض في الإبل. البكر: الناقة التي حملت بطنا واحداً. ويُروى بَكر ـ بفتح الباء ـ وهو الفتيّ من الإبل. وبكسر الباء أعلى الروايتين. ولم تقرأ جنيناً أي لم تضمّ في رحمها ولداً. (شرح المعلقات للزوزني: ١٢٠ ـ ١٢١). وقال ابن دريد: أي لم تجمع في رحمها ماء الفحل. (جمهرة اللغة ١: ٢٢٩).

(٤) مقاييس اللغة ٥: ٧٨ ـ ٧٩.

(٥) النهاية ٤: ٣٠.

(٦) هو عُبَيد بن حُصَين أبو جندل النُّميري المعروف بالراعي، لكثرة وصفه الإبل في شعره. كان من فحول الشعراء الإسلاميين، تـوفّي حدود التسعين للهجرة، عاصر الفرزدق وجريراً. (الوافي بالوفيات ـ للصفدي ١٩: ٢٨٣).

(٧) لسان العرب ٣: ٣٨٩ (لحد). و ٤: ٣٨٦ (سور). و ١: ١٢٨ (قرأ).

(٨) المحكم ٦: ٤٦٩ ـ ٤٧٠.

وبعد فإذ قد ثبتت أصالة اللفظة في اللغة، وكان لها تصاريف دارجة في الاستعمال القديم، فلا موضع لاحتمال كونها من الدخيل، من أصل سُرياني كما قيل!

ادّعى بعضهم أنّه من المحتمل اشتقاق لفظة «القرآن» من «قريانة» بمعنى القراءة، حيث كانت تستعمل في الكنيسة السُّريانيّة، وجاء ذلك في دائرة المعارف الإنجليزيّة، ويردّده مستشرق آخر فرنسي هو «ريجي بلاشير»، وهكذا تلقّتها المصادر الغربيّة، دون تحرٍّ عن الحقيقة أو بحث علمي قائم على خطوات منهجيّة[١].

على أنّ اشتراك اللغات المتجاورة في جذور كلمات وألفاظ، كان شيئاً معروفاً، كاشتراك أصول الأمم أنفسها، ولا سيّما في مثل العربيّة والعبريّة والسُّريانيّة، لها جذور مشتركة، ولا دليل على أنّ إحداها أخذت من الأخرى، أو أنّ إحداها أصل والأخرى فرع، إن لم نقل بأنّ العربيّة هي الأصل لعراقتها في القدم.

وهكذا انصبّ اهتمام عدد من المستعربين المتحرّشين بالإسلام، على كلمة «فرقان» فبذلوا جهوداً مضنية بهدف إرجاعها إلى أصول يهوديّة ـ مسيحيّة.

ولعلّه من جزاف القول: ما ذكره بعض المستشرقين اليهود[٢]، تصوّروا أنّ كلمة «فرقان» عبريّة، قدتّم تعريبها. حيث كانت في الأصل «بيركي» (Pirke). وبشير «مرجليوث» في موسوعته «الدِّين والأخلاق»، قائلاً: إنّ الكلمة الأصليّة هي «بيركى ـ أبوت»[٣].

ويعطي «ريتشارد ـ بيل» معلّقاً على كلمة «فرقان» في كتابه «مدخل إلى القرآن» ص ١٣٦ ـ ١٣٧، الذي صدر بعد وفاته، تفسيراً يمزج فيه بين التفسير الذي يجمع عليه المفسّرون المسلمون، وبين تفسير المستشرقين المسيحيّين الذين يزعمون أنّ لفظة «فرقان» ترجع في أصلها إلى الكلمة السُّريانيّة «فرقانا» (Furkana) يقول: إنّ الكلمة قدتمّ اشتقاقها من المصادر المسيحيّة، لكنّ محمداً لابدّ أنّه قد مزجها باللفظ العربي «فرق» لتسهيل التفريق ما بين أتباعه وبين

---

(١) راجع: قضايا قرآنيّة في الموسوعة البريطانيّة ـ للدكتور فضل حسن عبّاس: ٢٥ ـ ٢٦.

(٢) أمثال «جيجر» في كتابه «ماذا أخذ محمّد من اليهود؟: ٩٩». و «هيرشفيلد» في كتابه «بحوث جديدة في القرآن: ٦٨». و «هوروفيتز»: «بحوث قرآنية: ٧٦ ـ ٧٧».

(٣) الدفاع عن القرآن ضدّ منتقديه ـ عبدالرحمان بدوي: ٥٨.

غير المؤمنين[١].

وكلامه هذا غامض جدّاً، ولا غرو بعد أن أخذ قائله في طيف الخيال!

قال الدكتور عبدالرحمان بَدَوي: إنّه من الغباء نسبة كلمة «فرقان» إلى الكلمة العبريّة «بيركي» (Pirke)، التي تعني: فصول. كما أنّ الآراء التي تردّ كلمة «فرقان» إلى الكلمة السُّريانيّة «بوركانا» (Purkana) بمعنى: الإنقاذ، تعدّ هي الأخرى ضرباً من الغباء[٢].

وعليه فإذ قد كانت الكلمة ذات اشتقاق أصيل في اللغة وفي الاستعمال العربي الشائع، فلامجال لاحتمال التعريب وأنّها من الدخيل.

كما وأنّه ليست لفظة «القرآن» ـ ومثلها «الفرقان» ـ لوحدها بالتي ادّعي أنّها دخيلة على العربيّة من أصل سرياني أو عبريّ بل هناك كلمات كثيرة هي من لبّ العربيّة وأساسها، زعموها غير عربيّة، ككلمتي «الإيمان والصلاة» حيث زعمت دائرة المعارف الإنجليزيّة، أنّ الأولى عبريّة أو آراميّة، وأنّ الثانية آراميّة. وكذلك كلمة «قلم»، حيث ادّعي أنّها من أصل يونانيّ. وكلمة «صراط» و «سورة»: أنّها مشتقّة من العبريّة الحديثة[٣].

بل ذهبوا إلى ما هو أعجب، فادّعوا أنّ «سدرة المنتهى» ليست عربيّة كذلك. فقد زعم الأب «أنستاس الكرملي» أنّ كلمة «سدرةالمنتهى» الواردة في القرآن، هي من أصل لاتينيّ. وقد تبعه حسن سالم في هذا الزعم، كما جاء في مجلّة المصوّر القاهريّة في ١٧ كانون الأوّل ١٩٦٧م، العدد ٢٧٢٣[٤].

قال الدكتور فضل: وهذه لعمر الحقّ هزيمة أشدّ من هزيمة حزيران في السنة نفسها، أمام هجمات صهيون.

قال: ونحن إذ نردّ هذا الزعم، لا نردّه جزافاً ولا عصبيّةً، فنحن في بحثنا هذا ملتزمون بالمنهج العلمي القائم على أسس منهجيّة.

---

(١) المصدر: ٦٠. (٢) المصدر: ٦١.

(٣) راجع: المستشرقون والدراسات القرآنيّة ـ محمّد حسين علي: ٣٤ (قضايا قرآنيّة: ٢٦).

(٤) راجع: دفاع عن الفصحى ـ أحمد عبدالغفور عطّار: ٣٥. (قضايا قرآنيّة: ٢٦).

هب أنّ كلمةً في السريانيّة [أو في غيرها من اللغات] جاءت مشابهة للفظة القرآن أو الفرقان، أفلا يمكن أن يدّعىٰ أنّ تلك اللفظة هي المأخوذة عن العربيّة؟! ولم لا تكون هناك كلمات متشابهة في لغات متجاورة، ومن يدري أيّ الوضعين كان أسبق من الآخر في وقته؟[1]

التفسير في مراحل التكوين

نزل القرآن هدىً وبصائر للناس وتبياناً لكلّ شيء في بيان واضح وبرهان لائح، لا غبار عليه ولاعثار لديه وقد كان المسلمون ـ على صفاء أذهانهم إذ ذاك ـ يستسيغون فهم معانيه، ويستجيدون نظم لئاليه، بكلّ يسر وسهولة، حيث قد نزل القرآن بلغتهم وعلى أساليب كلامهم المعروف. ولئن كاد قد يوقف بهم إجمال لفظ أو إبهام معنى، فإنّ الوقفة لم تكن لتطول بهم، والنبيّ ﷺ بين أظهرهم وفي متناولهم القريب، فكان إذ ذاك يزيح علّتهم ويكشف النقاب عن وجه الإشكال، إذ كان عليه البيان كما كان عليه البلاغ، قال تعالى: ﴿وَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

وهكذا استمرّ المسلمون في مراجعة القرآن واستنطاقه في شتّى مسائلهم في الحياة، والنبيّ ﷺ إلى جنب القرآن مفسّراً ومبيّناً لشرح ما أجمل من تشريع أو أبهم من برهان.

أضف إليه جانب تصدّيه ﷺ لتعليم الصحابة مناهج تلاوته ومباهج بيّناته عملاً يوميّاً كلّ يوم آياً بعدد.

[م/٢٦] قال ابن مسعود: كان الرجل منّا إذا تعلّم عشر آيات لم يجاوز هنّ حتّى يعرف معانيهنّ والعمل بهنّ[3].

[م/٢٧] وقال أبو عبدالرحمان السُّلَمي: حدّثنا الذين كانوا يُقرئوننا أنّهم كانوا يستقرئون من النبيّ ﷺ فكانوا إذا تعلّموا عشر آيات لم يخلّفوها حتّى يعملوا بما فيها من العمل. قال: فتعلّمنا القرآن والعمل جميعاً[4].

---

(١) قضايا قرآنيّة: ٢٦ ـ ٢٩.
(٢) النحل ١٦: ٤٤.
(٣) الطبري ١: ٥٦/ ٦٦.
(٤) المصدر/ ٦٧.

والمراد بالعمل هنا هي عملية الاستنباط وأنّه كيف تستخلص الفروع من الأصول، فكان ﷺ يُفقّه أصحابه في الدّين ويهديهم إلى الترتيل والتفسير جميعاً.

وقد سار على منهاجه كبار أصحابه وخيار التابعين والصفوة من عترته الطيّبين. كانوا قدوة للناس، يعلّمونهم الكتاب والحكمة وفصل الخطاب، الأمر الذي وفّر على الأمّة تراثاً علميّاً خالداً وفي حجم كبير وأصبح منهلاً عذباً يتروّى منه الوافدون عبر الأعصار.

ولقد كان معيناً صافياً وضافياً بالخير والبركات لولا ما عكر صفو زلالها أكدار الدسّ والتزوير، من دخائل إسرائيليّة وأخرى وضعتها يد الاختلاق وربّما تساهل بعض الأوائل في حشد تلك الأثار من غير تنقيح أو تهذيب، ومن غير أن يخلصوا السليم عن السقيم، ومن ذلك جاءت البليّة في الخلط بين الغثّ والسمين، بما لا ينبغي.

وأوّل من جمع فأوعى واستكثر من لمّ الشوارد، هو الإمام أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري (٢٢٤ ـ ٣١٠)، سواء في تاريخه أو في التفسير. وهكذا أولع أصحاب المجاميع الحديثيّة ـ بشتّى أنحائها ـ بنقل تلك الآثار وحكاية تلك الأخبار، وأكثرها من غير تمحيص.

وفي ذلك يقول العلّامة ابن خلدون (٧٣٢ ـ ٨٠٨): وصار التفسير على صنفين، تفسيرٍ نقليٍّ مُسْنَدٍ إلى الآثار المنقولة عن السلف، وهي معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ومقاصد الآي، وكلّ ذلك لا يُعرف إلّا بالنقل عن الصحابة والتابعين. وقد جمع المتقدّمون في ذلك وأوعوا، إلّا أنّ كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغثّ والسّمين والمقبول والمردود. وجاء شاهداً لذلك بالطبري والواقدي والثعالبي وأمثالهم من المفسّرين.

ثمّ قال: والسبب في ذلك أنّ العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وانّما غلبت عليهم البداوة والأمّيّة، وإذا تشوّقوا إلى معرفة شيء ممّا تتشوّق إليه النفوس البشريّة في أسباب المكوّنات وبدء الخليقة وأسرار الوجود، فإنّما [كانوا] يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى.

وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذٍ بادية مثلهم، ولا يعرفون من ذلك إلّا ماتعرفه العامّة من أهل الكتاب، ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهوديّة، فلمّا أسلموا بقوا على ما كان عندهم

في مثل أخبار بدء الخليقة وما يرجع إلى الحِدثان والملاحم وأمثال ذلك، وهؤلاء مثل كعب الأحبار ووهب بن منبّه وعبدالله بن سلام وأمثالهم. فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم في أمثال هذه الأغراض، أخبار موقوفة عليهم.

وتساهل المفسّرون في مثل ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات. وأصلها ـ كما قلنا ـ عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك. إلّا أنّهم بَعُدَ صيتهم وعَظُمَت أقدارهم، لما كانوا عليه من المقامات في الدّين والملّة، فتُلقّيت [منهم] بالقبول من يومئذٍ.

قال: فلمّا رجع الناس إلى التحقيق والتمحيص، وجاء أبو محمّد عبدالحقّ بن غالب بن عطيّة من المتأخّرين (٤٨١ ـ ٥٤٢) بالمغرب، فلخّص تلك التفاسير كلّها وتحرّى ما هو أقرب إلى الصحّة منها ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس، حَسَن المنحى. [وأسماه: المحرّر الوجيز].

قال: وتبعه أبو عبدالله محمّد بن أحمد القرطبي (٥٨٠ ـ ٦٧١) في تلك الطريقة على منهاج واحد في كتاب آخر [الجامع لأحكام القرآن] مشهور بالمشرق[1].

وهكذا الإمام الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير (٧٠١ ـ ٧٧٤) في تفسيره القيّم، قد أزاح الكثير من الإسرائيليّات والموضوعات عن وجه التفسير.

ومن أصحابنا الإماميّة قام الشيخ أبوجعفر محمّد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠) بتهذيب التفسير وتنقيحه عن الشوائب والأكدار، ليبدو نقيّاً صافياً وضافياً بجلائل الدرر والجواهر الحسان، في تفسيره الأثري العظيم (التبيان). وهو بحقّ تفسيرٌ حافلٌ بأمّهات الدلائل على فهم معاني القرآن، وجامعٌ لكلّ ما يحتاج إليه المفسّر في تبيين المعاني وتشييد المباني، خالٍ عن كلّ حشو أو زيادة. فجاء تفسيراً جامعاً وحاوياً على أسس المطالب والتي تستهدفها رسالة القرآن الكريم.

غير أنّ تفسيره هذا ـ على عظمته ـ كان قد ازدحمت عليه المطالب من غير ما نظم و بصورة

(١) المقدّمة لابن خلدون: ٤٣٩ ـ ٤٤٠. (الفصل الخامس في علوم القرآن).

منتشرة. فجاء المفسّر القرم القويم أبو عليّ الفضل بن الحسن الطَبْرسي، العلم الشامخ من أكابر علماء الإماميّة في القرن السادس (٤٦٠ ـ ٥٤٨)، وأخذ في ترتيب وتبويب تفسير الشيخ وأضاف إليه ما وجده في سائر الأصداف والأسفاط من اللئالي والعقود والتيجان. وأسماه «مجمع البيان لعلوم القرآن». وهو بحقّ مجتمع العلوم والمعارف القرآنيّة وملتقى أفذاذ هذا المسرح الفسيح.

وقد وصفه كثير من الأعلام بالنُبل والبراعة في التأليف والتصنيف وفي حسن الانتخاب و جودة الترصيف وهو كذلك. وبذلك قد أفسح هو وأمثاله المجال أمام أهل النظر والتحقيق ممّن تأخّر. فشكر الله مساعيهم.

وكان عملنا هذا امتداداً لما سار عليه أولئك النبلاء، وارتواءً من منهلهم العذب الرحيق إن شاء الله، ومن الله التوفيق.

التّفسير والتّأويل

(الظهر و البطن)

مصطلحان شرحناهما في مجال سابق[1]، وبقي أن نذكر عنهما ما يخصّ موضوع الكتاب وليكون تكملة لما أسلفناه:

التفسير: مأخوذ من «فَسَر» بمعنى: أبان وكشف. واصطلحوا على أنّ التفسير هو: إزاحة الإبهام عن التعبير المشكل، حيثما أبهم في إفادة المراد.

وكانت صياغته مزيداً فيه (من باب التفعيل) نظراً لمزيد العناية والمبالغة في محاولة كشف المعاني، نظير الفرق بين كشف واكتشف، ففي الثاني دلالة على زيادة محاولة وبذل جهد للحصول على المقصود، فكان أخصّ من المجرّد الثلاثي، بناءً على أنّ زيادة المباني تدلّ على زيادة المعاني.

فالتفسير: محاولة لكشف المعنى وبذل الجهد لإزالة الخفاء عن وجه المشكل من الآيات. وبذلك تبيّن أنّ مورد التفسير ما إذا كان هناك إشكال (إبهام) في وجه الآية إمّا لفظيّاً أو معنويّاً، وكان رفعه بحاجة إلى مزيد جهد وعناية، يبذلها المفسّر بما أوتي من حول وقوّة.

---

(١) راجع: الجزء التاسع من كتابنا التمهيد.

وسبق[١] أنّ لخفاء المعنى أسباباً وعللاً منها ما يعود إلى اعتلاء المعنى وقصور اللفظ أو لإجمال هو بحاجة إلى بيان وتفصيل وما إلى ذلك ممّا لا يخلّ بفصاحة الكلام وبلاغته حسبما شرحناه. وبذلك يفترق التفسير عن الترجمة بأنّها حيث كان جهل بأصول الوضع ممّا ليس في رفعه على العارف بها كثير عناء.

والتأويل: مأخوذ من الأول بمعنى: الرجوع، ليكون التأويل إرجاعاً، إمّا إلى الوجه المقبول، كما في باب المتشابهات. أو إلى فحوى الآية العامّ، بعد عدم صحّة الاقتصار على الظاهر الذي يبدو خاصّاً حسب التنزيل.

فإنّ للتأويل مصطلحين عند أهل التفسير: أحدهما يختصّ بباب المتشابهات، بمعنى: تأويل المتشابه من الأقوال[٢] أو الأعمال[٣] إلى الوجه المعقول المقبول. ومن ثَمَّ فهو نوع تفسير، ينضمّ إلى رفع الإبهام عن الآية، دفع الإشكال عنها أيضاً، ليكون رفعاً ودفعاً معاً.

فالتأويل في باب المتشابهات، هو بمعنى: توجيهها إلى الوجه الذي يقبله العقل والشرع.

والمصطلح الآخر للتأويل هو: تبيين المفهوم العامّ الخابئ وراء ستار اللفظ الذي يبدو خاصّاً حسب التنزيل. فإنّ غالبيّة الآيات النازلة حسب المناسبات تبدو خاصّة بها لا تتعدّاها ظاهريّاً، فهذا يجعل من رسالة القرآن عقيمةً مدى الأيّام، غير أنّ النبيّ ﷺ أكّد على ضرورة استخلاص الآية من ملابساتها، ولتكون ذات مفهوم عامّ وشامل لجميع الأقوام والأعصار.

[م / ٢٨] قال ﷺ: «ما في القرآن آية إلّا ولها ظهر وبطن».

[م / ٢٩] وقد سئل الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام عن تفسير هذا الحديث فقال: «ظهره تنزيله وبطنه تأويله، منه ما مضى ومنه ما لم يكن، يجري كما تجري الشمس والقمر»[٤]. وأضاف عليه السلام:

[م / ٣٠] «لو أنّ الآية إذا نزلت في قوم ثمّ مات أولئك القوم ماتت الآية، لما بقي من القرآن شيء، ولكنّ القرآن يجري أوّله على آخره مادامت السماوات والأرض، ولكلّ قوم آية يتلونها هم

---

(١) المصدر ١٧ ـ ٢١ و٣: ١٢.

(٢) كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَآءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ (آل عمران ٣: ٧).

(٣) كما جاء في قصّة موسى وصاحبه: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ (الكهف ١٨: ٧٨).

(٤) بصائر الدرجات: ٢١٦ / ٧.

منها من خير أو شرّ»[١].

وعليه فللقرآن ظهر حسب التنزيل، وبطن حسب التأويل. وإنّما عُبّر عنه بالبطن، لأنّ هذا المفهوم العامّ إنّما استخلص من فحوى الآية استخلاصاً، بإعفاء جوانب الآية المرتبطة بالمناسبات، والتي كادت تجعل الآية خاصّة بها حسب ظاهر التنزيل، ليجلو وجه الآية العامّ بعد إلغاء الخصوصيّات الساترة، فقد كان بَطَن هذا المعنى العامّ لمن قصر نظره على ملابسات الآية حسب تنزيلها. أمّا الذي تعمّق النظر وتدبّر، فيجد الآية ذات مفهوم واسع سعة الآفاق، الأمر الذي يجعل من القرآن ـ في جميع آيه ـ ذات رسالة خالدة.

خذ لذلك مثلاً قوله تعالى: ﴿وَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَسْأَلُوٓا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢] نزلت بشأن المشركين حيث تشكيكهم في موضع الرسول: هل يصحّ أن يكون من البشر؟

فالآية بمفادها الظاهري ـ حسب تنزيلها ـ نزلت بشأن إزاحة علّة المشركين بالذّات. لكنّها بفحواها العامّ، تعمّ كلّ جاهل بأصول الديانة أو فروعها، فعليه أن يراجع العلماء في ذلك. وهذه هي رسالة الآية الخالدة ومن ثَمَّ فهي مستند عقلاني ـ وحياني يحتجّ بها العلماء في كافّة الأصقاع والأعصار على ضرورة رجوع العامّة إلى ذوي الاختصاص في جميع المعارف والعلوم.

التأويل من المدلول الالتزامي

وليعلم أنّ المدلول بالتأويل ـ المعبّر عنه بالبطن ـ من المدلول الالتزامي للكلام لزوماً غير بيّن[٣]. وعليه فالتأويل تبيين للمعنى الذي تستهدفه الآية بدلالة خفيّة هي بحاجة إلى تعميق

---

(١) العيّاشي ١: ٢١ / ٧.

(٢) النحل ١٦: ٤٣.

(٣) للدلالة اللفظيّة أنحاء ثلاثة: دلالة مطابقيّة على تمام الموضوع له. ودلالة تضمّنيّة على كلٍّ من أبعاض الموضوع له. ودلالة التزاميّة على لازم الموضوع له الخارج عن ذاته كدلالة الشمس على الضوء والحرارة.

والدلالة الالتزاميّة على نحوين: دلالة على لازم بيّن اللزوم ودلالة على لازم غير بيّن. والبيّن اللزوم على قسمين: بيّن بالمعنى الأخصّ وبيّن بالمعنى الأعمّ ـ على ما فصّله علماء الميزان ـ.

والبيّن الأخصّ: ما يلزم من تصوّر ذات الملزوم محضاً تصوّر اللازم. كتصوّر الضوء عند تصوّر الشمس.

والبيّن الأعمّ: ما يلزم من تصوّر اللازم مع تصوّر الملزوم وتصوّر النسبة بينهما الجزم باللزوم. كتصوّر الزوجيّة للأربعة. أو تصوّر أنّ

←

النظر، دون الاقتصار على ظاهر الكلام حسب التنزيل. ومن ثَمَّ فسّر الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام الظهر بالتنزيل والبطن بالتأويل أي هناك للآية دلالة جليّة حسب ظاهر التنزيل، ودلالة أخرى خفيّة ـ هي أوسع وأعمق ـ حسب البحث والتنقيب (التأويل).

غير أنّ الكلام هنا هو: أنّ هذا المعنى المتحصّل عن طريقة التأويل، معنى متناسب مع ظاهر التنزيل أم هو أجنبيّ عنه ورُبّما تحميل على اللفظ بما يجعله أحياناً من التفسير بالرأي؟!

وقد نبّهنا مسبقاً أنّ هذا المعنى العامّ المستفاد من فحوى الآية لابدّ أن يكون بينه وبين المعنى الظاهريّ صلة قريبة بما يجعلهما متناسبين تناسب الخاصّ مع العامّ، ليكون المعنى الظاهريّ خاصّاً، والمعنى الباطني المستفاد من فحوى الآية عامّاً يشمل الظاهر وغيره عبر الأجيال.

ومن ثَمَّ كان المدلول بالتأويل من مداليل الكلام ذاته، مدلولاً التزاميّاً وإن كان من القسم غير البيّن منه. فلا بدّ أن يكون متناسباً له، إذ لا دلالة للكلام على أجنبيّ منه إطلاقاً وإنّما هو تحميل محض.

وبذلك أصبحت جلّ تأويلات الباطنيّة ومن على شاكلتهم، من التفسير بالرأي محضاً، على ما سننبّه.

طريق الحصول على بطن الآية

سبق أن نبّهنا أنّ في طيّ كلّ آية رسالة عامّة هي أوسع نطاقاً من ظاهر التنزيل. وهذا الفحوى العامّ هي رسالة الآية تحتضنها إلى الملأ، والتي قد ضمنت للقرآن خلود آيها جمعاء مع الأبد.

أمّا وكيف الحصول على هذا الفحوى العامّ؟

← الاثنين نصف الأربعة.

وغير البيّن: ما يحتاج في الجزم باللزوم ـ مضافاً إلى تصوّر اللازم والملزوم ـ إلى تبيين وتدليل. وقد صرّح صاحب الكبرى في المنطق بأنّ هذه الدلالة معتبرة عند علماء الأصول والبيان. وعليه فالمدلول بالتأويل هي من الدلالة الالتزاميّة ولكن من القسم الثالث أي غير البيّن منها، ويعدّ من المداليل اللفظيّة للكلام، وإن كانت الدلالة بمعونة التدليل وقرينة العقل من خارج إطار اللفظ. ومن ثمّ لم تكن من الظهر بل من البطن المفتقر إلى دقّة وتعميق نظر.

غير أنّ الذي يجب التنبّه له هنا هو: ضرورة وجود المناسبة القريبة بين هذا المعنى الباطني والمعنى البدائي الظاهر من الكلام وإلّا لم يكن من المدلول الالتزامي، بل كان أجنبيّاً وتحميلاً على اللفظ وكان من التفسير بالرأي، فتدبّر! راجع: المنطق للمظفّر ١: ٢٩ ـ ٣٠ و ٧٩ ـ ٨٠ والكبري في المنطق، الفصول: ٧ ـ ١١، جامع المقدمات.

نعم لابدّ أن نلحظ مقارنات الآية وملابساتها حسب التنزيل، فما كان له دخل في صلب رسالتها أبقيناه وما لا دخل له أعفيناه وذلك على طريقة السبر والتقسيم المنطقي[١].

ففي آية السؤال من أهل الذكر[٢] نرى أنّها نزلت بشأن المشركين لمكان جهالتهم بأصول النبوّات.

لكنّ المشركين بما أنّهم مشركون لا مدخل لهم في الأمر، وإنّما موضع جهالتهم بالذات. وكذا لم يكن لخصوص مسألة إمكان نبوّة بشرٍ مدخل، بل كلّ أمر جهلوه سواء من الأصول أم الفروع. وهكذا الرجوع إلى اليهود ومسائلة أهل الكتاب، إنّما كان لأجل كونهم أهل علم وعارفين بما يجهله المشركون.

فلو أعفينا تلك الملابسات، وأخذنا بلبّ الكلام، لكان المستخرج المستخلص منه: أنّ على كلّ جاهلٍ في أيّ مسألةٍ من المسائل، أن يراجع العلماء في ذلك. وهذا هو فحوى الآية الشامل وهي رسالة الآية العامّة إلى الملأ من العالمين.

وهكذا في جميع الآيات التي هي بظاهرها نزلت بشأن خاصّ، لابدّ أنّ في طيّها رسالة عامّة هي أوسع وأشمل من ظاهر التنزيل وبذلك يخرج القرآن عن كونه معالجة لقضايا خاصّة ترتبط وشؤون أقوام عايشوه. ومن ثمّ فالعبرة ببطن القرآن العامّ لا بظهره الخاصّ.

لكنّ العمدة إحكام طريقة هذا الاستخلاص فلا يكون تحميلاً أو تفسيراً بالرأي! فلا بدّ من ضابط يضبط جميع أطرافه وأن لا يشذّ منه شيء.

ضابطة التأويل

فإذ كان للتفسير ضابطة يجب مراعاتها لئلّا يكون تفسيراً بالرأي، فأجدر بالتأويل ـ وهو أفخم شأواً وأخطر جانباً من التفسير ـ أن تكون له ضابطة تجمع أطرافه وتمنع الدخائل. فرعايةً

---

(١) برهان «السبر والتقسيم» عبارة عن عدّ جميع المحتملات الممكنة أو المفروضة، ثمّ يقام الدليل على نفي واحد واحد، حتّى ينحصر الأمر في واحد منها ليتعيّن كونه العلّة الموجبة للثبوت، وبذلك يستكشف ملاك الحكم المترتّب على موضوع ذي عناوين متعدّدة. ومن شرطه ليكون برهاناً حقيقيّاً، أن تحصر المحتملات حصراً عقليّاً من طريق القسمة الثنائيّة التي تتردّد بين النفي والإثبات. وإلّا فيمكن أن تكون هناك محتملات أخرى وزاء هذا المفروض فلا يوجب اليقين. راجع: أصول الفقه للمظفّر ٢: ١٨٩، الباب ٨(القياس) مطبعة النعمان ـ النجف ١٩٦٧م ـ ١٣٨٦هـ والمنطق للمظفّر أيضاً ١: ١١١ و٢: ١٣٢، مطبعة الزهراء ـ بغداد ١٩٥٧م ـ ١٣٧٧هـ.

(٢) النحل ١٦: ٤٣.

للضابطة نذكر شرائط ثلاثة:

وأوّل شرائط صحّة التأويل: أن يكون على طريقة السَّبر والتقسيم بإعفاء الملابسات غير الدخيلة في هدف الكلام الأصل، وإبقاء ما كان دخيلاً في صلب الموضوع. وبذلك يستخلص ذلك الفحوى العامّ للآية والذي تستهدفه في اتّجاهها العامّ[1]. وبذلك تحتفظ المناسبة القريبة بين هذا البطن المستخرج من الكلام وظهره المستفاد حسب ظاهر التنزيل وإلّا كان أجنبيّاً عنه ولا دلالة عليه إطلاقاً ويكون تحميلاً عليه.

فكلّ بيان قُدّم بعنوان بطن الآية أو تأويلها وكان اعتباطاً غير مستخرج بطريقة منطقيّة، كان من التفسير بالرأي بلاكلام.

الشرط الثّاني: رعاية الدقّة الكاملة في معرفة ملابسات الكلام، أيّها دخيلة في اتّجاه الكلام فتبقى وأيّها غير دخيلة فتُعفى، وهو شرط خطير قلّ من يسترعيه.

الشرط الأخير ـ وهو بيت القصيد وبه تُطرّد الدخائل على عِلّاتها أجمع ـ: أن يصبح هذا الفحوى العامّ المستخرج بعد التمحيص والتحقيق، بمثابة كبرىً كلّيّة لمادلّ عليه ظاهر الكلام، ويكون البطن المستخلَص (المعنى التأويلي) كلّيّاً منطبقا على ظاهر التنزيل. وبعبارة أخرى: يكون مجموع الظهر والبطن بمنزلة استدلال منطقي، كان الفحوى العامّ بمثابة كبرى كلّيّة مستنداً إليها انطباقاً على صغراها التي هي مورد التنزيل.

ففي آية السؤال ـ مثلاً ـ كان مفاد مجموع الكلام: أنّ على المشركين ـ حيث موضع جهلهم بأصول النبوّات ـ أن يتساءلوا مع جيرانهم اليهود وهم أهل علم وكتاب. لأنّ على كلّ جاهل أن يراجع العلماء فيما جهله، وهي قاعدة كلّيّة مقبولة لدى العقل والشرع، طبّقها الله تعالى ـ في ذكره الحكيم ـ بشأن مورد تنزيل الآية بالذات.

وهذا هو المقصود من توافق التأويل مع التنزيل توافق العامّ مع خاصّه. فلم يكن البطن أجنبيّاً عن الظهر بل متناسباً معه ومدلولاً عليه بدلالة التزاميّة مطويّة للكلام. وما يعقلها إلّا العالمون.

---

(١) مثلاً: لم يكن المشركون بما أنّهم مشركون محطّ النظر، بل بما أنّهم جاهلون. وكذلك لم يكن أهل الكتاب بما أنهم أهل كتاب محطّ نظر، بل بما أنّهم أهل علم ودراية بالنسبة إلى مالا يعرفه المشركون. وأيضاً فإنّ مورد السؤال وهو أمر النبوّة وهل تصحّ لبشر، ملحوظاً بالخصوص، بل كلّ ما لا يعرفه الجاهلون. فيستخلص من ذلك: إنّ الجاهل بأيّ شأن من شؤون الدّين، فعليه مراجعة ذوي العلم في ذلك.

وبذلك صرّح الإمام الشاطبي باشتراط كون البطن جارياً على مقتضى الظاهر المقرّر في لسان العرب بحيث يجري على المقاصد العربيّة. أي جارياً على مقتضى أساليبهم في مداليل الكلام، فلا يكون اعتباطاً نابياً عن الظاهر يرفضه رفضاً.

وأضاف شرطاً آخر: أن يكون له شاهد من الكتاب ذاته[١].

[م / ٣١] «فإنّ القرآن ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض»، كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام[٢].

وإليك جانباً من كلامه أورده تفصيلاً بهذا الشأن[٣].

أكّد الإمام أبو إسحاق الشاطبي: على ضرورة وجود المناسبة القريبة بين التنزيل والتأويل. وفي ذلك:

[م / ٣٢] روى عن الحسن البصري ـ فيما أرسله عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «ما أنزل الله آية إلّا ولها ظهر وبطن ـ بمعنى: ظاهر وباطن ـ وكلّ حرف حدّ وكلّ حدٍّ مَطلَع»[٤].

وفسّر بأنّ الظهر والظاهر هو ظاهر التلاوة، والبطن هو الفهم عن الله لمراده. قال: وحاصل هذا الكلام أنّ المراد بالظاهر هو المفهوم العربي، والباطن هو مراد الله تعالى[٥] من كلامه وخطابه.

ثمّ أخذ في شرح ذلك، قائلاً: فكلّ ما كان من المعاني العربيّة التي لا ينبني فهم القرآن إلّا عليها فهو داخل تحت الظاهر. فالمسائل البيانيّة والمنازع البلاغيّة لا معدل بها عن ظاهر القرآن.

وكلّ ما كان من المعاني التي تقتضي تحقيق المخاطب بوصف العبوديّة والإقرار لله بالربوبيّة، فذلك هو الباطن المراد والمقصود الذي أنزل القرآن لأجله.

قال: كون الظاهر هو المفهوم العربيّ مجرّداً لا إشكال فيه، لأنّ المؤالف والمخالف اتّفقوا على

---

(١) راجع: الموافقات ٣: ٣٩٤.

(٢) نهج البلاغة ٢: ١٧، الخطبة ١٣٣.

(٣) نورد كلامه بطوله متواصلاً ومتقطّعاً حيث أفاد وحقّق وأجاد، وسنعقّبه بما فيه النظر. راجع: الموافقات ٣: ٣٨٢ ـ ٤٠٦، المسألة الثامنة حتّى العاشرة.

(٤) ذكر الشيخ عبدالله دراز ـ في الهامش ـ: أنّ هذا الحديث رواه صاحب المصابيح عن ابن مسعود: «أنزل القرآن على سبعة أحرف. لكلّ آية منها ظهر وبطن ولكلّ حدّ مطلع». وفي روح المعاني في مقدّمة التفسير: «ولكلّ حرف حدّ ولكلّ حدّ مطلع». (هامش الموافقات ٣: ٣٨٢).

(٥) أي الذي يتوصّل إليه بالوسائل المعهودة لمعرفة حقيقة المراد، على ما أشار إليه المؤلّف في فصل سابق (الموافقات ٣: ٣٧٥، المسألة السابعة).

أنّه مُنْزَل بلسان عربيّ مبين.

قال: وكون الباطن هو المراد من الخطاب قد ظهر وتبيّن، ولكن يشترط فيه شرطان: أحدهما: أن يصحّ على مقتضى الظاهر المقرّر في لسان العرب ويجري على المقاصد العربيّة.

الثاني: أن يكون له شاهد نصّاً أو ظاهراً في محلّ آخر يشهد لصحّته من غير معارض.

فأمّا الأوّل فظاهر من قاعدة كون القرآن عربيّاً؛ فإنّه لو كان له فهم لا يقتضيه كلام العرب[١] لم يوصف بكونه عربيّاً بإطلاق. ولأنّه مفهوم يلصق بالقرآن[٢] ليس في ألفاظه ولا في معانيه ما يدلّ عليه، وما كان كذلك فلا يصحّ أن ينسب إليه أصلاً. وعند ذلك يدخل قائله تحت إثم من قال في كتاب الله بغير علم.

وأمّا الثاني فلأنّه إن لم يكن له شاهد في محلّ آخر أو كان له معارض، صار من جملة الدّعاوي التي تدّعى على القرآن، والدعوى المجرّدة غير مقبولة باتّفاق.

وبهذين الشرطين يتبيّن صحّة ما ذكره بعض السلف أنّه من الباطن[٣] لأنّهما موفّران فيه، بخلاف ما فسّر به الباطنيّة؛ فإنّه ليس من علم الباطن، كما أنّه ليس من علم الظاهر.

ثمّ أخذ في تعداد بعض الأمثلة للتأويل الباطل فيما زعمه الباطنيّة أنّه من الباطن: فقد قالوا في قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾[٤]: إنّه الإمام ورث النبيّ علمه. وقالوا في الجنابة: إنّ معناها: مبادرة المستجيب بإفشاء السرّ إليه قبل أن ينال رتبة الاستحقاق. ومعنى الغسل: تجديد العهد على من فعل ذلك. ومعنى الطهور: هو التبرّي والتنظّف من اعتقاد كلّ مذهب سوى متابعة الإمام. والتيمّم: الأخذ من المأذون إلى أن يشاهد الداعي أو الإمام. والصيام: الإمساك عن كشف السرّ. والكعبة: النبيّ. والباب: عليّ. والصفا: هو النبيّ. والمروة: عليّ. والتلبية: إجابة الداعي. والطواف سبعاً: هو الطواف بمحمّد إلى تمام الأئمّة السبعة. والصلوات الخمس: أدلّة على الأصول الأربعة وعلى الإمام. ونار إبراهيم: هو غضب نمرود لا النار الحقيقيّة. وذبح إسماعيل[٥]: هو أخذ العهد

---

(١) هذا إشارة إلى ما نبّهنا عليه من ضرورة كون البطن مفهوماً من الكلام ذاته، وإن كان بدلالة التزاميّة خفيّة (غير بيّنة) أصبحت جليّة بفضل التدبّر وتعميق النظر. غير أنّها تعود إلى اللفظ وليس مجرّد اعتباط.

(٢) أي تحميل على القرآن وليس من دلالة ذاته في شيء.

(٣) سيأتي بعض الأمثلة لذلك.

(٤) النمل ٢٧: ١٦.

(٥) ذكر المصنّف هنا إسحاق بدل إسماعيل. وهو مذهب أهل الكتاب وتبعهم من المسلمين من لا تحقيق له.

عليه. وعصا موسى: حجّته التي تلقّفت شُبَه السَّحَرة. وانفلاق البحر: إفتراق علم موسى ﷺ فيهم. والبحر: هو العالم. وتظليل الغمام: نصب موسى الإمام لإرشادهم. والمنّ: علم نزل من السماء. والسلوىٰ: داع من الدعاة. والجراد والقمّل والضفادع: سؤالات موسى وإلزاماته التي تسلّطت عليهم. وتسبيح الجبال: رجال شِداد في الدِّين. والجنّ الذين ملكهم سليمان: باطنيّة ذلك الزمان. والشياطين: هم الظاهريّة الذين كُلّفوا الأعمال الشاقّة. إلى سائر ما نُقل من خباطهم الذي هو عين الخبال وضُحكة السامع.

تأويلات قد تحتمل القبول

ثمّ عرّج الشاطبي على ذكر تأويلات من السلف ومن بعض أهل العلم قد تحتمل القبول، قال: وقد وقعت في القرآن تفاسير مشكلة يمكن أن تكون من التأويل الباطل أو من قبيل الباطن الصحيح. وهي منسوبة لأناس من أهل العلم، ورُبّما نسب منها إلى السلف الصالح. فمن ذلك: فواتح السور، نحو «الم» و «المص» و «حم» ونحوها فسّرت بأشياء، منها ما يظهر جريانه على مفهوم صحيح، ومنها ما ليس كذلك.

فينقلون عن ابن عبّاس أنّ «الم»: أنّ «ألف»: الله. و«لام»: جبريل. و«ميم»: محمّد. وهذا إن صحّ في النقل فمشكل؛ لأنّ هذا النمط من التصرّف لم يثبت في كلام العرب هكذا مطلقاً، وإنّما أتي مثله إذا دلّ عليه دليل لفظيّ أو حاليّ؛ كما قال الراجز:

قلت لها: قفي قالت: قاف   لا تحسبي أنّا نسينا الإيجاف

أرادت بقولها: قاف، وقفت. وقال آخر:

نادوهم ألا الجموا ألا تا   قالوا جميعاً كلُّهم: ألا فا

أراد ألا تركبون، قالوا: ألا فاركبوا.

وقال زهير:

بالخير خيراً «تَ» وإن شرّاً «فا»   ولا أريد الشرّ إلّا أن «تا»

أراد بالتاء: تشاء. وبالفاء: فاء الجزاء. أي وإن شرّاً فشرّ، إلا أن تشاء[1].

(١) راجع: القرطبي ١: ١٥٥ ـ ١٥٦.

قال الشاطبي: والقول في «الم» ليس هكذا[١]، وأيضاً فلا دليل من خارج يدلّ عليه؛ إذ لو كان له دليل لاقتضت العادة نقله، لأنّه من المسائل التي تتوفّر الدواعي على نقلها لو صحّ أنّه ممّا يُفسَّر ويُقصَد تفهيم معناه. ولمّا لم يثبت شيء من ذلك دلّ على أنّه من قبيل المتشابهات؛ فإن ثبت له دليل يدلّ عليه صير إليه.

وهناك أقوال وآراء في تفسير هذه الحروف، وكلّها غير مستندة إلى شاهد أو دليل، وبذلك ترى هذه الأقوال مشكلة إذا سبرناها بالمسبار المتقدّم[٢].

هذا ومع إشكالها فقد اتخذها جمع من المنتسبين إلى العلم، بل إلى الاطّلاع والكشف على حقائق الأمور، حججاً في دعاوٍ ادّعوها على القرآن. ورُبّما نسبوا شيئاً من ذلك إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وزعموا أنّها أصل العلوم ومنبع المكاشفات على أحوال الدنيا والآخرة، وينسبون ذلك إلى أنّه مراد الله تعالى في خطابه للعرب الأمّيّة التي لا تعرف شيئاً من ذلك. وهو إذا سلّم أنّه مراد في الجملة، فما الدليل على أنّه مراد على كلّ حال من تركيبها بعضها ببعض ونسبتها إلى الطبائع الأربع وإلى أنّها الفاعلة في الوجود، وأنّها مجمل كلّ مفصّل وعنصر كلّ موجود؟! ويرتّبون في ذلك ترتيباً جميعه دعاوٍ ومحالةٌ على الكشف والاطّلاع.

قال: ودعوى الكشف ليس بدليل في الشريعة على حالٍ، كما أنّه لا يُعدّ دليلاً في غيرها.

قال: ومن ذلك أنّه نقل عن سهل بن عبدالله[٣] في فهم القرآن أشياء مما يعدّ من باطنه. فقد ذكر عنه أنّه قال في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾[٤] أي أضداداً. قال: فأكبر الأضداد، النفس الأمّارة بالسوء، المتطلّعة إلى حظوظها ومُناها بغير هدىً من الله.[٥]

وهذا يشير إلى أنّ النفس الأمّارة داخلة تحت عموم الأنداد، حتّى لو فصّل لكان المعنى: فلا تجعلوا لله أنداداً لا صنماً ولا شيطاناً ولا النفس ولا كذا. وهذا مشكل الظاهر جدّاً؛ إذ كان مساق الآية ومحصول القرائن فيها يدلّ على أنّ الأنداد، الأصنام أو غيرها ممّا كانوا يعبدون، ولم يكونوا

---

(١) أي ليس في «الم» ما يشهد لهذا التفسير، كما كان في الأمثلة الثلاثة الشعريّة.

(٢) أي تطابقاً مع الشرطين لقبول التأويل والتفسير الباطني.

(٣) هو: أبو عبدالله سهل بن عبدالله التستري (ت: ٢٨٣). هو أوّل من خطّ التفسير على المنهج الصوفي الباطني وتبعه بعد ذلك أناس وتصدّى أبوبكر محمّد بن أحمد البلدي لجمع آرائه التفسيريّة غير أنّه ليس بجامع، حيث الموجود في بطون الكتب أكثر منه.

(٤) البقرة ٢: ٢٢.

(٥) تفسير التستري: ٢٧.

يعبدون أنفسهم ولا يتّخذونها أرباباً.

ولكن له وجه جارٍ على الصحّة، وذلك أنّه لم يقل إنّ هذا هو تفسير الآية[١] ولكن أتى بما هو ندّ في الاعتبار الشرعيّ الذي شهد له القرآن من جهتين.

إحداهما: أنّ الناظر قد يأخذ من معنى الآية معنىً من باب الاعتبار، فيجريه فيما تنزل فيه، لأنّه يجامعه في القصد أو يقاربه؛ لأنّ حقيقة الندّ: أنّه المضادّ لندّه الجاري على مناقضته، والنفس الأمّارة هذا شأنها، لأنّها تأمر صاحبها بمراعاة حظوظها، لاهية أو صادّة عن مراعاة حقوق خالقها. وهذا هو الذي يعنى به الندّ في ندّه؛ لأنّ الأصنام نصبوها لهذا المعنى بعينه.

وشاهد صحّة هذا الاعتبار قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوٓا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾[٢] وهم لم يعبدوهم من دون الله، ولكنّهم ائتمروا بأوامرهم، وانتهوا عمّانهوهم عنه كيف كان، فما حرّموا عليهم حرّموه، وما أباحوا لهم حلّلوه، فقال الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوٓا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ وهذا شأن المتّبع لهوى نفسه.

والثانية: أنّ الآية وإن نزلت في أهل الأصنام، فإنّ لأهل الإسلام فيها نظراً بالنسبة إليهم، ألا ترى أنّ عمر بن الخطّاب قال لبعض من توسّع في الدنيا من أهل الإيمان: أين تذهب بكم هذه الآية ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾[٣]. وكان هو يعتبر نفسه بها، وإنّما أنزلت في الكفّار. ولهذا المعنى تقرير في العموم والخصوص[٤]، فإذا كان كذلك صحّ التنزيل بالنسبة إلى النفس الأمّارة في الآية.

ومن المنقول عن سهل أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾[٥] قال: ولم يرد الله معنى الأكل في الحقيقة، وإنّما أراد معنى مساكنة الهمّة لشيء هو غيره، أي لا تهتمّ بشيء هو غيري. قال: فآدم لم يعتصم من الهمّة والتدبير فلحقه مالحقه من أجل ذلك. قال: وكذلك كلّ من ادّعى ما ليس له وساكَنَ قلبه ناظراً إلى هوى نفسه فيه، لحقه الترك من الله، مع ما جلبت عليه نفسه، إلّا أن يرحمه الله فيعصمه من تدبيره وينصره على عدوّه وعليها. قال: وآدم لم يعصم عن مساكنة قلبه إلى تدبير نفسه للخلود لمّا أدخل الجنّة، ألا ترى أنّ البلاء دخل عليه من أجل سكون القلب إلى ما وسوست به

(١) هذا وجه وجيه سوف نتعرّض له. (٢) التوبة ٩: ٣١.

(٣) الأحقاف ٤٦: ٢٠. والرواية في: شعب الإيمان ٥: ٣٤ / ٥٦٧٢؛ كنزالعمّال ٣: ٧١٧ / ٨٥٥٨؛ الحاكم ٢: ٤٥٥.

(٤) هو قولهم: «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص المورد». (٥) البقرة ٢: ٣٥.

نفسه، فغلب الهوى والشهوة على العلم والعقل والبيان ونور القلب لِسابق القدر. إلى آخر ما تكلّم[١].

وهذا الذي ادّعاه في الآية خلاف ما ذكره الناس من أنّ المراد النهي عن نفس الأكل لا عن سكون الهمّة لغير الله وإن كان ذلك منهيّاً عنه أيضاً .

ولكن له وجه يجري عليه لمن تأوّل، فإنّ النهي وقع عن القرب لا غيره، ولم يرد النهي عن الأكل صريحاً ، فلا منافاة بين اللفظ وبين ما فسّر به .

وأيضاً فلا يصحّ حمل النهي على نفس القرب مجرّداً؛ إذ لا مناسبة فيه تظهر ، وإنّما النهي عن معنى في القرب وهو إمّا التناول والأكل، وإمّا غيره وهو شيء ينشأ الأكل عنه، وذلك مساكنة الهمّة، فإنّه الأصل في تحصيل الأكل. ولا شكّ في أنّ السكون لغير الله لطلب نفع أو دفع منهيٌّ عنه، فهذا التفسير له وجه ظاهر . فكأنّه يقول: لم يقع النهي عن مجرّد الأكل من حيث هو أكل، بل عمّا ينشأ عنه الأكل من السكون لغير الله ، إذ لو انتهى لكان ساكناً لله وحده، فلمّا لم يفعل وسكن إلى أمر في الشجرة غرّه به الشيطان ، وذلك الخلد المدّعى ، أضاف الله إليه لفظ العصيان ، ثمّ تاب عليه ، إنّه هو التوّاب الرحيم[٢] .

ومن ذلك أنّه قال في قوله تعالى : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾[٣] : أي أوّل بيت وضع للناس بيت الله ﷻ بمكة ، هذا هو الظاهر . وباطنها الرسول ﷺ يؤمن به من أثبت الله في قلبه التوحيد[٤] واقتدى بهدايته .

وهذا التفسير يحتاج إلى بيان ، فإنّ هذا المعنى لا تعرفه العرب ولا فيه من جهتها وضع مجازيّ مناسب ولا يلائمه مساق بحال[٥]، فكيف هذا؟

والعذر عنده أنّه لم يقع فيه ما يدلّ على أنّه تفسير للقرآن[٦] فزال الإشكال .[٧]

وقال في قوله تعالى : ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ : أمّا باطنها فهو القلب . ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ هو الطبيعة . ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ هو العقل المقتدي بالشريعة . ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[٨] هي الجوارح المطيعة لله ﷻ.

---

(١) تفسير التستري : ٢٩.
(٢) الموافقات ٣: ٣٩٩ ـ ٤٠١.
(٣) آل عمران ٣: ٩٦.
(٤) تفسير التستري : ٥٠.
(٥) أي فهو فاقد للشرطين المتقدّمين.
(٦) بل من قبيل تداعي المعاني وتواردها من غير أن يكون تفسيراً للكلام حسبما تنبّه.
(٧) الموافقات ٣: ٤٠١.
(٨) النساء ٤: ٣٦.

مكتبة البرلمان العراقي
مؤسسة السيادة الدين الحسيني

هذا باطن الآية[١].

وهذا من المشكل الذي لم يرد به أثر ولا وافقه ظاهر تعبير ولا دلّ عليه دليل من خارج، ومثله أقرب إلى ما ثبت ردّه من كلام الباطنيّة ومن شابههم[٢].

وقال ـ في قوله تعالى: ﴿صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾[٣] ـ: الصرح: نفس الطبع. والممرّد: الهوى إذا كان غالباً ستر أنوار الهدى، بالترك من الله تعالى العصمة لعبده[٤].

وقال ـ في قوله: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾[٥] ـ: أي قلوبهم عند إقامتهم على ما نهوا عنه، وقد علموا أنّهم مأمورون منهيّون. قال: الإشارة في البيوت إلى القلوب، فمنها عامرة بالذكر، ومنها خراب بالغفلة. ومن ألهمه الله بالذكر فقد خلصه من الظلم[٦].

وفي قوله: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[٧] قال: حياة القلوب بالذكر.

وفي قوله: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[٨]: مثّل الله القلب بالبحر، والجوارح بالبرّ، ومثّله أيضاً بالأرض التي تُزهي بالنبات. هذا باطنه![٩]

وقد حمل بعضهم قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾[١٠] على أنّ المساجد: القلوب تمنع بالمعاصي من ذكر الله.

ونُقل في قوله تعالى: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾[١١] أنّ باطن النعلين هما الكونان: الدنيا والآخرة! فذكر عن الشبلي أنّ معنى ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾: اخلع الكلّ منك تصل إلينا بالكليّة. وعن ابن عطا: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ عن الكون فلاتنظر إليه بعد هذا الخطاب. وقال: النعل: النفس، والوادي المقدّس: دين المرء، أي حان وقت خلوّك من نفسك، والقيام معنا بدينك. إلى غير ذلك ممّا لا يوجد في النقل عن السلف.

قال الشاطبي: وهذا كلّه إن صحّ نقله، فهو خارج عمّا تفهمه العرب، ودعوى لا دليل عليها في كونه مراد الله تعالى[١٢].

---

(١) تفسير التستري: ٥٣.
(٢) الموافقات ٣: ٤٠١ ـ ٤٠٢.
(٣) النمل ٢٧: ٤٤.
(٤) لم نجده في تفسيره ولا في غيره.
(٥) النمل ٢٧: ٥٢.
(٦) تفسير التستري: ١١٦ ما أورده هنا فيه زيادة.
(٧) الروم ٣٠: ٥٠.
(٨) الروم ٣٠: ٤١.
(٩) لم نجده.
(١٠) البقرة ٢: ١١٤.
(١١) طه ٢٠: ١٢.
(١٢) أي فما ذكروه فاقد للشرطين في قبول التأويل الباطني.

[م / ٣٣] ولقد قال أبو بكر: أيّ سماء تظلّني وأيّ أرض تقلّني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم[١].

[م / ٣٤] وفي الخبر: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»[٢]، وما أشبه ذلك من التحذيرات. وربما ألمّ الغزّالي بشيء منه في «الإحياء»[٣] وغيره[٤]، وهو مزلّة قدم لمن لم يعرف مقاصد القوم.

قال: فإنّ الناس في أمثال هذه الأشياء بين قائلَين: منهم من يصدّق به ويأخذه على ظاهره، ويعتقد أنّ ذلك هو مراد الله تعالى من كتابه، وإذا عارضه ما يُنقل في كتب التفسير على خلافه فربما كذّب به أو أشكل عليه.

ومنهم من يكذّب به على الإطلاق؛ ويرى أنّه تقوُّل وبهتان، مثل ما تقدّم من تفسير الباطنيّة ومن حذا حذوهم.

قال: وكلا الطريقين فيه ميل عن الإنصاف (أي إفراط أو تفريط).

قال: ولا بدّ قبل الخوض في رفع الإشكال من تقديم أصل مسلَّم، يتبيّن به ما جاء من هذا القبيل، وهو:

أنّ الاعتبارات القرآنيّة الواردة على القلوب، الظاهرة للبصائر، إذا صحّت على كمال شروطها فهي على ضربين:

أحدهما: ما يكون أصل انفجاره من القرآن ويتبعه سائر الموجودات (ليكون أصل انبثاق المعاني ناشئاً من القرآن ذاته ومنبعثاً منه، ثمّ يقاس عليه تلك الاعتبارات عقلانيّاً).

الثاني: ما يكون أصل انفجاره من الموجودات (الاعتبارات الخارجيّة) ويتبعه الاعتبار في القرآن (أي كانت المستحسنات الذوقيّة ذات اعتبار عقلانيّ خارجيّ، ثمّ تعرض على القرآن لاستحصال شواهد عليها منه دعماً لها، وهذا قد يكون من التفسير بالرأي وتحميلاً على القرآن).

قال: فإن كان الأوّل فذلك الاعتبار صحيح، وهو معتبر في فهم باطن القرآن من غير إشكال (لأنّه اعتبار قرآنيّ محض ومستحصل منه ذاته) وقلّما يجده إلّا من كان من أهله عملاً به على نقل سليم أو اجتهاد قويم. فلا يخرجون عند الاعتبار فيه عن حدوده. ومنه ما نقل من فهم السلف

---

(١) الدرّ ٨: ٤٢١.

(٢) الطبري ١: ٥٥ بعد رقم ٦٤.

(٣) من كتاب الشكر.

(٤) في مشكاة الأنوار وكتاب جواهر القرآن (الموافقات ٣: ٤٠٥).

الصالح فيه، فإنّه جار على ما تقضي به العربيّة، وما تدلّ عليه الأدلّة الشرعيّة، حسبما تبيّن قبل.

وإن كان الثاني فللتوقف عن اعتباره في فهم باطن القرآن مجال. وأخذه على إطلاقه فيه ممتنع، وليس من قبيل الأوّل.

وبعد فإنّ تلك الأنظار الباطنة في الآيات المذكورة إذا لم يظهر جريانها على مقتضى الشروط المتقدّمة، فهي راجعة إلى الاعتبار غير القرآني، وهو الوجودي[1] وهو أمر خاصّ، وعلم منفرد بنفسه يختصّ بموارده. فكون القلب جاراً ذا قربى، والجار الجنب هو النفس الطبيعي، يصحّ تنزيله اعتبارياً بمقابلة الوجود للنصّ وقياسه عليه. غير أنّه مُغرّر بمن ليس براسخ.

وأيضاً فإنّ من ذكر عنه مثل ذلك لم يصرّح بأنّه المعنى المقصود من الآية لدى الخطاب، بل أجراه مُجراه وسكت عن كونه هو المراد.[2]

أي لم يجعله تفسيراً للآية، حتّى يكون تفسيراً بالرأي، بل أجراه مجرى تداعي المعاني حسب البيان الآتي.

التأويل عند أرباب القلوب

للتأويل عند أرباب القلوب الواعية حديث طريف يختلف عن تأويلات الباطنيّة غير المبتنية على أساس معقول.

إنّ أهل التحقيق من أصحاب العرفان الصوفيّ يقرّون تفسير أهل الشريعة، في الأخذ بظاهر القرآن ويرونه الأصل في تنزيله، سوى أنّ لهم في كلام الله مذاقات عرفانيّة رقيقة لا يمكنهم إغفالها، لأنّها بمثابة واردات أو هواتف هي سوانح ملكوتيّة قدسيّة، تفاض على القلوب الواعية.

هذا تفسير كشف الأسرار للمولى أبي الفضل رشيد الدين الميبدي تفصيلاً وتبييناً لتفسير العارف السالك الخواجا عبدالله الأنصاري، تراه جمع بين الظاهر والباطن كلّاً على حدّه. يفسّر

---

(١) أي هذا الفهم الباطني للآية مستفاد من أمر خارج عن إطار القرآن، أمثال أسباب النزول الواردة في النقل، كما روي في معنى قوله تعالى: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ أنّ «ألف شهر» هي مدّة الدولة الأمويّة، لأنّها مكثت ثلاثاً وثمانين سنة وأربعة أشهر. وأنّ ذلك تسلية للنبيّ ﷺ حيث رأى أنّ بني أميّة ينزون على منبره نزو القردة فاغتمّ، فجاءت الآية تسلية له فسرى عنه. قال الشيخ عبدالله درّاز ــ في الهامش ــ: فهذا المعنى لم يؤخذ من القرآن ذاته، بل أخذ من الخارج، والواقع في ذاته يصادقه بمصادفة مطابقة العدد، واللفظ لا ينبو عنه. (الموافقات ٣: ٤٠٤).

(٢) المصدر: ٤٠٣ ــ ٤٠٥. وقد وقع بعض التصرّف شرحاً وإيضاحاً لما لطف ودقّ من المعاني.

القرآن أوّلاً على نهج أهل الظاهر تفسيراً قويماً، ثمّ يعرّج على تفسيره وفق مذاقات أهل الباطن، في ظرافة ولباقة كلاً في أحسن بيان، مقرّاً بأنّ تفسير الظاهر هو الأصل، ولولاه لما أمكن استخراج الباطن الذي هو الفرع.

نعم يرون من تفسير الباطن اللباب الخابئ تحت ذاك العُباب.

قال سهل بن عبدالله التستري ـ في قوله تعالى: ﴿وَ مَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَ هُم مُّشْرِكُونَ﴾[١] ـ: يعني: شرك النفس الأمّارة بالسّوء.

[م/٣٥] كما قال النبيّ ﷺ: «الشرك في أمّتي أخفى من دبيب النمل على الصفا»[٢].

قال: هذا باطن الآية. وأمّا ظاهرها فمشركو العرب يؤمنون بالله، كما قال تعالى: ﴿وَ لَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[٣]. وهم مع ذلك مشركون يؤمنون ببعض ولا يؤمنون ببعض[٤].

إذن لم يخلط بين ظهر القرآن وبطنه وذكر كلاً على حدّه بأمانة. على أنّ الأخذ بالبطن كان مستنداً إلى النبويّ الشريف، مضافاً إلى كونه الأخذ بمفهوم الآية العامّ ـ حسبما نبّهنا ـ مراعياً جانب المناسبة القريبة. فقد استجمع شرائط التأويل الصحيح.

نعم إنّ إخضاع القرآن للّغة التي مقياسها الوضع المحدود، عقال له عن الانطلاق فيما وراء الغيوب، وإغلاق لباب الفهم الذي مقياسه العقل الرشيد مدعماً بإدراكات كان مجالها ما فوق العقل ألا وهو القلب الذي لا تحدّه الحدود، لأنّه عرش استواء تجلّيات الربّ تعالى على مملكة الجسم.

[م/٣٦] كما جاء في الحديث القدسي: «لم يسعني سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن»[٥] وهو القلب الذي اختصّه الله بالأسرار ويجب أن يستفتيه الإنسان إذا حار.

[م/٣٧] سأل وابصة بن معبد رسول الله ﷺ عن البرّ والإثم؟ فقال: «يا وابصة! استفت قلبك؛ البرّ: ما اطمأنّت إليه النفس واطمأنّ إليه القلب. والإثم: ما حاك في قلبك وتردّد في الصدر، وإن أفتاك الناس»[٦].

فذلك القلب له لغته كما أنّ للوضع لغته وللعقل لغته. فإذا كانت لغة الوضع تدرك بالألفاظ ويعبّر

---

(١) يوسف ١٢: ١٠٦.
(٢) المستدرك للحاكم ٢: ٢٩١؛ الكامل ٧: ٢٤٠.
(٣) الزخرف ٤٣: ٨٧.
(٤) راجع: تفسير التستري: ٨٣.
(٥) البحار ٥٥: ٣٩.
(٦) مسند أحمد ٤: ٢٢٨.

عنها بالكلمات، فلغة القلب تدرك بالذوق والإشراق، الأمر الذي لا يحيط بالتعبير عنه الألفاظ والعبارات، بل بالرموز والإشارات.

على أنّ تلك الإشارات المعبّرة عن الواردات القلبيّة لها واقع مشروع أقرّه الحديث المأثور: «لكلّ آية ظهر وبطن وحدّ ومطلع».

إذن فأربابها متّبعون لا مبتدعون، وقد اختصّهم الله بأسراره وأودعهم ملكوت أنواره، ليكونوا مصابيح الهدى في غسق الدجى(١).

قال سعد الدين التفتازاني: وأمّا ما يذهب إليه بعض المحقّقين من أنّ النصوص مصروفة على ظواهرها، ومع ذلك فيها إشارات خفيّة إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك، يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة، فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان(٢).

فالإشارة ترجمان لما يقع في القلوب من تجلّيات ومشاهدات، وتلويح لما يفيض به الله على صفوته من خلقه من أسرار وغوامض في كلامه وكلام رسوله.

قال الأستاذ حسن عبّاس زكي ـ في تصديره لتفسير القشيري ـ: ومن هنا كانت مذاقات الصوفيّة وأهل التحقيق في القرآن، وهم لا يرون أنّ تلك المذاقات وحدها هي المرادة، وإنّما يأخذونها إشارات جاءت من قبل العبارات. وهذا النهج السديد بعيد كلّ البعد عن نهج الباطنيّة الذين يرون من تأويلات ـ غير مستندة ـ هي المرادة بالذات وقصرهم معاني القرآن فيما فهموه لايتعدّاه. فبين مذاقات الصوفيّة ـ من أهل التحقيق ـ ونزعات الباطنيّة آماد وأبعاد والبون شاسع كبير(٣).

وقال الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله الإسكندري(٤) ـ في كتابه لطائف المنن ـ: اعلم أنّ تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله بالمعاني الغريبة ليس إحالةً للظاهر عن ظاهره؛ ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له، ودلّت عليه في عرف اللّسان. وثَمَّ أفهامٌ باطنة تفهم عند الآية

(١) راجع: الموافقات ٣: ٣٨٢.
(٢) شرح العقائد النسفيّة: ١٢٠.
(٣) راجع: مقدّمة تفسير القشيري ١: ٦.
(٤) هو أحمد بن محمّد بن عبدالكريم بن عطاء الله، أحد العلماء الجامعين لعلوم الدين من التفسير والحديث والأصول والتصوّف. استوطن القاهرة للوعظ، ثمّ رحل إلى الإسكندريّة ومات بها سنة ٧٠٩. وكتاب لطائف المنن في مناقب شيخه أبي العبّاس المرسي، طبع بتونس سنة ١٣٠٤.

والحديث لمن فتح الله قلبه، وقد جاء في الحديث: «لكلّ آية ظهر وبطن»، فلا يصدّنّك عن تلقّي هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدل ومعارضة: هذا إحالة لكلام الله وكلام رسوله، فليس ذلك بإحالة، وإنّما يكون إحالة لو قالوا: لا معنى للآية إلّا هذا، وهم لم يقولوا ذلك، بل يقرّون الظواهر على ظواهرها مراداً بها موضوعاتها، ويفهمون عن الله ما أفهمهم[١].

ظاهرة تداعي المعاني

كانت السوانح الفكريّة التي تدعى واردات القلوب، يمكن تفسيرها بظاهرة تداعي المعاني (الشيء يُذكر بالشيء)[٢] فقد ينسبق إلى أذهان أصحاب المعالي لطائف أفكار وظرائف أنظار، ولا منشأ لها سوى تلاوة آياتٍ قرعت أسماعهم، وإذا بدقائق هي رقائق الفِكَر سنحت لهم بالمناسبة، ومن غير أن تكون مدلولة ذاتيّة للكلام ما عدى الفحوى العامّ.

فكم من طرائف فكر وظرائف عبر تسنح أذهان ذوى الاعتبار، بمجرّد أن واجهوا حادثة أو شاهدوا واقعة أوقفتهم عند حدّها وألزمتهم حجّتها فأخذوا منها دروساً وعبراً. وهكذا عند استماع تلاوة أو قراءة آية ذكّرتهم مكارم أخلاق ومبادي آداب، كان كلّ ذلك من قبيل تداعي المعاني، الخارج من دلالة اللفظ ذاته، بل الشيء قد يُذكر بالشيء، حتّى ولو كان ضدّه، فضلاً عمّا لو كان نظيره.

مثلاً: عند ما يستمع العارف السالك إلى قوله تعالى ـ خطاباً مع موسى و هارون ـ: ﴿اذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ. فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[٣]، ينسبق إلى ذهنه بادرة ضرورة تهذيب النفس وارعوائها عن الطغيان والعصيان قبل كلّ شيء.

فيخاطب نفسه: ما بالك أنت، منشغلاً عن فرعنة نفسك الطاغية، فاذهب إليها واجمع جموعك في تهذيبها وترويضها، ولاطف معها بلين، لعلّها تتّعظ وترعوى وترضخ لإرشادات العقل الحكيم.

فهذا لم يفسّر القرآن ولا جعل فرعون مراداً به النفس الأمّارة بالسّوء، ولا موسى وهرون كلّ إنسان لبيب حكيم. بل خطر إلى ذهنه هذا المعنى، متّعظاً ومتذكّراً من فحوى الآية بالمناسبة.

---

(١) نقلاً عن الإتقان للسيوطي ٤: ١٩٧.

(٢) حسب تعبير ابن الصلاح فيما يأتي من نقل كلامه.

(٣) طه ٢٠: ٤٣.

يقول الإمام الحافظ تقيّ الدّين ابن الصلاح ـ في فتاواه وقد سئل عن كلام الصوفيّة في القرآن ـ: الظنّ بمن يوثق به منهم أنّه إذا قال شيئاً من أمثال ذلك، أنّه لم يذكره تفسيراً ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة من القرآن العظيم؛ فإنّه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنيّة، وإنّما ذلك ذكر منهم لنظير ما ورد به القرآن، فإنّ النظير يذكر بالنظير. ومن ذلك قتال النفس في الآية الكريمة: ﴿يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ﴾[1]. فكأنّه قال: أُمرنا بقتال النفس ومن يلينا من الكفّار، ومع ذلك فياليتهم لم يتساهلوا في مثل ذلك، لما فيه من الإبهام والإلباس[2].

يعني: أنّ ما يذكرونه بهذا الشأن لا يعنون به التفسير ولا تأويل الآية بذلك، وإنّما الشيء يُذكر بالشيء من باب «تداعي المعاني» فيخطر ببالهم خواطر هي نفحات قدسيّة ملكوتيّة عند تلاوة الآي أو استماعها عن وعي وحضور قلب.

فهم عندما يستمعون إلى نداء الآية العامّ يراجعون أنفسهم، وفي طيّهم كافرٌ عاتٍ هو أقرب إليهم وأخطر من الكفّار البعداء، فيجب مقاتلته قبل مقاتلة سائر الكفّار، أخذاً بقياس الأولويّة في منطق العقل الرشيد.

وهذا معنى قول سهل: النفس كافرة فقاتلها بالمخالفة لهواها، واحملها على طاعة الله والمجاهدة في سبيله وأكل الحلال وقول الصدق وما قد أمرت به من مخالفة الطبيعة[3].

فهذا المعنى العرفاني الرقيق مستفاد من فحوى الآية ومستنبط من بطنها بالمناسبة من غير أن يكون ذا صبغة تفسيريّة أو بياناً للمراد من الآية بالذات.

وقد صرّح بذلك الإمام القُشيري في تفسيره للبسملة، قال: وقومٌ عند ذكر هذه الآية يتذكّرون من الباء برّه بأوليائه، ومن السين سرّه بأصفيائه، ومن الميم منّته على أهل ولايته. فيعلمون أنّهم ببرّه عرفوا سرّه، وبمنّته عليهم حفظوا أمره، وبه سبحانه وتعالى عرفوا قدره، إلى آخر ما ذكره بهذا الصدد.[4] تراه لم يجعله تفسيراً للآية، وإنّما هو تذكّر قلبي عند استماعها أو استماع حروفها من قبيل الخواطر القلبيّة محضاً، من غير أن يكون تحميلاً على القرآن أو تفسيراً بالرأي.

---

(١) التوبة ٩: ١٢٣.

(٢) راجع: التمهيد ١٠: ٤٤٨ ـ ٤٤٩، عن فتاوى ابن الصلاح: ٢٩ (الذهبي ٢: ٣٦٨).

(٣) راجع: تفسير السلمي ١: ٢٩٢.

(٤) تفسير لطائف الإشارات للقُشيري ١: ٥٦.

هذا بشأن أهل الاعتدال منهم، وأمّا أرباب الشطط منهم فلنا معهم مقال آخر في مجال يأتي.

تأويل أو أخذ بفحوى الآية العامّ

وبتعبير أدقّ: كانت تأويلات أهل التحقيق أخذاً بفحوى الآية العامّ، المستحصل من بطن الآية، حيث استخلاص مفهوم عامّ، بعد إعفاء الخصوصيّات المكتنفة غير الدخيلة في أصل المقصود. فكان أخذاً بدلالة الالتزام ـ وقد كانت خفيّة ـ بعد تبيين، ومن ثمّ كانت جارية مجرى ظاهر السياق وعلى أساليب مفاهيم الكلام عند أهل اللسان ولا سيّما إذا كانت مدعمة بشواهد من الكتاب أو السنّة أو دلالة العقل الرشيد.

وقد عرفت في كلام سهل أنّه استند في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[١] إلى قول النبيّ ﷺ: «الشرك في أمّتي أخفى من دبيب النمل على الصفا»[٢]. قال سهل: هذا باطن الآية[٣].

فهم يجرون في دلالة بطون القرآن مع ظهورها وفقاً مع الشروط المعتبرة، فلا تحميل ولا تفسير بالرأي. هذا إذا لم يتساهلوا كما تساهل بعضهم من أهل الاسترسال.

تأويلات مأثورة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام

ومن هذا النمط الصحيح تأويلات مأثورة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام كانت جارية مجراها الصحيح بشكل أدقّ.

وقبل أن نذكر موارد منها لابدّ من التنبيه على نكتة هي: أنّ الوضع عن لسان الأئمة كثير، وكذا دسّ أهل التزوير من الغلاة ومنهم الباطنيّة شيء وفير، وقد ملأوا منها كتباً ودفاتر وربما وسموها باسم الشيعة، ولها معنى عامّ يشمل الإماميّة وغيرهم من المنتحلين بولاء أهل البيت في ظاهر الأمر، وطابعهم المغالاة التي تأباها طبيعة مذهب الشيعة الأصيل وقد بنيت أركانه على التحقيق والتدقيق وعلى أساس البرهان الحكيم ورفض الدخائل والمبتدعات في الدّين من أوّل يومهم.

---

(١) يوسف ١٢: ١٠٦.

(٢) المستدرك للحاكم ٢: ٢٩١.

(٣) تفسير التستري: ٨٣.

فها نحن اليوم في مواجهة لمّة من روايات مدسوسة وأحاديث موضوعة هي بحطّ شأن الأئمّة أشبه منها برفع موضعهم الكريم. وسيأتي بعض الكلام في ذلك وأنّ جماعة جاهلة كانوا قد أولعوا بالوضع والدسّ في أحاديث أهل البيت، ورُبّما كانوا ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾. والشيعة منهم براء ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾، فاعتبر ولا تسترسل.

وبعد فإليك بعض ما صحّ من تأويلات جارية على منوالها المتين:

قال تعالى: ﴿وَ السَّمَآءَ رَفَعَهَا وَ وَضَعَ الْمِيزَانَ. أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ. وَ أَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَ لَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾[١].

قال الشيخ أبو جعفر الطوسي: وقيل: المراد بالميزان: العدل، لأنّ المعادلة موازنة الأسباب، والطغيان: الإفراط في مجاوزة الحدّ في العدل[٢].

وهذا أخذ بمفهوم الميزان العامّ، لأنّ الموازنة هي المعادلة بين الأشياء وكذا بين الأمور، فيشمل المحسوس والمعقول.

قال العلّامة الطباطبائي: المراد بالميزان كلّ ما يوزن أي يقدّر به الشيء أعمّ من أن يكون عقيدة أو قولاً أو فعلاً. قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَ أَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَ الْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[٣]، فظاهره مطلق ما يميّز به الحقّ من الباطل والصدق من الكذب والعدل من الظلم والفضيلة من الرذيلة، على ما هو شأن الرسول فيما يأتي به من عند ربّه[٤].

[م / ٣٨] وفي الأثر: «وبالعدل قامت السماوات والأرض»[٥].

[م / ٣٩] سئل الإمام الصادق عليه السلام: «ما الميزان؟ قال: العدل»[٦].

[م / ٤٠] وفي حديث آخر في قوله تعالى: ﴿وَ أَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَ لَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾، قال: «أطيعوا الإمام بالعدل ولا تبخسوه من حقّه»[٧].

[م / ٤١] وقال في قوله: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾: «لا تطغوا في الإمام بالعصيان والخلاف»[٨].

---

(١) الرّحمان ٥٥: ٧ـ٩.
(٢) التبيان ٩: ٤٦٥.
(٣) الحديد ٥٧: ٢٥.
(٤) الميزان ١٩: ١٠٩.
(٥) عوالي اللئالي ـ ابن أبي جمهور الأحسائي ٤: ١٠٣/ ١٥١.
(٦) البحار ١٠: ١٨٧. عن الاحتجاج ٢: ٩٨.
(٧) البحار ٢٤: ٣٠٩/ ١٢.
(٨) تأويل الآيات لشرف الدين الأسترآبادي ٢: ٦٣٣/ ٥.

[م/٤٢] وعن الإمام أبي الحسن الكاظم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَآئِمًا بِالْقِسْطِ﴾»[١]، قال: هو الإمام[٢].

[م/٤٣] وسأل جابر بن عبدالله الأنصاري الإمام أبا جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام عن الآية، فقال: «أولو العلم، الأنبياء والأوصياء وهم قيام بالقسط. ثمّ قال: والقسط هو العدل في الظاهر، والعدل في الباطن أمير المؤمنين عليه السلام»[٣].

ومن ثمّ كان تأويل الميزان بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام، لكونه معياراً لتمييز الحقّ عن الباطل.

[م/٤٤] وقد صرّح بذلك الإمام الصادق عليه السلام قال: «الميزان أمير المؤمنين عليه السلام»[٤].

[م/٤٥] وفي الحديث: «لأنّا حجّة المعبود، وترجمان وحيه، وعيبة علمه، وميزان قسطه»[٥].

[م/٤٦] وفي زيارة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تقول: «السلام على ميزان الأعمال»[٦].

[م/٤٧] وفي زيارة أخرى: «أشهد أنّك حجّة الله بعد نبيّه صلى الله عليه وآله وعيبة علمه، وميزان قسطه، ومصباح نوره»[٧].

[م/٤٨] وفي ثالثة: «يا ميزان يوم الحساب»[٨].

[م/٤٩] وفي ذلك سئل الإمام أحمد بن حنبل عن الحديث الذي يُروى: أنّ عليّاً عليه السلام قال: «أنا قسيم النار»؟ فقال أحمد: وما تنكرون من ذا؟ أليس رُوِّينا أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لعليّ: «لا يحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق»؟ قالوا: بلى. قال: فأين المؤمن؟ قالوا: في الجنّة. قال: وأين المنافق؟ قالوا: في النار. قال أحمد: فعليّ قسيم النار»[٩].

فالإمام أمير المؤمنين ـ عليه صلوات المصلّين ـ هو الفاروق الأكبر الذي يفرّق به بين أصحاب النعيم وأصحاب الجحيم.

قال الإمام شهاب الدين ابن حجر الهيثمي:

[م/٥٠] أخرج الديلمي بإسناده إلى أبي سعيد الخُدري عن النبيّ صلى الله عليه وآله في قوله تعالى:

---

(١) آل عمران ٣: ١٨.
(٢) العيّاشي ١: ١٨٩ / ١٩.
(٣) المصدر: ١٨٨ ـ ١٨٩ / ١٨.
(٤) تأويل الآيات ٢: ٦٣٣ / ٥.
(٥) البحار ٢٦: ٢٥٩ / ٣٦.
(٦) المصدر ٩٧: ٢٨٧ / ١٨.
(٧) المصدر: ٣٤٢ / ٣٢.
(٨) المصدر: ٣٧٤ / ٩.
(٩) طبقات الحنابلة ١: ٣٢٠. (الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ـ أسد حيدر ٤: ٥٠٣).

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[(١)] قال: «مسؤولون عن ولاية عليّ». قال الهيثمي: وكأنّ هذا هو مراد الواحدي بقوله:

[م / ٥١] روي في قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ أي عن ولاية عليّ وأهل البيت، لأنّ الله أمر نبيّه ﷺ أن يعرّف الخلق أنّه لا يسألهم على تبليغ الرسالة أجراً إلّا المودّة في القربى، والمعنى: أنّهم يُسألون: هل والَوْهم حقّ الموالاة كما أوصاهم النبيّ ﷺ أم أضاعوها وأهملوها، فتكون عليهم المطالبة والتبعة[(٢)].

* * *

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾[(٣)].

كانت الآية في ظاهر تعبيرها ذات دلالة واضحة؛ إنّ نعمة الوجود ووسائل العيش والتداوم في الحياة، كلّها مرهونة تحت إرادته تعالى وفق تدبيره الشامل ورحمته العامّة. والله تعالى هو مهّد هذه البسيطة بجميع إمكاناتها لإمكان الحياة عليها: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾[(٤)]. ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[(٥)].

هذا هو ظاهر الآية حسب دلالة الوضع وقرائن السياق.

ولكن للإمام أبي جعفر الباقر ﷺ هنا بيان يمسّ جانب باطن الآية ودلالة فحواها العامّ:

[م / ٥٢] قال ﷺ: «إذا فقدتم إمامكم فلم تروه فماذا تصنعون»[(٦)].

[م / ٥٣] وعن الإمام أبي الحسن الرضا ﷺ: «ماؤكم: أبوابكم الأئمّة، والأئمّة أبواب الله. ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ أي يأتيكم بعلم الإمام»[(٧)].

وقد كانت استعارة الماء المعين للعلم النافع، ولا سيّما المستند إلى الوحي، من نبيّ أو وصيّ نبيّ، أمراً معروفاً. فكما أنّ الماء أصل الحياة المادّيّة والموجب لإمكان المعيشة بسلام، كذلك العلم النافع وعلم الشريعة بالذات هو الأساس لإمكان الحياة المعنويّة في سعادة وهناء.

---

(١) الصافات ٣٧: ٢٤.

(٢) الصواعق المحرقة ـ ابن حجر: ٨٩. وراجع أيضاً: شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ٢: ١٦٠ ـ ١٦١، باب ١٣٥.

(٣) الملك ٦٧: ٣٠.

(٤) النبأ ٧٨: ٦.

(٥) الملك ٦٧: ١٥.

(٦) كمال الدين للصدوق ٢: ٣/٣٦٠.

(٧) تأويل الآيات ٢: ١٤/٧٠٨. والآية من سورة الملك ٦٧: ٣٠.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1].

فهنا قد لوحظ الماء ـ باعتباره منشأ الحياة ـ في مفهومه العامّ الشامل للعلم، ليعمّ الحياة المادّيّة والمعنويّة معاً.

* * *

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾[2]. أي فليمعن النظر في طعامه كيف مهّدته الطبيعة وعملت العوامل في تهيئته، ليعرف مقدار فضله تعالى على العباد.

[م / ٥٤] هذا وقد روى ثقة الإسلام الكليني بإسناده إلى زيد الشحّام، قال: سألت الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قلت: ما طعامه؟ قال: «علمه الذي يأخذه، عمّن يأخذه»[3].

والمناسبة ظاهرة، لأنّ العلم غذاء الروح، ولا بدّ من الحيطة والحذر في الأخذ من منابعه الأصيلة ولا سيّما علم الشريعة وأحكام الدين الحنيف.

إلى غير ذلك من تأويلات متناسبة مع ظواهر الآيات، استنبطها ذوو العلم من الأئمّة الهداة، ولدينا منها الشيء الوفير والحمد لله.

تأويلات هي تخرّصات

وعلى العكس نجد هناك بعض تأويلات هي أشبه بتخرّصات هزيلة لا يمكن زنتها على مقياس الاعتبار. من ذلك تأويلات ارتكبها محيي الدّين ابن عربي مِلأكتبه (الفتوحات والفصوص والتفسير) لا تعتمد على أساس سوى تخرّصات مهينة.

يقول ـ في فتوحاته ذيل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[4] ـ: إيجاز البيان فيه: يا محمّد، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ستروا محبّتهم فيّ عنهم ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ﴾ بوعيدك الذي أرسلتك به ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بكلامك، فإنّهم لايعقلون غيري وأنت تنذرهم بخلقي وهم ما

(١) الأنفال ٨: ٢٤. (٢) عبس ٨٠: ٢٤.

(٣) راجع: تفسير البرهان للبحراني ٨: ٢١٤ / ١، والكافي ١: ٤٩ ـ ٥٠ / ٨.

(٤) البقرة ٢: ٦ ـ ٧.

عقلوه ولا شاهدوه، وكيف يؤمنون بك وقد ختمتُ على قلوبهم فلم أجعل فيها متّسعاً لغيري، وعلى سمعهم فلا يسمعون كلاماً في العالم إلّا منّي، وعلى أبصارهم غشاوة من بهائي عند مشاهدتي فلا يبصرون سواي. ولهم عذاب عظيم عندي أردّهم بعد هذا المشهد السنيّ إلى إنذارك وأحجبهم عنّي كما فعلتُ بك بعد قاب قوسين أو أدنى قرباً، أنزلتك إلى من يكذّبك ويردّ ما جئت به إليه منّي في وجهك، وتسمع فيّ ما يضيق له صدرك، فأين ذلك الشرح الذي شاهدته في إسرائك، فهكذا أمنائي على خلقي الذين أخفيتهم رضاي عنهم فلا أسخط عليهم أبداً.

ثمّ أخذ في تفصيل هذا البيان، وقال: انظر كيف أخفى سبحانه أولياءه في صفة أعدائه، وذلك لما أبدع الأمناء من اسمه اللطيف وتجلّى لهم في اسمه الجميل، فأحبوه. والغيرة من صفات المحبّة في المحبوب والمحبّ، فستروا محبّته غيرةً منهم عليه كالشبلي وأمثاله وسترهم بهذه الغيرة عن أن يُعرفوا فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي ستروا ما بدا لهم في مشاهدتهم من أسرار الوصلة، فقال: لابدّ أن أحجبكم عن ذاتي بصفاتي فتأهّبوا لذلك، فما استعدّوا.

فأنذرتهم على ألسنة أنبيائي الرُّسل في ذلك العالم فما عرفوا، لأنهم في عين الجمع، وخاطبهم من عين التفرقة، وهم ما عرفوا عالم التفصيل فلم يستعدّوا، وكان الحبّ قد استولى على قلوبهم سلطانُه غيرةً من الحقّ عليهم في ذلك الوقت، فأخبر نبيّه بالسبب الذي أصمّهم على إجابة ما دعاهم إليه فقال: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، فلم يسعها غيره. ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾، فلا يسمعون سوى كلامه ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ من سناه إذ هو النور، وبهائه إذ له الجلال والهيبة، فأبقاهم غرقى في بحور اللذّات بمشاهدة الذات، فقال لهم: لابدّ لكم من عذاب عظيم. فما فهموا ما العذاب، لاتّحاد الصفة عندهم، فأوجد لهم عالم الكون والفساد، وحينئذٍ علّمهم جميع الأسماء، وأنزلهم على العرش الرحمانيّ وفيه عذابهم، وقد كانوا مخبوئين عنده في خزائن غيوبه، فلمّا أبصرتهم الملائكة خرّت سجوداً لهم فعلّموهم الأسماء. فأمّا أبو زيد فلم يستطع الاستواء ولا أطاق العذاب فصعق من حينه، فقال تعالى: ردّوا عليّ حبيبي، فإنّه لا صبر له عنّي، فحُجب بالشوق والمخاطبة وبقي الكفّار فنزلوا من العرش إلى الكرسيّ فبدت لهم القدمان فنزلوا عليهما في الثلث الباقي من ليلة هذه النشأة الجسميّة إلى سماء الدنيا النفسيّ فخاطبوا أهل الثقل الذين لا يقدرون على العروج: هل من داع فيستجاب له، هل من تائب فيُتاب عليه، هل من مستغفر فيُغفر له، حتّى ينصدع الفجر، فإذا انصدع

ظهر الروح العقلي النوري، فرجعوا من حيث جاؤوا.

[م/٥٥] قال صلى الله عليه وآله: «من كان مواصلاً فليواصل حتّى السحر فذلك أوان ﴿بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ فكّل عبد لم يحذر مكر الله فهو مخدوع».[١]

وهكذا يذهب في هواجسه ويخبط في تشويه آيات الذكر الحكيم من غير مبالاة. انظر كيف جعل القدح مدحاً والذمّ ثناءً وقَلَبَ ظَهْرَ المِجَنّ، وهو يحسب أنّه يُحسن صنعاً.

وهكذا يرى من فرعون أنّه آمن عند الغرق فمضى طاهراً مطهّراً ليس فيه شيء من الخبث.

قال في الفصّ الموسوي: إنّ امرأة فرعون وكانت مُنْطَقَةً بالنطق الإلّهي قالت لفرعون في حقّ موسى: إنّه ﴿قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَ لَكَ﴾[٢] فقرّة عينها بالكمال ـ حيث تكلّم الحقّ بلسانها ـ وكان قرّة عين فرعون بالإيمان الذي أعطاه الله له عند الغرق، فقبضه طاهراً مطهّراً ليس فيه شيء من الخبث. لأنّه قبضه عند إيمانه قبل أن يكتسب شيئاً من الآثام، والإسلام يجبّ ما قبله. وجعله آيةً على عنايته سبحانه بمن شاء حتّى لا ييأس أحدٌ من رحمة الله. فلو كان فرعون ممّن ييأس ما بادر إلى الإيمان. فكان موسى عليه السلام كما قالت امرأة فرعون فيه: ﴿قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَ لَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾، وكذلك وقع، فإنّ الله نفعهما به[٣].

أُنظر كيف يجرأ على الله في تقوّله ويضادّ القرآن في صريح كلامه تعالى.

قال تعالى ـ مؤنّباً فرعون في إيمانه حينذاك ـ: ﴿آلآنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[٤].

وقد قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٥].

وهكذا وقع بشأن فرعون لم يقبل إيمانه ولم يزل يكابد العذاب الأليم عبر البرزخ حتّى يرد النار مع قومه في الآخرة.

﴿وَ حَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ الْعَذَابِ. النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَ عَشِيًّا وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا آلَ

(١) انظر: الفتوحات المكيّة ١: ١١٥ ـ ١١٧. (٢) القصص ٢٨: ٩.

(٣) الفصّ الموسوي من الفصوص: ٤٥٢ ـ ٤٥٣ بشرح القيصري. وله في الفتوحات ٢: ٢٧٦، كلام أغرب وأفحش بشأن فرعون وأنّه كان مؤمناً في باطنه، جبروتاً في ظاهره. فلمّا يئس من كبريائه أظهر باطنه وأصبح من الفائزين.

(٤) يونس ١٠: ٩١. (٥) النساء ٤: ١٨.

فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[١].

﴿وَ مَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ . يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَ بِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ . وَ أُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾[٢].

فياترى لم تقرع هذه الآيات مسامع ابن عربيّ في تقوّله ذلك الفضيع الشنيع!؟ وله من أمثال هذه الشنائع طامّات شحن بها دفاتره من غير هوادة.

وبحقّ قال الإمام محمّد عبده بشأن تفسيره: وفيه من النزعات ما يتبرّأ منه ديـن الله وكتابه العزيز.[٣]

ومن المؤسف أنّ جماعات ركضوا وراءه من غير وعي ركض الظمآن وراء السراب!

التفسير بالرأي

أمّا التفسير بالرأي ـ الذي جاء النهي عنه صريحاً وتعضده شريعة العقل ـ فهو القول في القرآن بغير علم، إمّا بتحميل الرأي على القرآن ـ كما دأب عليه أرباب النحل والأهواء المبتدعة ـ أو الاستبداد بالرأي في تفسيره، من غير مراجعة ذوي الكفاءة من أهل العلم، ومع غضّ النظر عن الأصول المعتمدة المقرّرة لفهم الكلام، ولا سيّما الشرائط التي يجب توفّرها في مراجع نصوص الشريعة، وبالأخصّ فهم كلام الله العزيز الحميد.

[م/٥٦] روى أبو جعفر الصدوق بإسناده إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «قال الله ـ جلّ جلاله ـ: ما آمن بي من فسّر برأيه كلامي»[٤].

[م/٥٧] وقال ـ أيضاً ـ: «من قال في القرآن بغير علم، أو برأيه، فليتبوّأ مقعده من النار»[٥].

[م/٥٨] وقال الصادق عليه السلام: «من فسّر القرآن برأيه فأصاب لم يوجر، وإن أخطأ كان إثمه عليه»[٦].

---

(١) غافر ٤٠: ٤٥ـ٤٦.
(٢) هود ١١: ٩٧ـ٩٩.
(٣) المنار ١: ١٨.
(٤) العيون ١: ١٠٧/٤، باب ١١.
(٥) التوحيد: ٩١/٥.
(٦) العيّاشي ١: ٢٩/٢.

[م / ٥٩] وفي حديث آخر عن النبيّ ﷺ: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»(١).

إلى غيرها من أحاديث وهي كثيرة، أوردناها في باب التفسير بالرأي وفصّلنا الكلام فيها من كتابنا «التفسير والمفسّرون»(٢).

قال أبو عبدالله القرطبي: إنّما يحمل النهي على أحد وجهين:

أحدهما: أن يكون له في الشيء رأي وإليه ميل من طبعه وهواه، فيتأوّل القرآن على وَفْق رأيه وهواه، ليحتجّ على تصحيح غرضه، ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوىٰ، لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى.

وهذا النوع يكون تارة مع العلم، كالذي يحتجّ ببعض الآيات على تصحيح بدعته، وهو يعلم أن ليس المراد بالآية ذلك، ولكن مقصوده أن يلبّس على خصمه.

وتارة يكون مع الجهل، وذلك إذا كانت الآية محتملة، فيميل فهمه إلى الوجه الذي يوافق غرضه، ويرجّح ذلك الجانب برأيه وهواه، فيكون قد فسّر برأيه، أي رأيُه حَمَله على ذلك التفسير، ولو لا رأيه لما كان يترجّح عنده ذلك الوجه.

الوجه الثاني: أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربيّة، من غير استظهار بالسماع والنقل، فيما يتعلّق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة، وما فيه من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير. فمن لم يُحكم ظاهر التفسير، وبادر إلى استنباط المعاني بمجرّد فهم العربيّة، كثر غلطُه ودخل في زمرة من فسّر القرآن بالرأي(٣).

[م / ٦٠] قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «من استبدّ برأيه هلك»(٤).

لسان القرآن

لا شكّ أنّ لسان القرآن، الذي خاطب به نبيّ الإسلام ﷺ، هو لسان قومه العرب الذين عاصرهم وعاش في أوساطهم. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾(٥). ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ

(١) أبو داوود ٢: ١٧٧ / ٣٦٥٢. (٢) راجع: التمهيد ٩: ٥٦ ـ ٧٤.

(٣) القرطبي ١: ٣٢ ـ ٣٤، في المقدّمة. نقلاً باختصار عن الإمام أبي حامد الغزالي في إحياء العلوم ١: ٢٩٨ (ط: البابي، مصر، ١٩٣٩م). وراجع: التمهيد ٩: ٦٠ ـ ٦١. (٤) نهج البلاغة ٤: ٤١، الحكمة ١٦١.

(٥) إبراهيم ١٤: ٤.

﴿بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[١]. ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[٢]. ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[٣].

[م / ٦١] روى أبوالفتح الكراجكي (ت ٤٤٩) حديثاً عن النبيّ ﷺ قال: «إنّ الله أنزل القرآن عَلَيّ بكلام العرب والمتعارف في لغتها»[٤].

غير أنّ السؤال هو: أنّ لسان القرآن العربي، هل هو لسان المتفاهم العامّ (العرف العامّ) ليكون عامّة الناس هم المخاطبين بخطابات القرآن، وأنّهم هم المقصودون بلحن الخطاب، ولو في ظاهر التنزيل وفي المرحلة الأولىٰ في إفادة الكلام أم هم أولئك المتعمّقون من أصحاب النظر والاستدلال، دون من سواهم من سائر الناس؟!

لكنّا إذا عرفنا أنّ لإفادة الكلام مراحل، من ظاهر سطحيّ وباطن عمقيّ، ولكلّ من ذلك مراتب حسب مستوى فهم السامعين، سواء الحاضر منهم المعاصر أم الغائب النائي أو الآتي على امتداد الزمان. إذا عرفنا ذلك، انحلّت لدينا مشكلة اختلاف مستويات المخاطبين في الخطاب العامّ وكان لكلٍّ (من مختلف طبقات الناس) حظّه من إفادات الكلام المتلاحقة.

الأمر الذي أكّد عليه رسول الإسلام ﷺ من أوّل يومه، مصرّحاً بأنّ للقرآن ظهراً وبطناً أي دلالات جليّة بحسب ظاهر التنزيل، وأخرى دلالات خفيّة باطنة، وإنّما تُستجلى بعد التدبّر والإمعان في التأويل. ومن ثمّ جاء الأمر بالتدبّر وتعميق النظر فيه، وكذا التعقّل والتفكّر في مطاويه، فكلّما كان التدبّر أعمق، كان المعنى المتحصّل منه أفخم وأوسع وأشمل، حتّى يبلغ الآفاق.

[م / ٦٢] قال رسول الله ﷺ: «له ظهر وبطن، فظاهره حكم وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق ... لا تُحصى عجائبه ولا تُبلى غرائبه»[٥].

[م / ٦٣] وورد: أنّ القرآن على أربعة وجوه: على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق، فالعبارة (الظاهرة بحسب التعبير اللفظي) للعوامّ، أي لسائر الناس ممّن كانوا على المستوى العامّ. أمّا الإشارات والنكات الدقيقة، والتي هي بحاجة إلى تدبّر وتعمّق وتفكير، فهي للخواصّ، أي

---

(١) الدخان ٤٤: ٥٨.
(٢) القمر ٥٤: ١٧.
(٣) الزمر ٣٩: ٢٨.
(٤) كنزالفوائد: ٢٨٥ ـ ٢٨٦؛ البحار ٩: ٦/٢٨٢.
(٥) الكافي ٢: ٢/٥٩٩.

المتعمّقين من أهل الدقّة والنظر [١].

إذن أصبح القرآن في إفاداته موجّهاً خطابه نحو العموم، ومراعياً جانب اختلاف المستويات، بشكل بلاغيّ بديع، وقد استوفينا الكلام فيه عند البحث عن منهج القرآن في الإفادة والبيان [٢]، ولدى الكلام عن إعجازه البياني البليغ. [٣]

صياغة القرآن

صياغة القرآن هي صناعة الوحي، لا يد لغيره في صياغته، لا في نضد ألفاظه ولا في نظم معانيه، فكان لفظاً ومعنىً هو صنيع الوحي المباشر، لا غير.

ذلك أنّه كلام الله ـ بصريح القرآن [٤] ـ ولا ينسب كلامٌ إلى أحدٍ حتّى يكون هو ناظمه ومؤلّفه في صياغة كلام. ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [٥].

على أنّه مما قرأه الله على النبيّ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [٦]. والقراءة وكذا التلاوة إنّما تنصبّ على الكلام المنتظم، لا مجرّد إلقاء المعاني.

كما أنّ النبيّ ﷺ كان يقرأ القرآن ويتلوه على أصحابه، ولا قراءة ولا تلاوة إلّا فيما يحكيه من لفظ وعبارة، لا مجرّد بيان المعاني، ليكون اللفظ له، وإلّا كان كلاماً له يتكلّم به، حكايةً للمعاني فحسب.

وفي كثير من تعابير القرآن دلالة واضحة على أنّه من صنيع الوحي ليس غير، فهناك لفظة «قل» وردت صدر آيات، ولا يَحسُن إذا كان من إنشاء النبيّ ومن صياغته. إذ كان يجب عليه حينذاك أن يقول: أمرني ربّي أن أقول.

وهناك الكثير من العتاب والخطاب، موجّه إلى النبيّ بصيغة خطاب [٧]، فلو كان من إنشائه،

---

(١) جامع الأخبار: ١١٦ / ٢١١ ـ ١٥.

(٢) راجع: التمهيد ٩: ٨٥ ـ ٩٨.

(٣) راجع: التمهيد ٥: ٤٠٧ ـ ٤٢٣.

(٤) ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ (التوبة ٩: ٦). وفي الحديث: «ما آمن بي من فسّر برأيه كلامي». (أمالي الصدوق: ٥٥ / ٣ ـ ١٠، المجلس الثاني).

(٥) الأعلى ٨٧: ٦.

(٦) القيامة ٧٥: ١٧ ـ ١٨.

(٧) منها قوله تعالى: ﴿طه. مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ (طه ٢٠: ١ ـ ٢) وقوله: ﴿وَ مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ (الشورى ٤٢: ١٧).

لوجب أن يكون بصيغة المتكلم.

وغير ذلك من قرائن ودلائل ظاهرة بل صريحة على أنّ القرآن بجملته ـ لفظاً ومعنى ـ من صنيع السماء وليس من دونها.

أضف إلى ذلك: أنّه معجزة الإسلام الخالدة، وأنّه يعجز البشر ـ أيّاً كان، النبيّ أو غيره ـ أن يأتوا بمثله، والتحدّي لا يخصّ المعنى، وإنّ للّفظ ونظمه ونضده، قسطاً وافراً في هذا التحدّي. فلو كان للنبيّ أن يأتي بمثل نظم القرآن وأسلوبه البديع، لكان من المستطاع نقض التحدّي على يد بشر.

على أنّا لا نجد في كلام النبيّ ﷺ ولا غيره من أمراء البيان كالإمام أمير المؤمنين عليه السلام ما يضاهي القرآن أو يماثله في صياغة البيان.

وذكر الإمام بدر الدين الزركشي: أنّه نقل بعضهم عن السمرقندي[1] حكاية ثلاثة أقوال في المنزل على النبيّ ﷺ:

أحدها ـ وهو الرأي السائد ـ: أنّ النازل هو اللفظ والمعنى معاً، حسب صريح تعبير القرآن.

ثانيها: أنّ جبرائيل إنّما نزل بالمعاني خاصّة، وأنّ النبيّ ﷺ هو صاغها في صياغة اللسان العربي المبين، نظراً لقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[2]. وقوله: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[3]. بزعم أنّ الذي يعيه القلب هو المعنى دون اللفظ الذي يخصّ مدرك السمع.

ثالثها: أنّ جبرائيل هو الذي كان يفرغها في قوالب الألفاظ بلسان عربيّ مبين، ثمّ كان يلقيها على النبيّ ﷺ. ومن ثَمّ كان أهل السّماء استمعوا إلى قرآن جبرائيل، وجعلوا يقرأونه بالعربيّة.

ولا مستند لهذا القول سوى ما روي من نزول القرآن جملةً إلى السماء الدنيا أو الرابعة، ثُمّ نزل تدريجاً على رسول الله ﷺ في طول عشرين سنة.[4]

قال الجويني[5]: الوحي على قسمين: أحدهما أن يأمر الله جبرائيل بأن يقول للنبيّ ﷺ افعل كذا، أو أنّ الله أمر بكذا. فكان جبرائيل يتلقّى المعنى ويلقيه على قلب النبيّ.

---

(١) هو: أبوبكر محمّد بن اليمان السمرقندي (ت ٢٦٨) كان فقيهاً حنفيّاً ومتكلّماً.

(٢) الشعراء ٢٦: ١٩٣ـ ١٩٤.

(٣) البقرة ٢: ٩٧.

(٤) راجع: البرهان ١: ٢٢٩ ـ ٢٣٠. ونقله السيوطي في الإتقان ١: ١٢٦.

(٥) هو إمام الحرمين أبو المعالي عبدالملك بن عبدالله بن يوسف، إمام وقته ومن تغني شهرته عن ذكره، ومن بارك الله في تلامذته حتّى صاروا أئمّة الدنيا، مثل الخوافي والغزالي والكياهراسي وغيرهم. توفّي سنة ٤٧٨ بنيسابور.

الثاني: أن يقول له: اقرأ على رسول الله ﷺ بكذا، فهذا يُلقيه بلفظه الذي كان يتلقّاه، من غير تبديل. كما كان الملوك يكتبون الرسائل ويرسلونها على أيدي الرسل فيُوصلونها من غير تصرّف أو تغيير.

قال جلال الدين السيوطي ـ بعد نقل كلام الجويني ـ: والقرآن من قبيل الثاني، كان يتلقّاه جبرائيل بلفظه ويُلقيه على النبيّ كما تلقّاه من غير تصرّف فيه، لا في لفظه ولا في معناه. ولم يجز له إلقاء المعنى فقط. والسرّ في ذلك: أنّ المقصود من القرآن، التعبّد بلفظه، وراء التعبّد بالعمل بمعناه. ولأنّه دليل الإعجاز، فلا يستطيع أحد أن يأتي بلفظ يقوم مقامه، لاجبرائيل ولا غيره. وأنّ تحت كلّ حرف منه مقاصد لا تحصى، فلا يقدر أحد أن يأتي بدله بما يشتمل عليها[1].

قال الزرقاني: وقد أسفّ بعض الناس فزعم أنّ جبرائيل كان ينزل على النبيّ ﷺ بمعاني القرآن، والرسول يُعبّر عنها بلغة العرب. وزعم آخرون أنّ اللفظ لجبرائيل وأنّ الله كان يُوحي إليه المعنى فقط. وكلاهما قول باطل أثيم، مصادم لصريح الكتاب والسنّة والإجماع، ولا يساوي قيمة المداد الذي يكتب به. وعقيدتي أنّه مدسوس على المسلمين في كتبهم، وإلّا فكيف يكون القرآن حينئذٍ معجزاً واللفظ لمحمّد ولجبرائيل؟! ثمّ كيف تصحّ نسبته إلى الله واللفظ ليس لله؟![2]

أمّا الآيات التي استند إليها زاعم هذا الرأي، فلعلّها على عكس مطلوبه أدلّ! ذلك أنّ المراد بالقلب في الآية هو شخصيّة الرسول الباطنة، الآهلة لتلقّي الوحي من عندالله، وليس هذا العضو الصنوبري الكامن في الصدور، حيث إنّ أجهزة الإدراك عندنا لم تُعَدَّ لاستلام هكذا تلقّيات ممّا وراء المادّة، وإنّما تعمل في إطار محدود.

ونظير هذه المحدوديّة في المادّة، الأمواج اللّاسلكيّة تتلقّاها أجهزة خاصّة بذلك، تلقّياً بنفس الألفاظ وحتّى الصور والأشكال والألوان من مكان بعيد، ممّا لا يمكن تلقّيها بهذا الحسّ الظاهري العاديّ.

وهكذا النفوس المستعدّة تستأهل لإدراك أمور تعجز الأحاسيس العاديّة عن إدراكها مادامت على كثافتها الأولى ولم تبلغ لطافتها المتناسبة مع الملأ الأعلى.

---

(١) الإتقان ١: ١٢٧ ـ ١٢٨.
(٢) مناهل العرفان ١: ٤٩.

على أنّ الآية من سورة الشعراء ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَىٰ قَلْبِكَ .... بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[١] ناصّة على أنّ النازل من عند الله وعلى يد أمينه جبرائيل، هو هذا القرآن بنصّه ولفظه العربيّ المبين. فالآية على عكس مطلوب المستدلّ أدلّ.

وقد نسب هذا القول إلى «معمّر بن عبّاد السُّلَمي»[٢] (ت ٢١٥) من رؤساء المعتزلة، ولكن نسبة مأخوذة من قياس المساواة، إذ لا تصريح له بذلك وإنّما هو لازم كلامه ومذهبه في كلامه تعالى، فيما زعموا. لأنّه قائل بأنّ الكلام في ذاته عَرَض، والعَرَض عند المعتزلة حركة، وهو قائم بجسم، فيستحيل أن يقوم به تعالى، إذ لا يكون محلاًّ للأعراض. فليس كلامه تعالى سوى ما يبدو من المحلّ الصادر منه، إن شجرةً أو إنساناً. فالكلام الصادر من الشجرة فعل لها، والصادر من إنسان فعل له. وإن كان بإرادة الله وخلقه وإيجاده[٣].

فكما أنّ الكلام منّا صادر عن إرادتنا، غير أنّ المحلّ الصادر منه هو جسمنا (بسبب اللسان)، كذلك الكلام الصادر منه تعالى صادر عن إرادته، ولكن المحلّ الصادر منه هو شجر أو إنسان، من غير أن يكون عن إرادتهما.

وعليه فلم يكن الصادر من الشجر أو الإنسان صدوراً عن إنشائهما وعن إرادتهما بالذات. ومن ثَمَّ فمن العبث قول بعضهم: أنّ معنى ذلك: أنّ كلامه تعالى الصادر عن محلّ، عبارة عن استعداد وقابليّة يخلقها الله في شجرة أو يمنحها لإنسان، فيقوم هو بإنشاء كلام يتجلّى فيه إرادته تعالى. ولازمه: أن تكون الشجرة هي التي تكلّمت مع موسى عليه السلام ولكن بإذنه تعالى. وهذا غريب لم يقل به أحد قطّ.

وهكذا استندوا إلى ما نسبه إليه الراوندي قائلاً: «وكان (أي مُعمّر) يزعم أنّ القرآن ليس من فعل الله ولا هو صفة له في ذاته كما تقول العوامّ، ولكنّه من أفعال الطبيعة».

لكنّ أبا الحسين الخيّاط المعتزلي رفض هذه النسبة رفضاً باتّاً، قال: اعلم ـ أرشدك الله إلى

---

(١) الشعراء ٢٦: ١٩٣ ـ ١٩٥.

(٢) هو: أبو المعتمر مُعَمَّر بن عمرو، وقيل: ابن عبّاد البصري السُّلَمي المعتزلي. كان بينه وبين النظّام مناظرات ومنازعات. (سير أعلام النُّبلاء ١٠: ٥٤٦ / ١٧٦).

(٣) جاء في مقالات الإسلاميّين للأشعري (١: ٢٦٨): «والفرقة الخامسة منهم أصحاب معمّر، يزعمون أنّ القرآن عرض، ومحال أن يكون الله فَعَله في الحقيقة، لأنّهم يُحيلون أن تكون الأعراض فعلاً لله. وزعموا أنّ القرآن فعل للمكان الذي يُسمَع منه، إن سُمع من شجرة فهو فعل لها، وحيثما سُمع فهو فعل للمحلّ الذي حلّ فيه».

الخير ـ أنّ معمّراً كان يزعم أنّ الله هو المكلّم بالقرآن، وأنّ القرآن قول الله وكلامه ووحيه وتنزيله، لا مكلّم له سواه ولا قائل له غيره، وأنّ القرآن مُحدَث لم يكن، ثُمّ كان[١].

لكن رغم ذلك نجد أنّ بعض المستشرقين الأجانب[٢]، وتبعه بعض الكُتّاب الإسلاميّين متابعة من غير تحقيق، ذهب إلى أنّ معمّراً كان يقول بأنّ القرآن ليس من كلامه تعالى، وأنّ الله سبحانه أعطى نبيّه قابليّة أن يصوغ كلاماً يُفرغ فيه إرادة الله التي كان يتلقّاها بالوحي على نفسه.

وهو استنتاج باطل بعد كونه قياساً محضاً وليس من صريح كلامه؛ هذا وقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[٣] يؤكّد على أنّ الله تعالى كان يكلّمه بنفس هذا الكلام المعهود. وأنّه على حقيقته وليس عن مجاز أو استعارة. وإلّا لم يصحّ هذا التأكيد (بالمفعول المطلق).

ويُحمَل قول معمّر على أنّ الكلام المسموع من أيّ شيء إنّما خلقه الله فيه ليسمع منه، لا أنّه صنيع ذلك الشيء، فإن سُمع من الهواء فهو فعل الهواء بمعنى أنّه المحلّ الصادر منه، وإن كان بخلقه تعالى فيه. وهكذا إذا سمع من شجرة. أمّا الصادر من إنسان مثل النبيّ ﷺ فهو إلقاء في رُوعه كملاً لفظاً ومعناً، فهو أيضاً صنيعه تعالى وليس من صنع النبيّ نفسه.

* * *

كما نسبوا إلى ابن كلّاب[٤] أيضاً اعتقاد: أنّ صياغة القرآن، هي من فعل النبيّ ﷺ وليست صنعه تعالى[٥].

لكنّها نسبة خاطئة، حيث إنّه ذهب ـ في معتقده ـ إلى أنّ كلامه تعالى صفة ذاتٍ وهي قديمة قائمة بذاته تعالى. قال: إنّ كلامه قائم به، كما أنّ العلم قائم به، والقدرة قائمة به. وهو قديم بعلمه وقدرته. وإنّ الكلام ليس بحروف ولا صوت. ولا ينقسم ولا يتجزّأ ولا يتبعّض ولا يتغاير، وإنّه معنى واحد قائم بالله ﷻ.

---

(١) راجع: كتابه الانتصار: ١٠٤.

(٢) هو: «هري أو سترين ولفسين» في كتابه «فلسفة علم الكلام» ترجمة أحمد آرام: ٢٩٨ و ٣٠٢.

(٣) النساء ٤: ١٦٤.

(٤) هو: عبدالله بن كُلّاب رأس الفرقة الكُلّابيّة من الحشويّة، قالوا بقدم القرآن باعتباره كلام الله، وأنّ هذا المقروء يغاير كلامه تعالى القديم ويحاكيه، وليس نفسه.

(٥) راجع: مقالات الإسلاميّين ٢: ٢٥٧ ـ ٢٥٨. والمغني للقاضي عبدالجبّار: ٩٥ ـ ١١٦، باب خلق القرآن. والأصول الخمسة أيضاً للقاضي: ٥٢٧.

قال: وإنّ الرسم هو الحروف المتغايرة، وهو: قراءة القرآن. وإنّه خطأ أن يقال: كلام الله هو هو أو بعضه أو غيره. وإنّ العبارات عن كلامه تعالى تختلف وتتغاير. وكلام الله ليس بمختلف و لامتغاير. كما أنّ ذكرنا لله يختلف ويتغاير، والمذكور (هو الله تعالى) لا يختلف ولا يتغاير.

قال أبو الحسن الأشعري: فقد زعم ابن كلّاب أنّ ما نسمع التالين يتلونه، هو عبارة عن كلام الله ـأي تعبير عنه وليس نفسه ـوأنّ موسى عليه السلام سمع متكلّماً بكلامه. وأنّ معنى قوله: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[١] معناه: حتّى يفهم كلام الله، ويحتمل ـعلى مذهبه ـأن يكون معناه: حتّى يسمع التالين يتلونه[٢].

قلت: مآل كلامه إلى أنّ ما كان يقرع مسامع الأنبياء ونبيّ الله موسى عليه السلام بالخصوص إنّما هو كلام حادث خلقه الله ـفي الهواء أو الشجرة أو غيرها ـليكون معبّراً عن كلامه تعالى القديم. أي مظهراً له ومحلّاً لتجلّي ذلك الوصف القديم. وليس نفسه، كما في الإرادة القديمة والحادثة، والعلم القديم والحادث، شأن سائر صفات الذات، التي لها تجلّيات هي حادثة تُنبؤك عن ذلك الوصف القديم.

وقال القاضي عبد الجبّار: وذهبت الكُلّابيّة إلى أنّ كلام الله تعالى هو معنى أزلي قائم بذاته تعالى، مع أنّه شيء واحد: توراة وإنجيل وفرقان. وأنّ هذا الذي نسمعه ونتلوه حكاية كلام الله تعالى. وفرّقوا بين الشاهد والغائب.

قال: وما دروا أنّ ذلك يوجب عليهم قدم الحكاية أو حدوث المحكيّ، فإنّ الحكاية والمحكيّ يجب أن يكونا من جنس واحد، ولا يجوز افتراقهما في قدم ولا حدوث[٣].

وقد فصّل الكلام في إبطال قولهم: إنّه تعالى متكلّم لم يزل بكلام مخالف لكلامنا[٤].

وعلى أيّة حال فإنّ مذهب القول بقدم القرآن، إنّما يعنى: أزليّة صفة كونه تعالى متكلّما، نظير صفة القدرة والعلم والحياة، وأنّ ما يبرز إلى الوجود عبر الزمان من مظاهر قدرته تعالى وعلمه وحكمته، فإنّما هي تجلّيات لذلك الأصل القديم.

وأين هذا من القول بأنّ صياغة القرآن ـفي نظم جُمَله وتراكيبه ـهي من صنع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟!

---

(١) التوبة ٩: ٦.

(٢) مقالات الإسلاميين ٢: ٢٥٧ ـ ٢٥٨.

(٣) الأصول الخمسة: ٥٢٧.

(٤) راجع: المغني: ٩٥ ـ ١١٦، فصل خلق القرآن.

أسلوب القرآن

أسلوب القرآن أسلوب خطاب لا أسلوب كتاب! هناك الفارق كبير بين أسلوب الخطابة وأسلوب الكتابة.

فأسلوب الكتابة يستدعي انسجاماً والتئاماً بين التعابير والجُمَل والتراكيب، واتّساقاً ظاهراً في نمط البيان. وليكون مركّزاً على صلب موضوع البحث، من غير خروج ولا التفات في صياغة الكلام، ولا يعتمد سوى القرائن الحافّة المتّصلة، ليدلّ عليها مساق الكلام. والعمدة: اتّجاه سياقة التعبير نحو عامّة القارئين، الموجودين والغائبين ومن يأتي على مرّ العصور، ليكون الغالبُ على صياغة الجمل والتراكيب الكلاميّة، أن تكون على نحو القضايا الحقيقيّة، الجارية مع الأبد، والشاملة لكلّ من تلبّس بوصف الموضوع على العموم.

اللّهم إلّا أن تكون الكتابة شخصيّة في نحو الرسائل المتبادلة بين الناس.

أمّا أسلوب الخطابة فيختلف عن ذلك تماماً، حيث المراعىٰ فيه هي حالة المخاطبين المشافهين ممّن شهد المحضر فحسب، ويجوز الاعتماد على قرائن منفصلة عن الكلام، تكون حاضرة ومشهودة لدى المشافهين.

كما ويكثر في أسلوب الخطابة، الالتفات والتنقّل والمداورة في لحن البيان، الأمر الذي لا ينبغي في كتابة العلوم والمعارف على أيّ حال.

ففي قوله تعالى ـ حكاية عن العزيز ـ: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَ اسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾[1]. مداورة في لحن الخطاب، تبدو عجيبة، فهو في كلام واحد، يوجّه خطابه أوّلاً إلى يوسف يستمليه ويسترعي جانبه، ثمّ إلى زليخا يعاتبها ويوبّخها، اعتماداً على قرينة المشافهة والخطاب.

كما وقد يفاجأ بالكلام عن شخصٍ أو أشخاصٍ لا سابقة لذكرهم في المقال.

قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَ تَوَلَّىٰٓ. أَن جَآءَهُ الْأَعْمَىٰ. وَ مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰٓ﴾ إلى قوله: ﴿وَ أَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ. وَ هُوَ يَخْشَىٰ. فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾[2].

ففي هذه الآيات ملامة وعتاب، ملامة لمن عَبَس بوجهه ولوى بجانبه، عندما جاءه ضرير

---

(١) يوسف ١٢: ٢٩.

(٢) عبس ٨٠: ١ ـ ١٠.

فقير. وعتاب لمن تلهّى أي تغافل عن التوجّه إلى مؤمنٍ مستهدٍ هو جدير بالاهتمام. إذن لمن تلك الملامة، ولمن هذا العتاب؟

لا دلالة في ظاهر التعبير على شيء من ذلك وإنّما هو شيء كان يعرفه شهود القضيّة لا غير.

غير أنّ لحن الآية يدلّنا على أنّهما شخصان وأنّ الملوم غير المعاتب. ذلك أنّ الملامة وقعت على أمر كان صدر عن اختيار وعن قصد غير جميل. ذلك أنّ العُبوس والتولّي، كلاهما عمل اختياري صادر عن سوء طويّة، الأمر الذي تأباه ساحة قدسيّة الرسول الكريم ﷺ.

أمّا التلهّي فهو التغافل، أي عدم توجّه النفس، بسبب انشغالها بأمر أهمّ، الأمر الذي يجوز صدوره من نبيّ كريم، جادٍّ في تبليغ رسالته.

[م / ٦٤] روي: أنّ رسول الله ﷺ جاءه نفر من أشراف قريش، منهم: عتبة بن ربيعة وأبيّ وأميّة ابنا خلف وفيهم أبو جهل وجماعة. وكان عثمان بن عفّان قد رافقهم وقد أسلم من قبل. فجعل رسول الله ﷺ يناجيهم، يدعوهم إلى الإسلام، ويرجو إخضاعهم وكان ﷺ ملتهياً بهم منشغلا عمّن سواهم.

وفي هذا الأثناء أتاه عبدالله بن أمّ مكتوم ـ وكان ضريراً من بيت وضيع ـ وجعل يكرّر القول: أقرئني يا رسول الله! علّمني ممّا علّمك الله! ويناديه بصوت عال مُلحّاً عليه، وهو لا يدري أنّ النبيّ منشغل عنه.

غير أنّ الرجل الأموي ـ وكان حاضر المجلس ـ امتعص من إلحاحه وانزعج انزعاجاً بالغاً، في هذه المزاحمة المفاجئة، ولعلّ الصناديد الأشراف تزعجهم غوغاء النداء فيغادرون المحضر. ولذلك تقذّر منه وعبس وتولّىٰ بوجهه عنه انزجاراً من سوء المشهد.

أمّا النبيّ ﷺ فظلّ عاكفاً بكلّ وجوده على نصح القوم وإرشادهم إلى الإسلام، منذهلاً عمّا يجري هناك. ومن ثمّ عوتب على مثل هذا التغافل، والذي أدّى إلى هتك مؤمن غيور، بسبب ذلك الامتعاص والتولّي الذي أبداه ذلك الرجل الأموي بمنظر ومشهد الحضور من مسلمين وغيرهم.

إذن فكانت الملامة موجّهة إلى ذلك الرجل الأمويّ الذي كاد يهين بموضع رجل الإيمان في تلك الصورة البذيئة.

أمّا العتاب محضاً فموجّه إلى النبيّ نفسه بتغافله عمّا يجري حوله ـ ولو على حين ـ ومهما كانت الغاية ـ التي شغلته ـ خطيرة. فإنّ حرمة المؤمن فوق كلّ شيء.

[م / ٦٥] ومن ثمّ كان النبيّ ﷺ كلّما التقى بابن أمّ مكتوم، يقول له: «مرحباً بمن عاتبني فيه ربّي»(١).

[م / ٦٦] وفي حديث الإمام الصادق عليه السلام: «كان رسول الله ﷺ إذا رآه قال: مرحباً مرحباً، لا والله لا يعاتبني الله فيك أبداً»(٢).

ففي مثل مداورة في الحديث كهذه، عن ملامة، فإلى عتاب، وبصورة إبهام في ذات المقال، اعتماداً على مشاهد الحضور، هي من اختصاص فنّ الخطاب، ولا تحسن في الكتاب.

كما أنّ التنقّل المفاجئ أثناء الكلام، من موضوع إلى آخر، من غير مناسبة ظاهرة، أو لمناسبات بعيدة جدّاً، هو من ميزات أسلوب الخطاب، ويأباه أسلوب الكتاب، ولا سيّما أثناء عقد واحد من فصول الكلام.

والتنقّل المفاجئ، في القرآن كثير.

ففي سورة القيامة، يبتدئ الكلام عن الساعة ويوم الحساب، وينتهي إلى قوله: ﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ. وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾... (الآيات: ١ ـ ١٥). وينتقل فجأة إلى الكلام عن نزول القرآن حيث كان النبيّ يتعجّل في قراءته على كُتّاب الوحي، فمنع من ذلك: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (الآيات: ١٦ ـ ١٩).

وبعد ذلك ينتقل الكلام إلى لذائذ الحياة في الدنيا والآخرة، وعن شدائد ذلك اليوم العصيب (الآيات: ٢٠ ـ ٣٠).

وإذا هو ـ في نهاية السورة ـ يتكلّم عن كافر عنود: أبي جهل الذي طالما قام في وجه الدعوة وكافحها أشدّ كفاح: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ. وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ. ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ﴾ (الآيات: ٣١ ـ ٤٠).

فمثل هذا الكرّ والفرّ والمداورة في الكلام، إنّما يتناسب مع أسلوب الخطاب والمشافهة، و لا يلتئم مع أسلوب الكتابة وترقيم الكتاب، الأمر الذي تجده في القرآن الكريم بكثرة وافرة.

وجهة أخرى هو الحديث عن حادثٍ أو عادةٍ سيّئة أو حسنة، كانت رائجة معروفة، تحدّث عنها القرآن من غير تبيين سابق، إيكالاً على المعهود المعلوم لدى المشافهين، الأمر الذي لا يجوز

---

(١) مجمع البيان ١٠: ٢٦٦.
(٢) المصدر.

في الكتابة إذا كانت للعموم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾(١).

قد أحاطت بهذه الآية ـ على تفاصيلها ـ هالة من الإبهام، لمن لم يكن له عهد بتلك العادة السيّئة التي كان يرتكبها طغاة العرب في التحوير بالأشهر الحرم.

فجاءت الآية تشنّعها للحدّ من تلك المظلمة الفضيعة، الأمر الذي يعرف بمراجعة تاريخ العرب المعاصر لنزول القرآن وما كانت عليه من عادات سوء.

ومن ثَمّ كان لمعرفة أسباب النزول القِدْحُ المعلّى في الوصول إلى مفاهيم القرآن الحكيمة، الأمر الذي تأباه طبيعة الكتاب.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾(٢).

على هذه الآية غطاء من إبهام: كيف نفى الإثم عن السعي بين الصفا والمروة، الدالّ على الرخصة في الفعل محضاً، مع ضرورة التكليف به إلزاماً؟!

هذا والحال أنّ الآية وقعت غريبة عن آيات سابقة ولاحقة لها، فلا قرينة على رفع الإبهام، مصحوبة مع الكلام!!

فلا محالة من الرجوع إلى سبب النزول: حيث تحرّج المسلمون من السعي ـ في عمرة القضاء ـ بعد أن أعاد المشركون أصنامهم على الجبلين، فنزلت الآية رفعاً للحرج ودفعاً لتوهّم الحظر(٣).

الأمر الذي لا يجوز في الكتاب، ممّا يجوز في الخطاب، اعتماداً على مشاهد معلوم الحال.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾(٤).

---

(١) التوبة ٩: ٣٧.

(٢) البقرة ٢: ١٥٨.

(٣) راجع: مجمع البيان ١: ٤٤٥.

(٤) آل عمران ٣: ١٧٣.

هذا وصف للمؤمنين بعد مرجعهم من غزوة أحد، وقد أضنّتهم الحرب، فاستنهضهم رسول الله ﷺ حين سمع عزيمة أبي سفيان على الرجوع لقتال المسلمين لغرض الاستئصال.

[م/٦٧] وقيل في غزوة بدر الصغرى، كان ﷺ واعد أبا سفيان أن يعاوده القتال بعد أُحد بعام، فخرج أبو سفيان في أهل مكّة حتّى بلغ عسفان، فألقى الله الرعب في قلبه فبدا له الرجوع، فلقي نُعيم بن مسعود الأشجعي وقد قدم معتمراً، فقال له أبو سفيان: إنّي واعدت محمّداً وأصحابه أن نلتقي بموسم بدر، وهذا عام جدب ولا يصلحنا إلّا عام نرعي فيه الشجر ونشرب فيه اللبن، وقد بدا لي أن أرجع، وأكره أن يخرج محمّد ولا أخرج أنا، فيزيدهم ذلك جرأة. فالحق بالمدينة فثبّطهم ولك عندي عشرة من الإبل. فأتى نُعيم المدينة فوجد المسلمين يتجهّزون لميعاد أبي سفيان. فقال لهم: ما هذا بالرأي، أتوكم في دياركم وقراركم، فلم يفلت منكم أحد!

فوقع هذا الكلام في قلوب قوم منهم. فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لأخرجنّ ولو وحدي». فخرج ومعه سبعون راكباً يقولون: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، فخرجوا حتّى وافوا سوق بدر ـ وكان أبوسفيان ومعه ألفا رجل قد ولّى دبره ـ وكانت معهم نفقات وتجارات، فباعوا واشتروا أدماً وزبيباً وربحوا وأصابوا بالدرهم درهمين، وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين.

فعلى هذه الرواية يكون المراد من «الناس» الذين حاولوا الفشل بالمسلمين، هم نُعيم بن مسعود وركب من عبد قيس دسّهم أبوسفيان لتجبين المسلمين.

وأمّا «الناس» الذين قد جمعوا الجموع، فهم أبوسفيان وأعوانه[1].

هكذا سرد حوادث يُهْمَلُ فيها أسماء أبطالها، إنّما يحسن إذا كانوا معروفين عند مشافهة الخطاب، لا فيما إذا أُريد تسجيلها ضمن كتاب.

وأمثال ذلك في القرآن كثير في كثير، الأمر الذي يؤكّد على أنّ أُسلوبه أسلوب خطاب لا أسلوب كتاب.

وجانب أهمّ نلمسه في القرآن بكثرة، هو جانب حديثه عن قضايا تبدو ـ في ظاهرها حسب التنزيل ـ شخصيه، ترجع إلى أناس معهودين عند الخطاب، وليست من القضايا الحقيقيّة العامّة ذوات الشمول.

---

(١) راجع: المنار ٤: ٢٣٨ ـ ٢٤٠. ومجمع البيان ٢: ٤٤٩.

مثلاً عند ما يخاطب كفّار قريش العتاة، يقاطعهم بصراحة: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ. لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ. وَ لَآ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾(١).

فكما أنّ عبادته ﷺ للأصنام ممتنعة، في جميع الأحوال، كذلك يقاطعهم أنّ عبادتهم لله تعالى ـ وهم على تلك الحالة من العتوّ والضلال ـ ممتنعة أبداً.

ومن المعلوم: أن ليس المقصود من الخطاب كلّ كافر على الإطلاق، وعلى مرّ الأيّام، بل كفرة عتاة وجحدة طغاة، كانوا يجابهون الدعوة بكلّ لجاج وعناد.

فهي قضيّة شخصيّة خاصّة بالمشافهين حال الخطاب، وليست حقيقيّة عامّة ذات الشمول.

قال سيدنا العلامة الطباطبائي ـ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(٢) ـ: هؤلاء قوم ثبتوا على الكفر وتمكّن الجحود من قلوبهم، ممّن عاندوا ولجّوا في مجابهة الدين، حتّى أفنتهم الحرب في بدر. إذ لا يمكن اطّراد مثل هذا التعبير بشأن جميع الكفّار، وإلّا لانسدّ باب الهداية، والقرآن ينادي بخلافه. وهكذا وقع مثل هذا التعبير في سورة يسٓ المكيّة. كما أنّ المراد من ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فيما أُطلق في القرآن ـ من غير قرينة ـ هم السابقون الأوّلون من المسلمين، خصّوا بهذا الخطاب تشريفاً(٣).

والخطاب، اختصاصاً بأناس، ليس من دأب الكتاب.

وغير ذلك من خصائص وميزات تجعل القرآن ذا أُسلوب خطابي، بعيداً عن أُسلوب ترقيم الكتاب.

هنا سؤال لا بدّ من التنبّه له، وهو: أنّ القرآن، إذا كانت أكثر قضاياه شخصيّة، هي قيد التاريخ، فما هي الفائدة تعود إلى كافّة الناس، والقرآن كتاب هداية عامّ؟!

وفي الإجابة على ذلك، نُلفت أنظار القارئين إلى جانب المفاهيم العامّة، المستخرجة من بطون تلكم الآيات التي تبدو في ظاهرها خاصّة حسب التنزيل.

وقد نبّهنا فيما سبق: أنّ للقرآن ظهراً وبطناً، ظهراً حسب التنزيل، خاصّاً بمن نزل في شأنهم بالذات قيد التاريخ، وبطناً حسب التأويل، هي مفاهيم عامّة، سارية وجارية مع الأبد، مستنبطة

---

(١) الكافرون ١٠٩: ١ ـ ٣. (٢) البقرة ٢: ٦.

(٣) الميزان ١: ٥٠.

من فحوى الآية وخابئة تحت ظاهر التعبير. وهذه المفاهيم العامّة الباطنة لظواهر القرآن، هي التي ضمنت بقاء القرآن عبر الخلود، والاعتبار بها، لا بظاهر التنزيل.

[م/٦٨] قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: «ولو أنّ الآية إذا نزلت في قوم، ثُمّ مات أولئك القوم، ماتت الآية، لما بقي من القرآن شيء (أي أصبح لافائدة فيه) ولكن القرآن يجري أوّله على آخره، ما دامت السماوات والأرض. ولكلّ قوم آية يتلونها، هم منها من خير أو شرّ»[١].

[م/٦٩] وفي حديث آخر: «ظهره تنزيله، وبطنه تأويله، منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعدُ، يجري كما تجري الشمس والقمر. كلّما جاء منه شيء وقع»[٢].

حجيّة ظواهر القرآن

لعلّه من بديهة القول، إنّ القرآن حجّة بالغة في كلّ تعابيره التي خاطب بها الناس أجمعين، لأنّه نزل هدىً للناس وبلسان عربيّ مبين لعلّهم يتذكّرون.

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[٣].

وفي أحاديث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والعترة عليهم السلام الشيء الكثير من الترغيب في مراجعة القرآن والتماس فرائده وعرض متشابهات الأمور عليه. وهكذا ندب الأئمة من أهل البيت عليهم السلام على التماس حقائقه والوقوف على دقائقه بالتعميق في مطاويه.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٤].

[م/٧٠] ولمّا نزلت الآية: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[٥] قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ويلٌ لمن لاكها بين لحييه ثمّ لم يتدبّرها»[٦].

[م/٧١] قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا لا خير في قراءةٍ لا تدبّر فيها»[٧].

[م/٧٢] وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّما القرآن أمثال لقوم يعلمون دون غيرهم، ولقوم يتلونه

(١) العيّاشي ١: ٢١/ ٧.

(٢) المصدر: ٢٢ ـ ٢٣/ ٥؛ بصائر الدرجات: ٢١٦/ ٧.

(٣) سورة صَ ٣٨: ٢٩.

(٤) النحل ١٦: ٤٤.

(٥) آل عمران ٣: ١٩١ ـ ١٩٢.

(٦) مجمع البيان ٢: ٤٧٠؛ شرح الباب الحادي عشر: ٥ واللفظ له.

(٧) معاني الأخبار: ٢٢٦/ ١.

حقّ تلاوته. وهم الذين يؤمنون به ويعرفونه»[١].

وقد استوفينا الكلام عن حجّية ظواهر القرآن حجّية قاطعة لا مرية فيها، وفنّدنا مزاعم القول بأنّ هناك من الأخباريين من يُنكر حجّيتها، وأنّها نسبة ظالمة تأباه طبيعة كون الكتاب هو السند الحيّ لفهم شرائع الدين ومعارفه. سوى أنّ هناك تخصيصات وتقييدات وتفاصيل لما أجمل في القرآن إجمالاً، لابدّ من التماسها من السنّة الشريفة وفي أحاديث النبيّ وعترته الأطياب (صلوات الله عليهم)، الأمر الذي يلتزم به كل فقيه بارع، سواءٌ أكان مجتهداً أُصوليّاً أم متعبّداً أخباريّاً، على سواء[٢].

السياق في القرآن

كان لسياقة الكلام دورها الأوفى في الإدلاء بمداليل الألفاظ والإيفاء بواقع المراد، وكانت تُعَدُّ من خير القرائن الحافّة المكتنفة بالكلام، والآخذة بزمامه تسوقه حيث شاء المتكلّم أو كاتب المقال.

والسياق عبارة عن اتّجاه الكلام الخاصّ، الموجب لتواثق الكلام وترابط أجزاءه مع البعض، صدراً وذيلاً وفي الأثناء، يجعل من مسيرة الكلام في اتّجاه خاصّ. وبذلك يستبين أهداف التعابير الواردة في الكلام إفراديّاً أو جمليّاً ويتبيّن وجه الاستعمال إن حقيقة أو مجازاً، ومن ثمّ فالاهتمام به كبير ولا ينبغي التغافل عنه بحال.

قال الإمام بدر الدين الزركشي: ليكن محطّ نظر المفسّر، مراعاة نظم الكلام الذي سيق له، وإن خالف أصل الوضع اللغويّ لثبوت التجوّز. ولهذا ترى صاحب «الكشّاف» يجعل الذي سيق له الكلام معتمداً، حتّى كأنّه غيره مطروح[٣].

وقال فيما إذا لم يرد في التفسير نقل عن المفسّرين ـ وهو قليل ـ: وطريق التوصّل إلى فهمه، النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق. وهذا يعتني به الراغب كثيراً في كتاب «المفردات» فيذكر قيداً زائداً على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ، لأنّه

(١) المحاسن: ٢٦٨ / ٣٥٦.
(٢) راجع ما كتبناه بهذا الصدد في كتابنا: التمهيد ٩: ٧٤ ـ ٨٥.
(٣) البرهان ١: ٣١٧، آخر النوع ٢١.

اقتنصه من السياق[١].

نعم، السّياق قد يُغيّر المعنى عن أصله اللغويّ، إن إفراديّاً أو جُملّياً، حيث الألفاظ عند التركيب تتغيّر أوجه معانيها عمّا كانت في حالة الإفراد. وهذا معنى قول الأصوليين: إنّ للجمل التركيبيّة أوضاعاً تخصّها، فيما عدا أوضاع المفردات. فإنّ للهيآت التركيبيّة أيضاً أوضاعاً إلى جنب أوضاع مفردات الكلم.

يقول محمّد رشيد رضا: على المدقّق أن يفسّر القرآن بحسب المعاني التي كانت مستعملة في عصر نزوله. والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه، بأن يجمع ما تكرّر في مواضع منه، وينظر فيه. فربما استعمل بمعان مختلفة كلفظ «الهداية» وغيره. ويحقّق كيف يتّفق معناه مع جملة معنى الآية، فيعرف المعنى المطلوب من بين معانيه. وقد قالوا: إنّ القرآن يُفَسِّرُ بعضُه ببعض، وإنّ أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ، موافقته لما سيق له من القول، واتفاقه مع جملة المعنى وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته.[٢]

* * *

أمّا مستند حجّية السياق، فهو ذاك الترابط الوثيق، القائم بين أجزاء الكلام، والمهيمن على الجوّ الذي تسير في ظلاله كوكبة الكلام. الأمر الّذي يتحقق بجلاء فيما إذا كان الكلام مترابطاً أجزاؤه في وحدة موضوعيّة متلائمة. لا إذا كان منتثراً أشلاؤه، مبعثراً هنا وهناك لا رابط بينها وثيقاً.

وقد قالوا: للمتكلّم أن يُلحق بكلامه ما شاء، مادام متكلّماً أي ما شاء من قرائن ودلائل حافّة بكلامه تعيّن اتّجاه مسيرته. أمّا إذا انقطع عن الكلام، فقد تمّت دلالته، وليس له أن يأتي بعد ذلك من تفاسير منافية لظاهر التعبير حسبما قرّر في الدعاوي والأقارير.

وعليه فما وجه حجّيّة دلالة السياق في القرآن، وقد نزل أجزاءً متفرّقة وفي مناسبات مختلفة؟!

نعم يتحقّق السياق في آية أو آيات نزلن معاً، وليس في جميع الآيات وهنّ نزلن في مقاطع أثناء السور!!

هذا صحيح، فلا سياق إلّا في كلّ مجموعة من تلك المقاطع، لا مجموعة آيات السورة، فكيف

---

(١) المصدر ٢: ١٧٢، النوع ٤١، فيما يجب على المفسّر معرفته.

(٢) المنار ١: ٢٢.

بآيات من سور غيرها؟!

* * *

لكن هناك شيءٌ يجب أن لا نتغافل عنه، وهو: ما إذا عرفنا من دأب متكلّم، أنّ سياقة كلامه متى خطب أو كتب، ذات أُسلوب خاصّ، لمسناه من صميم تعابيره أو صرّح به خبير بصير، فهذا يمكن الاتّكال على أساليبه التي دأب عليها ولمسناها عن يقين.

وهكذا لوعرفنا منه الاتّجاه نحو مرمىً خاصّ، في متنوّع كلامه ومختلف مواقفه من خطاب وعتاب. فهذا أيضاً يجوز الاعتماد على أسلوبه العامّ، في سبيل فهم مراداته من متعدّد أقواله، لأنّها جميعاً مركّزة حول محور خاصّ وإن تعدّدت المواقف. فتلك الوحدة الموضوعيّة، هي التي ربطت متنوّع كلامه، ليُصبح المجموع في حوزة واحدة محيطة بالأطراف. الأمر الذي أكّد عليه علماء التفسير في مجموعة آيات كلّ سورة، بل وفي مجموعة آيات القرآن كلّه.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ﴾(١).

قوله: «متشابهاً» أي يشبه بعضُه بعضاً. من غير ما اختلاف في التعبير والأسلوب وفي نسق البيان ولحن الخطاب.

وقوله: «﴿مَثَانِيَ﴾ جمع مثنيّة بمعنى المعطوفة، لانعطاف بعض آيه على بعض، ورجوع بعضه إلى بعض، بحيث يتبيّن بعضها من بعض ويشهد بعضها على بعض من غير اختلاف يؤدّي إلى دفع بعضه ببعض أو يناقض بعضه بعضاً، لا في الفحوى ولا في المؤدّىٰ، بل ولا في الأسلوب ولحن البيان. قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾(٢).

نعم كان القرآن في مجموعه وحدةً متماسكة الأجزاء متضامنة الأشلاء، في تراصّ وتناسق ووئام وانسجام تامّ، لا تفرقة بين أبعاضه ولا اختلاف بين أنحاء آياته. ﴿كِتَابًا مُّتَشَابِهًا﴾: متماثلا أساليب بيانه ومتناسباً ألحان خطابه، يجري أوّله على آخره، وآخره على أوسطه، على نمطٍ واحدٍ في الأداء والإيفاء. فكان القرآن ـ على مختلف مطالبه ومتنوّع مقاصده ـ ذا سياق واحد من البدء فإلى الختم. ومن ثمّ:

[م/٧٣] كان «يشهد بعضُه على بعضٍ، وينطق بعضُه ببعضٍ»، كما قال الإمام أميرالمؤمنين ـ

(١) الزُمر ٣٩: ٢٣.
(٢) النساء ٤: ٨٢.

عليه صلوات المصلّين ـ[١].

هذا بالنسبة إلى ذات القرآن نفسه وفي مجموعة آياته الكريمة، من البدء إلى الختم، كان ذا سياق واحد وتناسق فارد.

وهكذا في مجموعة آيات كلّ سورة، حيث الوحدة الموضوعيّة لكلّ سورة بذاتها، كانت هي الجامعة لشتات مواضيعها والكافلة لجمع شملها.

وذكرنا عند البحث عن التناسب القائم في كلّ سورة لوحدها: أنّ لكلّ سورة هدفاً خاصّاً أو أهدافاً خاصّة مترابطة تستهدفها لغرض الإيفاء بها وأداء ما فيها من رسالة بالذات، الأمر الذي يوجّه مصير انتخابها في كيفيّة لحن الأداء وفي كمّيّة عدد الآيات. فما لم تستوف الهدف لم تكتمل السورة، قصرت أم طالت. وهكذا اختلاف لهجاتها من شديدة فمعتدلة وإلى ليّنة خفيفة. فلا بدّ من حكمة مقتضية لهذا التنويع في العدد واللحن، لأنّه من صنع عليم حكيم.

ومن ثمّ فمن الضروري ـ بمقتضى الحكمة ـ أن تشتمل كلّ سورة على نظام وسياق خاصّ، يستوعب تمام السورة من مفتتحها حتّى الختام، وهذا هو الذي اصطلحوا عليه من الوحدة الموضوعيّة التي تحتضنها كلّ سورة بالذات.

إذن فكلّ سورة لوحدها كان لها سياقها الخاصّ، قد شمل السورة كلّها على نسق واحد وعلى نمط واحد، فصحّ الاستناد إليه في آية آية منها جميعاً على سواء.

وقد يتشكّك البعض في الأخذ بالسياق، بعد عدم الثقة بالنظم القائم بين آيات كلّ سورة، فلعلّها تغيّرت عن محالّها وحصل فيها تقديم وتأخير، ولا سيّما إذا قلنا بأنّ الترتيب القائم بين السور وكذا بين الآيات، أمر حصل على يد الصحابة، وربما جهلوا أو غفلوا عن موضع آية بالذات وسُجّلت في غير موضعها الأصل، قالوا: كما هو المحتمل في لفيف من آيات، تبدو غير متناسبة مع موضعها الخاصّ.

لكن لا موضع لهذا التشكيك بعد أن ثبت أنّ النظم القائم بين آيات كلّ سورة، هو النظم الطبيعي حسب النزول، وإن حصل فيه تغيير ـ أحياناً ـ فبأمر الرسول ﷺ ومن غير أن يكون لأحد سواه يدٌ في نظمها واتّساقها. ومن ثمّ فمن الضروري هو الالتزام بأنّ النظم القائم بين الآيات وترتيبها

---

(١) نهج البلاغة ٢: ١٧، الخطبة ١٣٣.

توقيفي محضاً، لا يجوز مسّها على أيّ حال[١].

أمّا ترتيب السور فقد حصل بعد وفاته ﷺ وعلى يد صحابته الكبار. ولا مساس له بمسألة السياق كما لا يخفى.

إذن فأصالة السياق ـ حسب النظم القائم بين آيات السُّوَر ـ هي المحكّمة وعليها المعوّل في الاستناد والاستنباط.

وهناك جانب آخر من السياق ولعلّه أهمّ، وهو: جانب سياق كلّ آية بذاتها، أو مجموعة آيات نزلن معاً، وهي كُتَل، كلّ كتلة هي مجموعة آيات مترابطة بعضها مع البعض في المرمى والنزول جميعاً، عُرفت باسم مقاطع الآيات من كلّ سورة.

وهذا من أقوى السياق المساعد على فهم معاني الآيات مباشرة.

فمجموعة آيات نزلن جملةً بشأن مناسبة خاصّة أو في حادث خاصّ، يصلح بعضها دليلاً (قرينة) على فهم البعض، قرينة متّصلة بالكلام.

فالسياق بكلّيّته يُلحظ تارة إلى القرآن كلّه في سياقه العامّ من فاتحته حتّى الختام. وأخرى بلحاظ كلّ سورة بذاتها باعتبار الوحدة الموضوعيّة فيها. وثالثة سياق جملة من آيات نزلن معاً أو آية برأسها نزلت لوحدها. ولكلّ هذه السياقات بأنحائها الثلاثة مجالها الخاصّ، وتصلح قرينة على فهم المراد والحصول على حقيقة المفاد.

وإليك نماذج من دلالات السياق على أنحائه الثلاثة:

أمّا السياق العامّ، فهو المقصود من قولهم: القرآن يفسّر بعضه بعضاً، أو كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «يشهد بعضه على بعض وينطق بعضه ببعض»[٢].

فربّ آية في موضعها الخاصّ ذات إبهام لا تنطق، وإنّما يرفع إبهامها ويُنطقها آية أخرى نظيرتها في المؤدّى والمفاد.

ومن ثَمَّ قيل: أحسن التفسير وأفضله، أن يُستند لتفسير آية إلى آية أخرى نظيرتها في السياق.

قال الإمام بدر الدين الزركشي: أحسن طريق التفسير أن يفسّر القرآن بالقرآن، فما أُجمل في مكان، فقد فُصّل في موضع آخر، وما اختصر في مكان، فإنّه قد بُسط في آخر[٣].

---

(١) راجع ما أوردناه بهذا الصدد في كتابنا التمهيد ١: ٢٨٠ ـ ٢٨٤.

(٢) نهج البلاغة ٢: ١٧، الخطبة ١٣٣.

(٣) البرهان ٢: ١٧٥.

وقال سيّدنا العلّامة الطباطبائي: الطريقة المرضيّة في تفسير القرآن، أن نفسّر القرآن بالقرآن ونستوضح معنى آية من نظيرتها، بالتدبّر المندوب إليه في نفس القرآن. قال تعالى: ﴿وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[1] وحاشا القرآن أن لا يكون تبياناً لنفسه[2].

ومن ثَمَّ فقد جرى المفسِّرون الأوائل، ومن ورائهم الأواخر، على التماس معاني القرآن من نفس القرآن وإنطاق بعض آيها ببعض مهما أمكن، ثمّ التعرّج إلى مسائلة السنّة وأقوال السلف وسائر منابع التفسير.

مثلاً: قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾[3] تهديداً لمن لم يُعر انتباهه لمواعظ الدِّين ولم يستجب لله وللرسول إذا دعاهم لما يحييهم، يُتساءل: ما هذه الحيلولة المتوعّد بها وكيف يكون هو الله حائلا بين المرء وقلبه؟

وللإجابة على ذلك، يكفينا الرجوع إلى آية أخرى نظيرتها في السياق: قوله تعالى ـ في سورة الحشر: ﴿وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾[4]. حيث الحيلولة ـ المهدّد بها ـ هي نسيان الذات، إذا لم يتّعظ المرء بمواعظ الله العزيز الحكيم.

ولا يخفى أنّ سياق الآية ذاتها أيضاً يرجّح هذا المعنى، حيث إنّه سياق التهديد كما ذكرنا.

وقد فصّلنا الكلام حول الآية في كتابنا التمهيد[5]، والأمثلة على ذلك كثيرة جدّاً. وقد دأب سيّدنا العلّامة الطباطبائي على انتهاج هذا النمط من التفسير.

قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ﴾[6]. ما هذا الرتق والفتق؟ فيه أقوال:

أحدها:

[م / ٧٤] كانتا ملتصقتين، ففصّل الله بينهما بالهواء. نُسِبَ ذلك إلى ابن عبّاس والضحّاك وقتادة والحسن.

ثانيها:

[م / ٧٥] كانت السماء مطبقة (ذات طبقة واحدة مرتتقة) ففتقها الله أي جعلها سبع سماوات.

---

(١) النحل ١٦: ٨٩.

(٢) الميزان ١: ٩. (في المقدّمة).

(٣) الأنفال ٨: ٢٤.

(٤) الحشر ٥٩: ١٩.

(٥) التمهيد ٣: ٢١١ ـ ٢٢٦ / ٨٠.

(٦) الأنبياء ٢١: ٣٠.

وكذلك كانت الأرض مطبقة، فجعلها الله سبع أرضين. عن مجاهد والسدّي.

ثالثها:

[م/٧٦] كانت السماء رتقاً (أي منسدّاً أبوابها) لا تمطر. وكانت الأرض رتقاً لاتنبت. ففتقناهما ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَابَ السَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾(١) ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا. فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا. وَ عِنَبًا وَ قَضْبًا. وَزَيْتُونًا وَ نَخْلاً﴾(٢).

قالوا: وهو قوله تعالى: ﴿وَ السَّمَآءِ ذَاتِ الرَّجْعِ. وَ الْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾(٣).

وفسّروا الرجع بالمطر، لردّ الهواء ما تناوله من الماء، والصدع هو: الشقّ. روي ذلك عن عكرمة وعطيّة وابن زيد.

[م/٧٧] قال الطبرسيّ: وهو المرويّ عن الباقر والصادق عليهما السلام(٤).

هذا وقد رجّح أبو جعفر الطبريُّ القولَ الأخير، بحجّة سياق الآية، حيث قوله تعالى ـ تعقيباً على ذلك ـ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ جعله أبو جعفر أولى الأقوال بالصواب، قال: وإنّه تعالى لم يعقّب ذلك بوصف الماء بهذه الصفة إلّا والذي تقدّمه من ذكر أسبابه(٥).

وهنا تنبّه أبو جعفر لإشكالٍ هو: أنّ المعهود، نزول المطر من السماء الدنيا، لا السماوات السبع!؟ لكنّه تورّط في الجواب بما لا يفيد.

قال البيضاوي: وعليه فالمراد بالسماوات هي سماء الدنيا، وجمعها باعتبار الآفاق. أو لعلّ للسماوات بأسرها مدخلاً في الإمطار(٦).

لكنّه خلاف التحقيق، والتعبير أيضاً. والرواية عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام ضعيفة لجهالة في السند(٧).

أمّا ما وهموه مستنداً لهذا الترجيح، فهو مجرّد تعقيب وليس تفريعاً كما زعموا. وقد ذكر تعالى هنا أربع آيات متعاقبة. أولاها: حادث الرتق والفتق. ثانيها: جَعَل من الماء كلّ شيء حيّ. ثالثها: جَعَل في الأرض رواسي أن تميدبهم. رابعها: جَعَل السماء سقفاً محفوظاً. كلّ واحدة آية برأسها،

(١) القمر ٥٤: ١١.

(٢) عبس ٨٠: ٢٦ـ٢٩.

(٣) الطارق ٨٦: ١١ـ١٢.

(٤) مجمع البيان ٧: ٨٢.

(٥) الطبري ١٠: ٢٧.

(٦) البيضاوي ٤: ٣٩.

(٧) راجع ما كتبناه بهذا الصدد: التمهيد ٦: ١٢٩ فما بعد.

تدلّ على أنّه واحد ولا مساس لإحداها بالأخرى فلا تفريع هناك.

قال المجلسيّ العظيم[١]: هذا الذي ذكروه خلاف ما أثر عن مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام حيث قوله في خلق العالم:

[م/٧٨] «ثمّ أنشأ سبحانه فتق الأجواء، وشقّ الأرجاء، وسكائك الهواء ـ إلى قوله ـ: ثمّ فتق ما بين السماوات العُلىٰ، فملأهنّ أطواراً من ملائكته»[٢].

[م/٧٩] وقال ـ في عجيب صنعته ـ: ففتقها سبع سماوات بعد ارتتاقها[٣].

وهذا المعنى هو الذي جاءت الإشارة إليه في آية أخرى في سياقتها، قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰٓ إِلَى السَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾[٤].

فالدخان ـ وهي المادّة الأولى لخلق السماوات ـ هو الأصل، ومنه تفرّعت السماوات العلى وظهرت إلى الوجود. قوله: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ يدلّ على سبق مادّتهنّ على وجودهنّ، فأفاض عليهنّ الصور المائزة بينهنّ. ويدلّ عليه أيضاً قوله في سورة النازعات: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾[٥]. سوّاهنّ برفع سمكهنّ، كناية عن تمدّد وتمطّط في جوانبها، لتأخذ شكلها الخاصّ.

ونظرة تفرّع الموجودات من أصل واحد، فتقاً بعد رتق، نظرة قديمة، حدّث بها التوراة في أصل التكوين أيضاً. قال الإمام الرازيّ ـ في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا﴾[٦] ـ: كانت اليهود والنصارى ومن يليهم من المشركين عالمين بذلك، فإنّه جاء في التوراة: «إنّ الله تعالى خلق جوهرة، ثمّ نظر إليها بعين الهيبة فصارت ماءً، ثمّ خلق السماوات والأرض منها وفتق بينها»[٧].

وتقول النظرة الحديثة: إنّ الكون في أصله سَديم، جَمعُه سُدُم[٨]. والسديم يُشبه سحابة من غاز وغبار، وأصحّ تعبير عنه ما جاء في القرآن: الدخان: كتلة غازيّة هائلة، كانت النجوم والكواكب وسائر الأجرام العلويّة إنّما وجدت على أثر تكاثف تلك الغازات والغبارات الموجودة في الفضاء.

---

(١) مرآة العقول ٢٥: ٢٣٢.

(٢) نهج البلاغة ١: ١٧ـ ١٩، الخطبة ١.

(٣) المصدر ٢: ١٩١، الخطبة ٢١١.

(٤) فصّلت ٤١: ١١ـ ١٢.

(٥) النازعات ٧٩: ٢٨.

(٦) الأنبياء ٢١: ٣٠.

(٧) التفسير الكبير ٢٢: ١٦٢. والنسخ الموجودة من التوراة حالياً فاقدة لهذه العبارة، ولعلّها ذهبت أدراج سلسلة التحريف، التي كانت مستمرّة ولا تزال.

(٨) والسديم: أصله الضباب أو الرقيق منه. واستعير للمادّة الغازيّة الغباريّة التي تكوّنت منها الأجرام السماويّة. ويطلق عليها اسم «الأثير» في مصطلح العلم القديم وسمّي بالعنصر الخامس غير الخاضع للكون والفساد، كما في سائر العناصر الأربعة في مصطلحهم.

وقد شرحنا هذا الجانب من تفسير الآية، في مباحثنا عن الإعجاز العلمي في القرآن [١].

* * *

وكذا لكلّ سورة سياقها الخاصّ يشي بموضعها من النزول، كان في أوائل البعثة أو بعدها وقبل الهجرة أو بعدها، أيّام كان المسلمون في ضعف أو في قوّة وشوكة، مُهدَّداً في جوّ حالك أم مشرّعاً في جوّ وادع هادئ. وبذلك قد يتبيّن وجه دلالة الآية ـ في كنف السياق ـ: أنّه تكليف أو إرشاد، تبشير أو إنذار. وما إلى ذلك من ظروف وشرائط تكتنف الآية والتي يهتمّ بها أهل النظر والتحقيق.

مثلاً: قوله تعالى ـ موبّخا للمشركين ـ: ﴿وَ وَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ. الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [٢]، توبيخ لاذع لأولئك المشركين الذين لا يقومون بفريضة الزكاة.

استدلّ بعض الفقهاء بهذه الآية، دليلاً على أنّ الكفّار مكلّفون ـ شرعاً ـ بالفروع، كما هم مكلّفون ـ عقلا ـ بالأصول.

وردّ عليهم سيدنا الأستاذ [٣] الإمام الخوئي ـ طاب ثراه ـ بأنّ الآية في سياق سورة مكّيّة، ولعلّها قبل الهجرة بمدّة ـ إذا لاحظنا أنّ مجموعة السور التي نزلت بمكة هي ٨٦ سورة، وكان رقم نزول هذه السورة ٦١.

أمّا وجه التوبيخ أو العتاب فلأنّهم خسروا بأنفسهم عن الاستضاءة بنور الإسلام، ومن جملتها: حرمانهم عن فرائض واجبة، هي زكاة النفس وتطهيرها، حرموا عنها بسبب لجاجهم عن الحقّ الصريح. فكان التوبيخ على ترك الإسلام الذي استعقب ترك فرائضها القيّمة وليس توبيخاً على ترك الزكاة، توبيخاً مباشراً.

على أنّ الزكاة فرضت بعد الهجرة إلى المدينة، ولم تكن فرضت في مكّة حتّى على المسلمين، أللّهمّ سوى الإنفاق في سبيل الله، وقد أطلق عليه الزكاة بمفهومها العامّ.

* * *

أمّا السياق في آية أو آيات فكثير للغاية، وبذلك قد يتعيّن معنىً للفظٍ، حسب اتّجاه الآية وسياقها.

---

(١) التمهيد ٦: ١٢٩ ـ ١٣٨.

(٢) فصّلت ٤١: ٦ ـ ٧.

(٣) في جلسة الدرس في النجف الأشرف.

مثلاً: لفظة «الدِّين» له معان حسب استعمالاته، وكثيراً مّا يتعيّن أحد معانيه بدلالة السياق، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[1] أريد به: الملّة والشريعة بقرينة السياق. وهكذا في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[2]. وقوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[3]. وغيرها من آيات جاء استعمال لفظة الدين فيها بمعنى الشريعة وهي الطريقة المستقيمة.

وفي أكثر من عشرة مواضع من القرآن، جاء التعبير بيوم الدين، وأريد به: يوم الجزاء.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾[4]. ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾[5]. ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾[6]. ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ. يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾[7]. ﴿وَمَآ أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ. ثُمَّ مَآ أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ. يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾[8]. ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾[9].

وجاء استعماله بمعنى الطريقة والمنهج ـ الذي هو أصله في اللغة ـ في قوله: ﴿مَاكَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾[10] أي في مرسوم تلك البلاد. كلّ ذلك يعرف بقرينة السياق.

وذكر السيد رضي الدين محمّد بن الحسن الشريف الموسوي، في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾[11]، أنّ المراد بهذا المُلك الذي يؤتيه الله من يشاء وينزعه عمّن يشاء، هو الملك في الحياة الدنيا. وفنّد رأي من زعم أنّه نعيم الآخرة. وذلك نظراً لسياق الآية حيث تعقيبها بقوله: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾. فإنّه كلام عن العزّ والذلّ في هذه الحياة، لا حياة الآخرة[12]. وكذا بقيّة الآية إلى قوله: ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[13].

---

(١) التوبة ٩: ٣٣.
(٢) البيّنة ٩٨: ٥.
(٣) آل عمران ٣: ١٩.
(٤) الشعراء ٢٦: ٨٢.
(٥) الذاريات ٥١: ١٢.
(٦) المعارج ٧٠: ٢٦.
(٧) الانفطار ٨٢: ١٥.
(٨) الانفطار ٨٢: ١٧ ـ ١٩.
(٩) سورة صٓ ٣٨: ٧٨.
(١٠) يوسف ١٢: ٧٦.
(١١) آل عمران ٣: ٢٦.
(١٢) حقائق التأويل: ٦٥ ـ ٦٦.
(١٣) آل عمران ٣: ٢٧.

شرط الأخذ بالسياق

إن كان الأخذ بالسياق ممّا يعود إلى السياق العامّ في جملة آيات القرآن، فهذا ممّا لا شرط له سوى إحراز وحدة الاتّجاه بين الآيتين: المجملة والمبيّنة. لتصلح إحداهما بياناً للأخرى، نظراً لوحدة الاتّجاه. وهكذا في الأخذ بسياق السورة، نظراً للوحدة الموضوعيّة، السائدة على مجموعة آيات كلّ سورة، كما نبّهنا.

إنّما الكلام في الأخذ بسياق آية أو مجموعة آيات نزلن معاً وفي مقطع واحد، فهذا يشترط فيه أوّلاً: تعاقب نزول جملاتها ـ في آية واحدة ـ وتتابع نزول آيات هي متراصّة في تلك المجموعة فلا بدّ من إحراز ذاك التعاقب وهذا التتابع في النزول.

وثانياً: وحدة موضوعيّة سائدة على تلك الجمل أو الآيات التي هي متراصّة جنباً إلى جنب. وعليه فلو كان هناك تفكّك في ترتيب النزول أو في الموضوع، فلا موضع للاستناد إلى السياق، بعد الاختلاف في الاتّجاه، الأمر الذي تغافله كثير من الباحثين.

مثلاً ما ورد بشأن عدد المقاتلين ـ فيما إذا بلغوه وجب عليهم النضال ـ جاء أوّلاً: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾[1]. واحدٌ تجاه عشرة.

ثمّ نُسخ بواحدٍ تجاه اثنين: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾[2].

أنكر سيدنا الأستاذ الإمام الخوئي ـ طاب ثراه ـ وقوع نسخ بين الآيتين، بحجّة عدم فصل بينهما نزولاً، ولشهادة السياق بنزولهما دفعةً.

قال: إنّ القول بالنسخ يتوقّف على إثبات الفصل بين الآيتين نزولاً، وإثبات أنّ الثانية نزلت بعد العمل بالأولى، لئلّا يلزم النسخ قبل حضور وقت الحاجة، وإلّا كان التشريع الأوّل لغواً. قال: أضف إلى ذلك أنّ سياق الآيتين أصدق شاهد على أنّهما نزلتا مرّةً واحدةً.

ونتيجةً على ذلك، ذهب إلى إحكام الآية الأولىٰ وأنّ الحكم فيها استحبابيّ[3].

لكنّه ـ طاب ثراه ـ لم يذكر سند استظهاره الأخير، وكيف أنّ السياق يدلّ على اتصال نزولهما معاً من غير فصل زمنيّ؟!

(١ و٢) الأنفال ٨: ٦٥ ـ ٦٦.

(٣) راجع: البيان: ٣٧٥ ـ ٣٧٦.

ومن ثمّ فإنّ العكس هو الظاهر من السياق، حيث قوله تعالى: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾، يدلّ بوضوح على تأخّر نزول الثانية عن الأولى بفترة، ربما غير قصيرة، مرّت خلالها تجربة عنيفة على المسلمين، ظهر فيها ضعفهم وتثاقلهم عن التكليف الأوّل. فإنّ لفظة «الآن» تدلّ دلالة واضحة على تلك الفترة، ولولاها لم يكن موقع لهذه اللفظة أصلاً. وهكذا التعبير بالتخفيف يدلّ على تكليف شاقٍّ سابقٍ، الأمر الذي يتناسب مع كونه إلزامياً لا الاستحباب. وأخيراً فإنّ قوله: ﴿عَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ أيضاً خير شاهد على هذا الفصل. إذ المعنى: ظهر أنّ فيكم ضعفاً، مما يتناسب مع وقوع تجربة ظهر خلالها ضعف المسلمين ووهنهم عن مناضلة أضعافهم بعشرات![1]

* * *

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2] هذه الآية ضمنت سلامة القرآن عن تطرّق الحدثان. وهو ضمان إلٰهي، والله لا يُخلف الميعاد.

لكنّ بعض من يروقه القول بالشذوذ، احتمل عود الضمير إلى المنزّل عليه الذكر وهو النبيّ ﷺ أي: وإنّا لمحمّد لحافظون[3]. فهي نظير قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[4].

لكن لا رابط ـ سياقاً ـ بين الآيتين، بعد أن كانت الأولى في سورة مكّيّة (الحجر) (رقم نزولها: ٥٤). والثانية في سورة مدنيّة (المائدة) ولعلّها من أخريات السور المدنيّة (رقم نزولها: ١١٣).

هذا فضلاً عن أنّ آية الحفظ مسبوقة ـ في نفس سورتها ـ بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[5]، في ثلاث آيات قبلها وهي تصلح قرينة لتعيين مراده تعالى من الذكر في آية الحفظ، ولا دليل على إرادة خلاف ظاهر هذا السياق[6].

وأمّا الشرط الثاني، فالعناية بوحدة الموضوع في اتّجاه الآيتين أو سياق الآيتين، لضرورة وجود الترابط بين الاتّجاهين.

مثلاً قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[7]. وقعت هذه الآيات بين آيات تحدّثت عن أحوال القيامة وأهوالها، سبقاً ولحوقاً.

---

(١) راجع: التمهيد ٢: ٢٩٧ ـ ٢٩٨.
(٢) الحجر ١٥: ٩.
(٣) ذكره الفرّاء نقلاً عن بعضهم (معاني القرآن ٢: ٨٥) وانتهزه المحدّث النوري في فصل الخطاب: ٣٦٠.
(٤) المائدة ٥: ٦٧.
(٥) الحجر ١٥: ٦.
(٦) راجع: البيان للإمام الخوئي: ٢٢٦.
(٧) القيامة ٧٥: ١٦ ـ ١٩.

ذهب المشهور إلى أنّ هذه الآيات خطاب مع النبيّ ﷺ بنهيه عن التسرّع بقراءة آية فور نزولها وقد اكتنفتها آيات قبلها وبعدها تحدّثت عن أحوال القيامة وأهوالها. فلا رابط بينهنّ، حيث اختلاف الاتّجاه.

وقال البلخي[١]: الذي أختارُه: أنّه لم يُرد القُرآنَ، وإنّما أراد قراءةَ العباد لكُتُبهم يَوْمَ القيامة. يدلّ على ذلك ما قبله وما بعده، وليس فيه شيء يدلّ على أنّه القرآنُ ولا شيءٌ من أحكام الدنيا. وفي ذلك تقريع للعبد وتوبيخ له حين لا تنفعه العجلة. يقول: لا تحرّك لسانك بما تقرأه من صحيفتك التي فيها أعمالك. يعني: اقرأ كتابك ولا تعجل، فإنّ هذا الذي هو على نفسه بصيرة إذا رأى سيّئاته ضجر واستعجل، فيقال له توبيخاً: لا تعجل وتثبّت، لتعلم الحجّة عليك، فإنّا نجمعها لك. فإذا جمعناه فاتّبع ما جمع عليك، بالانقياد لحكمه والاستسلام للتبعة فيه، فإنّه لا يمكنك إنكاره ـ ثمّ إنّ علينا بيانه ـ لو أنكرت.

[م / ٨٠] وقال الحسن: معناه: ثمّ إنّ علينا بيان ما أنبأناك أنّا فاعلون في الآخرة وتحقيقه[٢].

وهكذا ذهب إلى هذا الرأي من المعاصرين الشيخ محمود شلتوت، قائلا: وهنا ـ يوم القيامة ـ تقدّم له صحف أعماله ونيّاته فينبّأ بما قدّم وأخّر وعندئذٍ يحاول أن يخلص من صحيفته فيعجل بقراءتها لتطوى ويفرغ من حسابه وموقف خزيه، فيعلن بأنّ الأمر في ذلك ليس إليه، وإنّما هو إلى الله[٣].

وأمّا سيّدنا العلّامة الطباطبائي فدافع عن الرأي المشهور وقال ـ ردّاً على رأي البلخي ـ: إنّ المعترضة لاتحتاج في تمام معناها إلى دلالةٍ ممّا قبلها وما بعدها عليه. على أنّ مشاكلة قوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾[٤] في سياقه لهذه الآيات، تؤيّد مشاكلتها له في المعنى[٥].

قلت: إن أراد ﷺ من المعترضة، أنّ هذه الآيات الأربع، من قبيل الجمل المعترضة أثناء الكلام، فقد صرّح علماء البيان بأن لا بدّ فيها من كمال الارتباط، إمّا تعليلاً لحكم أو تدليلاً أو

---

(١) هو أبو القاسم عبدالله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي، العالم المشهور، كان رأس طائفة من المعتزلة، وهو صاحب مقالات وكان من كبار المتكلّمين. توفّي سنة ٣١٧. (ابن خلكان ٣: ٤٥ / ٣٣٠).

(٢) مجمع البيان ١٠: ١٩٧.

(٣) إلى القرآن الكريم: ١٨١.

(٤) طه ٢٠: ١١٤.

(٥) الميزان ٢٠: ١٩٧.

توضيحاً وما شاكل. كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ ـ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ـ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾[1]. فإنّ الجملة المعترضة هنا، كانت لإيفاد معنى التحسّر في كلامها، وأنّها لم تُرد الإخبار. إذ لا موضع لتحسّرها بعد أن كانت الأنثى التي منحت بها، هي أفضل من الذكر الذي كان بحسبانها.

إذن فليست الجمل المعترضة اعتباطاً في الكلام، لا رابط بينها وبين مكتنفاتها.

وعليه فلو قلنا بأنّ هذه الآيات الأربع ـ من سورة القيامة ـ سياقها سياق الآية من سورة طه، في النهي عن العجلة بالقرآن من قبل أن يقضى إليه وحيه. فلا بدّ أن نلتزم بأنّها أقحمت هنا إقحاماً ومن غير ترابط بينها وبين مكتنفاتها. إذ السورة في سياقها بعد هذه الآيات الأربع تعود إلى سياقها الأوّل تماماً.

فضلاً عن عدم تناسب استعمال لفظة «كلّا» مرّتين بعد هنّ.

ومن غريب الأمر: أنّ الزمخشري ـ على جلالته واعتلاء مقامه الأدبي والعلمي ـ يجعل «كلّا» ـ الأولى ـ ردعاً للرسول ﷺ عن عادة العجلة وإنكاراً لها عليه!

هذا ولا سيّما مع قوله: ﴿بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ. وَ تَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾[2] تذييلا لكلّا!

قال: فإن قلت: كيف اتّصل قوله ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ بذكر القيامة؟ قلت: اتّصاله به من جهة هذا، للتخلّص منه إلى التوبيخ بحبّ العاجلة وترك الاهتمام بالآخرة[3]. تعليل أغرب!!

ونقل الإمام الرازي عن القفّال[4]: أنّ قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ ليس خطاباً مع الرسول ﷺ بل خطاب مع الإنسان المذكور في قوله: ﴿يُنَبَّؤُا الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَ أَخَّرَ﴾[5]، فكان ذلك للإنسان حال ما ينبّأ بقبائح أفعاله، وذلك بأن يُعرض عليه كتابه فيقال له: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[6]. فإذا أخذ في القراءة تلجلج لسانه من شدّة الخوف وسرعة القراءة، فيقال له: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ

---

(١) آل عمران ٣: ٣٦.
(٢) القيامة ٧٥: ٢٠ـ٢١.
(٣) الكشّاف ٤: ٦٦٢.
(٤) هو أبوبكر عبدالله بن أحمد بن عبدالله، المعروف بالقفّال المروزي، الفقيه الشافعي، كان وحيد زمانه فقهاً وحفظاً، له في مذهب الإمام الشافعي من الآثار ما ليس لغيره من أبناء عصره. وتخاريجه كلّها جيّدة وإلزاماته مقبولة. تتلمذ على يديه جماعة من أكابر العلماء، منهم الشيخ أبو محمّد الجويني والد إمام الحرمين. توفّي سنة ٤١٧ وقد بلغ التسعين. (ابن خلكان ٣: ٤٦ / ٣٣١).
(٥) القيامة ٧٥: ١٣.
(٦) الإسراء ١٧: ١٤.

لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾، فإنّه يجب علينا بحكم الوعد أو بحكم الحكمة أن نجمع أعـمالك عـليك وأن نقرأها عليك، فإذا قرأناه عليك فاتّبع قرآنه، بالإقرار بأنّك فعلت تلك الأفعال. ثمّ إنّ علينا بيان أمره وشرح مراتب عقوبته.

وحاصل الأمر من تفسير هذه الآية، أنّ المراد منه: أنّه تعالى يقرأ على الكافر جميع أعـماله على سبيل التفصيل، وفيه أشدّ الوعيد في الدنيا وأشدّ التهويل في الآخرة.

قال القفّال: فهذا وجه حسن، ليس في العقل ما يدفعه، وإن كانت الآثار غير واردة به![1]

قال السيّد محمود الآلوسيّ: فالربط عليه ظاهر جدّاً. ومن هنا اختاره البلخي ومن تبعه. لكنّه مخالف للصحيح المأثور الذي عليه الجمهور[2].

وقال جمال الدين القاسمي: زعم ابن حجر أنّ الحامل على هذا الوجه هو عسر بيان المناسبة بين هذه الآية وقريناتها من السورة. أي ولمّا بيّن الأئمّة وجه المناسبة، لم يبق وجه للذهاب إلى هذا الوجه.

قال القاسمي: مع أنّ هذا الوجه ـ الذي ذكره القفّال ـ هو فيما يظهر، فيه غاية القوّة والارتباط بما قبله وما بعده، ممّا يؤثره على المأثور، الذي قد يكون مدركه الاجتهاد، والوقوف مـع ظـاهر ألفاظ الآية[3].

والأثر الذي يشير إليه الآلوسيّ هو:

[م / ٨١] ما رواه البخاري بإسناده إلى سعيد بن جبير عن ابن عبّاس، قال: كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدّة، وكان ممّا يحرّك به شفتيه. قال ابن عبّاس: فأنا أحرّكهما لكم كما كان رسول الله ﷺ يحرّكهما.

وقال سعيد: أنا أحرّكهما كما رأيت ابن عبّاس يحرّكهما، فحرّك شفتيه.

قال: فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾[4] فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق قرأه[5].

---

(١) التفسير الكبير ٣٠: ٢٢٣ ـ ٢٢٤.
(٢) روح المعاني ٢٩: ١٤٤.
(٣) تفسير القاسمي ٧: ٢٢٢.
(٤) القيامة ٧٥: ١٦.
(٥) البخاري ١: ٤، باب بدء الوحي.

في هذا الحديث نكارة من وجوه: إذ لفظ التنزيل: تحرُّك اللّسان، لا تحرُّك الشفتين! ثمّ كيف شاهد ابن عبّاس تحرُّكَ شفتي رسول الله ﷺ ليحاكيه، ولم يكن وُلد بعدُ، إذ ولادته قبل الهجرة بثلاث سنين، وسورة القيامة من أوليات السور التي نزلت بمكّة.

قال ابن حجر: يجوز أن يكون النبيّ ﷺ أخبره بذلك بعدُ أو بعض الصحابة أخبره أنّه شاهد النبيّ[١].

قلت: إن أخذنا بسياق السورة، فالترجيح مع رأي البلخي والقفّال ومن تابعهما. ولم يرد على خلافه أثر صحيح معتمد.

والعجب من الآلوسي في قوله: الخطاب في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ للنبيّ ﷺ، والضمير للقرآن، لدلالة سياق الآية، نحو ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[٢]. فأخذ بسياق الآية ذاتها، منقطعاً عن سياق السورة العامّ.

وقد عرفت من سيّدنا الطباطبائي: أنّه اعتبر الآية مشاكلة لنظيرتها من سورة طه، الآية رقم ١١٤، فهي نظيرتها في المعنى والمراد، رغم مباينتها مع مكتنفاتها في المعنى والسياق.

---

(١) فتح الباري ١: ٢٨.

(٢) روح المعاني ٢٩: ١٤٢. والآية رقم ١ من سورة القدر (٩٧).

صيانة القرآن من التحريف

﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(١)

قال الشريف المرتضى علم الهدى: إنّ العلم بصحّة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة وأشعار العرب المسطورة، فإنّ العناية اشتدّت والدواعي توفّرت على ضبطه وحراسته، وبلغت إلى حدٍّ لم يبلغه غيره، لأنّ القرآن معجزة النبوّة ومأخذ العلوم الشرعيّة والأحكام الدينيّة، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية، حتّى عرفوا كلّ شيء اختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيّراً ومنقوصاً، مع العناية الصادقة والضبط الشديد؟!

وذكر: أنّ من خالف في ذلك من الأخباريّة والحشويّة، لا يعتدّ بخلافهم، فإنّ الخلاف في ذلك معزوّ إلى قوم من أصحاب الحديث، نقلوا أخباراً ضعافاً ظنّوا صحّتها، لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على سلامته(٢).

نعم هناك شذّت روايات، أو شئت فقل: حكايات عن السلف، أوهمت حصول تغيير في بعض ألفاظ القرآن ولو يسيراً، ممّا غرّ أهل الحشو والأخباريّين من أهل الحديث، فحسبوا تحريفاً في

---

(١) فصّلت ٤١: ٤٢.

(٢) مجمع البيان ١: ٤٢ ـ ٤٣، المقدّمة ـ الفنّ الخامس، بتصرّف يسير وتبيين.

كتاب الله الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.

[م/٨٢] روى الإمام مالك ـ في الموطّأ ـ بإسناده إلى عمرة بنت عبدالرحمان عن عائشة، قالت: كانت فيما أنزل من القرآن: «عشر رضعات معلومات يحرّمن» ثُمّ نسخن بخمس معلومات. فتوفّي رسول الله ﷺ وهنّ فيما يقرأ من القرآن(١).

وهكذا روى مسلم في صحيحه عن طريق مالك وعن طريق يحيى بن سعيد(٢).

قولها: «فتوفّي رسول الله وهنّ فيما يقرأ من القرآن». تعني: أنّ الآيتين، الناسخة والمنسوخة، كلتيهما كانتا مثبتتين في المصحف الشريف، وكان المسلمون يتلونهما حتّى ما بعد وفاته ﷺ ولو قصيراً لأنّها قالت: لقد كان في صحيفة تحت سريري، فلمّا مات رسول الله ﷺ وتشاغلنا بموته، دخل داجن البيت فأكلها(٣).

وهذا منها وهم أو من الراوي، لأنّ الآية إذا كانت مثبتة في المصحف ويقرأها المسلمون، فلا يمكن ذهابها باقتيات سخلة هي في بيت عائشة، فما شأن سائر الصحف عند المسلمين والمحتفظ في صدورهم يرتّلونه ترتيلاً؟!

قال الزيعلي ـ تعليقاً على رواية مسلم ـ: لاحجّة في هذا الحديث، لأنّ عائشة أحالتها على أنّه قرآن. وقد ثبت أنّه ليس من القرآن، لعدم التواتر، ولا تحلّ القراءة به ولا إثباته في المصحف، ولأنّه لو كان قرآناً لكان متلوّاً اليوم. إذ لانسخ بعد النبيّ ﷺ.

قلت: ومن ثمّ ترك البخاري روايته، وكذا أحمد في مسنده، نظراً لغرابته الشائنة. فمن الغريب ما ذكره ابن حزم بشأن هذه الرواية ورواية رجم الشيخ والشيخة ـ حسبما تأتي ـ قال: وهذان خبران في غاية الصحّة وجلالة الرواة وثقتهم، ولا يسع أحداً الخروج عنهما. واعتذر بأنّه مما بطل أن يكتب في المصاحف وبقي حكمه كآية الرجم سواءً بسواءٍ(٤).

وذكر بعضهم: أنّه من منسوخ التلاوة بالإنساء من الصدور والإمحاء من الصحائف(٥). لكن هل

---

(١) الموطّأ ٢: ٦٠٨ / ١٧؛ تنوير الحوالك في شرح الموطّأ، للسيوطي ٢: ١١٨، آخر كتاب الرضاع.

(٢) مسلم ٤: ١٦٧؛ الدارمي ٢: ١٥٧؛ أبو داوود ١: ٤٥٨ / ٢٠٦٢، باب ١١.

(٣) ذكره الزيعلي بهامش مسلم.

(٤) المحلّى ١٠: ١٤ و ١٦.

(٥) راجع: نكت الانتصار ـ للقاضي أبي بكر البلاقلاني: ٩٥ ـ ١٠٨. وأصول السرخسي ٢: ٨٠.

من نسخٍ بعد وفاة الرسول وبعد انقطاع الوحي؟!

[م/٨٣] ونظير ذلك ما رواه البخاري ومسلم بإسنادهما عن ابن عبّاس، قال: خطب عمر بعد مرجعه من آخر حجّة حجّها، قال فيها: إنّ الله بعث محمّداً ﷺ بالحقّ، وأنزل عليه الكتاب، فكان ممّا أنزل الله آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها. فأخشى إن طال بالناس الزمان أن يقول قائل: ما نجد آية الرجم في كتاب الله[١] وزاد مالك في الموطّأ: لولا أن يقول الناس: زاد عمر في كتاب الله لكتبتها: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة». فإنّا قد قرأناها.

قال مالك: قال يحيى بن سعيد: قال سعيد بن المسيّب: فما انسلخ ذو الحجّة حتّى قتل عمر. قال يحيى[٢]: سمعت مالكاً يقول: قوله: الشيخ والشيخة، يعني الثيّب والثيّبة[٣].

ومن طريف الأمر أنّ عمر جاء بآية الرجم عند الجمع الأوّل على عهد أبي بكر، فلم تقبل منه، وطلب منه زيدٌ شاهدين، عجز عن إقامتهما[٤]. ولعلّه سمع شريعة الرجم من رسول الله ﷺ فظنّها آية قرآنيّة. وهكذا فيما ورد عن رسول الله ﷺ من عبائر ذوات السجع النغمي، كان يظنّها قرآناً.

وهكذا زعم أنّ القرآن يشتمل على (١٠٢٧٠٠٠) ألف ألف حرف وسبعة وعشرين ألف حرف، قال: من قرأه صابراً محتسباً، كان له بكلّ حرف زوجة من الحور العين[٥].

لا ندري متى تعلّم الخليفة علم التعداد، ومن الذي عدّد له حروف القرآن آنذاك؟ في حين أنّ المأثور عن ابن عبّاس ـ المتوافق مع الواقع ـ: أنّ حروف القرآن (٣٢٣٦٧١) ثلاثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألف حرف وستمائة وواحد وسبعون حرفاً[٦].

قال الذهبي: تفرّد محمّد بن عُبيد بهذا الخبر الباطل[٧].

ولعلّ من هكذا تلفيقات موضوعة عن لسان الخليفة نشأت مزعومة ابنه عبدالله، من ضياع قرآن كثير:

---

(١) البخاري ٨: ٢٥ ـ ٢٦، باب رجم الحبلى؛ مسلم ٤: ١٦٧ و ٥: ١١٦؛ الموطّأ ٢: ٨٢٤ / ١٠؛ أبو داوود ٢: ٣٤٣ / ٤٤١٨، باب ٢٣؛ ابن ماجة ٢: ٨٥٣ ـ ٨٥٤ / ٢٥٥٣، باب ٩؛ الترمذي ٢: ٤٤٢ / ١٤٥٦، باب ٦؛ الدارمي ٢: ١٧٩؛ مسند أحمد ١: ٥٥ و ٥: ١٣٢.

(٢) هو يحيى بن يحيى الليثي راوي الموطّأ عن مالك.

(٣) تنوير الحوالك ٣: ٤٣؛ الموطّأ ٢: ٨٢٤. وراجع: فتح الباري ١٢: ١٢٧.

(٤) الإتقان ١: ١٦٨.

(٥) الإتقان ١: ١٩٨؛ الأوسط ٦: ٣٦١ / ٦٦١٦.

(٦) الإتقان ١: ١٩٨.

(٧) ميزان الاعتدال ٣: ٦٣٩.

[م / ٨٤] أخرج أبو عبيد عن عبدالله بن عمر، قال: لا يقولنّ أحدكم: قد أخذت القرآن كلّه، ما يدريه ما كلّه؟ قد ذهب منه قرآن كثير. ولكن ليقل: قد أخذت منه ما ظهر[١].

أو لعلّ ذهنيّة ابن عمر كانت متأثّرة بما اشتهر من ذهاب القرآن بذهاب حملته يوم اليمامة.

[م / ٨٥] كما روى ابن أبي داوود عن ابن شهاب، قال: بلغنا أنّه كان أنزل قرآن كثير، فقتل علماؤه يوم اليمامة، الذين كانوا قد وعوه، ولم يعلم بعدهم ولم يكتب[٢].

أو هل كان القرآن محصوراً في صدور أولئك الرجال، ومن هم؟

[م / ٨٦] وأخرج مسلم بإسناده عن أبي الأسود قال: بعث أبو موسى الأشعري إلى قرّاء أهل البصرة، فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن، فقال فيما قال: وإنّا كنّا نقرأ سورة كنّا نشبّهها في الطول والشدّة ببراءة فأنسيتها، غير أنّي قد حفظت منها: «لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التراب».

وقال: كنّا نقرأ سورة كنّا نشبّهها بإحدى المسبّحات فأنسيتها، غير أنّي حفظت منها: «يا أيّها الذين آمنوا لِمَ تقولون مالا تفعلون. فتكتب شهادة في أعناقكم، فتسألون عنها يوم القيامة»[٣].

كان أبو موسى معروفاً بالسفه والشذوذ العقليّ وهكذا أساء الظنّ بالقرآن الكريم فوهم سقطاً في القرآن كان بانحصاره ليذهب بنسيانه فحسب، ومن ثمّ نتساءل: كيف يذهب القرآن بنسيان عجوز مفرّق الوهم؟!

أمّا حديث الواديين فقد روى أحمد بإسناده إلى عطاء بن يسار عن أبي واقد، أنّه من الحديث القدسي رواه عن رسول الله ﷺ وليس من القرآن[٤].

فقد وهم أبو موسى وخلط بين الحديث القدسي والقرآن!

إلى غيرها من روايات تنسب حسبان السقط من القرآن، إلى بعض السلف، ولعلّها وهم من الرواة. غير أنّ الفاجعة هي ثبتها في أمّهات المجاميع الحديثيّة الكبرى، ليغترّ بها أمثال ابن الخطيب (محمّد محمّد عبداللطيف من كُتّاب مصر المعاصرين) فيدبّج كتابه «الفرقان» بأقاصيص هي أشبه

---

(١) الإتقان ٣: ٧٢. عن كتاب فضائل القرآن: ١٩٠ / ١، باب ٥١.

(٢) كنزالعمّال ٢: ٥٨٤ / ٤٧٧٨.

(٣) مسلم ٣: ١٠٠.

(٤) مسند أحمد ٥: ٢١٩.

بأساطير حاكتها عقول هزيلة.

وأصبح نشر هذا الكتاب في زماننا هذا، وطبعه مكرّراً في مصر ولبنان، مأساة كبرى أثارت ضجّة في أرجاء العالم الإسلامي، فصودر الكتاب لأوّل وهلة، ثمّ أهمل يتراوحه أصحاب المطابع والمطامع.

وممّا جاء فيه من الغرابة: أنّه زعم أنّ الطاغية الحجّاج بن يوسف الثقفي قد غيّر من المصحف الشريف في اثني عشر موضعاً، غيّرها على غير كتبتها الأولى. ليكون الثبت الحاضر هو من صنع الحجّاج، على خلاف ثبتها الأوّل على عهد عثمان!!

قال: قد غيّر الحجاج اثني عشر موضعاً من القرآن:

١ ـ فغيّر «لم يتسنّ» إلى ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾(١).

٢ ـ وغيّر «شريعة ومنهاجاً» إلى ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾(٢).

٣ ـ و«هو الذي ينشركم» إلى ﴿يُسَيِّرُكُمْ﴾(٣).

٤ ـ «أنا آتيكم بتأويله» إلى ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ﴾(٤).

٥ و ٦ ـ «سيقولون للّه» إلى ﴿سَيَقُولُونَ اللَّهِ﴾ مرّتين في سورة المؤمنون(٥).

٧ ـ كانت في سورة الشعراء في قصّة نوح: «لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المخرجين» فغيّرها إلى ﴿مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ كما هو عليه اليوم(٦).

٨ ـ وفي قصّة لوط: «لئن لم تنته يا لوط لتكوننّ من المرجومين» فغيّرها إلى ﴿مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾(٧).

٩ ـ «نحن قسمنا بينهم معايشهم» إلى: ﴿مَعِيشَتَهُمْ﴾(٨).

١٠ ـ «من ماء غير ياسن» إلى: ﴿غَيْرِ آسِنٍ﴾(٩).

---

(١) البقرة ٢: ٢٥٩.

(٢) المائدة ٥: ٤٨.

(٣) يونس ١٠: ٢٢.

(٤) يوسف ١٢: ٤٥.

(٥) الآية رقم ٨٧ و ٨٩.

(٦) الشعراء ٢٦: ١١٦.

(٧) الشعراء ٢٦: ١٦٧.

(٨) الزخرف ٤٣: ٣٢.

(٩) محمّد ٤٧: ١٥.

١١ ـ «فالذين آمنوا منكم واتقوا» إلى: ﴿وَ أَنفقُوا﴾[١].

١٢ ـ «وما هو على الغيب بظنين» إلى: ﴿بِضَنِينٍ﴾[٢].

قال: ولم يصنع الحجّاج ما صنع، إلّا بعد اجتهاده وبحثه مع القرّاء والفقهاء، وبعد إجماعهم على أنّ جميع ذلك قد حدث من تحريف الكُتّاب والناسخين، لجهلهم أو لخطاء الكاتب في سماع ما يُملَىٰ عليه، والتباسه فيما يُتلَىٰ عليه[٣].

يا لها من قباحة في القول، يجعل صنيع الحجّاج (الفاسد الرأي والعمل) تصحيحاً لما فرط عن السلف فيما زعم!!

والشيء الأغرب اغترار مثل الإمام محيي الدين ابن عربي بأمثال هذه الخرائف، فزعم سقطاً في القرآن لا يستهان به.

ذكر الشيخ عبدالوهّاب الشعراني: أنّ الإمام محيي الدين (توفّي سنة ٦٣٨) يرى من مصحف عثمان ناقصاً منه عمّا نزل على رسول الله ﷺ من قرآن. حيث قال: وقد زعم بعض أهل الكشف أنّه سقط من مصحف عثمان كثير من المنسوخ. قال: ولو أنّ رسول الله ﷺ كان هو الذي تولّى جمع القرآن لوقفنا وقلنا: هذا وحده هو الذي نتلوه، إلى يوم القيامة. قال: ولولا ما يسبق للقلوب الضعيفة ووضع الحكمة في غير أهلها، لَبيّنتُ جميع ما سقط من مصحف عثمان. قال: وأمّا ما استقرّ في مصحف عثمان، فلم ينازع أحد فيه[٤].

فيا باعد الله الشيطان، حيث غرّ أمثال هؤلاء الأعلام، بوساوسه ودسائسه في خبيثات الظلام.

هذا وأمّا علماؤنا الأعلام من أهل النظر والتحقيق، فقد شطبوا على تلكم المهازل، والتي حاكتها عقول هزيلة، لا قيمة لها ولا وزن في عالم الاعتبار، حديث خرافةٍ يا أمّ عمرو!

وأمّا الشرذمة القليلة من الفئة الأخباريّة، ممّن واكبوا إخوانهم الحشويّة، في الأخذ بتلك الأحاديث المهازيل، فقد خالفوا الأمّة في إجماعهم على سلامة الكتاب عن تناوش أيدي

---

(١) الحديد ٥٧: ٧.

(٢) التكوير ٨١: ٢٤.

(٣) الفرقان لابن الخطيب: ٥٠ ـ ٥٢.

(٤) نقل ذلك الشيخ الشعراني في كتابه «الكبريت الأحمر» المطبوع على هامش «اليواقيت والجواهر» ١: ١٣٩. مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر. سنة ١٩٥٩م ١٣٧٨هـ.

المبطلين، وأنّه في كنفه تعالى لم يزل ولا يزال محفوظاً لا تمسّه يد سوءٍ أبداً.

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]. ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[2]. وهو ضمان إلٰهيّ مؤكّد وكان وعدالله مفعولاً.

هذا مع شهادة التاريخ وضرورته على عدم إمكان مسّ القرآن بسوء.

وقد مرّ عليك كلام الشريف المرتضى (توفّي سنة ٤٣٦). وقال الإمام المجاهد الحجّة الشيخ محمّد الجواد البلاغي (توفّي سنة ١٣٥٢ ق) ـ رحمه الله ـ: لم يزل القرآن الكريم بحسب حكمة الوحي والتشريع والمصالح والمقتضيات المتجدّدة آناً فآناً يتدرّج في نزوله نجوماً، الآية والآيتان والأكثر والسورة. وكلّما نزل شيء هَفَتْ إليه قلوب المسلمين وانشرحت له صدورهم وهبّوا إلى حفظه بأحسن الرغبة والشوق وأكمل الإقبال وأشدّ الارتياح، فتلقّنوه بالابتهاج وتلقّوه بالاغتنام من تلاوة الرسول العظيم الصادع بأمر الله والمسارع إلى التبليغ والدعوة إلى الله وقرآنه، وتناوله حفظُهم بما امتازت به العرب وعُرفوا به من قوّة الحافظة الفطريّة وأثبتوه في قلوبهم كالنقش في الحجر. وكان شعار الإسلام وسمة المسلم حينذاك هو التجمّل والتكمّل بحفظ ما ينزل من القرآن الكريم، لكي يتبصّر بحججه ويتنوّر بمعارفه وشرائعه، وأخلاقه الفاضلة وتاريخه المجيد وحكمته الباهرة، وأدبه العربي الفائق المعجز. فاتّخذ المسلمون تلاوته لهم حجّة الدعوة، ومعجزة البلاغة، ولسان العبادة لله، ولهجة ذكره، وترجمان مناجاته، وأنيس الخلوة، وترويح النفس، ودرساً للكمال، وتمريناً في التهذيب، وسُلّماً للترقّي، وتدرّباً في التمدّن، وآية الموعظة، وشعار الإسلام، ووسام الإيمان، والتقدّم في الفضيلة. واستمرّ المسلمون على ذلك حتّى صاروا في زمان الرسول يُعدّون بالألوف وعشراتها ومئاتها. وكلّهم من حَمَلة القرآن وحُفّاظه، وإن تفاوتوا في ذلك بحسب السابقة والفضيلة. هذا ولمّا كان وحيه لا ينقطع في حياة الرسول ﷺ لم يكن كلّه مجموعاً في مصحف واحد، وإن كان ما أوحي منه مجموعاً في قلوب المسلمين وكتاباتهم له.

ولمّا اختار الله لرسوله دار الكرامة وانقطع الوحي بذلك فلا يُرتجىٰ للقرآن نزول تتمّة، رأى المسلمون أن يسجّلوه في مصحف جامع، فجمعوا مادّته، على حين إشراف الألوف من حفّاظه،

---

(١) الحجر ١٥: ٩.

(٢) فصّلت ٤١: ٤٢.

ورقابة مكتوباتهم الموجودة عند الرسول وكُتّاب الوحي وسائر المسلمين، جملةً وأبعاضاً وسُوَراً. فاستمرّ القرآن الكريم على هذا الاحتفال العظيم بين المسلمين جيلاً بعد جيل، ترى له في كلّ آن ألوفاً مؤلّفة من المصاحف، وألوفاً من الحُفّاظ، ولا تزال المصاحف ينسخ بعضها على بعض، والمسلمون يقرأ بعضهم على بعض، ويسمع بعضهم من بعض. تكون ألوف المصاحف رقيبة على الحُفّاظ، وألوف الحُفّاظ رقباء على المصاحف، وتكون الألوف من كلا القسمين رقيبة على المتجدّد منهما. نقول: الألوف، ولكنّها مئآت الألوف وألوف الألوف. فلم يتّفق لأمر تاريخي من التواتر وبداهة البقاء مثل ما اتّفق للقرآن الكريم، كما وعد الله جلّت آلاؤه بقوله في سورة الحجر: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1].

قال: ولئن سمعت في الروايات الشاذّة شيئاً في تحريف القرآن وضياع بعضه، فلا تُقم لها وزناً، وقل ما يشاء العلم في اضطرابها ووهنها وضعف رواتها ومخالفتها لإجماع المسلمين، وفيما جاءت به في مرويّاتها الواهية من الوهن، وما ألصقته بكرامة القرآن ممّا ليس له شبه به[2].

وأمّا ما استند إليه الشرذمة الأخبارية ـ ويترأسهم السيّد نعمة الله الجزائري[3]، وسار على أثره الشيخ ميرزا حسين النوري[4] في تهريج عارم، فهي روايات شاذّة، أكثرها مراسيل وأخرى مجاهيل أوضعاف، ليس لها أصل متين ولا قرار مكين. على ما فصّلنا الكلام فيها في كتابنا «صيانة القرآن من التحريف» (الجزء الثامن من التمهيد).

ومن أهمّ ما استند إليه الجزائري[5]، هي رواية مرسلة لا إسناد لها، ذكرها صاحب كتاب الاحتجاج ـ ولم يُعْرَف لحدّ الآن ـ:

[م / ٨٧] أنّه سئل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن التناسب في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾[6]؟ فقال ـ فيما فرضه الراوي ـ: «إنّ

---

(١) الحجر ١٥: ٩.

(٢) راجع: آلاء الرحمان: ١٧ ـ ١٨، في المقدّمة، الفصل الثاني في جمعه.

(٣) توفّي سنة ١١١٢ ق.

(٤) توفّي سنة ١٣٢٥ ق.

(٥) في كتابه منبع الحياة: ٦٨ ـ ٧٠، ط بغداد، و ٦٦ ـ ٦٩ من طبعة بيروت.

(٦) النساء ٤: ٣.

المنافقين أسقطوا ممّا بين القول في اليتامى وبين نكاح النساء . من الخطاب والقصص أكثر من ثلث القرآن»[١].

هذه الرواية ـ على نكارتها ـ لم توجد في أيّ مستند من المستندات الحديثيّة ، سوى هذا الكتاب المقطوع الإسناد . كما لم يعرف مؤلّفه ، مَنْ هذا الطبرسي ؟ لحدّ الآن .

أمّا من حيث المحتوى فلعلّه أدلّ على غباوة واضعها ، إذ كيف يعقل سقوط أكثر من ألفي آية ، فيها خطاب وقصص وأحكام ، من أثناء آية واحدة؟! فلعلّها كانت لوحدها تعدل السور الطوال بأسرها . فيا للعجب من عقليّة هزيلة تركن إلى أمثال هذه المفتعلات الفاضحة .

ثمّ التناسب بين صدر الآية وذيلها واضح لائح ، لا غبار عليه . إذ كان المسلمون يتحرّجون من اقتراب أموال اليتامى ، فرخّص لهم الازدواج بأرامل الشهداء أو بناتهم فيستساغ لهم التصرّف في أموالهم ، حيث الرضا بالحال .

وهكذا النوري في كتابه «فصل الخطاب» اعتمد روايات لا قيمة لها ، وكانت المسانيد منها قابلة للتأويل الوجيه حسبما فصّلنا الكلام عنها .

ومن تلك الروايات ـ ولعلّها من أهمّها لدى الشيخ النوري ـ ما ذكره صاحب كتاب «دبستان المذاهب»[٢] ـ من سورة الولاية المفتعلة ، وفيها ركّة ونفارة ، يرفضها الذوق السليم . منها قوله : «إنّ عليّاً قانت في الليل ساجد يحذر الآخرة ويرجو ثواب ربّه ، قل هل يستوي الذين ظلموا وهم بعذابي يعلمون» . كلام لا انسجام فيه ، فضلاً عن ركاكة أسلوبه الملفّق . حسبما ذكره الإمام البلاغي . قال : وإنّ صاحب فصل الخطاب من المحدّثين المكثرين المجدّين في التتبّع للشواذّ ، وإنّه ليعدّ أمثال هذا المنقول من دبستان المذاهب ، ضالّته المنشودة . ومع ذلك قال : إنّه لم يجد له أثراً في كتب أصحابنا الإماميّة[٣] .

---

(١) الاحتجاج ١ : ٣٧٧ .

(٢) هذا الكتاب مجموعة حكايات ملتقطة من هنا وهناك ، في الشوارع والطرق والمقاهي ، على يد الموبد كيخسرو اسفنديار ، أحد دراويش الهند ما بين سنة (١٠٤٠ ـ ١٠٦٥ هـ) . وهو من ولد «آذر كيوان» مؤسّس الفرقة الكيوانيّة الإلحادية ، على عهد الملك أكبر شاه التيموري (٩٦٣ ـ ١٠١٤) بالهند . (صيانة القرآن من التحريف : ١٩١ ـ ١٩٢) .

(٣) آلاء الرحمان : ٢٤ ـ ٢٥ ، في المقدّمة .

قال النوري: سوى ما يحكى عن كتاب «المثالب» المنسوب إلى ابن شهر آشوب[1].

قلت: هذه الحكاية من أكاذيب السيّد محمود الآلوسي (ت ١٢٧٠ هـ) صاحب التفسير، ضمن سائر افتراءاته على الشيعة الأبرياء[2]. فيا للعجب كيف يغترّ مثل الشيخ النوري النجفي بمثل هكذي أكاذيب مفضوحة[3]. ولا غرو فإنّ الغريق يتشبث بكلّ حشيش.

وهكذا دبّج كتابه بروايات هي بالغرائب والشوارد أشبه من المألوف المعروف، وقد فنّدناها بتفصيل وتبيين، تبعاً لسيدنا الاستاذ الإمام الخوئي ـ طاب ثراه ـ في كتابه القيم: «البيان» فلقد أجاد فيه وأفاد بما فوق المراد، فرحمة الله عليه.

---

(١) فصل الخطاب: ١٨٠.

(٢) راجع: روح المعاني ١: ٢٣.

(٣) وقد تتبعنا كتاب المثالب (نسختين مخطوطتين منه) فلم نجد فيه ذلك، بل العكس، وجدنا فيه الدلائل الوافية بإثبات صيانة القرآن من التحريف.

التفسير الأثري في مراحله الأولى

كان موضع النبيّ صلى الله عليه وآله من القرآن، موضع مفسّر خبير بمعاني كلامه تعالى. وقد أمره الله بالتبيين والتفسير إلى جنب التبليغ، فقام بالأمر وأخذ بساق الجدّ وأدّى وظيفته بكمال.

ولازم ذلك أنّه صلى الله عليه وآله لم يدع موضعاً من القرآن فيه إبهام أو يثير سؤالاً إلّا وقد أجاب عليه إجابة كافية وشرح وبيّن وأوفى البيان حقّه بتمام. إمّا تبييناً لعامّة الناس أو لأخصّاء أصحابه الكبار. فلم يترك مشكلة إلّا وقد بيّن وجه حلّها، ولا معضلة إلّا وقد أبان وجه علاجها، ليكون قد ذهب إلى ربّه وقد أودع أمّته الكتاب مبيّناً معالمه، مشروحاً مقاصده، واضحاً محجّته، بلا التباس ولا إبهام، امتثالاً لأمره تعالى بلا تهاون ولا قصور، وليكون لله الحجّة البالغة. هذا بلا ريب.

وقد أسبقنا الكلام عن التفسير على عهد الرسالة وذكرنا: هل تناول النبيّ صلى الله عليه وآله القرآن كلّه بالبيان؟ وكانت الإجابة الصحيحة هي جانب الإثبات وقلنا: الصحيح من الرأي هو: أنّه صلى الله عليه وآله قد بيّن لأمّته ـ ولأصحابه بالخصوص ـ جميع معاني القرآن الكريم، وشرح لهم جلّ مراميه ومقاصده الكريمة، إمّا بياناً بالنصّ أو ببيان تفاصيل أصول الشريعة وفروعها، ولا سيّما إذا ضممنا إليه ما ورد عن الأئمّة من عترته في بيان تفاصيل الشريعة ومعاني القرآن، نقلاً عن جدّهم الرسول ـ صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ـ والحمد لله[1].

---

(١) راجع مشروح كلامنا في ذلك في كتابنا التمهيد ٩: ١٥٧ ـ ١٧٧.

ولا شكّ أنّ المأثور عن النبيّ صلى الله عليه وآله تفسيراً وتبييناً وتفصيلاً لمجملات القرآن، حجّة بيّنة، سواء المأثور على يد عترته الطاهرة ـ وهو الأكثر ـ أم على يد أصحابه وسائر أمّته، وكانت البذرة الأولى لتلك الشجرة الطيّبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كلّ حين.

التفسير في دور الصحابة

وكان كبار الصحابة من بعده صلى الله عليه وآله هم حملوا هذا العبأ الثمين الفخيم، فنشروا لواء الإسلام على أرجاء الآفاق، وأدّوا رسالة الله إلى العالمين عن كلّ جدّ وجهد بالغين.

نعم كانوا على تفاوت من المقدرة على الإيفاء والأداء.

[م /٨٨] قال مسروق بن الأجدع: جالست أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله فوجدتهم كالإخاذ ـ يعني الغدير من الماء ـ فالإخاذ يُروى الرجل، والإخاذ يُروى الرجلين، والإخاذ يروى العشرة، والإخاذ يروى المأة. والإخاذ لونزل به أهل الأرض لأصدرهم ـ يعني به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام[1].

وقد اشتهر بالتفسير من الصحابة أربعة لا خامس لهم في مثل مقامهم في العلم بمعاني القرآن، وهم: علي بن أبي طالب عليه السلام وكان رأساً وأعلم الأربعة. وعبدالله بن مسعود، وأبيّ بن كعب، وعبدالله بن عبّاس، كان أصغرهم وأكثرهم نشراً في التفسير. وامتاز بتلمذته لدى الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام كان يقول: جلّ ما تعلّمت من التفسير من عليّ بن أبي طالب عليه السلام[2].

تفسير الصحابي في مجال الاعتبار

ولتفسير الصحابي قيمته الأغلى في مجال الاعتبار العلمي والعملي، حيث هم أبواب علم النبيّ صلى الله عليه وآله والطرق الموصلة إليه، وقد ربّاهم وعلّمهم وفقّههم ليكونوا وسائط بينه وبين الناس، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم. فكانوا لا يصدرون الناس إلّا عن مصدر الوحي الأمين، ولا ينطقون إلّا عن لسانه الناطق بالحقّ المبين.

نعم كان الشرط في الحجيّة والاعتبار أوّلاً: صحّة الإسناد إليهم، وثانياً: كونهم من الطراز الأعلى. وإذ قد ثبت الشرطان، فلا محيص عن جواز الأخذ وصحّة الاعتماد، وهذا لا شكّ فيه بعد

---

(١) راجع: المصدر: ١٨١.

(٢) المصدر: ١٨٧؛ المحرّر الوجيز لابن عطيّة ١: ٤١؛ بحار الأنوار ٨٩: ١٠٥، عن ابن طاووس عن تفسير النقاش.

تواجد الشروط.

إنّما الكلام في اعتبار ذلك حديثاً مسنداً ومرفوعاً إلى النبيّ ﷺ بالنظر إلى كونه الأصل في تربيتهم وتعليمهم، أو أنّه استنباط منهم بالذات، لمكان علمهم وسعة اطّلاعهم، فربما أخطأوا في الاجتهاد، وإن كانت إصابتهم في الرأي أرجح في النظر الصحيح.

الأمر الذي فصّل القوم فيه[1]، بين ما إذا كان للرأي والنظر مدخل فيه، فهذا موقوف على الصحابي، لا يصحّ إسناده إلى النبيّ ﷺ. وما إذا لم يكن كذلك، ممّا لا سبيل إلى العلم به إلّا عن طريق الوحي، فهو حديث مرفوع إلى النبيّ ﷺ لا محالة؛ وذلك لموضع عدالة الصحابي ووثاقته في الدين، فلا يُخبر عمّا لا طريق للحسّ إليه، إلّا إذا كان قد أخبره ذو علم عليم صادق أمين.

[م / ٨٩] قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وقد سئل عن منابع علمه الغزير: «وإنّما هو تعلّم من ذي علم، علم علّمه الله نبيّه فعلّمنيه، ودعا لي بأن يعيه صدري، وتضطمّ عليه جوانحي»[2].

وعلى أيّ حال، فإنّ التفسير المأثور عن صحابي جليل ـ إذا صحّ الطريق إليه ـ فإنّ له اعتباره الخاصّ. فإمّا أن يكون قد أخذه من رسول الله ﷺ وهو الأكثر، فيما لا يرجع إلى مشاهدات حاضرة أو فهم الأوضاع اللغويّة أو ما يرجع إلى آداب ورسوم كانت رائجة وأشباه ذلك، فإن كان لايرجع إلى شيء من ذلك، فإنّ من المعلوم بالضرورة أنّه مستند إلى علم تعلّمه من ذي علم. هذا ما يقتضيه مقام إيمانه الذي يحجزه عن القول الجزاف.

وإلّا فهو موقوف عليه ومستند إلى فهمه الخاصّ. ولا ريب أنّه أقرب فهماً إلى معاني القرآن، من الذي ابتعد عن لمس أعتاب الوحي والرسالة، وحتّى عن إمكان معرفة لغة الأوائل، وعادات كانت جارية حينذاك!

وهكذا صرّح العلّامة الناقد الخبير السيّد رضيّ الدين ابن طاووس بشأن العلماء من صحابة الرسول ﷺ قال: هم أقرب علماً بنزول القرآن[3].

قال الإمام بدر الدين الزركشيّ: لطالب التفسير مآخذ كثيرة، أمّهاتها أربعة: الأوّل: النقل عن

---

(١) نبّه على ذلك الحاكم في مستدركه ٢: ٢٥٨ و ٢٦٣ وفي كتابه الذي وضعه لمعرفة علوم الحديث: ١٩ ـ ٢٠. وراجع: تدريب الراوي ١: ١٩٣.

(٢) نهج البلاغة ٢: ١٠ ـ ١١، الخطبة ١٢٨.

(٣) في كتابه القيّم «سعد السعود»: ١٧٤ وقد عالج فيه نقد أكثر من سبعين كتاباً في تفسير القرآن كانت في متناوله ذلك العهد. (توفّي سنة ٦٦٤ هـ).

رسول الله ﷺ وهذا هو الطراز الأوّل، لكن يجب الحذر من الضعيف فيه والموضوع، فإنّه كثير.

الثاني: الأخذ بقول الصحابي، فإنّ تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبيّ ﷺ كما قاله الحاكم في تفسيره. وذكر حديث مسروق بن الأجدع عن عبدالله بن مسعود في كيفيّة تعلّم الأصحاب لتفسير القرآن لديه ﷺ.

قال: وصدر المفسّرين من الصحابة عليٌّ ثُمَّ ابن عبّاس ـ وهو تجرّد لهذا الشأن ـ والمحفوظ عنه أكثر من المحفوظ عن عليٍّ، إلّا أنّ ابن عبّاس كان أخذ عن عليٍّ عليه السلام ويتلوه عبدالله. وكلّ ما ورد عن غيرهم من الصحابة فحسن مقدّم[١].

هذا ولكنّ الذي جرى عليه مذهب علمائنا الأعلام: أنّ التفسير المأثور من الصحابي ـ مهما كان على جلالة قدر واعتلاء منزلة ـ فإنّه موقوف عليه، لا يصحّ إسناده إلى النبيّ ﷺ ما لم يُسنده هو بالذات. وهذا منهم مطلق سواء أكان للرأي مدخل فيه أم لا، لأنّه إنّما نطق عن علمه، حتّى ولو كان مصدره التعليم من النبيّ، ما لم يصرّح به؛ إذ من الجائز أنّه استنبطه من مواضع تعاليم الرسول ﷺ واستخرجه من مبانٍ وأصول تلقّاها من حضرته، من غير أن يكون من تنصيصه ﷺ على ذلك الفرع بالخصوص. فهو اجتهاد من الصحابي الجليل ومرتبط مع مبلغ فطنته وعمق نظره في فهم مباني الإسلام والقرآن، على ما علّمه النبيّ وفقّهه في الدين. والمجتهد قد يخطأ وليس الصواب حَليفه دائماً ما لم يكن معصوماً.

ومن ثَمَّ فإنّ الذي يصدر عن أئمّة الهدى المعصومين عليهم السلام نسنده إليهم وإن كنّا على يقين أنّه تعلّمٌ من ذي علم متين وعن منبع ركين. هذا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كلّ ما يؤثر عنه في التفسير وفي سائر مجالات الدين، موقوف عليه ومنسوب إليه ما لم يصرّح بأنّه بالذات قول رسول الله ﷺ، مع علمنا بأنّه مستقى منه بلا ريب. وكذا ما يقوله ابن عبّاس في التفسير، منسوب إليه، مع تصريحه بأنّ ما أخذ في التفسير فهو عن عليّ عليه السلام. غير أنّ المراد: أنّه مأخوذ من أصول ومباني تعلّمها منه. كما أنّ عليّاً عليه السلام إنّما نسب علمه إلى النبيّ ﷺ لمكان تربيته على يده، وأنّه علّمه ألف باب من العلم، يُفتح له من كلّ باب ألف باب[٢]، أي علّمه أصولاً يتفرّع عليها فروع متصاعدة لا نهاية لها.

---

(١) البرهان ٢: ١٥٦ ـ ١٥٧. وقد طوينا عن ذكر الأمرين الثالث والرابع فليراجع هناك.

(٢) حديث متواتر مشهور، وقد أرسله الحُذّاق إرسال المسلّمات. قال الإمام الرازي ـ مستدلاً على قوّة ذكاء النبيّ ﷺ ـ: قال ←

والخلاصة: إنّما كانت قيمة تفسير الصحابي لمكان قربه من رسول الله ﷺ وموضع عنايته البالغة بشأن تعليمه وتربيته، وكونه أقرب عهداً بمواقع نزول القرآن، وأعرف بأهدافه ومقاصده ومراميه، كما قال السيّد ابن طاووس: هم أقرب علماً بنزول القرآن(١).

ومن ثَمَّ فنستغرب موضع سيّدنا العلّامة الطباطبائي ﷺ المتردّد في اعتبار قول الصحابي وكذا التابعي في مجال التفسير، نظراً لعدم دليل خاصّ على الاعتبار!!(٢)

أو لا يكفي قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَ لِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(٣) دليلاً على حجّية قولهم في الإنذار والتبيين فيما تفقّهوا؟!

أو لم يكن الإنذار هو البيان والإعلام بمباني الشريعة ومعالم الدين؟ وإذا لم يكن الإنذار حجّة بالغة، فما وجه الحذر بعد البيان؟

أو لم يكن ربّا هم رسول الله ﷺ ليصدروا عنه وليربّوا الناس كما ربّا هم؟ وليصبحوا مراجع للناس يُفيدونهم ويَستفيدون منهم. ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(٤).

أوليس قد جعلهم أَمَنَةً للأمّة من بعده كما هو أَمَنَة لأصحابه في حياته؟

[م/٩٠] روى فضل الله الراوندي بإسناده إلى الإمام موسى بن جعفر ﷺ عن آبائه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أَمَنَة لأصحابي ... وأصحابي أمنة لأمّتي ... ولا يزال هذا الدين ظاهراً

← عليّ ﷺ: «علّمني رسول الله ﷺ ألف باب من العلم واستنبطت من كلّ باب ألف باب». قال: فإذا كان حال الوليّ هكذا فكيف حال النبيّ ﷺ! (التفسير الكبير ٨: ٢١ ذيل الآية ٣٣ من سورة آل عمران).

ورواه المتّقي الهندي في كنزالعمّال ١٣: ١١٤ ـ ١١٥ / ٣٦٣٧٢ و ١٦٥ / ٣٦٥٠٠. قال: أخرجه الفرضي والإسماعيلي. وفي السند الأجلح وهو صدوق شيعي جلد. وذكره ابن حجر في فتح الباري وقال: أخرجه الطبراني. راجع: فضائل الخمسة للفيروز آبادي ٢: ٢٣٢.

(١) سعد السعود: ١٧٤.

(٢) قال ذيل الآية ٤٤ من سورة النحل: وفي الآية دلالة على حجّية قول النبيّ ﷺ في بيان الآيات القرآنيّة. ويلحق به بيان أهل بيته ﷺ لحديث الثقلين. وأمّا سائر الأمّة من الصحابة أو التابعين أو العلماء فلا حجّية لبيانهم، لعدم شمول الآية وعدم نصّ معتمد عليه يعطي حجّية بيانهم على الإطلاق. (الميزان ١٢: ٢٧٨).

وهكذا ذكر في رسالة «قرآن در اسلام: ٤٩»: إنّما اعتبر قول النبيّ ﷺ في التفسير بنصّ الآية الكريمة (٤٤ من سورة النحل). وكذا قول العترة بنصّ حديث الثقلين. أما أقوال الصحابة والتابعين فلا اعتبار بها كما هو الحال في آراء سائر المسلمين. وهو غريب جدّاً.

(٣) التوبة ٩: ١٢٢.

(٤) البقرة ٢: ١٤٣.

على الأديان كلّها مادام فيكم من قد رآني»[١].

ولم يكن صحابته أَمَنَة إلّا لأنّهم حملة علمه إلى الناس ومستودع شريعته إلى الملأ من العالمين.

ولعلّ مقصوده ﷺ من قوله: «مادام فيكم من قد رآني» من قد رآه في منبع علمه ومصدر شريعته، ممّن قد روى حديثه فأبلغ وأوعى على مدى الدهر.

[م / ٩١] كما قال ﷺ: «يحمل هذا الدين في كلّ قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين وتحريف الغالين وانتحال الجاهلين»[٢].

هذا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يصف أصحاب رسول الله ﷺ بأنّهم أصحابه كملاً، وأنهم خزنة علم النبيّ وعيبة حكمته والحاملين لوائه إلى الملأ من الناس:

[م / ٩٢] روى المتّقي الهندي عن زاذان قال: «بينا الناس ذات يوم عند عليّ عليه السلام إذ وافقوا منه نفساً طيّبة، فقالوا: حدّثنا عن أصحابك يا أمير المؤمنين؛ قال: عن أيّ أصحابي؟ قالوا: عن أصحاب النبيّ ﷺ؛ قال: كلّ أصحاب النبيّ أصحابي، فأيّهم تريدون؟ قالوا: النفر الذين رأيناك تلفظهم بذكرك والصلاة عليهم؛ دون القوم. قال: أيّهم؟

قالوا: عبدالله بن مسعود؟ قال: عَلِمَ السُنَّة وقرأ القرآن، وكفى به علماً، ثمّ ختم به عنده[٣].

قالوا: فحذيفة؟ قال: عَلِمَ وسأل عن المعضلات حتّى عقل عنها، فإن سألتموه عنها تجدوه بها عالماً.

قالوا: فأبوذر؟ قال: وعى علماً وكان شحيحاً حريصاً على دينه، حريصاً على العلم. وكان يُكثر السؤال فيُعطى ويُمنع، أما إنّه قد مُلئ له في وعائه حتّى امتلأ.

قالوا: فسلمان؟ قال: امرؤٌ منّا وإلينا أهل البيت. من لكم بمثل لقمان الحكيم! علم العلم الأوّل وأدرك العلم الآخر، وقرأ الكتاب الأوّل وقرأ الكتاب الآخر، وكان بحراً لا يُنزَف.

قالوا: فعمّار بن ياسر؟ قال: ذاك امرؤٌ خلط الله الإيمان بلحمه ودمه وعظمه وشعره وبشره،

---

(١) نوادر الراوندي: ١٤٦ / ١٩٩؛ البحار ٢٢: ٣٠٩ ـ ٣١٠ / ١١؛ الطرائف لابن طاووس: ٤٢٨؛ صحيح مسلم ٧: ١٨٣، فضائل الصحابة، باب أن النبيّ أمان لأصحابه وأصحابه أمان للأمّة.

(٢) رواه الكشّي في رجاله بإسناد صحيح (١: ١٠ ـ ١١)؛ البحار ٢: ٩٢ ـ ٩٣ / ٢٢. وفي الصواعق لابن حجر: ١٤١: في كلّ خلف من اُمّتي عدول من أهل بيتي...؛ الاختصاص للشيخ المفيد، المصنّفات ١٢: ٤.

(٣) وهو الذي قيل بشأنه: كُنَيف ملئ علماً.

لا يفارق الحقّ ساعةً، حيث زال زال معه، لا ينبغي للنّار أن تأكل منه شيئاً.

قالوا: فحدّثنا عنك يا أميرالمؤمنين؛ قال: مهلاً! نهى الله عن التزكية. فقال قائل: فإنّ الله ﷻ يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[١]! قال: فإنّي أحدّثكم بنعمة ربي. كنتُ إذا سألتُ أُعطيتُ، وإذا سكتُّ ابتُدئتُ. فبين الجوانح منّي ملئ علماً جمّاً...»[٢].

أفهل كان مثل هؤلاء الأعلام من الأصحاب إذا تحدّثوا بحديث العلم عن فقهٍ في الدين وفهم عن الكتاب، أفهل كان أحد يتوقّف عن الانصياع لكلامه العذب الرّويّ أو الابتهاج باستماع ذلك النغم السويّ؟!

[م / ٩٣] قال الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام: «أوصيكم بأصحاب نبيّكم... وهم الذين لم يحدثوا بعده حدثاً، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصى بهم»[٣].

[م / ٩٤] وروى الإمام الرضا عن أبيه الكاظم عن جدّه الصادق عليهم السلام قال: «اجتمع آل محمّد... على أن يقولوا في أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أحسن قول»[٤].

[م / ٩٥] وروى أبو جعفر الصدوق بإسناده إلى إسحاق بن عمّار عن الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما وجدتم في كتاب الله ﷻ فالعمل لكم به، لا عذر لكم في تركه. وما لم يكن في كتاب الله ﷻ وكانت فيه سنّة منّي فلا عذر لكم في ترك سنّتي. وما لم يكن فيه سنّة منّي، فما قال أصحابي فقولوا به، فإنّما مَثَلُ أصحابي فيكم كمثل النجوم، بأيّها أُخِذَ اهتُدي»[٥].

---

(١) الضحى ٩٣: ١١.

(٢) كنزالعمّال ١٣: ١٥٩ ـ ١٦١ / ٣٦٤٩٢. وروى قريباً منه أبو جعفر الصدوق في الأمالي: ٣٢٤ ـ ٣٢٥ / ٣٣٧ ـ ٩، المجلس ٤٣. والبحار ٢٢: ٣١٨ ـ ٣١٩ / ٤.

(٣) الأمالي للشيخ: ٥٢٣ / ١١٥٧ ـ ٦٤، المجلس ١٨؛ البحار ٢٢: ٣٠٥ ـ ٣٠٦ / ٤.

(٤) أبوالفتوح ١: ٤٩ ـ ٥٠.

وتمام الحديث هكذا: روى الإمام عليّ بن موسى الرضا عن أبيه الكاظم وهو عن أبيه الصادق عليهم السلام قال: «اجتمع آل محمّد على الجهر ببسم الله الرحمان الرحيم. وعلى قضاء ما فات من الصلاة في الليل بالنهار، وقضاء مافات في النهار بالليل. وعلى أن يقولوا في أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أحسن قول».

انظر كيف جعل حسن القول في الصحابة شعاراً لآل البيت عليهم السلام نظير الجهر بالبسملة.

(٥) معاني الأخبار: ١٥٣ / ١؛ البحار ٢٢: ٣٠٧ / ٨. وبعضهم ألحق بالذيل ما لم يصح، تركناه.

[م/ ٩٦] وأيضاً روى أبو جعفر الصدوق بالإسناد إلى محمّد بن موسى بن نصر الرازي عن أبيه قال: سئل الرضا عليه السلام عن قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم». فقال: هذا صحيح، يريد من لم يغيّر بعده ولم يبدّل(١).

وقد مرّ حديث الإمام أمير المؤمنين في الوصيّة بشأن الأصحاب ممّن لم يُحدثوا حدثاً بعد النبيّ صلى الله عليه وآله ولم يُؤووا مُحدثا(٢).

كما عرفت من الإمام أمير المؤمنين تعداد النبلاء من الأصحاب نماذج لمن سار على منهجهم في اتّباع سبيل الرشاد.

[م/ ٩٧] فقد روى أبو جعفر الصدوق بالإسناد إلى أحمد بن محمّد بن إسحاق الطالقاني، قال: حدّثني أبي قال: حلف رجل بخراسان بالطلاق أنّ معاوية ليس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أيّام كان الرضا عليه السلام بها. فأفتى الفقهاء بطلاقها. فسئل الرضا عليه السلام فأفتى أنّها لم تطلّق. فكتب الفقهاء رقعة وأنفذوها إليه وقالوا له: من أين قلت يا ابن رسول الله: إنّها لم تطلّق؟ فوقّع عليه السلام في رقعتهم: «قلت هذا من روايتكم عن أبي سعيد الخُدري: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لمسلمة يوم الفتح وقد كثروا عليه: أنتم خير، وأصحابي خير، ولا هجرة بعد الفتح. فأبطل الهجرة ولم يجعل هؤلاء أصحاباً له. قال: فرجعوا إلى قوله»(٣).

وهذا من أجمل التلميح إلى وجه خروج أمثال معاوية ـ ممّن أحدثوا وآووا المحدثين ـ من زمرة الصحابة الأجلّاء، نظراً لأنّ إحداثهم وبدعهم في الدين وكذا مشيتهم على خلاف سنّة الرسول الكريم، يكشف عن ثباتهم على الجاهليّة الأولى ولمّا يتمكّن الإيمان من قلوبهم، وإنّما أرغموا بالإسلام لا عن طوع.

فرفض عليه السلام أن يكون مثل معاوية صحابيّاً بمعناه الفخيم!(٤)

هذا كلّه بالنسبة إلى دراية الصحابي وعلمه وفهمه لمباني الدين.

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٩٣/ ٣٣، باب ٣٢.

(٢) رواه الشيخ الطوسي في أماليه: ٥٢٣/ ١١٥٧ ـ ٦٤، المجلس ١٨.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٩٣/ ٣٤، باب ٣٢.

(٤) فقد أخذهم الإمام عليه السلام على طريقة الجدل بالتي هي أحسن، إقناعاً لهم بما اعتنقوه.

أمّا روايته فلا تقلّ عن درايته قوّة واعتباراً، وإنّما يُحدّثك صادق مصدَّق فيما وعى وأخبر ورعى.

[م/٩٨] روى أبو جعفر الكليني بإسناده الصحيح إلى منصور بن حازم قال: «قلت لأبي عبدالله الصادق عليه السلام: أخبرني عن أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله صدقوا على محمّد صلى الله عليه وآله أم كذبوا؟ قال عليه السلام: بل صدقوا»[1].

فحكمه عليه السلام حكمه العامّ بأنّهم صادقون في حديثهم عن رسول الله غير مُكَذَّبين ولا متّهمين. وهي شهادة صريحة بجلالة شأنهم واعتلاء قدرهم في أداء رسالة الله في الأرض. ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2].

ثُمَّ أخذ عليه السلام في بيان وجه اختلاف حديثهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّه بسبب اختلافهم في الحضور لديه، فربما حضر أحدهم بيانه في عموم حكم و فاته الحضور لدى بيان خصوصه، وكان الآخر بالعكس. وهكذا حكم المطلق والمقيّد. وكلّ ناسخ يرفع عموم المنسوخ أو إطلاقه، فكان كلّ من حضر شيئاً من ذلك أخبر بما استمع وحفظ، دون ما لم يحضره وحضره الآخر، ومن ثَمَّ جاء الاختلاف في حديث بعضهم مع البعض، وكلٌّ صادق فيما يرويه غير مكذَّب.

[م/٩٩] وللإمام أميرالمؤمنين عليه السلام حديث مسهب عن الصحابة الصالحين، يفصلهم عن المنافقين، وأنّ حديثهم حديث صدق، ولم يختلفوا إلّا من جهة اختلافهم في الحضور والتلقّي، وأمّا هو عليه السلام فلم يختلف ولم يتخلّف فيما استحفظه من رسول الله صلى الله عليه وآله[3].

فالصحيح هو الاعتبار بقول الصحابي في التفسير، سواء في درايته أم في روايته، وأنّه أحد المنابع الأصل في التفسير، لكن يجب الحذر من الضعيف والموضوع، كما قال الإمام بدر الدين الزركشي، وهو حقّ لا مرية فيه بعد أن كان رائدنا في هذا المجال هو التحقيق لا التقليد.

التفسير في دور التابعين

لم يكد ينصرم عهد الصحابة إلّا وقد نبغ رجال أكفاء، ليخلفوهم في حمل أمانة الله وأداء رسالته في الأرض، وهم التابعون الذين اتّبعوهم بإحسان، إنّهم رجال أخّر بهم الزمان عن إمكان

---

(١) الكافي ١: ٦٥/ ٣، باب اختلاف الحديث. (٢) المائدة ٥: ١١٩.

(٣) الكافي ١: ٦٢ـ ٦٤/ ١.

الاستضاءة من أنوار عهد الرسالة الفائضة بالخير والبركات، فاستعاضوا عنها بالمثول لدى أكـابر الصحابة والعكوف على أعتابهم المقدّسة، يستفيدون من علومهم ويستضيئون بنور هدايتهم، والذي هو امتداد لنور الرسالة الذي أشرق الأرض بأرجائها، فكان حتماً أن يدوم ويتداوم مع الخلود.

كان أعيان الصحابة كثرة منتشرين في البلاد كنجوم السماء، مصابيح الدجى وأعلام الهدى، أينما حلّوا أو ارتحلوا من بقاع الأرض، وبذلك ازدهرت معالم الدين وانتشرت تـعاليم الإسـلام وشاع وذاع مفاهيم الكتاب والسنّة القويمة بين العباد وفي مختلف البلاد.

مدارس التفسير

وحيثما حلّ أو ارتحل صحابي جليل من بلد إسلامي كبير، كان قد شيّد فيه مدرسة قـرآنـيّة واسعة الرحب، بعيدة الأرجاء، يبثّ بها معالم الكتاب والسّنّة ويقصدها الروّاد من كلّ صوب. وقد اشتهرت من هذه المدارس ـ حسب شهرة مؤسّسيها ـ خمس:

١ ـ مدرسة المدينة: كانت أوسع المدارس التفسيريّة لدرس القرآن وتعليمه وتعلّمه، تأسّست على يد الصادع بالرسالة، وفيها علّم النبيّ ﷺ أصحابه القرآن وتلاوته وتفسيره والتفقّه فيه. كما علّمهم شرائع الدين في أصولها وفروعها. فكانت مدرسة واسعة وجـامعة شـاملة لجـميع أبـعاد الشريعة في مبانيها ومراميها الواسعة الأرجاء. وهكذا ربّاهم فأحسن تربيتهم علماً وعملاً ليصبحوا قدوة للأمّة على مدى الأحقاب.

وهكذا قامت الصحابة بتعليم وتربية الناشئة من طلّاب العلم وروّاد الفضيلة ممّن قصدوا معهد الرسالة الطيبة مدينة الرسول.

وكان جلّ الصحابة ـ وعلى رأسهم زعيم أهل البيت الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام ـ هم المتصدّين لإدارة هذا المعهد العلمي الفسيح. وسنذكر أنّ هذه المدرسة تداومت مع الأيّام وازدهرت على يد الأئمة من أهل البيت ولا سيّما على عهد الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام.

٢ ـ مدرسة مكّة: أقامها الصحابي الجليل عبدالله بن عبّاس، يوم ارتحل إليها عام الأربعين من الهجرة، حيث غادر البصرة وقدم الحجاز، بعد استشهاد الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام. وقد تخرّج مـن هذه المدرسة أكبر رجالات العلم في العالم الإسلامي حينذاك، وكان لهذه المدرسة ولمن تخرّج

منها صدىً محمودٌ في أرجاء البلاد، وبقيت آثارها أعلاماً للأمّة على مدى الأحقاب.

٣ ـ مدرسة الكوفة: هي ثالثة المدارس شهرةً وصيتاً عمّ البلاد. تأسّست على يد الصحابي الكبير عبدالله بن مسعود، يوم قدم الكوفة ـ على عهد ابن الخطاب ـ معلّما ومؤدّباً. وتربّى على يده كثير من أعلام التابعين، وأصبحت الكوفة منذ قدومه معهداً خصباً لنشر علوم الإسلام وبثّها وتعليمها، وازدهرت ازدهاراً بالغاً بعد ما هاجر إليها الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام ومعه جلّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله العلماء النبهاء. ومن ثَمَّ تداومت هذه المدرسة طوال قرون يؤمّها روّاد العلم والفضيلة على مدى الأيّام.

٤ ـ مدرسة البصرة: قامت على يد أبي موسى الأشعري يوم قدمها والياً من قبل عمر بن الخطاب سنة ١٧. وهو الذي فقّه أهل البصرة وأقرأهم. لكنّ تداومها كان على يد علماء التابعين ممّن حلّوا بها فيما بعد ولا سيّما على عهد التابعي الكبير أبي سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري. كان عالماً جامعاً وفقيهاً مأموناً وعابداً ناسكاً، حسب تعبير ابن سعد وغيره. وكان أكثر ما يقوله عن عليّ عليه السلام من غير أن يصرّح باسمه. و يُكنّى عنه بأبي زينب. اتقاءً من شرّ أعدائه[١].

٥ ـ مدرسة الشام: قام بها الصحابي الجليل أبو الدرداء عويمر بن عامر الخزرجي. كان من أفاضل الصحابة وفقهائهم وحكمائهم. تولّى قضاء دمشق على عهد عمر. وتخرّج على يديه جماعة من أكابر التابعين، منهم: سعيد بن المسيّب وعلقمة بن قيس وسويد بن غفلة وجبير بن نفير وزيد بن وهب وآخرون. ولم ينزل دمشق من أكابر الصحابة سوى أبي الدرداء، توفّي بها سنة ٣٢ ودفن بجوار المسجد الأموي وقبره معروف إلى اليوم. وبلال بن رباح المؤذّن الذي مات في طاعون عمواس سنة ٢٠ ودفن بحلب. وكذا واثلة بن الأسقع، وكان آخر من مات بدمشق من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله مات سنة ٨٥.

أعلام التابعين

تلك مدارس التفسير كان قد تخرّج عليها رجال علماء كانوا أكفاء لحمل عبء رسالة الإسلام إلى الملأ في الخافقين. وبهم ازدهرت معالم الدين وانتشرت أحكام الشريعة ومبانيها في شتّى

(١) راجع: أمالي المرتضى ١: ١٦٢؛ طبقات ابن سعد ٧: ١٥٧؛ تهذيب التهذيب ٢: ٢٦٦.

أرجاء البلاد. ولنذكر منهم من كانت له يد في التفسير وكانت آراؤه موضع اعتبار لدى كبار المفسّرين. وهم أعلام التابعين ومن حذا حذوهم من أتباع التابعين. وأشهرهم بالذكر هم[١]:

١ ـ سعيد بن جبير أبو عبدالله أو أبو محمّد الأسدي بالولاء. من أصل حبشي أسود اللون أبيض الخصال. كان من كبار التابعين ومتقدّميهم في الفقه والحديث والتفسير. أخذ العلم عن عبدالله بن عبّاس وسمع منه وأكثر روايته عنه. كان قد تفرّغ للعلم والقرآن حتّى صار علماً وإماماً للناس. قتله الطاغية الحجّاج بن يوسف الثقفي صبراً سنة ٩٥.

٢ ـ سعيد بن المسيّب بن حزن أبو محمّد المخزومي. صاحب عبادة وجماعة وعفّة وقناعة. كان سيّد التابعين من الطراز الأوّل، جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة، وهو أحد الفقهاء السبعة بالمدينة. توفّي سنة ٩٥.

٣ ـ مجاهد بن جَبْر أبو الحجّاج المخزومي. كان أوثق أصحاب ابن عبّاس، وقد اعتمده الأئمّة وأصحاب الحديث والتفسير. قال: «عرضت القرآن على ابن عبّاس ثلاث مرّات، أقف عند كلّ آية أسأله فيم نزلت وكيف نزلت»[٢]. توفّي سنة ١٠٤.

٤ ـ عكرمة مولى ابن عبّاس، أصله من البربر من أهل المغرب، وقد اجتهد ابن عبّاس في تعليمه القرآن والسنن فكان آية في التفسير والعلم بمباني الأحكام وأصبح فقيهاً وأعلم الناس بمعاني القرآن. توفّي سنة ١٠٥.

٥ ـ عطاء بن أبي رباح من أصل نوبي من بلاد الحبشة. كان من أجلّة فقهاء مكّة وزهّادها ومن خواصّ أصحاب ابن عبّاس والمتربّين في مدرسته. توفّي سنة ١١٥.

٦ ـ علقمة بن قيس أبو شبل أو أبو شبيل النخعي الكوفي. أخذ عن عليّ عليه السلام وابن مسعود وحذيفة وأبي الدرداء وسلمان وغيرهم من النبلاء. وكان أعلم الناس بعبدالله بن مسعود وأحد السّتّة من أصحابه الذين كانوا يقرئون الناس ويعلّمونهم السنّة ويصدر الناس عن رأيهم[٣]. توفّي سنة ٦٢.

٧ ـ الأسود بن يزيد أبو عبدالرحمان النخعي الكوفي من كبار التابعين المخضرمين من

---

(١) تجد تفاصيل تراجمهم في كتابنا التمهيد ٩: ٢٦٩ ومابعد.

(٢) راجع: ترجمته في الطبقات ٥: ٤٦٦ ـ ٤٦٧؛ تهذيب التهذيب ١٠: ٤٣ ـ ٤٤؛ ميزان الاعتدال ٣: ٤٣٩؛ الجرح والتعديل ٨: ٣١٩.

(٣) وهم: علقمة بن قيس. والأسود بن يزيد. ومسروق بن الأجدع. وعبيدة بن قيس. وعمرو بن شرحبيل. والحارث بن قيس الجعفي. (تاريخ بغداد ١٢: ٢٩٦ و ١٣: ٢٣٤).

أصحاب عبدالله بن مسعود وروى عن حذيفة وبلال وعليعليه‌السلام وكان على جانب عظيم من الفهم لكتاب الله، ثقة صالح ورع ناسك. وذكره جماعة في الصحابة لإدراكه. توفّي سنة ٧٥.

٨ ـ مسروق بن الأجدع أبو عائشة الهَمْداني الوادعي الكوفي، الفقيه العابد. أخذ العلم عن عليّعليه‌السلام وابن مسعود وكان خصّيصاً به. وروى عن معاذ بن جبل والخبّاب بن الأرت وأبيّ بن كعب وكان على غزارة من العلم حريصاً على الأخذ من كبار العلماء من صحابة الرسولصلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم. توفّي سنة ٦٣.

٩ ـ عمرو بن شرحبيل أبو ميسرة الهَمْداني الوادعي الكوفي، روى عن عليّعليه‌السلام وعبدالله بن مسعود وكان من أصحابه. وروى عن حذيفة وسلمان وقيس بن سعد بن عبادة وأشباههم من خلّص أصحاب رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم. توفّي سنة ٦٣.

١٠ ـ الحارث بن قيس الجعفي الكوفي من أصحاب ابن‌مسعود ومن السّتّة الذين كانوا يقرؤون الناس ويفتونهم ويعلّمونهم الكتاب والسنّة. وكانوا معجبين به. قتل بصفين في ركاب عليّعليه‌السلام.

١١ ـ عبيدة بن قيس بن عمرو السلماني. من أصحاب عليعليه‌السلام وابن مسعود. وعُدَّ من الفقهاء من أصحاب ابن مسعود. وكان شريح إذا أشكل عليه القضاء كتب إلى عبيدة. توفّي سنة ٧٢.

١٢ ـ أبو عبدالرحمان السُّلَمي، هو: عبدالله بن حُبَيب الكوفي. من أصحاب ابن مسعود وشهد مع عليّعليه‌السلام صفّين. كان ثقة كثير الحديث وكان عند جميعهم ثقة. كان قارئاً ومعلّماً للقرآن. وكان عاصم قد أخذ عنه القراءة عن عليّعليه‌السلام. توفّي سنة ٧٢.

١٣ ـ مُرّة الهَمْداني أبو إسماعيل ابن شراحيل المعروف بمُرّة الطيب ومُرّة الخير، لقّب بذلك لعبادته. روى عن عليّعليه‌السلام وأبي ذرّ وحذيفة وابن مسعود. قيل أدرك النبيّصلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ولم يره. توفّي سنة ٧٦.

١٤ ـ زِرُّ بنُ حُبَيش الأسدي أبو مريم الكوفي مخضرم أدرك الجاهليّة. كان من أصحاب ابن مسعود ومن ثقات الإمام أميرالمؤمنينعليه‌السلام. قال عاصم: «كان زِرّ من أعرب الناس»[1]. ومنه أخذ قراءة ابن مسعود. توفّي سنة ٨٣.

١٥ ـ أبو الشعثاء الكوفي، هو: سليم بن أسود المحاربي الكوفي. روى عن أبي ذرّ وحذيفة

(١) الطبقات ٦: ١٠٥.

وسلمان وابن عبّاس وابن مسعود وكان خصّيصاً به. قال أبو حاتم: «لا يسأل عن مثله»[١]. قال الواقدي: «شهد مع عليّ عليه السلام مشاهده كلّها»[٢]. توفّي سنة ٨٢.

١٦ ـ أبو العالية رُفَيع بن مِهران الرياحي البصري، أدرك الجاهليّة وأسلم بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه و آله بسنتين. تابعي ثقة من كبار التابعين المشهورين بالتفسير. روى عن عليّ عليه السلام وابن مسعود وأبيّ بن كعب وابن عبّاس وحذيفة وأبي ذرّ وأبي أيّوب وغيرهم من أكابر الأصحاب. وهو مجمع على وثاقته. قال ابن أبي داوود: «ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقراءة من أبي العالية. وبعده سعيد بن جبير، وبعده السدّي، وبعده الثوري»[٣]. مات سنة ٩٣.

١٧ ـ زيد بن وهب أبو سليمان الجهني الكوفي. رحل إلى النبيّ صلى الله عليه و آله مهاجراً ولم يدركه. قبض صلى الله عليه و آله وهو في الطريق. معدود من كبار التابعين. روى عن عليّ عليه السلام وابن مسعود وحذيفة وأبي الدرداء وأبي ذرّ. سكن الكوفة وكان في الجيش الذي مع عليّ عليه السلام في حربه مع الخوارج. وهو أوّل من جمع خطبه في الجمع والأعياد وغيرها. توفّي سنة ٩٦[٤].

١٨ ـ أبو الشعثاء الأزدي هو: جابر بن زيد اليحمدي الجوفي البصري. روى عن ابن عبّاس وعكرمة وغيرهما. قال ابن عبّاس: «لو أنّ أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علماً من كتاب الله»[٥]. توفّي سنة ١٠٣.

١٩ ـ طاووس بن كيسان، أبو عبدالرحمان الخولاني الهَمْداني اليماني من أبناء الفرس. أحد أعلام التابعين. كان فقيهاً جليل القدر، نبيه الذكر. قال ابن عُيينة: «قلت لعبيد الله بن أبي يزيد: مع من تدخل على ابن عبّاس؟ قال: مع عطاء وأصحابه. قلت: وطاووس؟ قال: أيهات، كان ذلك يدخل مع الخواصّ»[٦].

[م / ١٠٠] قال أبو نعيم: «هو أوّل الطبقة من أهل اليمن، الذين قال فيهم النبيّ صلى الله عليه و آله: الإيمان يمان»[٧]. وقد أدرك خمسين رجلاً من الصحابة وعلمائهم وأعلامهم، وأكثر روايته عن ابن عبّاس[٨]. وروى عنه الصفوة من الأئمّة التابعين. وعدّ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام. توفّي

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤: ١٧٩ / ٦٨.
(٢) تهذيب التهذيب ٤: ١٦٥.
(٣) المصدر ٣: ٢٨٤ ـ ٢٨٦.
(٤) المصدر: ٤٢٧؛ أُسد الغابة ٢: ٢٤٢؛ الإصابة ١: ٥٨٣ / ٣٠٠١.
(٥) تهذيب التهذيب ٢: ٣٨ / ٦١.
(٦) الجرح والتعديل ٤: ٥٠٠ ـ ٥٠١؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٤٦.
(٧) حلية الأولياء ٤: ٣.
(٨) المصدر: ١٦.

سنة ١٠٦.

٢٠ ـ محمّد بن كعب القُرَظي أبو حمزة، وقيل أبو عبدالله، المدني. سكن الكوفة ثمّ المدينة، أحد العلماء المعاريف. قال ابن عون: «ما رأيت أحداً أعلم بتأويل القرآن من القُـرَظي»(١). روى عن عليّ عليه السلام وابن عبّاس وعبدالله بن جعفر والبراء بن عازب وجابر بن عبدالله وأنس وغيرهم. قال ابن حبّان: «كان من أفاضل أهل المدينة علماً وفقهاً»(٢). توفّي سنة ١٠٨.

٢١ ـ عامر الشعبي أبو عمرو بن شراحيل الحميري الكوفي من شعب هَمْدان. روى عن عليّ عليه السلام وابن عبّاس ومسروق بن الأجدع وكثير من الأصحاب والتابعين. كان فقيهاً بارعاً، قويّ الحافظة. قال العجلي: «سمع من ٤٨ صحابياً ولا يكاد يرسل إلّا صحيحاً»(٣). توفّي سنة ١٠٩.

٢٢ ـ الحسن البصري أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري. كان أكثر ما يقوله عن عليّ عليه السلام من غير أن يصرّح باسمه الشريف وكان يكنّي عنه بأبي زينب. قال الشريف المرتضى: «كان الحسن بارع الفصاحة، بليغ الموعظة، كثير العلم. وجميع كلامه في المواعظ وذمّ الدنيا ـ أو جلّه ـ مأخوذ لفظاً ومعنى أو معنىً، من كلام الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام»(٤) فهو القدوة والغاية. توفّي سنة ١١٠.

٢٣ ـ شهر بن حوشب الأشعري أبو سعيد، مولى أسماء بنت يزيد. روى عنها وعن أمّ سَلَمة وأبي سعيد الخُدري وسلمان وأبي ذرّ وجابر وغيرهم من كبار الأصحاب. وروى عنه كثير من أقرانه التابعين، وعدّه الشيخ من أصحاب الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام(٥) واعتمده الأئمّة وكانت رواياته حجّة لدى الجميع. ولثقة الإسلام الكليني رواية مسندة عنه في باب الوصيّة للإمام الحسن المجتبى عليه السلام(٦). وروى عنه الطبري في التفسير وكذا الطبرسي والقمّي عن طريق أبي حمزة الثُمالي. توفّي سنة ١١١.

٢٤ ـ قتادة بن دِعامة أبو الخطّاب السّدوسي البصري. كان تابعيّاً وعالماً كبيراً، كان فقيه أهل

(١) سير أعلام النبلاء ٥: ٦٨؛ خلاصة تهذيب التهذيب: ٣٥٧. (٢) تهذيب التهذيب ٩: ٤٢٠ ـ ٤٢٢ / ٦٨٩.
(٣) المصدر ٥: ٦٥ ـ ٦٩. (٤) أمالي المرتضى ١: ٢٦٢ و ١٥٣.
(٥) رجال الشيخ: ٦٨ / ١٠.
(٦) الكافي ١: ٢٩٨ / ٣، باب الاشارة والنصّ على الحسن بن عليّ عليه السلام. وراجع: معجم رجال الحديث ١٠: ٥٠ / ٥٧٧٠، ترجمة شهر بن حوشب؛ تهذيب التهذيب ٤: ٣٢٤ / ٦٣٥.

البصرة. قال أبو عبيدة: «كان أجمع الناس». قال أبو حاتم: «سمعت أحمد بن حنبل وذكر قتادة، فأطنب في ذكره، فجعل ينشر من علمه وفقهه ومعرفته بالاختلاف والتفسير، ووصفه بالحفظ والفقه». وقال: «قلّما تجد من يتقدّمه، أمّا المِثل فلعلّ»[١]. سمع أنس بن مالك ونفراً من الأصحاب. وأكثر روايته عن أكابر التابعين كسعيد بن المسيّب وعكرمة وأبي الشعثاء جابر بن زيد والحسن البصري وغيرهم. توفّي بواسط في الطاعون سنة ١١٨.

٢٥ ـ زيد بن أسلم العَدَوي أبو أُسامة، ويقال: أبو عبدالله المدني، الفقيه المفسّر، كان مولى عمر بن الخطاب وبَرَع حتّى أصبح من كبار التابعين المرموقين[٢]. أخذ عن أبيه وابن عمر وأبي هريرة وعائشة وجابر وأنس وغيرهم. صحب الإمام زين العابدين عليه السلام وكان يجالسه كثيراً. كانت له حَلَقة في مسجد المدينة يحضرها جلّ الفقهاء وربما بلغوا أربعين فقيهاً. وله رواية عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام. وله تفسير يرويه عنه ابنه عبدالرحمان، توفّي سنة ١٣٦.

٢٦ ـ الربيع بن أنس البكري، ويقال: الحنفي، البصري ثمّ الخراساني. روى عن أنس وأبي العالية والحسن البصري وأرسل عن أمّ سَلَمة. قال أبو حاتم: صدوق. وقال ابن معين: كان يتشيّع فيُفرط. وذكره ابن حبّان في الثقات. توفّي سنة ١٤٠[٣].

٢٧ ـ الأصبغ بن نباتة التميمي ثُمَّ الحنظلي أبوالقاسم الكوفي من أصحاب عليّ والحسن بن عليّ عليهما السلام قال العجلي: «كوفي تابعي ثقة». كان على شرطة عليّ عليه السلام[٤] وكان مفتوناً به. قال سيدنا الأستاذ الخوئي رحمه الله: «هو من المتقدّمين من سلفنا الصالحين. عدّه النجاشي من خاصّة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام وروى عنه عهد الأشتر ووصيّته إلى ابنه محمّد. وهو من العشرة الذين دعا هم الإمام خاصّته. وعُمّر بعده»[٥].

أتباع التابعين

ويلحق بالتابعين أتباعهم ممّن نشطوا على انتهاج طريقتهم ونسجوا كرائم الآثار على منوالهم.

---

(١) تهذيب التهذيب ٨: ٣٥٤ ـ ٣٥٥.

(٢) طبقات المفسّرين للداودي ١: ١٧٦ ـ ١٧٧ / ١٧٥؛ تقريب التهذيب (ابن حجر) ١: ٢٧٢.

(٣) تهذيب التهذيب ٣: ٢٣٨ / ٤٦١.

(٤) المصدر ١: ٣٦٢ / ٦٥٨.

(٥) معجم رجال الحديث ٣: ٢١٩ / ١٥٠٩.

وهم كثرة من علماء أجلّاء بهم دارت رحى العلم في أرجاء البلاد وملأوا الآفاق صيتاً وشهرة، فكانوا قدوة أهل العلم مصدراً ومرجعاً يرجع إليهم روّاد العلم والفضيلة من كلّ صوب ومكان.

وإليك الأهمّ ممّن حملوا علوم القرآن ونشروا معارفه في الخافقين:

١ ـ الضحّاك بن مزاحم الهلالي أبوالقاسم وقيل: أبو محمّد الخراساني. لقي كبار التابعين وأخذ عنهم ولا سيّما سعيد بن جبير، أخذ عنه تفسير ابن عبّاس. وكانت له يد طولىٰ في التفسير وفهم معاني القرآن. وله تفسيران: صغير وكبير، كانا من مراجع الطبري والطبرسي وابن كثير وغيرهم. وذكرناه عند الكلام عن الطريق السادس إلى تفسير ابن عبّاس[١]. توفّي سنة ١٠٥. وذكر ابن قتيبة أنّه مات سنة ١٠٢.

٢ ـ السُّدّي الكبير، إسماعيل بن عبدالرحمان أبو محمّد القرشي الكوفي من كبار أتباع التابعين. أخذ عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عبّاس. وكذلك عن مرّة بن شراحيل الهمداني عن ابن مسعود وناس من الصحابة. وروى عنه الأئمّة مثل الثوري وشعبة، وعدّه الشيخ من أصحاب الإمام السجّاد عليه السلام. وعدّ من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام[٢] أيضاً. وذكرناه عند الكلام عن الطريق الرابع إلى ابن عبّاس[٣]. توفّي سنة ١٢٨.

٣ ـ جابر الجُعفي: أبو عبدالله بن يزيد بن الحارث الكوفي، عربيّ صميم. أخذ عن عكرمة وعطاء وطاووس وجماعة. وأخذ عنه شعبة والثوري وغيرهما. عدّه الشيخ في رجال الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام[٤] وصفه الأئمّة بالصدق والورع والأمانة. كان إماماً في الحديث والتفسير. له كتاب في التفسير معروف. توفّي سنة ١٢٨.

٤ ـ ابن أبي نُجَيح، أبو يسار عبدالله بن أبي نجيح يسار الثقفي الكوفي. له تفسير رواه عن مجاهد، وثقه الأئمّة وعدّ تفسيره من أصحّ التفاسير. وقد طبع بعناية مجمع البحوث الإسلاميّة بباكستان سنة ١٣٦٧. وله شأن كبير في التفاسير الأثريّة. توفّي سنة ١٣١.

٥ ـ واصل بن عطاء، أبو حذيفة البصري شيخ المعتزلة ومؤسس المدرسة العقليّة في إبّان

---

(١) راجع: التمهيد ٩: ٢٤١.

(٢) راجع: معجم رجال الحديث ٤: ٦٣ / ١٣٧٣؛ تهذيب التهذيب ١: ٢٧٣ ـ ٢٧٤ / ٥٧٢.

(٣) راجع: التمهيد ٩: ٢٣٦ ـ ٢٣٧.

(٤) رجال الطوسي: ١٧٦. وراجع: ميزان الاعتدال: ٣٧٩ / ١٤٢٥، ترجمة جابر بن يزيد.

النهضة الفكريّة في الجامعة الإسلامية يومذاك. له تفسير باسم «معاني القرآن». وترجم له السيد المرتضى في الأمالي وأثنى عليه[١]. توفّي سنة ١٣١.

٦ ـ عطاء الخراساني، أبو أيّوب ابن أبي مسلم ميسرة البلخي نزيل الشام. روى عن الصحابة مرسلاً ولا سيّما ابن عبّاس. وأكثر رواياته في التفسير عن سعيد بن المسيّب وعطاء بن أبي رباح ويحيى بن يعمر وأمثالهم. وروى عنه ابنه وشعبة وابن طهمان ومعمر وابن جريج وخلق. وذكر ابن جريج: «أنّه لم يسمع التفسير من عطاء وإنّما أخذ الكتاب من أبيه ونظر فيه»[٢]. وعدّه أبو نعيم من الفقهاء الكمّلين والوُعّاظ العاملين. توفّي سنة ١٣٥.

٧ ـ عطاء بن السائب: أبو محمّد الثقفي الكوفي أحد الأئمّة. أخذ عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة وغيرهم. وروى عنه الأعمش وابن جُرَيج وغيرهما. قال أبو إسحاق: «كان عطاء بن السائب من البقايا»[٣]. وعُدَّ من أصحاب الإمام السجّاد عليه السلام. توفّي سنة ١٣٦.

٨ ـ أبان بن تغلب بن رباح: أبو سعيد البكري الكوفي. قال الشيخ: «ثقة جليل القدر، عظيم المنزلة. لقي أبا محمّد السجّاد وأبا جعفر الباقر وأبا عبدالله الصادق عليهم السلام وكانت له عندهم حظوة وقدم». وكان إذا قدم المدينة تقوّضت له الحِلَق وأخليت له سارية النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وكان ذلك بأمر الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام

[م / ١٠١] قال له: «اجلس في المسجد وأَفْتِ للناس، فإنّي أحبّ أن يُرَى في شيعتي مثلك».
كان قارئاً فقيهاً لغويّاً نبيلاً، سمع العرب وحكى عنهم وصنّف كتاب «الغريب في القرآن» وذكر شواهده من شعر العرب[٤]. توفّي سنة ١٤١.

٩ ـ أبو النضر، محمّد بن السائب الكلبي الكوفي، النسّابة المفسّر الشهير. أخذ التفسير عن أبي صالح مولى أمّ هانئ عن ابن عبّاس. قال ابن خلّكان: «صاحب التفسير وعلم النسب، وكان إماماً في هذين العلمين»[٥]. قال جلال الدين السيوطي: «وليس لأحد تفسير أطول ولا أشبع منه، وبعده مقاتل بن سليمان، إلّا أنّ الكلبي يفضّل عليه»[٦]. وقد ذكرناه عند الكلام عن الطريق التاسع

(١) الأمالي ١: ١١٣ ـ ١١٤، المجلس ١١.
(٢) تهذيب التهذيب ٧: ١٩١.
(٣) الكامل ٥: ٣٦٢.
(٤) الفهرست: ٥٧. وراجع: رجال النجاشي: ١٠ / ٧. ترجمة أبان بن تغلب.
(٥) وفيات الأعيان ٤: ٣٠٩ / ٦٣٤.
(٦) الإتقان ٤: ٢٠٩؛ الكامل لابن عديّ ٦: ١٢٠.

إلى تفسير ابن عبّاس[١]. توفّي سنة ١٤٦.

١٠ ـ أبو حمزة ثابت بن دينار الُثمالي الأزدي الكوفي. كان معظّماً عند أئمّة أهل البيت عليهم السلام كثير السماع منهم.

[م / ١٠٢] قال الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام بشأنه: «أبو حمزة الثمالي في زمانه كلقمان ـ أو كسلمان ـ في زمانه. وذلك أنّه خدم أربعة من الأئمّة: السجّاد والباقر والصادق والكاظم عليهم السلام»[٢].

قال ابن النديم بشأنه: «من النجباء الثقات»[٣]. وقال السيّد الصدر: «شيخ الشيعة في الكوفة والمسموع قوله فيهم». ورواياته في التفسير معتمدة، اعتمدها الطبري والثعلبي وابن كثير وغيرهم. وأخرج أحاديثه الحاكم وصحّحها وكذا غيره من أعلام المحدّثين كالترمذي وابن ماجة والخطيب وابن أبي شيبة والطحاوي وأمثالهم. وله تفسير استخرجه الأستاذ عبدالرزّاق حرز الدين[٤]. توفّي سنة ١٤٨.

١١ ـ ابن أبي ليلى: أبو عبدالرحمان محمّد بن عبدالرحمان بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي الفقيه. قال العجلي: كان فقيهاً صاحب سنّة، صدوقاً وكان عالماً بالقرآن وكان من أحسب الناس. وتصدّى قضاء الكوفة أيّام يوسف بن عمر الثقفي[٥]. توفّي سنة ١٤٨.

١٢ ـ شِبْل بن عَبّاد، أبو داوود المكّي من القرّاء المفسّرين، أخذ عن أبي الطفيل وابن كثير وابن سهل بن سعد الساعدي وزيد بن أسلم وسويد بن حجير وابن أبي نجيح وآخرين. توفّي سنة ١٤٨. وقيل: بعد الخمسين.

١٣ ـ ابن جُرَيج، عبدالملك بن عبدالعزيز بن جُرَيج من أصل رومي. كان من أوعية العلم وأصبح فقيه أهل الحرم وإمامهم. وهو أوّل من تصدّى لجمع الحديث وتدوينه وتبويبه في مكّة. أخذ عن عطاء بن أبي رباح وابن أبي طلحة وزيد بن أسلم وصالح بن كيسان وطاووس وابن أبي مليكة وعطاء الخراساني وعمرو بن دينار وخلق كثير. وعدّه الشيخ من رجال الإمام الصادق عليه السلام وكان الإمام يُرجع الناس إليه في الفتوى. وأسند عنه الكليني والصدوق وغيرهما من أعلام. توفّي سنة ١٥٠.

---

(١) راجع: التمهيد ٩: ٢٤٨ ـ ٢٥٢.

(٢) اختيار معرفة الرجال ٢: ٤٥٨.

(٣) الفهرست: ٧٠.

(٤) طبع سنة ١٤٢٠ق.

(٥) سير أعلام النبلاء ٦: ٣١٠ ـ ٣١٢ / ١٣٣ ترجمة ابن أبي ليلى.

١٤ ـ يحيى بن كثير، أبوالنضر من أصحاب الحسن البصري وأخذ عن عطاء بن السائب وعاصم الأحول والرقاشي والخزّاز وغيرهم. وعدّه ابن حجر من رواة الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام[١]. توفّي حدود سنة ١٥٠.

١٥ ـ مقاتل بن حيّان، أبو بسطام البلخي النبطي الخرّاز. وهو معروف بابن دوال دوز، ومعناه الخرّاز. روى عن عمّته عمرة وسعيد بن المسيّب وعكرمة وشهر بن حوشب وقتادة والضحّاك وجماعة. ذكره ابن حبّان في الثقات. توفّي حدود سنة ١٥٠[٢].

١٦ ـ مقاتل بن سليمان، أبو الحسن بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني صاحب التفسير. أخذ عن عطاء بن أبي رباح وعطيّة بن سعد العوفي ومجاهد والضحّاك وغيرهم من أعلام. قال الشافعي: «الناس عيال على مقاتِل في التفسير». وقد وصفوه بكثرة العلم. توفّي سنة ١٥٠[٣].

١٧ ـ مَعْمَر بن راشد، أبو عروة بن أبي عمرو البصري. هاجر بعد موت الحسن إلى اليمن وبنا هناك مدرسة قرآنيّة طار صيتها في الآفاق. أخذ عن كبار التابعين. أمثلهم قتادة. وأخذ عنه الكثير، أشهرهم محمّد بن جعفر غندر وعبدالرزّاق الصنعاني وهشام الدستوائي وشعبة بن الحجّاج والثوري وخلق. جالس قتادة وهو ابن أربعة عشرة سنة. وعدّه ابن المديني وأبو حاتم فيمن دار الإسناد عليهم. توفّي سنة ١٥٣[٤].

١٨ ـ أبو الجارود، زياد بن المنذر الهَمْداني الكوفي الخارفي، المكفوف وكان يُلَقّب بالسرحوب. أخذ العلم من وُجَهاء التابعين كعطيّة العوفي وابن نباتة والحسن، وكان منقطعاً إلى الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام له تفسير عرف باسمه، غير أنّ فيه تخليطاً يعود إلى مذهبه الزيدي الجارودي. ذكره البخاري فيمن توفّي بين الخمسين إلى الستّين بعد المأة[٥].

١٩ ـ شعبة بن الحجّاج، أبو بِسطام بن الورد العَتَكي الواسطي ثمّ البصري، علم من الأعلام، كان فقيهاً نابهاً وعالماً بارعاً في الحديث والتفسير. أخذ العلم من أئمّة كبار، أمثال: أبان بن تغلب والجعفي وابن أبي ليلى وابن السائب وعطاء الخراساني وقتادة وآخرين ربما بلغوا ثلاثمأة إنسان

---

(١) تهذيب التهذيب ١١: ٢٣٤ / ٤٣٩.
(٢) المصدر ١٠: ٢٤٨ / ٥٠٢.
(٣) المصدر: ٢٤٩ ـ ٢٥٠ / ٥٠٣.
(٤) راجع: سير أعلام النبلاء ٧: ٥ ـ ٦ / ١؛ تهذيب التهذيب ١٠: ٢١٨ ـ ٢١٩ / ٤٤١.
(٥) راجع: معجم رجال الحديث ٨: ٣٣٢ / ٤٨١٥.

أوردهم ابن حجر بتفصيل. قال الحاكم: شعبة، إمام الأئمّة في معرفة الحديث بالبصرة، رأى أنساً وعمرو بن سَلَمة من الصحابة. وسمع من أربعمأة من التابعين. وذكره الشيخ وابن حجر وأبو نعيم فيمن اقتبس العلم من الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام. توفّي سنة ١٦٠[١].

٢٠ ـ ورقاء بن عُمَر، أبو بشر بن كليب اليشكري الكوفي نزيل المدائن. أصله من مرو وقيل من خوارزم. وصفه الذهبي بالإمام الثقة الحافظ العابد. أخذ عن زيد بن أسلم وابن أبي نُجَيح وابن السائب وأضرابهم. وأخذ عنه كبار الأئمّة أمثال شعبة ـ وكان أكبر منه ـ ووكيع وابن المبارك وغيرهم. توفّي حدود سنة ١٦٠[٢].

٢١ ـ سفيان الثوري، أبو عبدالله بن سعيد بن مسروق. كان إماماً في الحديث وأجمع الناس على دينه وورعه وزهده وثقته. وهو أحد الأئمّة المجتهدين. أخذ عن جمّ من الأقطاب كالجُعفي وسِماك بن حرب والأعمش وابن أبي نُجَيح وابن السائب وغيرهم. وعدّه الشيخ في أصحاب الصادق عليه السلام[٣]. وصفه الأئمّة بأنّه أميرالمؤمنين في الحديث. وأخذ عنه خلق كثير ممّن نشروا العلم في البلاد. توفّي سنة ١٦١.

٢٢ ـ سفيان بن عُيَيْنة، أبو محمّد بن أبي عمران الهلالي الكوفي. كان إماماً عالماً ثبتاً حجّة ومجمعاً على صحّة حديثه. وصفه الذهبي بشيخ الإسلام، وكان أدرك نيفاً وثمانين نفساً من التابعين وأخذ عنهم. قال الإمام أحمد بشأنه: «ما رأيت أحداً من الفقهاء أعلم بالقرآن والسنن منه»[٤]. وهكذا وصفه الإمام الشافعي بغزارة العلم والكفاءة. وعدّه الشيخ والبرقي في أصحاب الإمام الصادق عليه السلام[٥] وبقي إلى أيّام الإمام الرضا عليه السلام وله في تفسير القمي والكافي الشريف والتهذيب[٦] روايات اعتمدها الأصحاب. وكانت له يد طولى في التفسير. توفّي سنة ١٦٣.

٢٣ ـ ابن أسلم، هو: ابن زيد ويكنّى بأبي زيد أيضاً. عبدالرحمان بن زيد بن أسلم العَدَوي مولاهم، المَدَني، التنوخي. نسبة إلى تنوخ: قبيلة باليمن. محدّث مفسّر مشهور. له كتاب في التفسير ورسالة في الناسخ والمنسوخ. روى عن أبيه وابن المنكدر وصفوان وأبي حازم. وأخذ

---

(١) راجع: تهذيب التهذيب ٤: ٢٩٧ / ٥٩٠؛ سير أعلام النبلاء ٧: ٢٠٢ / ٨٠.

(٢) راجع: سير أعلام النبلاء ٧: ٤١٩ / ١٥٧.

(٣) رجال الشيخ: ٢٢٠ / ١٦٢.

(٤) راجع: تهذيب التهذيب ٤: ١٠٧ / ٢٠٥.

(٥) معجم رجال الحديث ٩: ١٦٤ ـ ١٦٥ / ٥٢٤٦.

(٦) راجع: القمي ١: ٧٠؛ الكافي ٤: ٨٣ ـ ١/٨٤؛ تهذيب الأحكام ٤: ٨٩٥/٢٩٤ ـ ١.

عنه كبار المفسّرين أمثال عبدالرزّاق بن همّام ووكيع بن الجرّاح وسفيان بن عُيَينة وغيرهم. وهو ممّن احتمله الناس وممّن يكتب حديثه. عدّه الطوسي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام. توفّي سنة ١٨٢.

٢٤ ـ أبو معاوية، هُشَيم بن بشير السُّلَمي الواسطي. بخاري الأصل نزيل بغداد، فقيه محدّث ومفسّر خبير ومن مشايخ الإمام أحمد بن حنبل. وكان مرجع الطبري في التاريخ والتفسير. سمع الزهري وعمرو بن دينار وابن زاذان وأبا بشر وأيّوب السختياني وحصين بن عبدالرحمان. وأخذ عنه شعبة ويحيى بن سعيد وابن حنبل وقتيبة وابن أيّوب وخلق كثير. توفّي سنة ١٨٣.

٢٥ ـ السُّدّي الصغير، محمّد بن مروان بن عبدالله بن إسماعيل، حفيد السّدّي الكبير. روى عن الأعمش ويحيى بن سعيد الأنصاري ومحمّد بن السائب الكلبي صاحب التفسير وغيرهم من أعلام. وكان الرجل موضع ثقة عند الأئمّة. ذكرناه ذيل الحديث عن الطريق التاسع إلى ابن عبّاس[1]. وعدّ في أصحاب الإمام الباقر ومن رجال الإمام الصادق عليهما السلام. توفّي سنة ١٨٦.

٢٦ ـ وكيع بن الجرّاح، هو أبو سفيان الرؤاسي الكوفي من كبار الحفّاظ والعلماء. قال أحمد: «ما رأيت أوعى للعلم من وكيع ولا أحفظ منه وكان مطبوع الحفظ»[2] وكان إمام المسلمين في وقته وكان جِهْبِذاً رفيع القدر حجّة وكان يفتي. أخذ عن السفيانين وشريك النخعي وشعبة والأعمش وابن جُرَيج وأبي حمزة وغيرهم من أعلام. له تفسير القرآن رواه الحسّاني واستخدمه الثعلبي في الكشف والبيان وكذا الطبري في جامع البيان. توفّي سنة ١٩٦.

٢٧ ـ ابن كيسان الأصمّ، أبوبكر عبدالرحمان. كان من أفصح الناس وأفقههم وله تفسير عجيب ومقالات في أصول الاعتزال نالا تقديراً كبيراً. كان من طبقة أبي الهذيل العلّاف. توفّي حدود سنة ٢٠٠.

٢٨ ـ الفرّاء، أبو زكريّا يحيى بن زياد. له تفسير كبير (معاني القرآن) كثير الفائدة جليل. طبع في ثلاث مجلّدات. توفّي سنة ٢٠٣.

٢٩ ـ أبو المنذر الكلبي، هشام بن محمّد بن السائب، من المشاهير الأعلام. عالم بالأنساب وله تفسير. أخذ عن أبيه وعن مجاهد وجماعة. خلّف أكثر من مئة كتاب وتأليف. توفّي سنة ٢٠٤.

---

(١) التمهيد ٩: ٢٥٣ ـ ٢٥٤. (٢) تهذيب التهذيب ١١: ١١٠.

٣٠ ـ رَوْح بن عُبادة، أبو محمّد بن العلاء القيسي الحافظ المفسّر. أخذ العلم عن الثقات الأثبات: مالك والأوزاعي وابن جُرَيج وابن عون وشعبة والسفيانين وغيرهم. وأخذ عنه خلق كثير. قال الخطيب: «كان رَوْح من أهل البصرة فقدم بغداد وحدّث بها مدّة طويلة. كان كثير الحديث وجمع التفسير وكان ثقة»[1]. توفّي سنة ٢٠٥.

٣١ ـ يزيد بن هارون، أبو خالد بن هارون بن زاذان الواسطي، أصله من بخارا، أحد الأعلام الحُفّاظ المشاهير. أخذ عن الثوري وشعبة وابن اسحاق والربعي وأمثالهم. وأخذ عنه خلق. له كتاب في الفرائض وكتاب التفسير. توفّي سنة ٢٠٥.

٣٢ ـ الصنعاني، عبدالرزّاق بن همّام، الحافظ الكبير صاحب التصانيف، قصده روّاد العلم من كل صوب ومكان، أخذ عن عكرمة وابن جُرَيج والأوزاعي ومالك والسفيانين وعمدتهم معمر بن راشد، وعنه أخذ الأئمّة المعاريف. توفّي سنة ٢١١.

٣٣ ـ الفريابي، أبو عبدالله محمّد بن يوسف بن واقد التركي، نزيل قيساريّة على ساحل الشام. أخذ عن الأوزاعي والثوري ولازمه. وعنه أخذ البخاري وخلق. توفّي سنة ٢١٢.

٣٤ ـ أبو عامر، قبيصة بن عقبة الكوفي له كتاب في التفسير، أفاد منه الطبري والثعلبي وغيرهما من أعلام المفسّرين. أخذ عن الثوري والجرّاح والد وكيع وحمّاد بن سَلَمة وحمزة الزيّات وغيرهم. وأخذ عنه البخاري وعبد بن حميد وابن سلام وابن حنبل وآخرون. توفّي سنة ٢١٥.

٣٥ ـ أبو حذيفة، موسى بن مسعود النَّهْدي البصري المحدّث المفسّر من شيوخ البخاري. أخرج له الطبري في التفسير والتاريخ. أخذ عن عكرمة بن عمار وشبل بن عباد وغيرهم. وروى له أبو داوود والترمذي وابن ماجة وآخرون، توفّي سنة ٢٤٠.

تفسير التابعي في كفّة الميزان

لقد اهتمّ أرباب التفسير في العناية بالمأثور من تفاسير الأوائل، ولا سيّما الصحابة والتابعين، ولم يكن ذلك منهم إلّا عناية بالغة بشأنهم وبمواضعهم الرفيعة من التفسير.

إنّ ذلك الحجم المتضخّم من التفسير المنقول عن السلف الصالح، وأكثرها الغالب من التابعين.

---

(١) تاريخ بغداد ٨: ٤٠١، روح بن عبادة (٤٥٠٣).

بعد أن كان المأثور عن ابن عبّاس منقولاً عن طريق متخرّجي مدرسته ممّن يعدّ من أعلام التابعين. وهكذا المنقول عن سائر الأصحاب. إنّ ذلك لممّا يدلّ على مبلغ الاهتمام بتفاسيرهم والإجلال بمقامهم الرفيع. وليس إلّا لأنّهم أقرب عهداً بنزول الوحي، وأطول باعاً في الإحاطة بأسباب النزول، وأسهل تناولاً لفهم معاني القرآن الكريم. فإنّ القرآن قد نزل بلغة العرب وعلى أساليب كلامهم المألوف، وقد كان الأوائل أصفى ذهناً وأقرب تناوشاً لتصاريف اللغة ومجاري ألفاظها وتعابيرها. إنّهم أعرف بمواضع اللغة في عهد خلوصها، وأطول يداً في البلوغ إلى مجانيها من ثمرات وأعواد.

كما أنّهم أمسّ جانباً بأحاديث الرسول ﷺ والعلماء من صحابته الأعلام. فهم أقرب فهماً لأبعاد الشريعة في أصولها والفروع، والإحاطة بجوانب الكتاب والسنّة والسيرة الكريمة.

فكان الاهتمام بشأنهم، والرجوع إلى آرائهم ونظراتهم، ومعرفة أقوالهم في التفسير، إنّما هو لمكان تقدّمهم وسبقهم في مسرح الدِّين الحنيف، شأن كلّ خَلَفٍ يرجع إلى آراء سلفه، لا ليتقلّدها أو يتعبّد بها، بل ليستعين بها ويستفيد في سبيل الوصول إلى أقصاها، والصعود على أعلاها، فكان تمحيصاً وتحقيقاً في الاختيار، لا تقليداً أو تعبّداً برأي!

ولا شكّ أنّ الإحاطة بآراء العلماء سلفاً وخلفاً، لهي من أكبر عوامل التوسعة في الفكر والإجالة في النظر والإنتاج، وبالتالي أكثر توسّعاً في العلوم والمعارف والصعود على مدارج الفضيلة والكمال. هكذا تقدّم العلم وازدهرت معارف الإنسان على طول الزّمان.

فلآراء السلف قيمتها ووزنها في سبيل الرقيّ على مدارج الكمال، ولولاه لتوقّف العلم على نقطته الأولى، ولم يخط خطواته الواسعة في مسيرته هذه الحثيثة، نحو التكامل والازدهار.

قال الإمام بدر الدين الزركشي: وفي الرجوع إلى قول التابعي روايتان عن أحمد. واختار ابن عقيل المنع وحكوه عن شعبة. لكن عمل المفسّرين على خلافه وقد حكوا في كتبهم أقوالهم. قال: وهذه تفاسير القدماء المشهورين، وغالب أقوالهم تلقّوها من الصحابة [١].

وقال الحافظ أبو أحمد ابن عَديّ: للكلبي [٢] أحاديث صالحة وخاصّة عن أبي صالح، وهو

---

(١) البرهان ٢: ١٥٨.

(٢) هو أبو المنذر هشام بن أبي النضر محمّد بن السائب الكلبي الكوفي، كان أعلم الناس بالأنساب، وكان إلى جنب علمه بالأنساب عالماً بالتفسير كبيراً، صحب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، توفّي سنة ١٤٦.

معروف بالتفسير. وليس لأحد تفسير أطول منه ولا أشبع فيه. وبعده مقاتل بن سليمان (م ١٥٠) إلّا أنّ الكلبي يُفضَّل عليه. ثمّ بعد هذه الطبقة ألّفت تفاسير تجمع أقوال الصحابة والتابعين. وجعل يعدّدهم بتفصيل(١).

وقال أحمد بن عبدالحليم: إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنّة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رَجَع كثير من الأئمّة في ذلك إلى أقوال التابعين(٢).

هذا وقد تعلّل بعضهم في اعتبار ما ورد من تفاسير التابعين، إذ ليس لهم سماع من رسول الله صلى الله عليه وآله فهي من آرائهم، ويجوز عليهم الخطاء. كما لم يُنَصّ على عدالتهم كما نصّ على عدالة الصحابة. فقد نقل عن أبي حنيفة أنّه قال: ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله فعلى الرأس والعين، وما جاء عن الصحابة تخيّرنا، وما جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال!

وقال شعبة بن الحجّاج: أقوال التابعين ليست حجّة، فكيف تكون حجّة في التفسير؟ وقد عرفت عن أحمد روايتين: إحداهما بالقبول، والأخرى بالرفض!(٣)

قلت: إن كان أريد التعبّد بأقوال التابعين والتسليم لآرائهم في التفسير، فهذا لا مبرّر له، نعم سوى العناية بأقوالهم لغرض التحقيق وبلوغ الغاية المنشودة، ليكون لآرائهم موضع الوصول إلى حقيقة الواقع، حيث هم أقرب عهداً وأسهل تناوشاً لمواضع النزول. كما أنّهم هم الواسطة بيننا وبين أقوال الصحابة وأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وقد عرفت أنّ جلّ التابعين هم المتخرّجون من مدارس الصحابة الأوّلين، المتربّين على يد صاحب الرسالة بالذات.

فجملة علومهم، مستنبطة من منابع أصيلة ومنتهية إلى مصدر الوحي الأمين، الأمر الذي يجعل الفارق بيّناً بين من كان شأنهم هذا، وبين من كان مستقاه بعيد المنال!

موضع الحديث من التفسير

لا شكّ أنّ المصدر الأوّل لتفسير القرآن هو القرآن، باعتبار ردّ متشابهاته إلى المحكمات لأنّهنّ أمّ الكتاب، وكما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: القرآن ينطق بعضُه ببعض ويشهد بعضُه على بعض(٤).

---

(١) البرهان ٢: ١٥٨ ـ ١٥٩. وراجع: الكامل لابن عديّ ٦: ١٢٠.

(٢) مقدمته في أصول التفسير: ٤٩.

(٣) التفسير والمفسّرون للذهبي ١: ١٢٨ ـ ١٢٩.

(٤) نهج البلاغة ٢: ١٧، الخطبة ١٣٣.

وكان النبيّ ﷺ إلى جنب القرآن هو المصدر الآخر لتبيينه وتفسيره، ﴿وَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾(١). وقد ربّى أصحابه على فهم القرآن والاستنباط منه ليكونوا قدوة لسائر الأمّة ومعالم بها يهتدون.

كما تربّى على يديهم الذين اتّبعوهم بإحسان، فكانوا جميعاً مراجع الأمّة ومصادر أولى للفقه والتفسير وكانت أحاديثهم وآراؤهم هي مشاعل وهّاجة تنير درب الهداية، في كافّة أنحاء الحياة.

هذا ممّا لا مجال للريب فيه إذا بلغتنا أحاديثهم عن طريق متواتر أو محفوف بدلائل اليقين. أمّا إذا كان حديثاً واصلاً عن طريق الآحاد، فهل هو على نفس الاعتبار، أم له شأن آخر؟ الأمر الذي أثار بعض الشُبَه، فلنتريّث لديه!

قد يقال: إذا كان اعتبار الخبر الواحد مستنداً إلى دليل التعبّد به، ومن غير أن يوجب علماً ،فهذا ممّا لا يجدي نفعاً في باب التفسير، حيث المطلوب هنا هو فهم معاني القرآن، ولا تعبّد في فهم، إنّما التعبّد فيما كان المطلوب هو العمل محضاً، وهو خاصّ بباب التكاليف والأحكام. أمّا التفسير فلا مجال للتعبّد فيه. فلا حجّيّة في خبر لم يبلغ مبلغ التواتر أو لم تحفّه قرائن قاطعة ممّا يوجب العلم بمؤدّاه!

قال الشيخ أبو جعفر الطوسي: ولا يجوز لأحد أن يقلّد أحداً منهم (المفسّرين القدامى والمتأخّرين) بل ينبغي أن يرجع إلى الأدلّة الصحيحة، إمّا العقليّة أو الشرعيّة، من إجماع أو نقل متواتر، عمّن يجب اتّباع قوله، ولا يُقبل في ذلك خبر واحد، خاصّةً إذا كان [المورد] ممّا طريقه العلم. ومتى كان التأويل يحتاج إلى شاهد من اللّغة، فلا يقبل من الشاهد إلّا ما كان معلوماً بين أهل اللغة شائعاً بينهم، وأمّا طريقة الآحاد من الرّوايات الشاردة والألفاظ النادرة، فإنّه لا يُقطع بذلك ولا يُجعل شاهداً على كتاب الله وينبغي أن يتوقّف فيه(٢).

والأصل في ذلك ما ذكره الشيخ أبو عبدالله المفيد بشأن الرّوايات في باب الاعتقاديّات من أنّ حجّيتها إنّما هي من باب التعبّد بها، ولا تعبّد فيما سبيله العلم ولا عمل هناك كي يمكن التعبّد فيه. وشأن التفسير شأن أصول المعارف، حيث المطلوب فيه العلم المبتني على الفهم القاطع، دون الظنّ والاحتمال.

---

(١) النحل ١٦: ٤٤.

(٢) التبيان ١: ٦ـ٧.

ذكر ذلك مكرّراً في كتابه «تصحيح الاعتقادات» ردّاً على أبي جعفر ابن بابويه الصدوق في بنائه جلّ المعارف على أساس أخبار آحاد لا توجب علماً ولا عملاً[١]. حيث المطلوب في هذا الباب هو العلم، والخبر الواحد لا يوجب علماً. كما أنّ اعتباره إنّما هو من باب التعبّد، ولا تعبّد في غير العمل الخاصّ بأبواب التكاليف.

لكنّه ﷺ إنّما أنكر على الصدوق اعتماده على الأحاديث من غير تمحيص ولا تمييز بين صحيحها وسقيمها، وليس مطلق العمل بالخبر الواحد إذا كان وجيهاً معلوم الوجاهة. قال في مسألة الإرادة والمشيئة ـ بعد أن ذكر كلام الصدوق فيها ـ: الذي ذكره الشيخ أبو جعفر ﷺ في هذا الباب، لا يتحصّل، ومعانيه تختلف وتتناقض، والسّبب في ذلك أنّه عمل على ظواهر الأحاديث المختلفة، ولم يكن ممّن يرى النظر، فيميّز بين الحقّ منها والباطل ويعمل على ما يوجب الحجّة. ومن عوّل في مذهبه على الأقاويل المختلفة وتقليد الرواة كانت حاله في الضعف ما وصفناه[٢].

وقال في مسألة القضاء والقدر ـ بعد أن ذكر كلام الصدوق في النهي عن الخوض فيها ـ: عوّل أبو جعفر في هذا الباب على أحاديث شواذّ، لها وجوه يعرفها العلماء، متى صحّت وثبت إسنادها. ولم يقل فيه قولاً محصّلاً، وقد كان ينبغي له ـ لمّا لم يكن يعرف للقضاء معنىً ـ أن يهمل الكلام فيه[٣].

إذن لم ينكر الشيخ المفيد جواز التعويل على أخبار الآحاد بصورة مطلقة، وإنّما أنكر التعويل عليها من غير تمحيص ولا تقويم، ولا سيّما لمن لم يكن من أهله!

ومن ثَمَّ نراه هو، قد اعتمد الكثير من أخبار الأحاد في نفس الكتاب، حيث وجدها صالحة للاعتماد.

وهكذا نرى أبا المعالي علم الهدى السيد المرتضى ﷺ إنّما أنكر على الجمهور اعتمادهم أخبار الآحاد من غير رويّة ولا مبالاة[٤]. أمّا الخبر إذا كان ذا مستند وثيق وكان راويه ممّن يوثق به ولم يكن ممّا يرفضه العقل أو يخالف ظاهر الكتاب، فهذا ممّا لا منع من التعبّد به، نظير الإخبار عن

---

(١) راجع بالخصوص قوله عن حديث نزول القرآن جملة واحدة إلى البيت المعمور. (مصنّفات الشيخ ٥: ١٢٣).

(٢) المصدر: ٤٩. (٣) المصدر: ٥٤.

(٤) راجع: الذّريعة إلى أُصول الشريعة ٢: ٥١٧ ـ ٥٥٥. ورسالته في إبطال العمل بأخبار الآحاد (رسائل الشريف المرتضى، المجموعة الثالثة: ٣٠٩ / ٤٨)، والفصل الثاني عن أجوبته للمسائل التبانيّات: ٢١ ـ ٢٩ (المجموعة الأولى).

الحوادث والبلدان، وقد اعتمد الأصحاب رواية الثقة في الشرائع والأحكام. وطريقتهم هذه معروفة وحجّة معتبرة، كما ذكره الشيخ في كتابه «عدّة الأصول»(١).

وللشيخ نجم الدين أبي القاسم المحقّق الحلّي صاحب كتاب «شرائع الإسلام» تحقيق لطيف عن مذهب السيّد والشيخ وينتهي إلى ما ذكره الشيخ في نهاية المطاف(٢).

ذكر سيّدنا الأستاذ الخوئي ـ طاب ثراه ـ عن شيخه المحقّق النائيني ـ طاب رمسه ـ أنّ ما نفاه السيّد وتبعه الشيخ من عدم اعتبار خبر الواحد إنّما هو في الأخبار الضعيفة أو الموهونة، لا التي رواها الثقة الثبت من الرجال.

قال: إنّ للخبر الواحد اصطلاحين، أحدهما: مقابل المتواتر أو المحفوف بقرائن قطعيّة. والثاني: الضعيف الموهون. ولا يبعد أن يكون معقد الإجماع الذي ادّعاه السيد ـ قدّس سرّه ـ وغيره، على عدم الحجّية، هو الخبر الواحد بالمعنى الثاني. وإلّا فلم يعهد من أحد من الأعلام عدم العمل بأخبار الآحاد التي يرويها الثقات. فدعوا هم الإجماع على عدم الحجّيّة لا تنافي عملهم بالأخبار، لأنّ معقد الإجماع هو المعنى الثاني، والمعمول به هو الخبر بالمعنى الأوّل.

قال: والشاهد على ذلك أنّ الشيخ ـ قدّس سرّه ـ الذي ادّعى الإجماع على حجّية خبر الواحد، كثيراً مّا يقول ـ في كتاب الاستبصار، في مقام الاعتذار عن عدم العمل بخبرٍ ـ: إنّما لم نعمل به، لأنّه خبر واحد(٣). والمراد هو المعنى الثاني، وإلّا فخبر الثقة العدل عنده حجّة مسلّمة(٤). وكان دأبه وكذا السيّد والمفيد وغيرهم من علمائنا الأعلام هو العمل بخبر الثقة الثبت.

وقد تواتر عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام لزوم الأخذ بما يرويه عنهم الثقات:

[م/١٠٣] جاء في التوقيع الذي خرج على يد القاسم بن العلاء: «فإنّه لا عذر لأحدٍ من موالينا في التشكيك فيما يؤدّيه عنّا ثقاتنا، قد عرفوا بأنّنا نفاوضهم سرّنا، ونحمّله إيّاه إليهم»(٥).

[م/١٠٤] وروى ثقة الإسلام الكليني بإسناده الصحيح إلى أحمد بن إسحاق عن أبي الحسن

---

(١) راجع: عدّة الأصول للطوسي ١: ٣٣٦ ـ ٣٦٧. (٢) راجع: معارج الأصول: ١٤٠ ـ ١٤٨.

(٣) انظر على سبيل المثال: الاستبصار ١: ٣٥ ـ ٣٦ ذيل الحديث ٩٦.

(٤) راجع: الهداية في الأصول للصافي الإصفهاني ٣: ١٧٥. وراجع: مصباح الأصول للبهسودي ٢: ١٤٩.

(٥) راجع: رجال الكشّي ٢: ٨١٦ / ١٠٢٠. في ترجمة أحمد بن هلال العبرتائي (الذي خرج التوقيع بذمّه) وفي نسخة الوسائل ٢٧: ١٤٩ ـ ١٥٠ / ٣٣٤٥٥: فيما يرويه عنا ثقاتنا. ونحمّلهم إيّاه إليهم. و ١: ٣٨ / ٢٢: «يؤدّيه».

الهادي عليه السلام قال: سألته: من أعامل، وعمّن آخذ، وقول من أقبل؟ فقال: العُمَري ثقتي، فما أدّى إليك عنّي فعنّي يؤدّي، وما قال لك عنّي فعنّي يقول. فاسمع له وأطع، فإنّه الثقة المأمون.

[م/١٠٥] وأيضاً قال: إنّه سأل أبا محمّد العسكري عن مثل ذلك؟ فقال: العُمَري وابنه ثقتان، فما أدّيا إليك عنّي فعنّي يؤدّيان، وما قالا لك فعنّي يقولان، فاسمع لهما وأطعهما، فإنّهما الثقتان المأمونان[١].

والعُمَريُّ وابنُه هما: عثمانُ بنُ سعيد العمريّ وابنُه محمّد بن عثمان، كانا النائبين الأوّل والثاني من النوّاب الأربعة في الناحية المقدّسة على عهد الغيبة الصغرى، على غائبها ألف تحيّة وسلام، وعجّل الله تعالى فرجه الشريف.

على أنّ دأب علمائنا الأعلام على الأخذ برواية الثبت الثقة الأمين معروف معهود لا غبار عليه، كما ذكره الشيخ في العدّة، حتّى ولم يشترطوا كونه إماميّاً بعد احراز كونه صدوقا في حديثه أميناً في روايته. وهذا هو مذهب أصحابنا أجمع من غير خلاف. وهكذا المعهود من دأبهم الأخذ برواية الثقة الثبت، في مختلف شؤون الدين، في المعارف والأحكام والتاريخ والتفسير جميعاً ومن غير فرق.

نعم هناك مَن أخذ من كلام المفيد، بأن لا تعبّد في غير التكاليف، مستنداً لرفض حجيّة الخبر الواحد في مجال التفسير، حيث المطلوب فيه هو فهم المعاني، وهو من باب العلم ولا مساس له بالعمل فيما سوى آيات الأحكام.

وبذلك فسّر كثيرٌ من الأصوليّين الحجّيّة التعبّديّة في باب الأمارات والدلائل الظنيّة، ومنها الخبر الواحد، بالتنجّز والتعذّر تعبّداً[٢]، ولا مجال له في غير التكاليف ذوات أثر شرعي عملي.

ومن ثَمَّ قالوا ـ في مسألة الإخبار مع الواسطة ـ بضرورة كون المخبر به ذا أثر شرعي حتّى يشمله دليل الحجّيّة التعبّديّة[٣].

وهكذا ذهب العلّامة الطباطبائي إلى عدم حجّيّة خبر الواحد في باب التفسير، استناداً إلى ما

---

(١) الكافي ١: ٣٢٩ ـ ٣٣٠ / ١، باب تسمية من رآه من كتاب الحجّة.

(٢) راجع: كفاية الأصول للمحقّق الخراساني: ٢٧٧.

(٣) راجع: أجود التقريرات للإمام الخوئي، تقريراً لمباحث المحقق النائيني ٢: ١٠٥؛ كفاية الأصول: ٢٩٧.

ذكره علماء الأصول. قال: الذي استقرّ عليه النظر اليوم في المسألة، أنّ الخبر إذا كان متواتراً أو محفوفاً بقرينة قطعيّة، فهو حجّة. وأمّا غير ذلك فلا حجّيّة فيه، ما سوى الأخبار الواردة بشأن الأحكام الشرعيّة الفرعيّة، إذا كان الخبر موثوق الصدور... قال: وذلك أنّ الحجّيّة الشرعيّة (التعبّديّة) من الاعتبارات العُقَلائيّة، فتتبع وجود أثر شرعيّ في المورد ليقبل الجعل والاعتبار الشرعيّ. أمّا القضايا التاريخيّة والأمور الاعتقاديّة، فلا معنى لجعل الحجّيّة فيها، لعدم أثر شرعيّ. قال ولا معنى لحكم الشارع بكون غير العلم علماً وإلزام المكلّفين بالتعبّد به[1].

وهذا الذي نفاه أخيراً، قد أثبته سيّدنا الأستاذ الخوئي ومن قَبله شيخه المحقّق النائيني وغيرهما من أعلام الأصوليين.

أمّا المحقّق النائيني فإنّه يرى من تفسير الحجّيّة في باب الأمارات هو: اعتبار كاشفيّتها، وجعلها دلائل علميّة، حسب اعتبار العقلاء عرفيّاً، وليس تعبّديّاً محضاً. إنّه ـ قدّس سره ـ يرى في باب الطرق والأمارات، أنّ المجعول (الذي تعلّق به الاعتبار والحجّيّة) هو نفس الكاشفيّة والوسطيّة في الإثبات، فالمجعول هي الطريقيّة التامّة أي تتميم الكشف. حسب مصطلحهم[2].

وهكذا جاء في تقريرات سيدنا الأستاذ لمحاضرات شيخه النائيني حرفاً بحرف[3].

قال سيّدنا الأستاذ عند كلامه عن أصول التفسير وتبيين مواضع أئمّة الدين من التفسير: «لا شبهة في ثبوت قولهم عليهم السلام إذا دلّ عليه طريق قطعيّ لا شكّ فيه. وهل يثبت بطريق ظنّي دلّ على اعتباره دليل قطعي؟ فيه كلام بين الأعلام:

وقد يشكل في حجّية خبر الواحد الثقة إذا ورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير الكتاب، ووجه الإشكال في ذلك: أنّ معنى الحجّيّة، التي ثبتت للخبر الواحد أو لغيره من الأدلّة الظنيّة، هو وجوب ترتيب الآثار عليه عملاً، وهذا المعنى لا يتحقّق إلّا إذا كان مؤدّى الخبر حكماً شرعيّاً أو موضوعاً لحكم شرعيّ، وهذا المعنى مفقود في رواية التفسير.

قال: وهذا الإشكال خلاف التحقيق، فإنّا قد أوضحنا في مباحث الأصول: أنّ معنى الحجّيّة

(١) راجع: الميزان ١٠: ٣٦٥ ـ ٣٦٦. و ٣: ٨٧ ـ ٨٨ و ٦: ٥٩ و ١٢: ٢٧٨ وكتابه «قرآن در اسلام»: ٧٠.

(٢) راجع: فوائد الأصول المحقّق الكاظمي، تقريراً لمباحث المحقّق النائيني ٣: ١٨٠ ـ ١٨١.

(٣) أجود التقريرات ٢: ١٠٥.

في الأمارة (الناظرة إلى الواقع، أي التي كان لهاجهة كاشفيّة) هو جعلها علماً تعبّديّاً في حكم الشارع (أي أعتبر الظنّ الحاصل منها بمنزلة العلم) فيصبح الطريق (الظنّي) المعتبر فرداً من أفراد العلم، لكنّه تعبّداً لا وجداناً. فيترتّب عليه جميع ما يترتّب على القطع (العلم) من آثار. فيصحّ الإخبار على طبقه كما يصحّ الإخبار طبق العلم الوجداني ولا يكون قولاً بغير علم»[1].

وعليه فلا فرق في ذلك بين الأخبار المتكفّلة لبيان حكم شرعي أو غيره، كما في التفسير وسائر شؤون الدين.

وقال ـ في مباحثه عن حجيّة الظنّ ـ: إن كان الظنّ متعلّقاً بما يجب التباني وعقد القلب عليه والتسليم والانقياد له، كتفاصيل البرزخ وتفاصيل المعاد ووقائع يوم القيامة وتفاصيل الصراط والميزان ونحو ذلك مما لا تجب معرفته، وإنّما الواجب عقد القلب عليه والانقياد له على تقدير إخبار النبيّ ﷺ، فإن كان المتعلّق بهذه الأمور من الظنون الخاصّة (الثابتة حجّيتها بغير دليل الانسداد) فهو حجّة، بمعنى أنّه لا مانع من الالتزام بمتعلّقه وعقد القلب عليه، لأنّه ثابت بالتعبّد الشرعي.

بلا فرق بين أن تكون الحجيّة بمعنى جعل الطريقيّة ـ كما اخترناه ـ أو بمعنى جعل المنجّزيّة والمعذّريّة ـ كما اختاره صاحب الكفاية ـ.

وأمّا الظنّ المتعلّق بالأمور التكوينيّة أو التاريخيّة، كالظنّ بأنّ تحت الأرض كذا أو فوق السماء كذا. والظنّ بأحوال أهل القرون الماضية وكيفيّة حياتهم ونحو ذلك. فإن كان الظنّ من الظنون الخاصّة، فلا بدّ من التفصيل بين مسلكنا ومسلك صاحب الكفاية ﷺ، فإنّه على مسلكنا من أنّ معنى الحجيّة جعل غير العلم علماً بالتعبّد، يكون الظنّ المذكور حجّة، باعتبار أثر واحد وهو جواز الإخبار بمتعلّقه. فإذا قام ظنّ خاصّ على قضيّة تاريخيّة أو تكوينيّة، جاز لنا الإخبار بتلك القضيّة، بمقتضى حجيّة الظنّ المذكور، لأنّ جواز الإخبار عن الشيء منوط بالعلم به، وقد علمنا به بالتعبّد الشرعي. وهذا بخلاف مسلك صاحب الكفاية إذ لا أثر شرعيّاً للموجودات الخارجيّة أو القضايا التاريخيّة ليكون الظنّ منجّزاً أو معذّراً بالنسبة إليه. وأمّا جواز الإخبار عن شيء فهو فرع

---

(١) راجع: البيان: ٤٢١.

العلم به، والمفروض حصول العلم ـ ولو عن تعبّد شرعيّ ـ كما نبهّنا![١]

وهذا الذي ذكره سيّدنا الأستاذ ـ طاب ثراه ـ في غاية الدقّة والإتقان، غير أنّ هنا التفاتةً يجدر التنبّه لها، وتعود إلى جانب قوله بالتعبّد في حجيّة الأمارات، كما جاء في كلام سائر المشايخ العظام من اعتبارهم حجّية الخبر الواحد من باب التعبّد به شرعيّاً.

ولنتسائل: هل هناك تعبّد ـ في منح هذه الحجّية لخبر الثقة العدل ـ أم هي مرافقة مع العرف العامّ (أعراف العقلاء)؟

والذي يبدو لنا: أنّ حجّية الخبر الواحد (الجامع لشرائط الاعتبار) لم تكن مستندة إلى دليل تعبّدي (بأن تَعَبّدنا الشارع به) وإنّما هي سيرة عُقَلائيّة مشىٰ عليها عرفهم العامّ وجرى معهم الشارع الحكيم في مرافقة رشيدة! فلا تعبّد هناك ـ إطلاقاً ـ كي يلتمس ترتّب أثر عمليّ عليه أو يكون الشارع استهدفه تكليفيّاً! وإنّما هي مسايرة مع أعراف العقلاء في مناهجهم لتنظيم الحياة العامّة، وكان إخبار الثقة الضابط هو أحد أسباب العلم عندهم. فأمضاه الشارع وواكبهم في هذا المنهج الحكيم. وما ورد من آيات وروايات بشأن اعتبار خبر الثقة الأمين، إنّما هي شواهد على هذا الإمضاء والموافقة، ففي الحقيقة إنّه إرشاد إلى ذلك الاعتبار العامّ، وليس. مجرّد تكليف بالتعبّد محضاً.

(١) راجع: مصباح الأصول ٢: ٢٣٨ ـ ٢٣٩ (مبحث حجّية الظنّ في الاعتقاديّات).

آفات التفسير

هناك للتفسير آفات يجب التحذّر عنها، سواء أكان من النمط الأثري (النقلي) أم النظري (الاجتهادي). الأمر الذي ينبغي التنبّه له، أوّلاً، معرفة مواضع الآفة، ثمّ المحاولة بشأن علاجها قبل التورّط فيها.

وأهمّ مواضع الآفة في التفسير الأثري، هي وفور دواعي الدسّ والتزوير في روايات التفسير وكثرة الوضع والجعل لغايات، منها الخبيثة ومنها عن حسن النيّة لفرط الجهل والغباء. فتلك روايات إسرائيليّة وأخرى مفتعلة على يد القصّاصين وأصحاب المكايد والدسائس المدبّرة، قد ازدحمت بها كتب التفسير والحديث، وكانت بليّة مفجعة كابدها علماء الإسلام النابهون.

كما أنّ من أهمّ الآفات في التفسير النظري، هو جانب احتمال التفسير بالرأي في كثير من الأحيان حيث وفرة دواعي تحميل الرأي على القرآن أو الاستبداد بالرأي في تفسيره، ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، كما نصّ عليه الذكر الحكيم[1].

وقد شرحنا جوانب من مزلّات التفسير بكلا نوعيه، عند الكلام عن التفسير والمفسّرين، بتفصيل وتبيين، وإليك موجزاً عن ذلك.

---

(١) راجع: آل عمران ٣: ٧.

الوضع في التفسير

كان قد تناول جماعة للدسّ في الحديث والتفسير، نزولاً مع رغبات ساقطة وأهداف أخرى شرحناها[١] وكانوا قد أورثوا الأمّة أضراراً فادحة ربما لا تنجبر مع الأيام، إذ قد قلبوا الحقائق وطعنوا في التشويه والتزوير الشيء الكثير.

وحتّى قال الإمام أحمد: ثلاث كتب لا أصل لها: المغازي والملاحم والتفسير. قال المحقّقون من أصحابه: يعني أنّ الغالب على هذه الكتب أن ليس لها أسانيد صحاح متّصلة الإسناد[٢].

وهذا الإمام محمّد بن إدريس الشافعي يقول: لم يثبت عن ابن عبّاس في التفسير إلّا شبيه بمائة حديث[٣]. مراده: عدم صحّة الإسناد إليه في الكثير من المرويّات عنه.

وهذا الكلام وإن كان مبالغاً فيه، إلّا أنّه يدلّنا على كثرة ما دخل في التفسير من أحاديث مكذوبة مصطنعة، فضلاً عن الضعاف والمراسيل.

وقد عقد أبو عبدالله القرطبي في مقدّمة تفسيره باباً للتنبيه على أحاديث وضعت في فضل سور القرآن وغيره. قال فيه: لا التفات لما وضعه الواضعون واختلقه المختلقون من الأحاديث الكاذبة والأخبار الباطلة في فضل سور القرآن وغير ذلك من فضائل الأعمال، قد ارتكبها جماعة كثيرة اختلفت أغراضهم ومقاصدهم في ارتكابها. ثمّ أخذ في شرح تلك المقاصد والآثار السيّئة التي ترتّبت على تلك المساوئ[٤].

* هذا أحمد بن عبدالله الجويباري ـ في عصر شيوخ الأئمّة[٥] ـ من أهل هرات، قال أبو حاتم محمّد بن حبّان: دجّال من الدجاجلة، كذّاب، يروي عن ابن عُيينة ووكيع وأبي ضمرة وغيرهم من أصحاب الحديث، ويضع عليهم ما لم يحدّثوا. وقد روى عن هؤلاء الأئمّة ألوف حديث ما حدّثوا بشيء منها، كان يضعها عليهم[٦].

قال ابن عديّ: كان يضع الحديث لابن كرّام[٧]، على ما يريده، وكان ابن كرّام يُخرجها في كتبه

---

(١) التمهيد ٩: ٣٧ ـ ٢١٤. عند الكلام عن آفات التفسير بالمأثور.

(٢) الإتقان ٤: ١٨٠.

(٣) المصدر: ٢٠٩.

(٤) راجع: القرطبي ١: ٧٨.

(٥) المغني في الضعفاء، للذهبي ١: ٤٣/ ٣٢٢.

(٦) كتاب المجروحين ١: ١٤٢.

(٧) هو: أبو عبدالله محمّد بن كرّام. كان صاحب بدعة ومذهب في التجسيم والتشبيه. قال عنه الشهرستاني: ونبغ رجل متنمّس بالزهد ←

عنه، ويسمّيه أحمد بن عبدالله الشيباني. قال: وله ممّا وضعه أحاديث كثيرة لم أخرجها هاهنا. وممّا رواه على هذا النمط ما أسنده إلى أنس عن النبيّ ﷺ قال: «يكون في أمّتي رجل يقال له النعمان بن ثابت، يكنّىٰ أبا حنيفة، يجدّد الله سنّتي على يديه». هذا الحديث رواه عنه محمّد بن الكرّام وحدّث به عنه[1].

قال البيهقي: أمّا الجويباري فإنّي أعرفه حقّ المعرفة بوضع الأحاديث على رسول الله ﷺ فقد وضع عليه أكثر من ألف حديث. وقال الحاكم: كذّاب خبيث لا تحلّ رواية حديثه بوجهٍ[2].

قال أبو سعيد النقاش: لا نعرف أحداً أكثر وضعاً منه. وقال ابن حبّان في ترجمة إسحاق بن نجيح الملطي: تعلّق به أحمد بن عبدالله الجويباري، فكان يروي عنه ما وضعه إسحاق، ويضع عليه مالم يضع ايضاً[3].

* ومحمّد بن تميم السعدي الفاريابي شيخ محمّد بن كرّام. قال الحاكم: هو كذّاب خبيث. وقال أبو نعيم: كذّاب وضّاع[4] كان هو والجويباري كفرسي رهان يتسابقان في وضع الحديث في صالح ابن كرّام. قال ابن حبّان: تعلّق محمّد بن كرّام برجله وتشبّث بالجويباري في كتابه فأكثر روايته عنهما. قال: وكان السبب في ترك أصحابنا إيّاهما، أنّهما كانا يضعان الحديث على رسول الله ﷺ وضعاً[5].

قال سهل بن شاذويه: رأيت ببخارى ثلاثة من الكذّابين الذين يكذبون على رسول الله ﷺ: محمّد بن تميم هذا والحسن بن شبل الكرميني البخاري (شيخ معاصر للبخاري، ذكره السليماني في جملة من يضع الحديث)[6] وآخر[7]. قلت: ولعلّه محمّد بن عُكّاشة التالي، قبل أن ينتقل إلى الشام.

* ومحمّد بن إسحاق العُكّاشي الغنوي المعروف بابن عُكّاشة، من ولد عُكّاشة بن محصن.

← من سجستان، قليل العلم، قد قمش من كلّ مذهب ضغثاً وأثبته في كتابه وروّجه على أغتام غرجة وغور وسواد بلاد خراسان، فانتظم ناموسه وصار ذلك مذهباً وقد نصره محمود بن سبكتكين وصبّ البلاء على أصحاب الحديث والشيعة. ومذهبه أقرب إلى مذهب الخوارج، وهم مجسّمة. ومذهبه في الإمامة هو الجمع بين إمامين في زمان. فقد قالوا بإمامة عليّ ومعاوية على سواء. توفّي ابن كرّام سنة ٢٥٥. (الملل والنحل للشهرستاني ١: ٣١ و ١٠٨ ـ ١١٣).

(١) الكامل في الضعفاء ١: ١٧٧ ـ ١٧٨ / ١٧ ـ ١٧.

(٢) لسان الميزان ١: ١٩٣ / ٦١١.

(٣) المصدر: ١٩٤.

(٤) المصدر ٥: ٩٨ / ٣٣١.

(٥) كتاب المجروحين ٢: ٣٠٦.

(٦) لسان الميزان ٢: ٢١٢ / ٩٤٢.

(٧) المصدر ٥: ٩٨ / ٣٣١.

سكن الشام. قال ابن حبّان: كان ممّن يضع الحديث على الثقات، لا يجوز الاحتجاج به ولا الرواية عنه إلّا على جهة التعجّب عند أهل الصناعة[١]. ذكره الحاكم في الضعفاء وقال: إنّه كان ممّن يضع الحديث حسبةً. ونقل عن سهل بن السرّي الحافظ أنّه كان يقول: وضع أحمد الجويباري، ومحمّد بن تميم، ومحمّد بن عكّاشة، على رسول الله ﷺ أكثر من عشرة آلاف حديث[٢].

* وهذا أبو عصمة نوح بن أبي مريم المروزي قاضي مرو. قال ابن حبّان: كان ممّن يقلب الأسانيد ويروي عن الثقات ماليس من حديث الأثبات. قال: لا يجوز الاحتجاج به بحال[٣].

ولّي قضاء مرو في خلافة المنصور، وامتدّت حياته (هلك سنة ١٧٣) وكتب إليه أبو حنيفة عندما استقضي، يعظه[٤].

كان ممّن يضع الحديث حسبةً، قال الحاكم: وضع أبو عصمة حديث فضائل القرآن الطويل[٥]. وقال البخاري: ذاهب الحديث. وقال النسائي: ليس بثقة ولا مأمون.

قال ابن المبارك: أكره حديث أبي عصمة، وضعّفه وأنكر كثيراً منه. وقال ـ في الحديث الذي يرويه عن مقاتل بن حيّان في الشمس والقمر ـ: ليس له أصل. قال ابن حجر: الحديث الذي أشار إليه ابن المبارك في الشمس والقمر، هو حديث طويل، آثار الوضع عليه ظاهرة. وأورده أبو جعفر الطبري في تاريخه في بدء الخلق، وأشار إلى عدم صحّته، مع قلّة كلامه على الحديث في ذلك الكتاب. وكان مرجئيّاً شديداً على الجهميّة[٦].

كان يقال له: الجامع، لجمعه بين الفقاهة والتحديث والتفسير وعلم السير والمغازي، وكان مع ذلك عالماً بأمور الدنيا[٧].

لكن قال الحاكم: أبو عصمة مقدّم في علومه إلّا أنّه ذاهب الحديث بمرّة وقد أفحش أئمّة الحديث القول فيه ببراهين ظاهرة. قال: لقد كان جامعاً رزق كلّ شيء إلّا الصدق، نعوذ بالله من الخذلان.

---

(١) كتاب المجروحين ٢: ٢٨٤.
(٢) لسان الميزان ٥: ٢٨٦ / ٩٨٣.
(٣) كتاب المجروحين ٣: ٤٨.
(٤) ميزان الاعتدال ٤: ٢٧٩ / ٩١٤٣.
(٥) المصدر. وسنذكر طرفاً من الحديث فيما يأتي. وقيل: إنّ واضعه هو مأمون بن أحمد السلمي (هامش كتاب المجروحين ٣: ٤٨).
(٦) تهذيب التهذيب ١٠: ٤٨٦ / ٨٧٦؛ ميزان الاعتدال ٤: ٢٧٩. (٧) تهذيب التهذيب ١٠: ٤٨٧.

وذكر ابن حجر عن ابن حبّان قوله في نوح الجامع: جمع كلّ شيء إلّا الصدق [١].

* ومأمون بن أحمد أبو عبدالله السُّلَمي من أهل هراة. قال ابن حِبّان: كان دجّالاً من الدجاجلة، ظاهرُ أحواله مذهب الكرّاميّة وباطنها مالا يوقف على حقيقته. يروي عن هشام بن عمّار وغيره من أهل الشام ومصر وشيوخ لم يرهم. قال ابن حبّان: قلت له يوماً: متى دخلت الشام؟ قال: سنة خمسين ومائتين! قلت: فإنّ هشاماً الذي تروي عنه مات سنة خمس وأربعين ومائتين! فقال: هذا هشام بن عمارٍ آخر!!

قال: وروى عن أحمد بن عبدالله الجويباري بإسناده إلى أنس عن النبيّ ﷺ قال: «يكون في أُمّتي رجل يقال له محمّد بن إدريس أضرّ على أمّتي من إبليس، ويكون في أمّتي رجل يقال له أبو حنيفة، هو سراج أمّتي».

قال ابن حبّان: فمن حدّث بهذه الأحاديث أو ببعضها يجب أن لا يذكر في جماعة أهل العلم. وإنّما ذكرته لأنّ الأحداث بخراسان قد كتبوا عنه، ليعرف كذبه في الحديث وتعمّده في الإفك على أهل العلم [٢].

قال الذهبي: مأمون بن احمد السلمي الهروي، أخذ عن الجويباري، وله طامّات وفضائح [٣].

* وعبدالرحيم بن حبيب الفاريابي أبو محمّد. أصله من بغداد سكن فارياب [٤]. يروي عن بقيّة [٥] وإسحاق بن نجيح [٦]. وكان يضع الحديث على الثقات وضعاً. قال ابن حبّان: ولعلّ هذا الشيخ قد وضع أكثر من خمسمائة حديث على رسول الله ﷺ رواها عن الثقات [٧].

---

(١) المصدر: ٤٨٨. (٢) كتاب المجروحين ٣: ٤٥ـ٤٦.

(٣) المغني في الضعفاء ٢: ٥٣٩ / ٥١٥٥.

(٤) مدينة مشهورة بخراسان من أعمال جوزجان قرب بلخ غربيّ جيحون. (معجم البلدان ٤: ٢٢٩)

(٥) هو: بقيّة بن الوليد أحد أئمّة الحديث يروي عمّن دبّ ودرج وله غرائب تستنكر. قال ابن حنبل: له مناكير عن الثقات. قالوا: وكان يدلّس عن المتروكين. قال ابن حبّان: سمع من قوم كذّابين عن قوم ثقات، فأسقط أولئك الكذابين بينه وبينهم، فروى عن الثقات بالتدليس. (المغني للذهبي ١: ١٠٩ / ٩٤٤).

(٦) هو: إسحاق بن نجيح المَلَطي. قال أحمد بن حنبل: هو من أكذب الناس. قال: كان يحدّث عن أناس من السلف برأي أبي حنيفة. وقال يحيى بن معين: معروف بالكذب ووضع الحديث. وقال أحمد بن محمّد: سمعت يحيى بن معين يقول: إسحاق بن نجيح المَلَطي كذّاب، عدوّ الله، رجل سوء خبيث. (ميزان الاعتدال ١: ٢٠٠ / ٧٩٥)

(٧) كتاب المجروحين ٢: ١٦٢ـ١٦٣.

أهمّ أسباب الوضع في الحديث

ذكر الإمامُ الحافظ محمّد بن حِبّان بن أحمد، أبو حاتم التميمي البُستي (المتوفّى سنة ٣٥٤) في كتابه الذي وضعه لبيان المجروحين من المحدّثين والضعفاء والمتروكين، أنواعاً من الجرح في الضعفاء، نذكرها بتلخيص:

النوع الأوّل، ما وضعه الزنادقة ممّن لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، كانوا يدخلون المدن ويتشبّهون بأهل العلم ويضعون الحديث على العلماء ليوقعوا الشكّ في قلوب الناس. وربما سمع الثقات منهم ما يروون فيؤدّونها إلى من بعدهم، فوقعت في أيدي الناس حتّى تداولوها يداً بيد.

قال ابن لهيعة[١]: دخلت على شيخ وهو يبكي فقلت: ما يبكيك؟ قال: وضعت أربعمائة حديث أدخلتها في برنامج الناس، فلا أدري كيف أصنع!

قال يحيى بن عبدالله بن بكير[٢]: سمعت الليث ابن سعد[٣] يقول: قدم علينا شيخ من الإسكندريّة يروي عن نافع ـ ونافع يومئذ حيّ ـ فأتيناه فكتبنا عنه فنداقين[٤] عن نافع، فلمّا خرج الشيخ أرسلنا بالفنداقين إلى نافع فما عرف منها حديثاً واحداً. قال أصحابه: ينبغي أن يكون هذا من الشياطين الذين حُسبوا[٥].

وذكر القرطبي أنّ قوماً من الزنادقة مثل: المغيرة بن سعيد الكوفي ومحمّد بن سعيد الشامي المصلوب في الزندقة وغيرهما، وضعوا أحاديث وحدّثوا بها ليوقعوا بذلك الشكّ في قلوب الناس. فممّا رواه محمّد بن سعيد عن أنس بن مالك في قوله ﷺ: «أنا خاتم الأنبياء لا نبيّ بعدي»: إلّا ما شاء الله.

فزاد هذا الاستثناء، لما كان يدعو إليه من الإلحاد والزندقة[٦].

---

(١) هو: عبدالله بن لهيعة أبو عبدالرحمان المصري الفقيه القاضي. قال أبو داوود عن أحمد: ومن كان مثل ابن لهيعة بمصر في كثرة حديثه وضبطه وإتقانه. (تهذيب التهذيب ٥: ٣٧٥ / ٦٤٨).

(٢) هو أبو زكريّا المصري الحافظ وقد ينسب إلى جدّه. ذكره ابن حبّان في الثقات (١٥٤ ـ ٢٣١). قال ابن عديّ: كان جار الليث بن سعد، هو أثبت الناس فيه. وعنده عن الليث ما ليس عند أحد. (تهذيب التهذيب ١١: ٢٣٨ / ٣٨٧).

(٣) هو: الليث بن سعد بن عبدالرحمان الفهمي أبو الحارث الإمام المصري الشهير أصله من إصبهان. قال ابن سعد: كان قد اشتغل بالفتوى في زمانه وكان ثقة كثير الحديث صحيحاً وكان سريا من الرجال نبيلاً سخيّاً. وقال أحمد: ليس لأهل مصر أصحّ حديثاً من ليث. (تهذيب التهذيب ٨: ٤٦١ / ٨٣٢).

(٤) الفنداق: صحيفة الحساب: الدفتر.

(٥) أي رُجموا بالحُسبانة وهي الصاعقة.

(٦) القرطبي ١: ٧٨.

النوع الثاني، ما وضعه المغترّون حسبةً لله فيما زعموا. قال أبو حاتم: ومنهم من استفزّه الشيطان حتّى كان يضع الحديث على الشيوخ الثقات في الحثّ على الخير وذكر الفضائل، والزجر عن المعاصي والعقوبات عليها، متوهّمين أنّ ذلك مما يؤجرون عليها، يتأوّلون: قول النبيّ ﷺ: «من كذب عَلَيّ متعمّداً ...» زعموا: أنّهم كذبوا له لا عليه! قالوا: المقصود من الكذب عليه، رميه بالسحر أو الشعر أو الكهانة.

قال أبو حاتم: حدّثني أحمد بن محمّد الجواربي بواسط، عن عليّ بن عبدالرحمان بن المغيرة، قال: سمعت أبا صالح يقول: سمعت بقيّة (هو ابن الوليد كان يروي عمّن دبّ ودرج من غير هوادة) يقول: سمعت إبراهيم بن أدهم[1] يقول ـ بشأن هذا الحديث ـ: أن لو قال قائل: النبيّ ساحر أو شاعر أو كاهن.

قال: سمعت عبدالله بن جابر بطرسوس يقول: سمعت جعفر بن محمّد الأزدي يقول سمعت محمّد بن عيسى الطبّاع يقول سمعت ابن مهديّ[2] يقول لميسرة بن عبد ربّه[3]: من أين جئت بهذه الأحاديث: من قرأ كذا فله كذا؟ قال: وضعتها أرغّب الناس فيها.

النوع الثالث، ما وضعوه جرأةً على رسول الله ﷺ. قال أبو حاتم: ومنهم من كان يضع الحديث على الثقات وضعاً استحلالاً وجرأة على رسول الله ﷺ حتّى أنّ أحدهم كان عامّة ليله يسهر في وضع الحديث، كأبي البختري وهب بن وهب القاضي[4] وسليمان بن عمرو

---

(١) هو: أبو إسحاق العجلي البلخي الزاهد، سكن الشام. قال ابن حبان: هو من الثقات كان صابراً على الجهد والفقه والورع الدائم والسخاء الوافر إلى أن مات في بلاد الروم سنة ١٦١. قال النسائي: ثقة مأمون أحد الزهّاد. وقال الدارقطني: إذا روى عنه ثقة فهو صحيح الحديث! (تهذيب التهذيب ١: ١٠٣ / ١٧٦).

(٢) هو: عبدالرحمان بن مهديّ بن حسان العنبري أبو سعيد البصري الحافظ الإمام العلم الشامخ (تهذيب التهذيب ٦: ٢٧٩ / ٥٤٩).

(٣) كان ممّن يروي الموضوعات عن الأثبات ويضع الحديث، وهو صاحب حديث فضائل القرآن الطويل ـ حسبما نذكر ـ (لسان الميزان ٦: ١٣٨ / ٤٨٠).

(٤) سكن بغداد وولّي قضاء عسكر المهديّ ثمّ قضاء المدينة، ثمّ ولّي حرسها وصلاتها وكان جواداً ممدحاً، لكنّه متّهم في الحديث. وممّا وصموه: أنّه أكذب البريّة أو أكذب الناس طرّاً. قال ابن الجارود: كذّاب خبيث، كان عامّة اللّيل يضع الحديث. كان يضع الحديث تزلّفاً للأمراء. وهو صاحب حديث القباء الأسود وحديث لا سبق إلّا في جناح. وغيرهما من أحاديث كان يضعها ارتجالاً. ولمّا بلغ ابن مهدي موته قال: الحمد لله الذي أراح المسلمين منه. (لسان الميزان ٦: ٢٣٣ / ٨٣٠).

النخعي[(١)] والحسين بن علوان[(٢)] وإسحاق بن نجيح المَلَطي[(٣)] وذويهم.

النوع الرابع، من كان يضع الحديث تشوّقا للملوك في حين بعد حين من غير أن يجعل ذلك صناعة له. وهذا كغياث بن إبراهيم[(٤)]، حيث أدخل على المهدي وكان يهوي اللعب بالحمام، فلمّا دخل غياث وإذا قدّامه حمامة، فقيل له: حَدِّث أميرَ المؤمنين!

فقال: حدّثنا فلان عن فلان أنّ النبيّ ﷺ قال: لا سبق إلّا في نصل أوخفّ أو حافر أو جناح.

فأمر له المهديّ ببدرة[(٥)]. فلمّا قام وذهب، قال المهديّ: أشهد أنّه قفا كذّاب على رسول الله ﷺ ثمّ قال: أنا حملته على ذلك. فأمر بالحمام فذُبحت، ورفض ما كان عليه.

وحدّث سيف بن عمر قال: كنّا عند سعد بن طريف الإسكاف[(٦)]، فجاء ابنه يبكي، فقال: مالَكَ؟ قال: ضربني المعلّم! فقال: أما والله لأخزينّهم. حدّثني عِكرمة عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: معلّموا صبيانكم شراركم، أقلّهم رحمةً ليتيم، وأغلظهم على المسكين!

النوع الخامس، من كان كبر سنّه وذُهل عن الحفظ والتمييز، فإذا هو يخلط ويخبط ويقلب الأسانيد، فإذا حدّث، رفع المرسل، او أسند الموقف، وربما وهم من كلام حسن أنّه حديث عن رسول الله، فيرفعه إليه ذهولاً وغفلةً، بما أخرج حديثه عن حدّ الاحتجاج به. كأبان بن أبي

---

(١) هو: أبو داود النخعي الكذّاب. قال يحيى بن معين: معروف بوضع الحديث. قال: كان أكذب الناس. قال الحاكم: لست أشكّ في وضعه للحديث على تقشّفه وكثرة عبادته. قال ابن حجر: الكلام فيه لا يحصى، فقد كذّبه ونسبه إلى الوضع من المتقدّمين والمتأخّرين فوق الثلاثين نفساً. (لسان الميزان ٣: ٩٩ / ٣٣٢).

(٢) هو: الحسين بن علوان الكلبي، روى عن الأعمش وهشام بن عروة. قال يحيى: كذّاب. وقال ابن المديني: ضعيف جدّاً. قال ابن حبّان: كان يضع الحديث على هشام وغيره وضعاً، وقال محمّد بن عبدالرحيم: كان ابن‌علوان يحدّث عن هشام وابن عجلان أحاديث موضوعة. (لسان الميزان ٢: ٣٠٠ / ١٢٤٤).

(٣) قدّمنا بعض الكلام فيه.

(٤) النخعي. قال أحمد: ترك الناس حديثه. وقال الجوزجاني: سمعت غير واحد يقول: يضع الحديث. وقال الآجري: سألت أبا داوود عنه فقال: كذّاب، وقال: ليس بثقة ولا مأمون. وقال يحيى بن معين: كذّاب خبيث. (لسان الميزان ٤: ٤٢٢ / ١٢٩٦).

(٥) البدرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم، أو سبعة آلاف دينار.

(٦) الحذّاء الحنظلي الكوفي. قال النجاشي: يعرف وينكر وكان قاصّاً وضعّفه ابن الغضائري. (قاموس الرجال ٥: ٤٣ / ٣١٧٢).

عيّاش[١] ويزيد الرقاشي[٢] وذويهما.

قال القواريري: سمعت يحيى بن سعيد القطّان يقول: لم نجد الصالحين أكذب منهم في الحديث. وقال أبو إسحاق الطالقاني: سمعت ابن المبارك يقول: كنت اشتاق إلى لقاء عبدالله بن المحرّر[٣]، فلمّا رأيته، كانت بعرةٌ أحبّ إليّ منه.

النوع السادس، جماعة ثقات اختلطوا في أواخر أعمارهم حتّى لم يكونوا يعقلون ما يحدّثون، فاختلط حديثهم الصحيح بالسقيم فلم يتميّز فاستحقوا الترك.

ذكر مؤمّل بن الفضل، قال: سألت عيسى بن يونس عن الليث بن أبي سُليم الكوفي[٤]، فقال: قد رأيته وكان قد اختلط، وكنت مررت به ارتفاع النهار وهو على المنارة يؤذّن. وهذا ملحق بالنوع الخامس.

النوع السابع، من كان يجيب عن كلّ شيء يُسْئَل سواء أكان ذلك من حديثه أو من غير حديثه، فلا يبالي أن يتلقّن ما لُقّن، فإذا قيل له: هذا من حديثك حدّث به من غير أن يحفظ، فهذا وأحزابه لا يحتجّ بهم، لأنّهم يكذبون من حيث لا يعلمون.

النوع الثامن، من كان يحدّث بأحاديث غيره ناسباً لها إلى نفسه اغتراراً وذهولاً، من غير أن

---

(١) أبو إسماعيل البصري: روى عن أنس فأكثر. قال أبو حاتم: كان رجلاً صالحاً ولكنّه بلي بسوء الحفظ. قال ابن أبي حاتم: سئل أبو زرعة عنه فقال: ترك حديثه ولم يقرأه علينا. فقيل له: كان يتعمّد الكذب؟ قال: لا، كان يسمع الحديث من أنس ومن شهر بن حوشب ومن الحسن، فلا يميّز بينهم. وقال ابن عديّ: عامّة ما يرويه لا يتابع عليه. وأرجو أن لا يتعمّد الكذب، إلّا أنّه كان يشتبه عليه ويغلط، وهو إلى الضعف أقرب منه إلى الصدق، كما قال شعبة. نعم كان قارياً مجيداً ولُقّب بطاووس القرّاء. (تهذيب التهذيب ١: ٩٨ / ١٧٤).

(٢) هو: يزيد بن أبان الرقاشي البصري، أبو عمرو الزاهد العابد. روى عن أنس وغنيم بن قيس والحسن. قال يزيد بن هارون: سمعت شعبة يقول: لأن أزني أحبّ إليّ من أن أحدّث عن يزيد الرقاشي. ثمّ قال: يزيد، ما كان أهون عليه الزنا. قال أحمد: كان يزيد منكر الحديث، وكان سعيد يحمل عليه. وكان قاصّاً. وهو الذي روى أنّ رسول الله ﷺ أراد أن يصلي على عبدالله بن أبيّ، فأخذ جبرائيل بثوبه. وروى أيضاً أنّ آدم عليه السلام يشفّع في ألف ألف وعشرة آلاف ألف. (ميزان الاعتدال ٤: ٤١٨ / ٩٦٦٩).

(٣) هو: عبدالله بن المحرّر الجزري. روى عن ابن الأصمّ وقتادة. قال أحمد: ترك الناس حديثه. وقال الجوزجاني: هالك. وقال ابن حبّان: كان من خيار عباد الله، إلّا أنّه كان يكذب ولا يعلم ويقلّب الأخبار ولا يفهم. ولّاه منصور قضاء الرقّة. (ميزان الاعتدال ٢: ٥٠٠ / ٢٠٨).

(٤) قال أبوبكر بن عيّاش: كان ليث من أكثر الناس صلاةً وصياماً، وإذا وقع على شيء لم يردّه. وقال عبدالوارث: كان من أوعية العلم. وقال الدارقطني: كان صاحب سنّة. قال ابن حبّان: اختلط في آخر عمره. وقال أحمد: مضطرب الحديث. (ميزان الاعتدال ٣: ٤٢٠ / ٦٩٩٧).

يعرف شناعة هذا الأمر، لكثرة غباوته.

النوع التاسع، من كان يحدّث عن شيوخ لم يرهم ولكنّه أخذ من كتبهم وصحائفهم من غير سماع.

النوع العاشر، من كان يقلّب الأسانيد ويجعل الإسناد من شخص إلى شخص آخر تدليساً.

الحادي عشر، من كان ينسب إلى شيخ ـ رآه وسمعه ـ حديثاً لم يسمع منه، وإنما سمع من آخر ينسبه إلى شيخه ذاك، فهذا أخذه من ذلك ونسبه إلى شيخه سماعاً منه.

الثاني عشر، من كان يحدّث عن كتب غيره بعد أن ضاعت كتبه. فيرى أنّه يحدّث عن كتب نفسه.

الثالث عشر، من كثر خطاؤه وفحش وكاد أن يقلب الصواب، فاستحقّ الترك من أجله، وإن كان ثقة صالحاً في ظاهر حاله. لأنّ العدل إذا غلبت عليه أمارات الجرح استحقّ الترك.

الرابع عشر، من امتحن بولد سوء أو كاتب سوء. يضع له الحديث وقد أمن الشيخ ناصيته. فيقرأ عليه ويقول له: هذا من حديثك، فيحدّث به اغتراراً. فالشيخ في نفسه ثقة، إلّا أنّه متّهم بالخلط والتزوير من ناحية ذويه.

كان عبدالله بن ربيعة القُدامي[1] بالمَصّيصة[2]، كان له ابن سوء يدخل عليه الحديث عن مالك.

وكان لسفيان بن وكيع بن الجرّاح[3] ورّاق (كاتب) يقال له: قرطمة أو قرمطة، يدخل عليه

(١) هو: عبدالله بن محمّد بن ربيعة بن قدامة القدامي المصّيصي. قال ابن حجر: أحد الضعفاء، أتى عن مالك بمصائب. منها: عن جعفر بن محمّد عن آبائه قال: توفّيت فاطمة عليها السلام ليلاً، فجاء أبوبكر وعمر وجماعة كثيرة، فقال أبوبكر لعليّ: تقدّم فصّل، قال: لا والله، لاتقدّمت وأنت خليفة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فتقدّم أبوبكر وكبّر أربعاً.

قال ابن عديّ: عامّة أحاديثه غير محفوظة. وقال ابن حبّان: كان يقلّب الأخبار، لعله قلب على مالك أكثر من مائة وخمسين حديثاً. وروى عن إبراهيم بن سعد نسخة أكثرها مقلوب. قال الحاكم والنقّاش: روى عن مالك أحاديث موضوعة. قال الخليلي: أخذ أحاديث الضعفاء من أصحاب الزهري فرواها عن مالك. وقال أبو نعيم الإصبهاني: روى مناكير. (لسان الميزان ٣: ٣٣٤ / ١٣٨٢).

(٢) المصّيصة: مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين أنطاكيّة وبلاد الروم تقارب طرسوس. (معجم البلدان ٥: ١٤٤).

(٣) هو: سفيان بن وكيع بن الجرّاح الرواسي أبو محمّد الكوفي. قال البخاري: يتكلّمون فيه لأشياء لقّنوه. وقال ابن أبي حاتم: سألت أبا زرعة عنه فقال: لا يشتغل به. قال: كان أبوه رجلاً صالحاً. وأمّا سفيان هذا فيتّهم بالكذب. قال: سمعت أبي يقول: كلّمني فيه مشايخ من أهل الكوفة، فأتيته مع جماعة من أهل الحديث، فقلت له: إنّ حقّك واجب علينا، لو صنت نفسك واقتصرت على كتب أبيك،

←

الحديث. قال ابن حبّان: وهم جماعة يكثر عددهم. قال: أخبرني محمّد بن عبدالله بن عبدالسلام ببيروت، عن جعفر بن أبان الحافظ قال: سألت ابن نمير[1] عن قيس بن الربيع[2] فقال: كان له ابن هوآفته. ونظر أصحاب الحديث في كتبه، فأنكروا حديثه وظنّوا أنّ ابنه قد غيّرها.

الخامس عشر، من أدخل عليه شيء وهو لا يعلم، فلمّا تبيّن له لم يرجع عنه وجعل يحدث به آنفاً من الرجوع عمّا خرج منه. وهذا لا يكون إلّا من قلّة الديانة وعدم المبالاة بما هو مجروح في فعله، فاستحقّ الترك.

قال ابوحاتم: سمعت محمّد بن إسحاق الثقفي يقول: سمعت أبا سيّار ـ وكان خير الرجال ـ يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: لقّن غياثُ بن إبراهيم داوود الأودي[3] عن الشعبي عن عليّ عليه السلام قال: لا يكون مهراً أقلُّ من عشرة دراهم. فصار يحدّث...

← لكانت الرحلة إليك في ذلك. فقال: وما الذي ينقم عَلَيَّ؟ قلت: قد أدخل ورّاقك ما ليس من حديثك، بين حديثك! قال: فكيف السبيل في هذا؟ قلت: ترضى بالمخرجات وتقتصر على الأصول، وتنحّي هذا الورّاق، وتدعو بابن كرامة وتوليه أصولك. فإنّه يوثق به! فقال: مقبول منك. قال: فما فعل شيئاً ممّا تذاكرنا معه. قال: وبلغني أنّ ورّاقه كان يستمع علينا الحديث، فبطل الشيخ، وكان يحدّث بتلك الأحاديث التي أدخلت بين حديثه. (تهذيب التهذيب ٤: ١٢٤ / ٢١٠).

وقال ابن حبّان: كان شيخاً فاضلاً صدوقاً إلّا أنّه ابتلى بورّاق سوء كان يدخل عليه الحديث، وكان يثق به فيجيب فيما يقرأ عليه. وقيل له في أشياء منها فلم يرجع، فمن أجل ذلك استحقّ الترك. (كتاب المجروحين ١: ٣٥٩).

(١) هو: محمّد بن عبدالله بن نُمَير الهمداني الخارفي أبو عبدالرحمان الكوفي الحافظ. كان أحمد بن حنبل يعظّمه تعظيماً عجباً ويقول: أيّ فتىً هو!؟

وكان يقول: هو درّة العراق. كان رجلاً نبيلاً قد جمع العلم والفهم والسنّة والزهد. قال أحمد بن سنان: ما رأيت من الكوفيّين من أحداثهم أفضل منه! وقال ابن عدي: سمعت الحسن بن سفيان يقول: ابن نمير، ريحانة العراق وأحد الأعلام. (تهذيب التهذيب ٩: ٢٨٣ / ٤٦٣).

(٢) هو: قيس بن الربيع الأسدي أبو محمّد الكوفي. قال ابن عمّار: كان قيس عالماً بالحديث ولكنّه ولّي المدائن فنفر الناس عنه. قال ابن المديني: سألت أبي عنه فضعّفه. قال: وإنّما أهلكه ابن له، كان يقلّب عليه أشياء من حديثه. قال أبو داوود الطيالسي: إنّما أُتي قيس من قبل ابنه، كان ابنه يأخذ حديث الناس فيدخلها في درج كتاب أبيه ولا يعرف الشيخ ذلك. (تهذيب التهذيب ٨: ٣٩٤ / ٦٩٦).

(٣) هو: داوود بن يزيد بن عبدالرحمان الأودي (نسبة إلى أود بن صعب بن سعد العشيرة من مذحج) الزعافري (نسبة إلى زعافر ـ بطن من أود) أبو يزيد الكوفي الأعرج عمّ ابن إدريس. روى عن أبيه والشعبي وعنه السفيانان وشعبة. كان يقول بالرجعة ومن ثمّ قال أبو حاتم: ليس بقويّ يتكلّمون فيه. لكن قال ابن عديّ: لم أر له حديثاً منكراً جاوز الحدّ. إذا روى عنه ثقة. وقال الساجي: صدوق يهمّ (تهذيب التهذيب ٣: ٢٠٥ / ٣٨٩؛ كتاب المجروحين ١: ٢٨٩).

قال: وسمعت محمّد بن المنذر يقول: سمعت أحمد بن واضح يقول: كان هانئ بن المتوكّل[١] لم يكن أوّل أمره يحدّث بشيء من المناكير، إنّما أدخلوا عليه بعدما كبر الشيخ.

السادس عشر، من سبق لسانه، حتّى حدّث بشيء خطاءً وهو لا يعلم، ثُمّ تبيّن له بعد ذلك وعلم فلم يرجع عنه وتمادىٰ في غيّه وجعل يروي ذلك الخطاء عالماً عامداً تأنّفاً. قال أبو حاتم: ومن كان دأبه ذلك كان كذّاباً صراحةً واستحقّ الترك.

قال: أخبرني الثقفي عن محمّد بن يحيى قال: سمعت نعيم بن حمّاد يقول: سمعت ابن مهدي يقول: قلت لشعبة: من الذي تترك الرواية عنه؟ قال: إذا تمادى في غلط مُجْمع عليه، ولم يتّهم نفسه عند اجتماعهم على خلافه، أو رجل يُتّهم بالكذب.

حدّث عفّان قال: سمعت شعبة يقول: لو قيل لعاصم بن عبيدالله[٢]: من بنى مسجد البصرة؟ لقال: حدّثنا فلانٌ عن فلانٍ أنّ رسول الله ﷺ بَنَاه![٣]

السابع عشر، قال أبو حاتم: ومنهم المعلن بالفسق وإن كان صدوقا في روايته، لأنّ الفاسق لا يكون عادلاً، ومن خرج عن حدّ العدالة لا يعتمد صدقُه.

روى معن قال: سمعت مالكاً يقول: أربعة لا يكتب عنهم: رجل سفيه معروف بالسَّفَه. وصاحب هوىً داعية إلى هواه. ورجل صالح لا يدري ما يحدّث. ورجل يكذب في حديث رسول الله ﷺ وقد قال تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا﴾[٤] أي لا تثقوا به.

قال عبّاس بن محمّد: سمعت يحيى بن معين يقول ـ وذكرت له شيخاً كان يلزم ابن عُيينة يقال له: ابن مبادر[٥] ـ: أعرفه كان يرسل العقارب في المسجد الحرام حتّى تلسع الناس. وكان يصبّ المداد بالليل في المواضع التي يتوضّأ منها حتّى تسودّ وجوه الناس. ليس يروى عنه.

---

(١) هو: هانئ بن المتوكّل الإسكندراني، أبو هاشم المالكي الفقيه، روى عن مالك وحَيْوَة بن شريح. وعُمّر دهراً طويلاً لعلّه أزيد من مائة سنة (مات: ٢٤٢). قال ابن حِبّان: كان تدخل عليه المناكير وكثرت، فلا يجوز الاحتجاج به بحال. (ميزان الاعتدال ٤: ٢٩١ / ٩١٩٨).

(٢) هو: عاصم بن عبيدالله بن عاصم بن عمر بن الخطّاب العَدَوي، روى عن أبيه وابن عامر، وعنه شعبة ومالك، ثمّ ضعّفه مالك. قال يحيى: ضعيف لا يحتجّ به. وقال ابن حبّان: كثير الوهم، فاحش الخطاء، فتُرك. قال ابن عُيَينة: كان الأشياخ يتّقون حديثه. وقال أبو زرعة: منكر الحديث. وقال الدارقطني: يُترك، وهو مُغَفّل. وقال ابن خزيمة: لا أحتجّ به لسوء حفظه. (ميزان الاعتدال ٢: ٣٥٤ / ٤٠٥٦).

(٣) أوردناه كما في ميزان الاعتدال ٢: ٣٥٤.

(٤) الحجرات ٤٩: ٦.

(٥) في بعض النسخ: ابن مغادر، لم يعرف.

الثامن عشر، المدلّس عمّن لم يره، كالحجّاج بن أرطاة وذويه[١]، كانوا يحدّثون عن أناس لم يروه ويدلّسون حتّى لا يعلم ذلك منهم.

قال أبو حاتم: حدّثني محمّد بن المنذر عن عمر بن شَبّة عن زيد بن يحيى الأنماطي عن شعبة عن عمرو بن مرّة عن عبدالله بن أبي أوفى ـ الصحابي ـ قال: كان النبيّ ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: أللهمّ صلّ على آل فلان....

قال أبو حاتم: فحدّثت به الحجّاج بن أرطاة، فقال: هذا أصل. ثمّ بعد مدّةٍ سمعته يحدّث بذلك عن عمرو بن مرّة. فقلت: سمعته منه؟ قال: إذا حدّثتني به فلا أبالي أن لا أسمعه. وفي المحدّثين مَنْ على مثاله كثير.

قال ابن حبّان: كان أحمد بن عبدالله بن حكيم أبو عبدالرحمان الفرياناني المروزي، يروي عن الثقات ما ليس من حديثهم وعن غير الأثبات ما لم يحدّثوا به[٢]. وكان أحمد بن عبدالله بن ميسرة النهاوندي يأتي عن الثقات ماليس من حديثهم ويسرق الحديث[٣].

التاسع عشر. المبتدع إذا كان داعية يدعو الناس إلى بدعته حتّى صار إماماً يقتدى به في بدعته ويرجع إليه في ضلالته. قال عبدالله بن يزيد المقري: سمعت رجلاً من أهل البدع وقد رجع عن بدعته، يقول: انظروا هذا الحديث ممّن تأخذون، فإنّا كنّا إذا رأينا رأياً جعلنا له حديثاً.

العشرون، القُصّاص والسُّؤّال كانوا يضعون أحاديث هي أشبه بالأقاصيص الصبيانيّة، استجلاباً للعوامّ واستدراراً لما في أيديهم من نقود وحطام.

وقد أتينا على ذكر هؤلاء وأمثالهم في عرضنا لآفات التفسير من كتابنا «التفسير والمفسّرون» فلا نطيل.

قال أبو حاتم: فمن هاهنا وجب التفتيش والتنقير عن أصل كلّ رواية والبحث عن كلّ راوٍ في

---

(١) هو: حجّاج بن أرطاة بن ثور النخعي أبو أرطاة الكوفي القاضي. يروي عن الزهري ومكحول ويحيى بن كثير. ولم يسمع منهم، قال العجلي: كان فقيهاً وكان أحد مفتيّ الكوفة، وكان فيه تيه وكان يقول: أهلكني حبّ الشرف. وولّي قضاء البصرة. وإنّما يعيب الناس منه التدليس. وقال يعقوب بن شيبة. واهي الحديث، في حديثه اضطراب كثير. وقال البزّار: كان حافظاً مدلّساً وكان معجباً بنفسه. قالوا: كان فيه تيه لا يليق بأهل العلم. وقال إسماعيل القاضي: مضطرب الحديث لكثرة تدليسه. وقال محمّد بن نصر: الغالب على حديثه الإرسال والتدليس وتغيير الألفاظ. (تهذيب التهذيب ٢: ١٩٨ / ٣٦٥). وقال الأصمعي: أوّل من ارتشى بالبصرة من القضاة، حجّاج بن أرطاة. (ميزان الاعتدال ١: ٤٥٩ / ١٧٢٦). (٢) لسان الميزان ١: ١٩٥ / ٦١٢.

(٣) المصدر: ٦١٣.

النقل، حتّى لا يتقوّل على رسول الله ﷺ ما لم يقل[١].

قلت: لا شكّ أنّ إسناد حديث إلى رسول الله ﷺ قبل الإيقان بصحّة الإسناد إليه، قد يعدّ افتراءً عليه ـ والعياذ بالله ـ

[م/١٠٦] وقد قال ﷺ: «كفى بالمرء كَذِباً أن يحدّث بكلّ ما سمع»[٢].

الكذّابون على الأئمّة

وكما كان كذّابون يكذبون على رسول الله ﷺ كذلك كان كذّابون يكذبون على الأئمّة من عترته الطاهرة:

[م/١٠٧] روى الكشّي بإسناده إلى ابن سنان قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إنّا أهل بيت صادقون، لا نخلو من كذّاب يكذب علينا، فيسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس. كان رسول الله ﷺ أصدق البريّة لهجةً، وكان مسيلمة يكذب عليه. وكان أميرالمؤمنين عليه السلام أصدق من برأ الله بعد رسول الله ﷺ وكان الذي يكذب عليه ويعمل في تكذيب صدقه بما يفترى عليه من الكذب، عبدالله بن سبا».

ثمّ ذكر أبو عبدالله عليه السلام الحارث الشامي[٣] وبناناً[٤] كانا يكذبان على عليّ بن الحسين عليه السلام.

---

(١) كتاب المجروحين ١: ٦٢ ـ ٨٨. (٢) معاني الأخبار: ١٥٨ ـ ١٥٩/ ١؛ البحار ٢: ١٥٩/ ٥.

(٣) هو: الحارث بن سعيد من أهل دمشق، كان ظاهر التنسّك والتخشّع واعتلا بنفسه وأغواه الشيطان، فكان يزعم أنّه يأتيه الوحي ويأتي بالمعجزات وكان يجيئ إلى أهل المسجد فيريهم الأعاجيب، وبلغ خبره عبدالملك فطلبه فهرب إلى بيت المقدس واختفى فيه، فلم يزالوا يطلبونه إلى أن قُبض عليه وأمر عبدالملك بصلبه ثمّ أمر بطعنه حتّى مات. ذكره ابن الجوزي في المنتظم في حوادث سنة (٦٩). (لسان الميزان ٢: ١٥١/ ٦٦٩).

(٤) والصحيح: بيان بن سعيد التبّان النهدي من بني تميم. ادّعى أنّه قد حلّ في عليّ عليه السلام جزءٌ إلهي. وكان يتأوّل الآية ﴿وَ هُوَ الَّذِي فِي السَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَ فِي الْأَرْضِ إِلَـٰهٌ﴾ (الزخرف ٤٣: ٨٤) بأنّ إله السماء غير إله الأرض وأنّه أعظم منه. قال الذهبي: إنّ بياناً قال بإلهيّة عليّ عليه السلام وأنّ فيه جزءاً إلهيّاً متّحداً بناسوته. ثمّ من بعده في ابنه محمّد بن الحنفيّة ثمّ في أبي هاشم ابنه، ثمّ من بعده في نفسه. وقال النوبختي: كان بيان ادّعى أنّ أبا محمّد علي بن الحسين أوصى إليه.

وهكذا رُوي عن الإمام الباقر عليه السلام قال: كان بيان يكذب على أبي وقال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: ما أحد اجترأ أن يتعمّد الكذب علينا إلّا أذاقه الله حرّ الحديد، وأنّ بياناً كذب على عليّ بن الحسين، فأذاقه الله حرّ الحديد. أخذه خالد القسري وصلبه ثمّ أحرقه بالنار هو وأصحابه وهم خمسة عشر رجلا. (قاموس الرجال ٢: ٤٠٠ ـ ٤٠٥/ ١٢٠٦).

وهكذا جاء في رواية السبعة: بيان، بالياء. (رجال الكشّي ٢: ٥٧٧/ ٥١١).

ثمّ ذكر: المغيرة بن سعيد[1]، وبزيعاً[2]، والسرّي[3]، وأبا الخطاب[4]، ومعمراً[5]، وبشّاراً الشعيري[6]، وحمزة الزبيدي[7]، وصائد النهدي[8].

ثمّ قال: «لعنهم الله، إنّا لا نخلو من كذّاب يكذب علينا، أو عاجز الرأي، كفانا الله مؤونة كلّ كذّاب وأذاقهم الله حرّ الحديد»[9].

---

(١) هو: أبوعبدالله البَجَلي كان يكذب على الأئمّة و يدسّ في أحاديثهم الكفر و الزندقة. فورد اللعن بشأنه (قاموس الرجال ١٠: ١٨٨/ ٧٦٨٧) و سيأتي الحديث عنه بتفصيل.

(٢) ويقال له: بزيع الحائك من أصحاب المغيرة بن سعيد، وكان يدّعي النبوّة. وقد أهدر الإمام الصادق عليه السلام دمه (الكافي ٧: ٢٥٨ / ١٣). وقتل على زندقته. روى الكشّي بإسناده إلى ابن أبي يعفور قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقال: ما فعل بزيع؟ فقلت له: قتل. فقال: الحمد لله، أما إنّه ليس لهؤلاء المغيريّة شيء خير من القتل، لأنّهم لا يتوبون أبداً. (معجم رجال الحديث ٣: ٢٩٦ / ١٦٨٥ وقاموس الرجال ٢: ٢٩٩ ـ ٣٠٠ / ١٠٨١).

(٣) ولعلّه: السرّي بن عبدالله السلمي. قال الذهبي: روى عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام. لا يُعْرَف، وأخباره منكرة. (ميزان الاعتدال ٢: ١١٨/ ٣٠٩٠). روى الكشّي بإسناده إلى هشام بن الحكم عن الصادق عليه السلام قال: إنّ بياناً والسرّي وبزيعاً ـ لعنهم الله ـ تراءى لهم الشيطان في أحسن ما يكون صورة آدميّ من قرنه إلى سرّته. (رجال الكشّي ٢: ٥٩٢ / ٥٤٧).

(٤) هو: محمد بن مقلاص الأسدي الكوفي و يكنّى أبازينب. غالٍ كذّاب يروي المناكير و لاسيّما في أخريات حياته. و قد ورد اللعن بشأنه (قاموس الرجال ٩: ٥٩٤ / ٧٢٩٣) و سيأتي الحديث عنه.

(٥) قال العلّامة: وأظنّه معمر بن خثيم، كان هو وأخوه سعيد بن خثيم من دعاة زيد. رويا عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام. قال في ترجمة سعيد: أبو معمر الهلالي ضعيف هو وأخوه. (رجال العلّامة: ٢٢٦ و ٢٦١، القسم الثاني).

(٦) جاء هنا مصحّفاً: الأشعري. والصحيح ما أثبتناه بدليل ما يأتي في بشّار الشعيري. أسند النجاشي إلى مرازم، قال: قال لي أبوعبدالله عليه السلام مَنْ بشّار؟ قلت: بيّاع الشعير. قال: لعن الله بشّاراً... قال: يا مرازم، قل لهم: ويلكم توبوا إلى الله، فإنّكم كافرون مشركون. ومقالة بشّار هي مقالة العلياوية، يقولون: إنّ عليّاً عليه السلام هرب وظهر بالعلويّة الهاشميّة، وأظهر أنّه عبده ورسوله بالمحمديّة. فوافق أصحاب أبي الخطّاب في أربعة أشخاص: علي وفاطمة والحسن والحسين. وأنّ أشخاص الثلاثة (فاطمة والحسن والحسين) تلبيس، والحقيقة: شخص عليّ، لأنّه أوّل هذه الأشخاص في الإمامة. وأنكروا شخص محمّد صلى الله عليه وآله إلى خرافات أخرى. وقد تبرّأ منه الإمام الصادق عليه السلام وقال: إنّ بشّار الشعيري شيطان بن شيطان، فاحذروه. وأخرجه من الدار وقال: أخرج عنّي، لعنك الله. لا والله لايُظلّني وإيّاك سقف بيت أبداً. (رجال الكشّي ٢: ٧٠١ / ٧٤٣ ـ ٧٤٦؛ معجم رجال الحديث ١٤: ٢٥١).

(٧) هو: حمزة بن عمارة البربري. كان يزعم أنّ أبا جعفر الباقر عليه السلام يأتيه كلّ ليلة، فكذّبه الإمام الصادق عليه السلام وقال: كذب والله، لا يأتيه إلّا المتلوّن، إنّ إبليس سلّط شيطاناً يأتي الناس في أيّ صورة شاء. والله، ما يستطيع أن يجيء في صورة أبي. ما يقدر إبليس أن يتمثّل في صورة نبيّ، ولا وصيّ نبيّ وقد تبرّأ منه الشيعة سوى رجلين من نهد: الصائب وبيان. (قاموس الرجال ٤: ٤١ / ٢٤٥٧).

(٨) روى الكشّي بإسناده إلى بريد العجلي قال: سألت الصادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ. تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ (الشعراء ٢٦: ٢٢١ ـ ٢٢٢) قال: هم سبعة: المغيرة بن سعيد وبيان وصائد النهدي والحارث الشامي وعبدالله ابن الحارث وحمزة بن عمارة البربري وأبو الخطاب. (رجال الكشّي ٢: ٥٧٧ / ٥١١ و ٥٩١ / ٥٤٣، عبدالله بن عمرو بن الحارث. وسنذكرها).

(٩) رجال الكشّي ٢: ٥٩٣ / ٥٤٩.

[م/ ١٠٨] وروى الكشّي بإسناده إلى أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إنّ الحَكَم بن عُتيبة[(١)]، وسَلَمة[(٢)]، وكثيراً[(٣)]، وأبا المقدام[(٤)]، والتمّار يعني سالماً[(٥)]، أضلّوا كثيراً ممّن ضلّ من هؤلاء (إشارة إلى المفوّضة والغلاة) وإنّهم ممّن قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَ مِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾»[(٦)].

[م/ ١٠٩] روى ابن بابويه الصدوق بإسناده إلى الحسن بن عليّ بن فضّال عن داوود بن أبي يزيد عن رجل عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ. تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[(٧)]، قال: «هم سبعة: المغيرة وبيان وصائد وحمزة بن عمارة البربري والحارث الشامي

(١) هو: الحَكَم بن عُتيبة بن النحاس بن حنظلة، كان قاضياً بالكوفة معروفاً. وكان بتريّاً (راجع تفسير البتريّة: رجال الكشّي ٢: ٤٩٩/ ٤٢٢). والبتريّة هم أصحاب كثير النوا، جمعوا في الولاء بين المؤالف والمخالف. وكان الصادق عليه السلام يرى أنّ الحكم هذا يكذب على أبيه الباقر عليه السلام روى الكشّي (٢: ٤٦٨/ ٣٦٨) بالإسناد إلى عيسى بن أبي منصور وأبي أسامة ويعقوب الأحمر، قالوا: كنّا جلوساً عند أبي عبدالله عليه السلام فدخل زرارة بن أعين، فقال له: إنّ الحكم بن عُتيبة روى عن أبيك أنّه قال له: صلّ المغرب دون المزدلفة! فقال له أبو عبدالله عليه السلام بأيمان ثلاثة: ما قال أبي هذا قطّ، كذب الحكم بن عتيبة على أبي!!

(٢) هو: سَلَمة بن كُهَيل بن الحصين أبو يحيى الحضرمي الكوفي تابعي، وكان بتريّاً. روى الكليني بإسناده إلى أبي مريم قال: قال أبو جعفر عليه السلام لسلمة بن كهيل والحكم بن عُتيبة: شرّقا وغرّبا، فلا تجدان علماً صحيحاً إلّا شيئاً خرج من عندنا أهل البيت (الكافي ١: ٣٩٩/ ٣؛ معجم رجال الحديث ٨: ٢٠٨/ ٥٣٧١).

(٣) هو: أبو إسماعيل كثير بن قاروند الكوفي الملقّب بالنوا، أي بيّاع نواة التمر لعلف الدوابّ. قال ابن حجر: سكن البصرة. وهو عزيز الحديث وذكره ابن حبان في الثقات. عدّه الشيخ في رجال الصادق عليه السلام هكذا. وأيضاً ذكره في رجال الباقر عليه السلام وقال: بتريّ. وكان سيّئ الظنّ بالأئمّة. ووردت في ذمّه روايات، منها ما رواه أبوبكر الحضرمي عن الصادق عليه السلام قال: اللّهمّ إنّي أبرأ إليك من كثير النوا، برئ في الدنيا والآخرة.

راجع: رجال الشيخ: ١٣٤ و ٢٧٧؛ تهذيب التهذيب ٨: ٤٢٥/ ٧٥٦؛ قاموس الرجال ٨: ٥٦١/ ٦١١٧؛ رجال الكشّي ٢: ٥٠٩ـ ٥١١/ ٤٣٩ـ ٤٤٢.

(٤) هو: ثابت بن هرمز أبوالمقدام الحدّاد الفارسي من أصحاب السجّاد والباقر والصادق عليهم السلام كما وصفه الشيخ في رجاله. قال العلّامة في القسم الثاني من الخلاصة: ٢٠٩: زيدي بتري. قال ابن حجر: وقد وثّقه أصحاب التراجم ولم يضعّفه أحد سوى الدارقطني (تهذيب التهذيب ٢: ١٦/ ٢٥).

وفي رواياتنا بشأنه اختلاف، ومع ذلك فإنّ له نسخة عن الإمام السجّاد عليه السلام وله ولابنه (عمرو بن ثابت) عنه روايات اعتمدها الأصحاب في كتبهم المعتبرة لابن قولويه وابن بابويه الصدوق والكليني والشيخ، الأمر الذي يدلّ على حسن حاله، ولعلّه رجع عمّا كان عليه، ولله عاقبة الأمور. راجع: معجم رجال الحديث ٣: ٣٩٨/ ١٩٧١؛ قاموس الرجال ٢: ٤٧٠/ ١٢٨٨.

(٥) هو: سالم بن أبي حفصة التمّار المتقدّم.

(٦) رجال الكشّي ٢: ٥٠٩/ ٤٣٩. والآية من سورة البقرة ٢: ٨.

(٧) الشعراء ٢٦: ٢٢٢ـ ٢٢٣.

وعبدالله بن الحارث(١) وأبو الخطّاب»(٢).

[م / ١١٠] وروى الكشّي بإسناده إلى محمّد بن عيسى بن عبيد عن أخيه جعفر وأبي يحيى الواسطي: أنّ أبا الحسن الرضا عليه السلام قال: «كان بيان يكذب على عليّ بن الحسين عليه السلام فأذاقه الله حرّ الحديد. وكان المغيرة بن سعيد يكذب على أبي جعفر عليه السلام فأذاقه الله حرّ الحديد. وكان محمّد بن بشير(٣) يكذب على أبي الحسن موسى عليه السلام فأذاقه الله حرّ الحديد، والذي يكذب عَلَيَّ محمّد بن فرات».

قال أبو يحيى: وكان محمّد بن فرات من الكُتّاب، فقتله إبراهيم بن شكلة(٤).

ومحمّد بن فرات هذا كان من الغلاة وكان بغداديّاً فاسد العقيدة متهتّكاً لا يتورّع المحارم وكان يكذب على الإمام الرضا عليه السلام. قال ابن الغضائري: ضعيف ابن ضعيف لا يكتب حديثه.

روى الكشّي عن خطّ جبرئيل بن أحمد: أنّ محمّد بن فرات كان يغلو في القول وكان يشرب الخمر!

[م / ١١١] وعن يونس بن عبدالرحمان قال: قال لي أبو الحسن الرضا عليه السلام: «يا يونس! ألا ترى إلى محمّد بن فرات وما كان يكذب عليّ؟ فقلت: أبعده الله وأسحقه وأشقاه! فقال: قد فعل الله ذلك به، أذاقه الله حرّ الحديد، كما أذاق من كان قبله ممّن كان يكذب علينا.

ثمّ قال: يا يونس! إنّما قلت ذلك لتحذّر عنه أصحابي، وتأمرهم بلعنه والبراءة منه، فإنّ الله بريئ منه».

كان محمّد بن فرات من أصحاب أبي الخطّاب.

[م / ١١٢] قال الرضا عليه السلام: «وما كذب علينا خطّابيّ مثل ما كذب محمّد بن فرات... كان يدّعي

---

(١) جاء في رجال الكشّي ٢: ٥٩١ / ٥٤٣: وعبدالله بن عمرو بن الحارث. قال التستري: الصحيح هو: عبدالله بن الحارث. وذكر كلام النوبختي في كتاب الفرق: ٣٢: إنّ أبا هاشم بن محمّد بن الحنفيّة أوصى إلى عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر، وأنّ الله نور، وهو في عبدالله بن معاوية. وهؤلاء أصحاب عبدالله بن الحارث، فهم يسمّون «الحارثيّة» وكان ابن الحارث هذا من أهل المدائن. وهم كلّهم غلاة، يقولون: من عرف الإمام فليصنع ماشاء. (قاموس الرجال ٢: ٣٠١ـ٣٠٢ / ٤٢٤٨).

(٢) الخصال: ٤٠٢ / ١١١، أبواب السبعة.

(٣) عدّه الشيخ في أصحاب الكاظم عليه السلام قائلاً: غال ملعون. وروى الكشّي: أنّه كان صاحب شعبذة ومخاريق وكان يقول بالوقف على موسى بن جعفر وأنّه غاب عن الأعين وأنّه المهدي القائم. وله مقالات فاسدة. (راجع: ترجمته في قاموس الرجال ٩: ١٣٥ / ٦٤٨٩).

(٤) رجال الكشّي ٢: ٥٩١ / ٥٤٤.

أنّه باب وأنّه يوحىٰ إليه»[١].

[م / ١١٣] روى الكشّي بإسناده إلى مفضّل بن مزيد قال: قال أبو عبدالله عليه السلام وذكر أصحاب أبي الخطّاب والغُلاة، فقال لي: «يا مفضّل! لا تقاعدوهم ولا تواكلوهم ولا تشاربوهم ولا تصافحوهم ولا توّاثروهم»[٢].

[م / ١١٤] وبإسناده إلى هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام وذكر الغُلاة، فقال: «إنّ فيهم من يكذب، حتّى أنّ الشيطان ليحتاج إلى كذبه»[٣].

[م / ١١٥] وقال فيهم الصادق عليه السلام: «لقد أمسينا وما أحدٌ أعدى لنا ممّن ينتحل مودّتنا[٤]. أي ليس موالياً ولكنّه يدّعي الموالاة عن إفك وزور!»

[م / ١١٦] وروى أبو جعفر الصدوق بإسناده إلى إبراهيم بن أبي محمود عن الإمام الرضا عليه السلام في حديث طويل جاء فيه: «يا ابن محمود! لقد أخبرني أبي عن أبيه عن جدّه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس.

ثمّ قال: يا ابن محمود! إنّ مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا، وجعلوها على ثلاثة أقسام: أحدها الغلوّ، والثاني التقصير في أمرنا، وثالثها التصريح بمثالب أعدائنا!

فإذا سمع الناس الغلوّ فينا، كفّروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيّتنا.

وإذا سمعوا التقصير، اعتقدوه فينا.

وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم، ثَلَبونا (شَتَموُنا) بأسمائنا. وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[٥].

يا ابن محمود! إذا أخذ الناس يميناً وشمالاً، فألزم طريقتنا، فإنّه من لزمنا لزمناه، ومن فارقنا فارقناه»[٦].

---

(١) راجع: قاموس الرجال ٩: ٥٠٦ / ٧١٥٣؛ رجال الكشّي ٢: ٨٢٩ / ١٠٤٧ ـ ١٠٤٨.
(٢) رجال الكشّي ٢: ٥٨٦ / ٥٢٥.
(٣) المصدر / ٥٢٦.
(٤) المصدر: ٥٩٦ / ٥٥٥.
(٥) الأنعام ٦: ١٠٨.
(٦) عيون أخبار الرضا ١: ٢٧٢ / ٦٣، باب ٢٨.

وذكر الكشّي: أنّ يحيى بن عبدالحميد الحِمّاني[١] ذكر في كتابه المؤلّف لإثبات إمامة أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه سأل شريكاً[٢] عن أقوام زعموا أنّ في جعفر بن محمّد ضعفاً في الحديث؟! فقال: أخبرك القصّة:

كان جعفر بن محمّد رجلاً صالحاً مسلماً ورعاً، فاكتنفه قوم جُهّال يدخلون عليه ويخرجون من عنده ويقولون: حدّثنا جعفر بن محمّد، ويحدّثون بأحاديث كلّها منكرات كذب موضوعة على جعفر. يستأكلون الناس بذلك ويأخذون منهم الدراهم، فكانوا يأتون من ذلك بكلّ منكر. فسمعت العوامّ بذلك منهم، فمنهم من هلك ومنهم من أنكر.

قال: وهؤلاء مثل المفضّل بن عمر[٣]، وبيان، وعمرو النبطي[٤] وغيرهم، ذكروا أنّ جعفراً حدّثهم: أنّ معرفة الإمام تكفي من الصوم والصلاة. وحدّثهم عن أبيه عن جدّه وأنّه حدّثهم عن قبل القيامة، وأنّ عليّاً عليه السلام في السحاب يطير مع الريح، وأنّه كان يتكلّم بعد الموت، وأنّه كان يتحرّك على المغتسل، وأنّ إله السماء [هو الله] وإله الأرض الإمام، فجعلوا لله شريكاً! جُهّال ضُلّال!

ثمّ قال: والله ما قال جعفر شيئاً من هذا قطّ. كان جعفر أتقى لله وأورع من ذلك. قال: فسمع الناس ذلك فضعّفوه، ولو رأيت جعفراً لعلمت أنّه واحد الناس[٥].

هذا المغيرة بن سعيد البَجَلي أبو عبدالله الكوفي، كذّاب كان يضع الحديث مغالاةً بشأن أئمّة

---

(١) بكسر الحاء وتشديد الميم، نسبة إلى بني حِمّان، قبيلة من تميم نزلت الكوفة. ويحيى هذا هو: الحافظ أبو زكريّا يحيى بن عبدالحميد بن عبدالله بن ميمون بن عبدالرحمان الحِمّاني، الكوفي صاحب المسند الكبير. كان من مشايخ الحديث وكان ثقة. ذكر ابن حجر أنّه كان يتشيّع وسأله أبو داوود عن حديث لعثمان. فقال: أو تحبّ عثمان؟! وقال الدارميّ: سمعت ابن معين يقول: ابن الحِمّاني صدوق مشهور بالكوفة. مثلُ ابن الحِمّاني، ما يقال فيه، من حسد. وقال: صدوق ثقة. وكان هو أوّل من جمع المسند من الكوفيين، فكانوا يحسدونه على فضله وتقدّمه. وكان عنده عن شريك النخعي سبعة آلاف حديث، قد سمع منه الكثير واستملى عنه. وقال سهل بن المتوكّل: سمعت أحمد وقد سئل عن ابن الحِمّاني فقال: قد سمع الحديث وجالس الناس، وقوم يقولون فيه، ما أدري ما يقولون؟! وقال مرّةً: أكثَرَ الناسُ فيه، وما أدري ذلك إلّا من سلامة صدره (تهذيب التهذيب ١١: ٢٤٣ / ٣٩٨).

(٢) هو: شريك بن عبدالله النخعي الكوفي القاضي صاحب الصيت الكبير. كان حسن الحديث وكان أروى الناس. قال وكيع: لم يكن أحد أروى من الكوفيّين من شريك. ولد سنة ٩٠ و مات سنة ١٧٧. قال الساجي: كان ينسب إلى التشيّع المفرط. وكان فقيهاً وكان يقدّم عليّاً عليه السلام، على عثمان. ومن ثَمّ عيب عليه. (تهذيب التهذيب ٤: ٣٣٣ / ٥٧٧).

(٣) لعلّه كان فيه ارتفاع، لكنّه رجع وتاب وأصبح من الموالين الثقات. وكان موضع عناية من الإمام الصادق عليه السلام وملجأً للشيعة في الكوفة حتّى توفّاه الله وأدخله رضوانه.

(٤) قد مرّ الحديث عن بيان التبّان. أمّا عمرو النبطي فلم يُعرف.

(٥) رجال الكشّي ٢: ٦١٦ ـ ٦١٧.

أهل البيت عليهم السلام وقد تبرّأوا منه وخذله الله.

[م/١١٧] روى أبو عمرو محمّد بن عمر بن عبدالعزيز الكشّي في ترجمته بالإسناد إلى الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «كان المغيرة بن سعيد يكذب على أبي جعفر الباقر عليه السلام فأذاقه الله حرّ الحديد».

[م/١١٨] وبالإسناد إلى الإمام الصادق عليه السلام قال: «لعن الله المغيرة بن سعيد، إنّه كان يكذب على أبي (الإمام الباقر عليه السلام) فأذاقه الله حرّ الحديد. ثمّ قال عليه السلام: لعن الله من قال فينا ما لا نقوله في أنفسنا، ولعن الله من أزالنا عن العبوديّة لله الذي خلقنا وإليه مآبنا ومعادنا وبيده ناصيتنا».

[م/١١٩] وبالإسناد إلى محمّد بن عيسى بن عبيد قال: سأل بعضُ أصحابنا يُونس بن عبدالرحمان وأنا حاضر فقال له: يا أبا محمّد! ما أشدّك في الحديث وأكثر إنكارك لما يرويه أصحابنا، فما الذي يحملك على ردّ الأحاديث؟!

فقال: حدّثني هشام بن الحكم أنّه سمع أبا عبدالله الصادق عليه السلام يقول: «لا تقبلوا علينا حديثاً إلّا ما وافق القرآن والسنّة، أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدّمة، فإنّ المغيرة بن سعيد ـ لعنه الله ـ دسّ في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدّث بها أبي. فاتّقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربّنا تعالى وسنّة نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم. فإذا حدّثنا قلنا: قال الله عزّ وجلّ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

[م/١٢٠] وبالإسناد إلى يونس عن هشام بن الحكم أنّه سمع أبا عبدالله عليه السلام يقول: «كان المغيرة بن سعيد يتعمّد الكذب على أبي، ويأخذ كتب أصحابه، وكان أصحابه المستترون بأصحاب أبي يأخذون الكتب من أصحاب أبي فيدفعونها إلى المغيرة، فكان يدسّ فيها الكفر والزندقة، ويسندها إلى أبي، ثُمّ يدفعها إلى أصحابه فيأمرهم أن يبثّوها في الشيعة، فما كان في كتب أصحاب أبي من الغلوّ فذاك ممّا دسّه المغيرة بن سعيد في كتبهم.

وكان الإمام أبو جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام حَلَف أن لا يدع المغيرة يدخل عليه أبداً، وكان ساخطاً عليه أكاذيبه وافتراءاته. وقال: مَثَله مَثَل بلعم باعورا، الذي قال تعالى فيه: ﴿الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾»[1].

وكان من أكاذيبه ـ على ما ذكره الإمام الصادق عليه السلام ـ: أنّ نساء آل محمّد إذا حِضْن قضين

(١) العيّاشي ٢: ٤٥/ ١١٨، والآية من سورة الأعراف ٧: ١٧٥.

الصلاة[١].

وذكر أبو عبدالله الذهبي أنّه كان يقول: إنّ الله يأمر بالعدل: عليٌّ. والإحسان: فاطمة. وإيتاء ذي القربى: الحسن والحسين. وينهى عن الفحشاء والمنكر: قال: فلان أفحش الناس، والمنكر: فلان.

قال الجوزجاني: قُتل المغيرة على ادّعاء النبوّة، كان أشعل النيران بالكوفة على التمويه والشعبذة حتّى أجابه خلق. قتله خالد بن عبدالله القسري في حدود سنة ١٢٠[٢].

وهذا أبو الخطّاب محمّد بن أبي زينب مقلاص الكوفي البزّاز، كان يبيع الأبراد، مولى بني أسد. كان مستقيماً فاختلط وأخذ في الغلوّ والارتفاع بشأن الأئمّة، وحتّى أنّه قد أجاز لنفسه الكذب عليهم والدسّ والتزوير في أحاديثهم، فورد لعنه والبراءة منه.

[م / ١٢١] روى الكشّي بالإسناد إلى يونس بن عبدالرحمان، قال: وافيت العراق فوجدت بها قطعة من أصحاب أبي جعفر الباقر عليه السلام ووجدت أصحاب أبي عبدالله الصادق عليه السلام متوافرين، فسمعت منهم وأخذت كتبهم. فعرضتها من بعدُ على أبي الحسن الرضا عليه السلام فأنكر منها أحاديث كثيرة أن تكون من أحاديث أبي عبدالله الصادق عليه السلام وقال لي: «إنّ أبا الخطّاب كذب على أبي عبدالله، لعن الله أبا الخطّاب. وكذلك أصحاب أبي الخطّاب يدسّون هذه الأحاديث إلى يومنا هذا في كتب أصحاب أبي عبدالله عليه السلام فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن. فإنّا إن حدّثنا حدّثنا بموافقه القرآن وموافقة السنّة، إنّا عن الله وعن رسوله نحدّث، ولا نقول قال فلان وفلان، فيتناقض كلامنا، إنّ كلام آخرنا مثل كلام أوّلنا، وكلام أوّلنا مصادق لكلام آخرنا. وإذا أتاكم مَنْ يُحدّثكم بخلاف ذلك فردّوه عليه، وقولوا: أنت أعلم وما جئت به، فإنّ مع كلّ قولٍ منّا حقيقةً وعليه نوراً، فما لا حقيقة معه و لانور عليه، فذلك قول الشيطان»[٣].

وهذا أبو الجارود ويكنّى أبا النجم زياد بن المنذر العبدي، الهَمْداني الخارفي المكفوف الملقّب بسرحوب[٤]. كان رأس الزيديّة وإليه تنسب الفرقة الجاروديّة أو السُّرحوبيّة. كان ممّن

---

(١) رجال الكشّي ٢: ٤٨٩ ـ ٤٩٥.
(٢) ميزان الاعتدال ٤: ١٦٠ / ٨٧١٠.
(٣) رجال الكشّي ٢: ٤٨٩ ـ ٤٩١ / ٤٠١.
(٤) قال الكشّي: حكي أنّ أبا الجارود سمّي سرحوباً ونسبت إليه السُّرحوبيّة من الزيديّة. سمّاه بذلك أبو جعفر عليه السلام وذكر أنّ سرحوباً اسم شيطان أعمى يسكن البحر. وكان أبو الجارود مكفوفاً أعمى البصر أعمى القلب (رجال الكشّي ٢: ٤٩٥).

يكذب في الحديث ويغالي وقد تبرّأ منه الإمام الصادق عليه السلام مع نَفَرين كانا على شاكلته، وصفهم الإمام بكذّابين ومكذّبين.

[م / ١٢٢] روى الكشّي بإسناده إلى زرعة عن سماعة عن أبي بصير، قال: «ذكر أبو عبدالله عليه السلام كثير النوا[١] وسالم بن أبي حفصة[٢] وأبا الجارود، فقال: كذّابون مكذّبون... قلت: جعلت فداك، كذّابون قد عرفتهم، فما معنى مكذّبون؟ قال: كذّابون يأتونا فيخبرونا أنّهم يصدقونا وليسوا كذلك، ويسمعون حديثنا فيكذّبونا به».

[م / ١٢٣] وروى أيضاً بالإسناد إليه قال: كنّا عند أبي عبدالله عليه السلام فمرّت بنا جارية معها قمقم فقلبته، فقال أبو عبدالله عليه السلام: «إنّ الله عزّ وجلّ إن كان قَلَبَ قَلْبَ أبي الجارود، كما قلبت هذه الجارية هذا القمقم فما ذنبي!»

[م / ١٢٤] وبالإسناد إلى أبي أسامة قال: قال لي أبوعبدالله عليه السلام: «ما فعل أبو الجارود؟ أما والله لا يموت إلّا تائهاً»[٣].

[م / ١٢٥] وروى ابن النديم أنّ الإمام سأله عنه فقال: «ما فعل أبو الجارود؟ أ رَجا بعدما أولى إماماً، أنّه لا يموت إلّا بإمام؟ قال: لعنه الله، فإنّه أعمى القلب أعمى البصر. وقال فيه محمّد بن سنان: أبو الجارود لم يمت حتّى شرب المسكر وتولّى الكافرين»[٤].

والذي نستخلصه من جميع مامّر: أنّ الوضع عن لسان الأئمّة، ولا سيّما الإمامين الهُمامين الباقر والصادق عليهما السلام كان دارجاً ذلك العهد، إمّا لارتفاع في العقيدة الباطلة أو لغرض الاستئكال واستلاب أموال الضعفاء.

والأئمّة عليهم السلام لنباهتهم وحرصهم في الحفاظ على حقائق الدين دون أن يكدرها سفاسف المبطلين، قاموا في وجههم وفضحوهم ولم يدعوا مجالاً لتجوالهم ذلك البذيء.

الأمر الذي دعى بالأذكياء من علماء الأمّة ليبذلوا جهدهم في تنقيح وتهذيب أحاديث معزوّة إلى الأئمّة المعصومين، وإيداعها مجاميع حديثيّة معتمدة، أمثال المحمّدين الثلاثة (محمّد بن يعقوب الكليني: ٣٢٩. ومحمّد بن عليّ بن الحسين الصدوق: ٣٨١. ومحمّد بن الحسن الطوسي:

---

(١) هو الحسن بن أبي صالح بتري زيدي قد تبرّأ منه الإمام الصادق عليه السلام (رجال الكشّي ٢: ٥٠٩).

(٢) كان مرجياً وكان يُعَيِّر على الإمام الصادق ويفتري عليه (الكشي ٢: ٥٠١).

(٣) رجال الكشّي ٢: ٤٩٥ ـ ٤٩٦ / ٤١٦.

(٤) الفهرست: ٢٦٧.

٤٦٠)، في كتبهم الأربعة (الكافي الشريف. ومن لا يحضره الفقيه. وتهذيب الأحكام. والاستبصار).

وأصبحت هذه الكتب الأربعة هي مدار الفتيا والاستنباط عند الشيعة الإماميّة، والمعتمد لفهم معالم الدين والوقوف على مبانيه الحكيمة، حسب النصوص الواردة عن النبيّ الأكرم ﷺ والأئمة من عترته الطاهرين.

نعم بقيت آثار من تلك المهازيل السافلة، تناقلتها كتب متفرّقة، وأكثرها ساقطة عن الاعتبار، ولكنّها مع الأسف وقعت مستند بعض أهل الظاهر من المفسّرين، فخلطوا الحابل بالنابل، ومن قِبَلهم جاءت مشكلة التفسير الروائي المعتمد على النقول.

ومن ثَمَّ فإنّ معرفة مواضع الدسّ في التفسير والعلم بأسباب الوضع في الحديث، لغرض الحذر منها ومحاولة علاجها دون الوقوع في المهلكة، لضرورة ملحّة يدعو إليها منهج التحقيق النزيه. فضلاً عن وجوب الذبّ عن حريم القرآن والسنة الكريمة، دون أن يشوبها أكدار أو يعلوها أدران ـ لا سمح الله.

وإليك الآن نماذج من أنماط الوضع في التفسير:

ما ورد بشأن فضائل السور

ذكرنا من عوامل الوضع في التفسير هو عامل الترغيب والترهيب، تشويقاً إلى حَسَنة أو تزهيداً عن سيّئة، لا لسوء نيّة، بل حسبةً لله، فيما حسبه بعض الصالحين، ذهولاً عن قَباحة الكذب مهما كان نمطه وأيّاً كان هدفه. قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا. الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[١].

قال القرطبي: ومنهم جماعة وضعوا الحديث حسبةً كما زعموا، يدعون الناس إلى فضائل الأعمال. كما روي عن أبي عصمة نوح بن أبي مريم المروزي، ومحمّد بن عُكّاشة الكرماني، وأحمد بن عبدالله الجويباري[٢] وأمثالهم.

قيل لأبي عصمة: من أين لك عن عِكرمة عن ابن عبّاس، في فضل سور القرآن سورة سورة؟ فقال: إنّي رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي محمّد بن إسحاق،

---

(١) الكهف ١٨: ١٠٤-١٠٤.

(٢) تقدّمت تراجمهم عند الكلام عن الوضع في التفسير.

فوضعت هذا الحديث حسبةً!

قال أبو عمرو عثمان بن الصلاح في كتاب «علوم الحديث» له: وهكذا الحديث الطويل الذي يُروىٰ عن أبيّ بن كعب عن النبيّ ﷺ في فضائل القرآن سورة سورة، وقد بحث باحث عن مخرجه، حتّى انتهى إلى من اعترف بأنّه وجماعةً وضعوه، وإنّ أثر الوضع عليه لبيّن. وقد أخطأ الواحديّ المفسّر وغيره من المفسرين في إيداعه تفاسيرهم[1].

[م/١٢٦] روى ابن الجوزي عن طريق ابن المبارك، بإسناده إلى محمّد بن بكّار قال: حدّثنا بزيع بن حسّان أبو الخليل عن عليّ بن زيد بن جُدعان، وعطاء بن أبي ميمون، كلاهما عن زرّبن حبيش عن أبيّ بن كعب قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبيّ، من قرأ فاتحة الكتاب، أعطي من الأجر ... فذكر سورة سورة وثواب تاليها إلى آخر القرآن»[2].

[م/١٢٧] وأيضاً بإسناده إلى مَخْلَد بن عبدالواحد عن علي بن زيد بن جُدعان وعطاء عن زِرّبن حُبَيْش عن أبيّ بن كعب قال: إنّ رسول الله ﷺ عرض عَلَيَّ القرآن في السّنة التي مات فيها مرّتين وقال: إنّ جبرائيل عليه السلام أمرني أن أقرأ عليك القرآن، وهو يقرئك السلام!

فقال أبيّ: فقلت لمّا قرأ عَلَيَّ رسول الله ﷺ: كما كانت لي خاصّة، فخصّني بثواب القرآن ممّا علّمك الله وأطلعك عليه!

قال: نعم يا أبيّ! أيّما مسلم قرأ فاتحة الكتاب، أعطي من الأجر كأنّما قرأ ثلثي القرآن، وأعطي من الأجر كأنّما تصدّق على كلّ مؤمن ومؤمنة.

ومن قرأ آل عمران، أعطي بكلّ آية منها أماناً على جسر جهنّم.

ومن قرأ سورة النساء، أعطي من الأجر كأنّما تصدّق على كلّ من ورثه ميراثاً.

ومن قرأ المائدة، أعطي عشر حسنات ومحي عنه عشر سيّئات ورفع له عشر درجات، بعدد كلّ يهوديّ ونصرانيّ تنفّس في الدنيا!

ومن قرأ سورة الأنعام، صلّى عليه سبعون ألف ملك.

ومن قرأ سورة الأعراف، جعل الله بينه وبين إبليس [حجاباً].

ومن قرأ الأنفال، أكون له شفيعاً وشاهداً وبرئ من النفاق.

---

(١) القرطبي ١: ٧٨ ـ ٧٩.

(٢) الموضوعات ١: ٢٣٩.

ومن قرأ يونس، أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من كذّب بيونس وصدّق به، وبعدد من غرق مع فرعون!!

ومن قرأ سورة هود، أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدّق نوحاً وكذّب به!!

وذكر في كلّ سورة ثواب تاليها إلى آخر القرآن.

وقد فرّق هذا الحديث أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره، فذكر عند كلّ سورة منه ما يخصّها. وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك.

قال ابن الجوزي: ولا أعجب منهما، لأنّهما ليسا من أصحاب الحديث[١]، وإنّما عجبت من أبي بكر بن أبي داوود، كيف فرّقه على كتابه الذي صنّفه في فضائل القرآن، وهو يعلم أنّه حديث محال.

قال: ولكن شره جمهور المحدّثين، فإنّ من عادتهم تنفيق حديثهم ولو بالبواطيل! وهذا قبيح منهم،

[م/ ١٢٨] لأنّه قد صحّ عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «من حدّث عنّي حديثاً وهو يرىٰ أنّه كَذِبٌ، فهو أحد الكاذبين»[٢].

وهذا ـ حديث فضائل السور ـ مصنوع بلا شكّ! وفي إسناد الطريق الأوّل بزيع بن حسّان[٣]. قال الدارقطني: وهو متروك.

وفي الطريق الثاني مَخْلَد بن عبدالواحد[٤]. قال ابن حِبّان: منكر الحديث جدّاً، ينفرد بمناكير لا تُشبِه أحاديث الثقات!

---

(١) أي من أصحاب نقد الحديث وتمحيصه.

(٢) أخرجه الترمذي ٤: ١٤٣ / ٢٧٩٩، في كتاب العلم.

(٣) قال ابن حِبّان: يأتي عن الثقات بأشياء موضوعات كأنّه المتعمّد لها. وقال ابن عديّ: له مناكير لا يتابع عليها. قال البرقاني عن الدارقطني: متروك، قلت: له عن هشام عجائب! قال: هي بواطيل، ثمّ قال: كلّ شيء له باطل. وقال الحاكم: يروي أحاديث موضوعة ويرويها عن الثقات. وقال عليّ بن الحسن بن شقيق: سمعت عبدالله بن المبارك يقول: حديث أبيّ بن كعب ـ في فضائل السور ـ أظنّ الزنادقة وضعته. (لسان الميزان ٢: ١٢ / ٣٨).

(٤) هو: أبو الهذيل البصري. قال ابن حِبّان: منكر الحديث جدّاً ينفرد بأشياء مناكير لا تُشبه حديث الثقات، فبطل الاحتجاج به. (كتاب المجروحين ٣: ٤٣). قال الذهبي: وروى عنه شَبابَةُ بن سوّار عن ابن جُدعان، وعن عطاء بن أبي ميمون عن زِرّ بن حُبَيْش عن أُبيّ ابن كعب عن النبيّ ﷺ بذلك الخبر الطويل الباطل في فضل السُّور، فما أدري مَنْ وضعه، إن لم يكن مَخْلَدٌ افتراه. حدّث به الخطيب عن ابن رزقَويه عن ابن السماك عن عبدالله بن روح المدائني عن شبابة. قال محمّد بن إبراهيم الكناني: سألت أبا حاتم عن حديث شبابة عن مَخْلَد: من قرأ سورة كذا، فله كذا. فقال: ضعيف. (ميزان الاعتدال ٤: ٨٣ / ٨٣٩٠).

وقد اتّفق بزيع ومَخْلَد على رواية هذا الحديث عن عليّ بن زيد[١]، وقد قال أحمد ويحيى: عليّ بن زيد ليس بشيء.

قال: وبعد هذا فنفس الحديث يدلّ على أنّه مصنوع، فإنّه عدّد السور واحدة واحدة، وذكر لكل واحدة منها ما يناسبها من الثواب، ولكن بكلام ركيك في نهاية البرودة، لا يناسب كلام رسول الإسلام، النبيّ العربيّ الصميم[٢].

قلت: لا شكّ إنّه من وضع من يحاول الشين بالإسلام، وقد صحّ قول ابن المبارك ـ بشأن

(١) هو: عليّ بن زيد بن عبدالله بن زُهَير أبي مُلَيكة بن جُدعان، أبو الحسن القرشي التيمي البصري، أحد علماء التابعين. روى عن أنس وأبي عثمان النهدي وسعيد بن المسيَّب. وعنه شعبة وعبدالوارث وخلق. اختلفوا فيه. قال شعبة: حدّثنا عليّ بن جُدعان قبل أن يختلط. وكان ابن عُيَينة يضعّفه. وقال حمّاد بن زيد: كان يقلب الأسانيد. وكان يحيى القطّان يتّقي الحديث عن عليّ بن جُدعان. وقال ابن زُرَيع: كان عليّ بن زيد رافضيّاً. وقال أحمد: ضعيف. وقال يحيى: ليس بشيء. وقال العجلي: كان يتشيّع، وليس بالقويّ. وقال البخاري وأبو حاتم: لا يحتجّ به. وقال الفَسَوي: اختلط في كِبَره. وقال ابن خزيمة: لا أحتجّ به لسوء حفظه. وقال الدارقطني: عندي فيه لين. (ميزان الاعتدال ٣: ١٢٩ / ٥٨٤٤).

(٢) إذ أيّ مفهوم لقوله ـ في ثواب قراءة المائدة ـ: رفع له عشر درجات بعدد كلّ يهوديّ ونصرانيّ تنفّس في الدنيا؟! وقوله ـ في ثواب سورة يونس ـ: بعدد من كذّب بيونس وبعدد من غرق مع فرعون؟! وهكذا سائر التعابير التي تبدو عليها ركّة وشناعة.

وفيه أيضاً: من قرأ سورة الرعد أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كلّ سحاب مضى وكل سحاب يكون (الثعلبي ٥: ٢٦٧ ومجمع البيان ٦: ٥).

ومن قرأ سورة إبراهيم والحجر أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام وبعدد من لم يعبدها. (الثعلبي ٥: ٣٠٤؛ مجمع البيان ٦: ٥٥).

ومن قرأ سورة مريم أعطي من الأجر بعدد من صدّق بزكريّا وكذّب به، ويحيى ومريم وعيسى وموسى وهارون وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل عشر حسنات، وبعدد من دعى لله ولداً وبعدد من لم يدع له ولداً. (الثعلبي ٦: ٢٠٥؛ مجمع البيان ٦: ٣٩٧).

ومن قرأ سورة الفرقان بعث يوم القيامة وهو يؤمن [حينذاك!] ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾؟! (الثعلبي ٧: ١٢٢؛ مجمع البيان ٧: ٢٧٨).

ومن قرأ سورة الصافّات أعطي من الأجر بعدد كلّ جنيّ وشيطان. (الثعلبي ٨: ١٣٨؛ مجمع البيان ٨: ٢٩٣).

ومن قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح!؟ (الثعلبي ١٠: ٤٣؛ مجمع البيان ١٠: ١٣٠).

ومن قرأ سورة المرسلات كتب أنّه ليس من المشركين! (الثعلبي ١٠: ١٠٨؛ مجمع البيان ١٠: ٢٢٧).

ومن قرأ سورة الانفطار أعطاه الله من الأجر بعدد كلّ قبر حسنة!! (الثعلبي ١٠: ١٤٥؛ مجمع البيان ١٠: ٢٨٣).

ومن قرأ سورة العاديات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة! (الثعلبي ١٠: ٢٦٨؛ مجمع البيان ١٠: ٤٢١).

ومن قرأ سورة تبّت رجوتُ أن لا يجمع الله بينه وبين أبي لهب في دار واحدة!! (الثعلبي ١٠: ٣٢٣؛ مجمع البيان ١٠: ٤٧٤).

إلى غيرها من سفاسف هي أشبه بالمهازل، وتتحاشاها بداعة كلام الرسول وبراعته الفائقة!

حديث أبيّ هذا ـ: «أظنّ الزنادقة وضعته»[١].

قلت: ويبدو غريباً أن لا ذكر لسورة البقرة في هذا الأثر، ولعلّها على كبر حجمها تغوفلت أو تنوسيت وذهبت عن ذاكرة جاعل الأثر!

ولكن هناك خبر آخر تدارك هذه الثلمة بأكذوبة أغرب وأشنع:

[م / ١٢٩] فقد روى الدارقطني عن أبي حاتم قال: روى يعقوب بن الوليد المدني عن موسى ابن عقبة عن نافع عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لو تمّت البقرة ثلاثمائة آية، لتكلّمت البقرة مع الناس!!؟؟».

يالله والعجب، ولكانت البقرة ردف الإنسان في جنسيّة الحيوان الناطق!!؟؟

قال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع، لا عفا الله عمّن وضعه، لأنّه قصد عيب الإسلام بهذا. قال أحمد بن حنبل: كان يعقوب من الكذّابين على الثقات، لا يحلّ كتب حديثه إلّا على التعجّب[٢].

قال أبو عبدالله الذهبي: قال أحمد ـ بشأن يعقوب بن الوليد ـ: مزّقنا حديثه وقال: كان من الكذّابين الكبار، يضع الحديث. وكذّبه أبو حاتم ويحيى بن معين[٣].

قال ابن الجوزي: وقد روى في فضائل السور أيضاً ميسرة بن عبد ربّه[٤]. قال عبدالرحمان بن مهدي: قلت لميسرة: من أين جئت بهذه الأحاديث: من قرأ كذا فله كذا؟ قال: وضعته، أرغّب الناس فيه!

[م / ١٣٠] وروى بإسناده إلى محمّد بن النضر النيسابوري[٥] عن محمود بن غَيْلان[٦] قال: سمعت مؤمّلاً[٧] يقول: حدّثني شيخ بفضائل سور القرآن، الذي يُروى عن أبيّ بن كعب! فقلت

(١) الموضوعات ١: ٢٣٩ـ ٢٤٠.

(٢) الموضوعات ١: ٢٤٢؛ كتاب المجروحين ٣: ١٣٨.

(٣) ميزان الاعتدال ٤: ٤٥٥ / ٩٨٢٩.

(٤) الفارسي ثمّ البصري الترّاس الأكّال. قال ابن حبّان: كان ممّن يروي الموضوعات عن الأثبات ويضع الحديث وهو صاحب حديث فضائل القرآن الطويل. وقال أبو حاتم: كان يفتعل الحديث، روى في فضل قزوين والثغور. قال أبو زرعة: وضع في فضل قزوين أربعين حديثاً، وكان يقول: إنّي أحتسب في ذلك. (لسان الميزان ٦: ١٣٨ / ٤٨٠) ولنعته بالأكّال قضايا غريبة. راجع: (لسان الميزان ٦: ١٣٩ / ٤٨٠).

(٥) ابن سلمة العامري، ثقة حافظ. (تقريب التهذيب ٢: ٢١٣ / ٧٦٨).

(٦) أبو أحمد المروزي، نزيل بغداد، ثقة (المصدر: ٢٣٣ / ٩٦١).

(٧) هو: ابن إسماعيل أبو عبدالرحمان البصري نزيل مكّة. صدوق، شديد في السُنّة وذكره ابن حبّان في الثقات. (تهذيب التهذيب ١٠: ٣٨١ / ٦٨٣).

للشيخ: من حدّثك؟ قال: حدّثني رجل بالمدائن، وهو حيّ. فصرت إليه، فقلت: من حدّثك؟ قال: حدّثني شيخ بواسط، وهو حيّ. فصرت إليه، فقال: حدّثني شيخ بالبصرة، فصرت إليه، فقال: حدّثني شيخ بعبّادان، فصرت إليه. فأخذ بيدي فأدخلني بيتاً، فإذا فيه قوم من المتصوّفة ومعهم شيخ، فقال: هذا الشيخ حدّثني. فقلت: يا شيخ، من حدّثك؟ فقال: لم يحدّثني أحد، ولكنّا رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن، فوضعنا لهم هذا الحديث، ليصرفوا وجوههم إلى القرآن[١].

وروى ابن أبي داوود في كتاب «فضائل القرآن» من طريق محمّد بن عاصم قال: حدّثنا شبابة بن سوّار[٢] عن مَخْلَد بن عبدالواحد عن عليّ بن زيد وعطاء عن زِرّ بن حُبَيش عن أبيّ بن كعب... وساق الحديث كما سبق. ورواه الخطيب عن ابن رزقويه عن ابن السماك عن عبدالله بن روح المدائني عن شبابة.

قال جلال الدين السيوطي: ومن طرقه الباطلة: طريق هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبيّ بن كعب[٣].

وأخرجه ابن عديّ ـ في الكامل ـ قال: هارون بن كثير، شيخ ليس بمعروف. روى عن زيد ابن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة الباهلي عن أبيّ بن كعب عن النبيّ ﷺ فضائل القرآن سورة سورة، حدّث بذلك عنه سلّام الطويل[٤] بطوله.

ورواه إبراهيم بن شريك الآمدي عن أحمد بن يونس[٥] عنه.

ورواه عن هارون بن كثير، القاسم بن حكم العُرَني[٦] بطوله سورة سورة.

ورواه عن هارون، يوسف بن عطيّة الكوفي[٧] ـ لا البصري ـ بعضه.

قال: وهارون، غير معروف، ولم يحدّث به عن زيد بن أسلم غيره. وهذا الحديث غير محفوظ

---

(١) الموضوعات ١: ٢٣٩ ـ ٢٤١.

(٢) المدائني أصله من خراسان. ثقة حافظ. (تقريب التهذيب ١: ٣٤٥ / ٦).

(٣) اللئالي المصنوعة ١: ٢٢٧.

(٤) هو: سلّام بن سلم، ويقال: ابن سليم التميمي السعدي الخراساني ثمّ المدائني، ويلقّب بالطويل. قال أحمد: منكر الحديث. وقال ابن معين: ضعيف، ليس بشيء، لا يكتب حديثه. وقال النسائي: متروك. (ميزان الاعتدال ٢: ١٧٥ / ٣٣٤٣).

(٥) هو: أحمد بن عبدالله بن يونس الكوفي، ثقة حافظ. (تقريب التهذيب ١: ١٩ / ٧٤).

(٦) هو: القاسم بن الحكم بن الكثير العُرَني أبو أحمد الكوفي، قاضي همدان. صدوق، فيه لين (المصدر ١: ١١٦ / ١١).

(٧) الباهلي الورّاق. قال الفلّاس: هو أكذب من الصقّار. وقال الدارقطني: ضعيف. (المغني في الضعفاء ٢: ٧٦٣ / ٧٢٤٥).

عن زيد[١].

قال جلال الدين السيوطي: وهذه الأحاديث الثلاثة مخرجة بطولها في آخر تفسير ابن‌مردويه[٢].

وقال ابن الجوزي: وقد فرّق حديث أبيّ أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره، فذكر عند كلّ سورة منه ما يخصّها. وتبعه أبوالحسن الواحدي في ذلك. ولا أعجب منهما، لأنّهما ليسا من أصحاب الحديث، وإنّما عجبت من أبي بكر بن أبي داوود، كيف فرقّه على كتابه الذي صنّفه في فضائل القرآن، وهو يعلم أنّه حديث محال[٣]. وقد تقدّم كلامه.

قلت: ولا يكاد ينقضي تعجّبي من علّامة ناقد أريب، هو أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي، كيف أودع تفسيره القيّم الجليل حديثاً كانت بوادر الوضع على محيّاه لائحة. وفرّقه على السور حسب تفريق الثعلبي وذويه. إن هي إلّا هفوة من عظيم والعصمة لله.

ما ورد بشأن خواصّ القرآن

هناك الكثير من أصحاب الأوراد والأذكار، صنفوا كتباً في علم الخواصّ، وهو علم ـ على ما ذكره حاجي خليفة ـ باحث عن الخواصّ المترتّبة على قراءة أسماء الله سبحانه وكتبه المنزلة، وعلى قراءة الأدعية. ويترتّب على كلّ من تلك الأسماء والدعوات خواصّ مناسبة لها.

قال بعض العارفين: واعلم أنّ النفس بسبب اشتغالها بأسماء الله تعالى والدعوات الواردة في الكتب المنزلة، تتوجّه إلى جناب القدس، وتتخلّى عن الأمور الشاغلة لها عنه، فبواسطة ذلك التوجّه والتخلّي، تفيض عليها آثار وأنوار تناسب استعدادها الحاصل لها بسبب الاشتغال. ومن هذا القبيل الاستعانة بخواصّ الأدعية المأثورة، يعتقد الرائي أنّ ذلك يفعل السحر.

قال: وغاية ما يذكر في ذلك، كان مستنده تجارب الصالحين، وورد في ذلك بعض من الأحاديث. أوردها السيوطي في الإتقان، وقال: بعضها موقوف على الصحابة والتابعين، وما لم يرد به أثر فقد ذكر الناس من ذلك كثيراً، والله العالم بصحّته[٤].

---

(١) الكامل لابن عدي ٧: ١٢٧ / ٢٧ ـ ٢٠٤٤.

(٢) اللئالي المصنوعة ١: ٢٢٧.

(٣) الموضوعات ١: ٢٤١.

(٤) راجع: كشف الظنون ١: ٧٢٥ ـ ٧٢٦.

قلت: لا شكّ أنّ للأوراد والأذكار تأثيراً في الشفاء عن الأسقام والآلام، تأثيراً بإذن الله تعالى، الذي هو مسبّب الأسباب في عالم الطبيعة. إذ لا مؤثّر في الوجود إلّا الله. والنفس إذا توجّهت بكليّتها إلى مبدأ الإفاضة في الوجود، اكتسبت روحانيّة ملكوتيّة توجب استعدادها للاستفاضة من بركات الملأ الأعلىٰ المفاضة على سائر الممكنات عبر الآنات.

هذا هو العامل الأساسي لهذا التأثير والتأثّر والترابط الوثيق بين عالمي المُلك والملكوت.

﴿وَ فِي السَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَ مَا تُوعَدُونَ. فَوَ رَبِّ السَّمَآءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[١].

كما لا شكّ أنّنا نعيش في عالم الأسباب والمسبّبات، من تأثيرات وتأثّرات هي رهن عوامل طبيعيّة واقعة تحت نظام عام حكيم وهي سنّة الله التي جرت في الخلق. ولكن هذا لا يعني الاستغناء عن الاستفاضة من عالم الملكوت، فلا تأثير ولا تأثّر في سنن الطبيعة إلّا وهو بحاجة إلى إذنه تعالى بالإفاضة من جانبه تعالى. ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ. ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾[٢]. ﴿وَ مَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[٣].

إذن فتأثير الدعاء في مجال الطبيعة ومجاريها، هو استعطاف جانب لطفه تعالى في الإفاضة على التأثيرات على الوجه الأصلح في التقدير والتدبير ليجعل من الدواء الناجع شفاءً من الداء ورفعاً أو دفعاً للأسقام والآلام.

فلم يكن من شأن الدعاء، عزل الطبيعة عن التأثير، كلّا، وإنّما هو استجلاب لعطفه تعالى أن يمنحها التوفيق في مسيرتها نحو الكمال بسلام.

على أنّ الابتهال إلى الله، يزداد الداعي قوّة روحيّة، تجعله على رجاء دون اليأس، وتمنحه اطمئناناً نفسيّاً دون الاضطراب، الأمر الذي يجعل من الحياة ذات أمن وراحة، وكان ملؤها البهجة والحيويّة والسرور. ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[٤].

لكنّ هناك ـ للابتهال إلى الله بالأدعية والأذكار ـ شروطاً، أهمّها: العقيدة والإخلاص، والإيقان بكونه مأثوراً، سواء أفي أصله أم في كيفيّة ورده، حتّى يكون مشروعاً في التوسّل به إلى الله تعالى.

ذلك أنّ هذه الأدعية والأذكار، هي الوسائل للبلوغ إلى أعتابه تعالى المقدّسة، ولا يعرف الطريق إليه تعالى إلّا من قبله ومن تعريفه إيّاه، إذ لا يعرف السبيل إليه إلّا منه وعلى يد أوليائه العظام.

---

(١) الذاريات ٥١: ٢٢.
(٢) الواقعة ٥٦: ٦٤.
(٣) البقرة ٢: ١٠٢.
(٤) الرعد ١٣: ٢٨.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١] وهذه الوسيلة عرّفها الله سبحانه في شخصيّة نبيّه الكريم، حيث قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[٢].

ومن ثمّ أنكر على المشركين حيث زعموا من أوثانهم شفعاء إلى الله، حيث لم يأتوا به من سلطان: ﴿وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾[٣]. ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَـٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ. قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾[٤].

وهكذا الدعاء والذكر، هي وسيلة إلى الله، ولابد أن تكون مشروعة، بورود أثر صحيح بشأنه وفي مجال استعماله والشرائط التي يجب توفّرها عند الدعاء والابتهال إليه سبحانه.

[م / ١٣١] روى ثقة الإسلام الكليني عن طريق شيخه عليّ بن إبراهيم القمّيّ بالإسناد إلى عبدالرحيم القصير، قال: دخلت على الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام فقلت: جعلت فداك، إنّي اخترعت دعاءً!

فقال ـ من فوره ـ: «دعني من اختراعك، إذا نزل بك أمر، فافزع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصلّ ركعتين تهديهما إلى رسول الله».

ثُمّ علّمه دعاءً يدعو به بعد الصلاة وذكراً يكرّره أربعين مرّة في خمس نوبات. ثمّ التوسّل بمحمّد وأهل بيته الراشدين... ويكرّر النداء: «يا الله» حتّى ينقطع نفسه... وأخيراً يطلب حاجته، فتقضى إن شاء الله.

قال الصادق عليه السلام: «فأنا الضامن على الله عزّ وجلّ أن لا يبرح حتّى تقضى حاجته»[٥].

وبعد، فلا ننكر أن يكون لتلاوة القرآن تأثيراً مباشراً في النفس بإفاضة البركات، ونفحات قدسيّة تنهال على العبد، إثر ترنّمه بكلام ربّ العالمين، فإنّ فيه شفاءً لما في الصدور.

[م / ١٣٢] سأل عبدالله بن سنان أبا عبدالله الصادق عليه السلام عن الرُّقية والعوذة والنشرة، فقال:

---

(١) المائدة ٥: ٣٥.
(٢) النساء ٤: ٦٤.
(٣) يونس ١٠: ١٨.
(٤) يونس ١٠: ٦٨ ـ ٦٩.
(٥) الكافي ٣: ٤٧٦ ـ ٤٧٧ / ١، باب صلاة الحوائج.

«لا بأس بها إذا كانت من القرآن، ومن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله، وهل أبلغ في هذه الأشياء من القرآن؟ أليس الله تعالى يقول: ﴿وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَ رَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾(١). أليس يقول: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾(٢).

ثمّ قال لابن سنان: سلونا نعلّمكم ونوقفكم على قوارع القرآن لكلّ داء»(٣).

[م/١٣٣] وسأل أحمد بن محمّد بن مسلم أبا جعفر الباقر عليه السلام: أيُتَعوَّذ بشيء من هذه الرُّقىٰ؟ قال: «لا، إلّا من القرآن، فإنّ عليّاً عليه السلام كان يقول: إنّ كثيراً من الرّقى والتمائم من الإشراك!»(٤)

[م/١٣٤] وقد ورد متواتراً: أنّ قراءة الحمد، شفاء من كلّ داء إلّا السّام، وهو الموت الحتم(٥).

[م/١٣٥] وعن الإمام الرضا عليه السلام: «إنّما شفاء العين، قراءة الحمد والمعوّذتين وآية الكرسيّ»(٦).

[م/١٣٦] وروى الصدوق بإسناده إلى الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من قرأ أربع آيات من أوّل البقرة، وآية الكرسيّ وآيتين بعدها، وثلاث آيات من آخرها، لم ير في نفسه وماله شيئاً يكرهه، ولا يقربه شيطان، ولا ينسى القرآن»(٧).

قلت: لا شكّ أنّ الاشتغال بتلاوة كلامه تعالى ـ عن إيمان وإيقان ـ وقاية من كلّ شرّ ومكروه.

[م/١٣٧] روى البرقي بإسناده إلى الإمام الصادق عليه السلام قال: «إذا دخلت مدخلاً تخافه، فاقرأ هذه الآية: ﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَ أَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَ اجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾(٨) فإذا عاينت الذي تخافه فاقرأ آية الكرسي»(٩).

قلت: ولا من شكّ أنّ تلاوة القرآن، حراسة عن المخاوف كلّها، ولا سيّما مع الإيقان بأنّ فيها لجوءاً إلى كنف وثيق وحصن منيع.

[م/١٣٨] وقد ورد أنّ في قراءة آية الكرسيّ تنفيراً لعفاريت الجنّ الأبالسة، ووقاية منيعة عن شرورهم(١٠)، الأمر الذي لا شك فيه. ﴿وَ إِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَ لَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾(١١).

---

(١) الإسراء ١٧: ٨٢.
(٢) الحشر ٥٩: ٢١.
(٣) طبّ الائمة: ٤٨؛ البحار ٩٢: ٤/ ٢.
(٤) طب الأئمّة: ٤٨؛ البحار ٩٢: ٥/ ٣.
(٥) دعوات الراوندي: ١٨٩/ ٥٢٤؛ البحار ٨٩: ٢٦١/ ٥٦.
(٦) الكافي ٦: ٥٠٣/ ٣٨.
(٧) ثواب الأعمال: ١٠٤؛ البحار ٨٩: ٢٦٥/ ٩.
(٨) الإسراء ١٧: ٨٠.
(٩) المحاسن ٢: ٣٦٧/ ١١٨؛ البحار ٨٩: ٢٦٧/ ١٢.
(١٠) المحاسن ٢: ٣٦٧/ ١١٨؛ البحار ٨٩: ٢٦٧/ ١٢.
(١١) الإسراء ١٧: ٤٦.

[م / ١٣٩] قال الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: «إنّ لكلّ شيء ذروة، وذروة القرآن آية الكرسيّ»(١).

فلا غرو أن يكون لتلاوة القرآن ولا سيّما آياته العظام، دفعٌ لأيّ مكروه يُخاف، أو محنة يخشى مغبّة أمرها، مع عنايته تعالى بكشف الكروب عن وجه عباده المخلصين.

وهكذا ما ورد من أدعية وأذكار أو قراءة قرآنٍ لدفع المكاره أو للشفاء من الأمراض أو رفع الأسقام، فإن أريد به الدعم للدواء المعالج به، حتّى يؤثّر الدواء في رفع الداء بإذن الله تعالى، فهذا لا ضير فيه، بل ويبدو طبيعيّاً بعد أن كان الله هو الشافي لجميع الأدواء. أمّا إذا أريد الاستقلال، والاستغناء عن التطبّب رأساً، والاكتفاء بمجرّد الذكر والدعاء وتلاوة القرآن، فهذا ممّا ترفضه رفضاً، ويخالف ناموس الحياة وسنن الله في الطّبيعة تماماً.

قال ابن التّين: الرّقى بالمعوّذات وغيرها من أسماء الله تعالى، هو الطبّ الرّوحاني، إذا كان على لسان الأبرار من الخلق، حصل الشفاء بإذن الله تعالى. فلمّا عزّ هذا النوع، فزع الناس إلى الطبّ الجسماني.

قال السيوطي: ويشير إلى هذا:

[م / ١٤٠] قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لو أنّ رجلاً موقناً قرأ بها على جبل لزال»(٢).

وقال القرطبيّ: تجوز الرُّقية بكلام الله وأسمائه، فإن كان مأثوراً استُحِبّ.

وقال الربيع: سألت الشافعيّ عن الرُّقية فقال: لا بأس أن يُرقىٰ بكتاب الله، وما يُعرَف من ذكر الله(٣).

* * *

وللحكيم أبي عبدالله محمّد بن أحمد بن سعيد (كان حيّاً في مصر سنة ٣٩٠) التميمي، كتاب أسماه «خواصّ القرآن» ذكر فيه أنّه أخذه من بعض الحكماء بالهند(٤).

ولكن كيف الوئام بين القرآن وأخذ خواصّه من حكماء البراهمة بالهند؟!

---

(١) العيّاشي ١: ١٥٦ / ٤٥٠؛ البحار ٨٩: ٢٦٧ / ١٤.

(٢) في حديث ابن مسعود: تقرأ الآية ١١٥ من سورة المؤمنون في أذن مصاب. (الدرّ ٦: ١٢٢).

(٣) الإتقان ٤: ١٤٣ ـ ١٤٤. (٤) كشف الظنون ١: ٧٢٧.

غير أنّ عبدالرحمان بن علي بن أحمد القرشي درج في أثره وصنّف كتاباً بنفس الاسم، ينقل فيه أحياناً عن الإمام الصادق عليه السلام والأكثر روايته عن الإمام التميمي. قال الشيخ آغا بزرگ الطهراني: والظاهر أنّ مراده الحكيم أبو عبدالله التميمي الآنف. قال: توجد نسخة منه كتابتها سنة ٩١٢ بقلم الشيخ زين الدين آل صباح الحميدي في شطرة ـ العراق عند رشيد شعرباف البغدادي التاجر هناك، حسبما كتب إليه[١].

وللمولى عبدالله بن الحسين التستري (المتوفى بأصبهان ١٠٢١) تأليف باسم «خواصّ القرآن» مرتّب على قسمين، أوّلاً في خواصّ مجموع القرآن. وثانياً في خواصّ كلّ سورة سورة من الفاتحة إلى الناس، يذكر الخواصّ التي لقراءتها أو كتابتها. قال الطهراني: رأيت منه نسخة في خزانة شيخ الشريعة الأصبهاني في النجف الأشرف وعليها حواش كثيرة من المصنف[٢].

وأيضاً كتاب «خواصّ القرآن» فارسيّ في خواصّ جملة من السور القرآنيّة، للمولى محمّد كاظم بن محمّد شفيع هزارجريبي الحائري، فرغ من تأليفه في كربلاء ـ العراق في ١٢٢٠. قال الطهراني: رأيت نسخة منه تاريخ كتابتها ١٢٣٦ في خزانة الشيرازي بسامرّاء. ونسخة أخرى عند الشيخ الأردوبادي في النجف[٣].

قال السيوطي[٤]: أفرده بالتصنيف جماعة، منهم التميميّ والغزاليّ. ومن المتأخرين اليافعيّ. قال: وغالب ما يذكر في ذلك كان مستنده تجارب الصالحين.

قال: وها أنا أبدأ بما ورد من ذلك في الحديث، ثمّ ألتقط عيوناً مما ذكره السلف والصالحون:

[م/١٤١] أخرج ابن ماجة وغيره من حديث ابن مسعود: عليكم بالشفاءين، العسل والقرآن[٥].

[م/١٤٢] وأخرج أبو عُبيد عن طلحة بن مصرِّف، قال: كان يقال: إذا قرئ القرآن عند المريض وجد لذلك خفّة[٦].

قلت: هذا حقّ. لأنّ الاستماع إلى كلام ربّ الرحمة راحة للقلوب.

---

(١) الذريعة ٧: ٢٧٣.
(٢) المصدر.
(٣) المصدر.
(٤) الإتقان ٤: ١٣٧ ـ ١٤٤، النوع ٧٥.
(٥) يالله، كيف يجعل القرآن في عرض العسل وفي عداد سائر العقاقير والأدوية الطبّية؟! (ابن ماجة ٢: ١١٤٢ / ٣٤٥٢، باب ٧؛ فضائل القرآن: ٢٣٣ / ٩، باب ٦٠).
(٦) الإتقان ٤: ١٣٧؛ فضائل القرآن: ٢٣٣ / ١٠، باب ٦٠.

[م / ١٤٣] قال: وأخرج البيهقي في الشُّعَب عن واثلة بن الأسقع، أنّ رجلاً شكا إلى النبيّ ﷺ وجع حلقه، قال: «عليك بقراءة القرآن»!![١]

هذا غريب! إنّ لداء الحلق دواء ومعالجة طبّيّة لابدّ من العناية بها، اللّهم إلّا أن يراد دعمها بذلك والتخفيف من وطأة المرض على المريض!

[م / ١٤٤] وهكذا ما أخرجه ابن مردويه عن أبي سعيد الخُدريّ، قال: جاء رجل إلى النبيّ ﷺ فقال: أشتكي صدري، فقال: «اقرأ القرآن، لقول الله تعالى: وشفاء لما في الصدور»[٢].

ولنا تعليق على هذا الحديث يأتي عند التعرّض لكلام المولى ابن فهد الحلّي.

[م / ١٤٥] وأخرج البيهقيّ وغيره من حديث عبدالله بن جابر: «في فاتحة الكتاب شفاء من كلّ داء»[٣] أي تقرأ على كلّ مرض كي تؤثّر معالجته بإذن الله.

[م / ١٤٦] وأيضاً من حديث جابر بن عبدالله: فاتحة الكتاب شفاء من كلّ شيء إلّا السام. والسام: الموت[٤].

[م / ١٤٧] ومن حديث أبي سعيد الخُدريّ: فاتحة الكتاب شفاء من السمّ[٥] يعني إذا عولج على يد الحذّق من الأطبّاء، مرفقاً بنفحة قرآنيّة.

[م / ١٤٨] وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة: إنّ البيت الذي تقرأ فيه البقرة لا يدخله الشيطان[٦]. قلت: لا شأن للبقرة بذاتها وإنّما هو من خاصّيّة القرآن العظيم: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾[٧].

[م / ١٤٩] أخرج الدارميّ عن ابن مسعود ـ موقوفاً ـ: «من قرأ أربع آيات من أوّل سورة البقرة، وآية الكرسيّ، وآيتين بعدها، وثلاثاً من آخر سورة البقرة، لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان و لاشيء يكرهه، ولا يقرأ على مجنون إلّا أفاق»[٨].

[م / ١٥٠] وأخرج البخاريّ عن أبي هريرة قال: وكّلني النبيّ ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني

---

(١) الإتقان ٤: ١٣٧.
(٢) الإتقان ٤: ١٣٧؛ الدرّ ٤: ٣٦٦. والآية من سورة يونس ١٠: ٥٧.
(٣) شعب الإيمان ٢: ٤٥٠ / ٢٣٦٧.
(٤) العيّاشي ١: ٣٥ / ٩.
(٥) شعب الإيمان ٢: ٤٥٠ / ٢٣٦٨.
(٦) الإتقان ٤: ١٣٨؛ مسلم ٢: ١٨٨.
(٧) الإسراء ١٧: ٤٦.
(٨) الإتقان ٤: ١٣٨؛ الدارمي ٢: ٤٤٨.

آتٍ فجعل يحثو من الطعام[١]، فأخذته وقلت: لأرفعنّك إلى رسول الله ﷺ قال: إنّي محتاج وعليّ عيال ولي حاجة شديدة قال: فخلّيت سبيله. فلمّا أصبحت، قال لي النبيّ ﷺ: ما فعل أسيرك البارحة؟ قلت: شكا حاجة شديدة فرحمته. قال ﷺ: أما إنّه قد كذبك وسيعود. فرصدته فجاء مثل البارحة. لكنّه شكا حاجته فخلّيت عنه أيضاً. فقال لي النبيّ ﷺ حين أصبحت: إنّه سيعود. فرصدته الثالثة. فأخذته فقال: دعني. أعلّمك كلمات ينفعك الله بها! قلت: ما هي؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسيّ. فإنّك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان، حتّى تصبح!

يقول أبو هريرة: فخلّيت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: ما فعل أسيرك البارحة؟ قلت: زعم أنّه يعلّمني كلمات ينفعني الله بها، فخلّيت سبيله!

قال رسول الله ﷺ: ما هي؟ قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسيّ ولن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان، حتّى تُصبح، وكانوا ـ أي الصحابة[٢] ـ أحرص شيء على الخير.

فقال النبيّ ﷺ: أما إنّه قد صَدَقَك، وهو كذوب[٣].

ثمّ قال: تعلم من تُخاطبُ منذ ثلاث ليالٍ يا أبا هريرة؟ قال: لا. قال ﷺ: ذاك شيطان[٤].

[م / ١٥١] قال ابن حجر ـ في الشرح ـ: وفي حديث معاذ بن جبل زيادة: وخاتمة سورة البقرة «آمن الرسول إلى آخرها» وقال في أوّل الحديث: ضمّ إليّ رسول الله ﷺ تمر الصدقة، فكنت أجد فيه كل يوم نقصاناً، فشكوت ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال لي: هو عمل الشيطان فارصده فرصدته، فأقبل في صورة فيل، فلمّا انتهى إلى الباب دخل من خلل الباب في غير صورته، فدنا من التمر، فجعل يلتقمه، فشددت على ثيابه فتوسّطته...

ثمّ غدوت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بما قال، فقال: صدق الخبيث وهو كذوب. قال معاذ:

---

(١) حثا يحثو التراب: صبّه. أي جعل يحثو من الطعام في وعاء كان معه.

(٢) هذا التفات. يعني: وكنّا نحن الصحابة. راجع: ابن حجر في الشرح ٤: ٣٩٧.

(٣) قال ابن حجر: وهو من التتميم البليغ، لأنّه لمّا أوهم مدحه بوصفه الصدق، استدرك نفي الصدق عنه بصيغة المبالغة. والمعنى: صدقك في هذا القول، مع أنّ عادته الكذب المستمر، وهو كقولهم: قد يصدق الكذوب. (فتح الباري ٩: ٥١).

(٤) البخاري ٣: ٦٤، كتاب الوكالة، باب ٩. و ٦: ١٠٤، باب فضل سورة البقرة، كتاب فضائل القرآن.

فكنت أقرأهما بعد ذلك فلا أجد نقصاناً(١).

[م / ١٥٢] وأخرج النسائي، وأبو يعلىٰ، وابنْ حِبّان، وأبو الشيخ في العظمة، والحاكم ـ وصحّحه ـ وأبو نعيم، والبيهقي معاً في الدلائل، عن أبيّ بن كعب: أنّه كان له جُرُن(٢) من تمر، وكان يتعاهده فوجده ينقص، فحرسه ذات ليلة فإذا هو بدابّة شبه الغلام المحتلم. قال: قلت له: من أنت؟! جنّيٌّ أم إنسيّ؟ قال: جنّي! قلت: ناولني يدك، فإذا يداه يدا كلب وشعره شعر كلب. قلت: هكذا خلق الجنّ؟ قال: إنّ فيهم من هو أشدّ منّي! قلت: ما حملك على ما صنعت؟ قال: بلغني أنّك رجل تحبّ الصدقة فأحببنا أن نصيب من طعامك!

فقال له أُبَيّ: فما الذي يجيرنا منكم؟ قال: آية الكرسيّ، من قرأها حتّى يُمسي أجير منّا حتّى يُصبح، ومن قرأها حين يُصبح أجير منا حتّى يُمسي. فلمّا أصبح أتى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: «صدق الخبيث»(٣).

[م / ١٥٣] قال ابن حجر: وفي رواية الروياني: فأخذته فالتففتُ يديّ على وسطه، فقلت: يا عدوّ الله، وَثَبْتَ إلى تمر الصدقة فأخذته؟ وكانوا ـ أي الصحابة ـ أحقّ به منك، لأرفعنّك إلى رسول الله ﷺ فيفضحك!!

وفي رواية الروياني: ما أدخلك بيتي تأكل التمر؟! قال: أنا شيخ كبير فقير ذو عيال، وما أتيتك إلّا من «نصيبين»(٤)، ولو أصبت شيئاً دونه ما أتيتك. ولقد كنّا في مدينتكم هذه (يثرب) حتّى بعث صاحبكم، فلمّا نزلت عليه آيتان تفرّقنا منها، فإن خلّيت سبيلي علّمتكهما! قلت: نعم. قال: آية الكرسيّ وآخر سورة البقرة(٥).

[م / ١٥٤] وأخرج ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان، ومحمّد بن نصر الطبراني، والحاكم ـ وصحّحه(٦) ـ وأبو نعيم، والبيهقيّ، كلاهما في الدلائل، عن معاذ بن جبل، قال: ضمّ إليّ

(١) الدرّ ٢: ٩.

(٢) جُرُن ـ بضمّتين ـ: جمع جَرين، وهو موضع تجفيف التمر، وهو له كالبيدر للحنطة. قال ابن الأثير، ومنه حديث أبيّ مع الغول: «أنّه كان له جُرُن من تمر». (النهاية ١: ٢٦٣).

(٣) الدرّ ٢: ٥؛ النسائي ٦: ٢٣٩ / ١٠٧٩٦؛ ابن حبّان ٣: ٦٣ ـ ٦٤ / ٧٨٤؛ العظمة ٥: ١٦٥٠ / ١٠٩٢ ـ ١٢؛ الحاكم ١: ٥٦٢؛ الدلائل للبيهقي ٧: ١٠٨ ـ ١٠٩.

(٤) مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادّة القوافل من الموصل إلى الشام. كثيرة العقارب.

(٥) فتح الباري ٤: ٣٩٧.

(٦) قال: هذا حديث صحيح الإسناد. الحاكم ١: ٥٦٣.

رسول الله ﷺ تمر الصدقة، جعلته في غرفة لي، فكنت أجد فيه كلّ يوم نقصاناً ـ وساق الحديث إلى قوله ـ: ولقد كنّا في مدينتكم هذه حتّى بعث صاحبكم، فلمّا نزلت عليه آيتان أنفرتنا منها فوقعنا في «نصيبين»، ولا تُقرآن في بيت إلّا لم يلج فيه الشيطان ثلاثاً، فإن خلّيت سبيلي علّمتكهما! قلت: نعم! قال: آية الكرسيّ وآخر سورة البقرة فخلّيت سبيله[١].

[م/١٥٥] وأخرج أبو عبيد في فضائله، والدارميّ، والطبرانيّ، وأبو نعيم في دلائل النبوّة، والبيهقيّ عن عبدالله بن مسعود، قال: خرج رجل من الإنس، فلقيه رجل من الجنّ. فقال الجنّي: هل لك أن تصارعني؟ فإن صرعتني علّمتك آية إذا قرأتها حين تدخل بيتك، لم يدخله شيطان! فصارعه، فصرعه الإنسيّ فقال: تقرأ آية الكرسيّ، فإنّه لا يقرأها أحد إذا دخل بيته إلّا خرج الشيطان، له خَبَج كَخَبَج الحمار[٢].

وفي ذيل الحديث: سئل ابن مسعود عن الرجل الذي صارع الجنّيّ فصرعه؟ فقال: من عسى أن يكون إلّا عمر!![٣]

قلت: يا لله والمهازل، كيف تنسب مخاريف سخيفة إلى كبار الصحابة الأجلاء، أمثال: عبدالله ابن مسعود وأبيّ بن كعب ومعاذ بن جبل. وحاشاهم من نسبة تلك الأباطيل إليهم. دع عنك أبا هريرة: كان لا يحتاج إلى من يزمّر له، وقد نشط على سرد الأقاصيص في أحضان معاوية، حيث كان يجعل الجعائل على رواج الأساطير والقصص الملهية[٤].

وأظنّنا في غنىً عن تبيين مواضع السخف من هذه الأحاديث المفتعلة، البادية عليها آثار الاختلاق.

ونحن إذ لا نعاتب الحشويّة في حشدهم لهكذا أحاديث هزيلة، حيث دأبوا على حصد الغث والسمين من غير مبالاة. ولكن نوجّه عتابنا إلى أولئك الأئمّة من كبار المحدّثين أمثال البخاريّ

---

(١) الكبير ٢٠: ٥١ ـ ٥٢ / ٨٩؛ الدلائل لأبي نعيم ٢: ٦٠٠ ـ ٦٠١ ـ ٥٤٧؛ الدلائل للبيهقي ٧: ١٠٩ ـ ١١٠، باب ماجاء في الشيطان.

(٢) الخَبَج ـ بفتحتين ـ: الضُّراط.

(٣) الدرّ ٢: ٧؛ الدارمي ٢: ٤٤٨؛ الكبير ٩: ١٦٦ / ٨٨٢٦؛ الدلائل لأبي نعيم ٢: ٣٦٩ ـ ٣٧٠ / ٢٦٨، وفيه: «له هيج كهيج الحمار»؛ مجمع الزوائد ٩: ٧٠ ـ ٧١.

(٤) تحدّثنا عن مناشئ رواج الإسرائيليات وقصص القصّاصين يومذاك، في كتابنا: التمهيد ١٠: ٣٧، عند الكلام عن آفات التفسير بالنقل.

والنسائيّ وأحمد والبيهقيّ، وكذا مثل ابن حجر ذلك الإمام الناقد، ومثله الخبير المضطلع كالسيوطي وأضرابهم كيف رضوا بأنفسهم الاقتناع بقبول هكذا أقاويل، يرفضها العقل الرشيد.

ولعلّها مِنْ وضع من أراد التشوية بسمعة الإسلام الرفيعة!!

[م/١٥٦] نعم، صحّ ما أخرجه الديلمي في الفردوس من حديث أبي قتادة: «من قرأ آية الكرسيّ عند الكرب، أغاثه الله»[١]. إذ لكلامه تعالى بركة فائضة تذهب بكلّ سوء ومكروه.

وهكذا ما ورد بشأن آيات من القرآن تتلى عند مسّ الضرّ، فيرفعه الله برحمته.

[م/١٥٧] وأخرج البيهقيّ في الدعوات من حديث أنس: ما أنعم الله على عبد نعمةً في أهل ولا مال ولا ولد، فيقول: ما شاء الله، لا قوّة إلّا بالله ... فيرى فيه آفة دون الموت[٢].

[م/١٥٨] وأيضاً أخرج الديلمي عن أنس: من رأى شيئاً فأعجبه، له أو لغيره فليقل: ما شاء الله، لا قوّة إلّا بالله[٣].

وهذا حقّ، لأنّ في ذكر الله تعالى وقاية:

[م/١٥٩] فقد روى الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «العين حقّ، فمن أعجبه من أخيه شيء فليذكر الله في ذلك، فإنّه إذا ذكر الله لم يضرّه»[٤].

[م/١٦٠] وأخرج الحكيم الترمذيّ، وأبو يعلى، وابن أبي حاتم، وابن السنيّ في عمل يوم وليلة، وأبو نعيم في الحلية، وابن مردويه عن ابن مسعود: أنّه قرأ في أذن مصاب: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ. فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ. وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ. وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾[٥] فبرأ. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ماذا قرأت في أذنه؟ فأخبره! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «والذي نفسي بيده لو أنّ رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال»[٦].

فيا ترى من أين عرف ابن مسعود ذلك، إذ لم يكن يدري به رسول الله؟!

---

(١) الإتقان ٤: ١٣٩.
(٢) المصدر: ١٤١.
(٣) الفردوس بمأثور الخطاب ٣: ٥٤٤ / ٥٦٩٧؛ كنز العمّال ١٠: ٦٥ / ٢٨٣٨٣.
(٤) طب الأئمّة: ١٢١؛ البحار ٩٢: ١٢٧ / ٧.
(٥) هنّ آخر آيات سورة المؤمنون ٢٣: ١١٥ ـ ١١٨.
(٦) الدرّ ٦: ١٢٢؛ الإتقان ٤: ١٤١؛ نوادر الأصول ٣: ١٧١ ـ ١٧٢؛ أبو يعلى ٨: ٤٥٨ / ٥٠٤٥؛ ابن أبي حاتم ٨: ٢٥١٣ / ١٤٠٧٠؛ الحلية ١: ٧.

ثمّ ما هي المناسبة بين هذه الآيات ودفع أسقام الجسم، وهنّ نزلن لدفع أسقام الروح، والهزّة بتلك الأنفس العاتية!!

[م / ١٦١] وفي المستدرك: «من وجد في قلبه قسوةً فليكتب يسٓ في جام بزعفران، ثمّ يشربه»[١].

لا شكّ أنّ سورة يسٓ نزلت لإزالة القسوة من القلوب، لكن لا بشربها، بل بتلاوتها والتدبّر فيها!!

ومثله ما ورد في عسر الولادة:

[م / ١٦٢] أخرج البيهقي في الدعوات عن ابن عبّاس ـ موقوفاً ـ: في المرأة يعسر عليها ولادها؟ قال: يكتب في قرطاس ثمّ تسقى: «بسم الله الذي لا إلّه إلّا هو الحليم الحكيم. سبحان الله وتعالى ربّ العرش العظيم، الحمد لله ربّ العالمين. ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾[٢]. ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٣]»[٤].

ما ندري ما هي الصلة بين آيات نزلت وعيداً بشأن أصحاب النار، وبين مسكينة عسر عليها الطلق؟!

ثمّ ما معنى: يكتب في قرطاس ثمّ تسقىٰ؟! ولعله مسح ما في القرطاس بالماء في جام ثمّ تشربه! وهل لا يضرّها كثرة المداد؟!

* * *

وهنا بحث طريف بين فقهاء القوم: هل يجوز شرب غسالة القرآن، أو ابتلاع ورقة فيها كتابة قرآن؟

قال أبو قلّابة والأوزاعي: لا بأس به. وكرهه النخعيّ. وقال القاضي حسين والبغويّ وغيرهما: لو كتب على حلوىٰ وطعام فلا بأس بأكله.

قال الزركشي: وممّن صرّح بالجواز في مسألة الإناء، العمادُ النيهيّ، مع تصريحه بأنّه لا يجوز

---

(١) الحاكم ٢: ٤٢٨؛ الإتقان ٤: ١٤٢.
(٢) النازعات ٧٩: ٤٦.
(٣) الأحقاف ٤٦: ٣٥.
(٤) الإتقان ٤: ١٤٢.

ابتلاع ورقة فيها آية. وأفتى ابن عبدالسلام بالمنع من الشرب أيضاً، لأنّه تلاقيه نجاسة الباطن؟؟!!(١)

* * *

عقد المولى المحقّق أحمد بن محمّد أبو العباس ابن فهد الحلّي الأسدي (٧٥٧ ـ ٨٤١) في كتابه «عدّة الداعي» فصلاً ذكر فيه خواصّ آيٍ من القرآن، قال فيه: اعلم أنّ في القرآن، الترياق الأكبر، والكبريت الأحمر، والخواصّ الغريبة، والمعجزات العجيبة، ولا يمثّل بالطود الأشمّ، بل هو أفخم. ولا بالبحر الخِضَمّ، بل هو أعظم.

فذكر جوانب من هذه العظمة وطرفاً من تلك الفخامة بحيث يُغني الفقيه، ويُروى البليغ الأريب ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾(٢) حتّى يأتي إلى جانب الاستشفاء به والاسترقاء، وأنّ فيه الشفاء والدواء، وهو سبيل إلى الكفاية والاستغناء، ووسيلة إلى استجابة الدعاء.

قال بشأن الاستشفاء به من العلل: ولتورد منه شيئاً يسيراً لأجل الاستشهاد على ما ادّعيناه، إذ كثيره كثير يعجز عنه غير المعصومين عليهم السلام.

[م/ ١٦٣] فروى حديثاً عن الإمام الصادق عليه السلام، رفعه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لمن اشتكى وَجَعاً في صدره: «استشف بالقرآن، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾(٣)».

[م/ ١٦٤] وأيضاً عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «شفاء أمّتي في ثلاث: آية من كتاب الله العزيز، أو لعقة عسل، أو شرطة حجّام». (يقال: شَرَطَ الجِلْدَ: بضعه وبزغه لاستفراغ الدم ونحوه)(٤).

[م/ ١٦٥] وعن الرضا عليه السلام: «من قرأ آية الكرسي عند منامه لم يخف الفالج. ومن قرأها في دبر كلّ صلاة لم يضرّه ذو حُمَة». (الحُمَة ـ بضم الحاء وفتح الميم الخفيفة: السمّ. وتطلق على أبرة العقرب ونحوها).

[م/ ١٦٦] وعن الأصبغ بن نباتة ـ في حديث طويل ـ قال: قام إليه ـ يعني أمير المؤمنين عليه السلام ـ رجل فقال: إنّ في بطني ماءً أصفر، فهل من شفاء؟ قال عليه السلام: «نعم، بلادرهم و لادينار، ولكن تكتب

---

(١) البرهان ١: ٤٧٦؛ الإتقان ٤: ١٤٤.
(٢) الأنعام ٦: ٣٦.
(٣) والآية من سورة يونس ١٠: ٥٨.
(٤) البحار ٨٩: ١٧٦ / ٥.

على بطنك آية الكرسيّ، وتكتبها وتشربها[١]، وتجعلها ذخيرة في بطنك، فتبرأ بـإذن الله تـعالى. قال: ففعل الرجل فبرء بإذن الله».

[م / ١٦٧] وعن الباقر عليه‌السلام: «من لم يبرأه الحمد لم يبرأه شيء»[٢].

والأحاديث التي ذكرها ـ ما عدا الأخير الخامس ـ ممّا يستغرب ويستبعد صدورها من المعصومين عليهم‌السلام.

أمّا الحديث الأوّل فإنّ القرآن نزل شفاء لما في الصدور، من عُقَد نفسيّة ونفثات شيطانيّة تضايقت به الصدور، فجاء القرآن ليحلّ تلك العقد ويذهب بنفثات الشيطان، ليخلفها نفحات الرحمان، فتترحّب بها الصدور وتنشرح انشراحاً.

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ. وَ وَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ. الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ. وَ رَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ. فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا. إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[٣].

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[٤].

قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَ هُدًى وَ رَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ. قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَ بِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[٥].

جاءتكم الموعظة لتحيي قلوبكم، وتشفي صدوركم من الخرافة التي تملؤها، والشكّ الذي يسيطر عليها، والزيغ الذي يمرضها، والقلق الذي يحيرها، جاءت لتفيض عليها البرء والعافية واليقين والاطمئنان والسلام مع الإيمان.

فهذا هو الذي يستحق الفرح، لا وفرة المال ولا أعراض هذه الحياة. إنّ ذلك هو الفرح العلويّ الذي يُطلق النفس من عِقال المطامع الأرضيّة والأعراض الزائلة، فيجعل من هذه الأعراض خادمة للحياة لا مخدومة، ويجعل الإنسان فوقها وهو يستمتع بها، لا عبداً خاضعاً لها[٦].

أمّا أوجاع الصدر الجسمانية، من قبيل الذبحة الصدريّة أو تصلّب الشرايين، أو تضايق قصب الرئة ونحو ذلك، فلها علاجها الخاصّ، وقد مارسها أطبّاء حُذّق، وألهمهم الله العلاج الناجع، بفضل

(١) كيف يشرب ما كتب على البطن؟!

(٢) عدّة الداعي: ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

(٣) الانشراح ٩٤: ١ ـ ٦.

(٤) الأعراف ٧: ١٥٧.

(٥) يونس ١٠: ٥٨.

(٦) في ظلال القرآن ٤: ٤٤٣، الجزء ١١: ١٧١.

جهودهم ومثابرتهم في سبيل ارتقاء مدارج العلم البشري بإذن الله.

نعم كانت الأدعية المأثورة وقراءة الحمد، ممّا يجعل من عسر العلاج يسراً ويمدّ في تأثير الدواء النافع بإذن الله.

هذا فحسب، أمّا كونه في عداد العقاقير الطبّية ـ كما في الحديث الثاني (حيث جعلت الآية القرآنية، في عرض لعقة عسل أو شرطة حجام) أو يكون وقاية لمرض الفالج ـ كما في الحديث الثالث ـ أو علاجاً لماءٍ أصفر ينزل في البطن كما في الحديث الرابع ـ!!

فهذا كلّه ممّا ترفضه قدسيّة القرآن الكريم، والذي جاء شفاءً لأدواء الروح، ممّا ليس بمقدور البشر، لو لا عنايته تعالى، لا أسقام الجسد، والتي كان بمقدور البشر معالجتها حسب تجاربه في الحياة!!

وإليك بعض الغرائب من استشفاءات بالقرآن الكريم:

وقبل أن نخوض عجائبها لا بدّ من التنبيه على أمر، وهو: أنّ الدعاء إذا أخذ ردفاً للدواء، ليكون دعماً له ووسيلة لجعل الشفاء فيه بإذن الله تعالى وعنايته، فهذا ممّا لا ضير فيه، بل ومن المعلوم من ضرورة الدين: أنّ الشافي هو الله وحده، وأنّه مسبّب الأسباب، ولا حول ولاقوّة إلّا به.

وقد نبّهنا أنّ الذي ننكره أشدّ الإنكار هو جعل الدعاء في مقابلة الدواء، وأنّه أحد العلاجين كلّ على حياله، الأمر الذي جاء التصريح به في بعض هذه الأحاديث، مع الأسف!!

فلا بدّ من نبذه أو تأويله بما يتلائم ودليل العقل والحكمة الرشيدة:

وقد مرّ في حديث الأصبغ بن نباتة: أنّ آية الكرسيّ، علاج داء البطن من غير صرف درهم و لادينار. أي بشراء الدواء والعقّار (١).

[م/١٦٨] وفي كتاب «مكارم الأخلاق»: روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «علّمني جبرائيل دواءً لا يُحتاج معه إلى دواء! فقيل: يا رسول الله ﷺ ما ذلك الدواء؟

قال: يؤخذ ماء المطر قبل أن ينزل إلى الأرض، ثمّ يجعل في إناءٍ نظيف ويقرأ عليه: الحمد سبعين مرّة، ثمّ يشرب منه قدحاً بالغداة وقدحاً بالعشيّ. فوالذي بعثني بالحقّ لينزعنّ الله ذلك الداء

(١) عدّة الداعي: ٢٧٤.

من بدنه وعظامه ومخخه وعروقه»[١].

هذا غريب ويتنافى مع مجاري الطبيعة والتي هي سنن الله في الخلق والتدبير.

[م / ١٦٩] روي عن ابن عبّاس: كان رسول الله ﷺ يعلّمنا من الأوجاع كلّها أن نقول: «باسم الله الكبير، أعوذ بالله العظيم، من شرّ عرق نعّار، ومن حرّ النار»[٢].

[م / ١٧٠] وفي كتاب الاختصاص: أنّ ابن الوشّا أخذته الحمّى الرِّبع، فدعى الإمام الرضا عليه السلام بدواة وقرطاس وكتب بعد البسملة: «أبجد، هوّز، حطّي عن فلان ابن فلان ابن فلانة». ودعا بخيط فشدّ وسطه وعقد على الجانب الأيمن أربع عقد وعلى الأيسر ثلاث عقد. وقرأ على كلّ عقدة الحمد والمعوّذتين وآية الكرسيّ ثمّ شدّه على عضده الأيمن[٣].

إن هذا إلّا صنع أحد القوّالين من أصحاب التعاويذ، وضعه حسب صنعته الوضيعة وحاشا الإمام الهمام!

[م / ١٧١] وأيضاً للحمّى الرِّبع[٤]: اكتب على ورقة: ﴿يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾[٥] وعلّقه على المحموم.

[م / ١٧٢] وفي أخرى: يكتب على قرطاس: ﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾[٦]، ويشدّ على عضده.

[م / ١٧٣] وفي ثالثة: يكتب «بطلط، بطلطلط» ويقول: عقدت على اسم الله الحمّى ويشدّ على ساقه الأيسر.

[م / ١٧٤] وفي رواية: يكتب: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾[٧].

[م / ١٧٥] وفي رواية: يكتب على كتفه الأيمن: بسم الله جبرائيل. وعلى الأيسر: بسم الله

---

(١) مكارم الأخلاق: ٣٨٧، باب ١١ (الفصل الثاني في الاستشفاء بالقرآن). وزاد فيه: «سورة التوحيد والمعوّذتين كلّ واحدة سبعين مرّة»؛ البحار ٩٢: ١٥ / ١٦.

(٢) البحار ٩٢: ١٧ / ١٧، و ٧٣ / ١؛ طبّ الأئمّة: ٣٧.

هذه الروايات يرويها المجلسي في البحار اعتباراً لا اعتقاداً، والعهدة على المنقول عنهم فليتدبّر.

(٣) الاختصاص: ١٨ ـ ١٩؛ البحار ٩٢: ٢١ / ٥.

(٤) يقال: جاءته الحمّى ربعاً أي كلّ رابع يوم.

(٥) الانبياء ٢١: ٦٩.

(٦) يونس ١٠: ٥٩.

(٧) مكارم الأخلاق: ٣٧٢، باب ١٢ (فصل ٢ في الاستشفاء بالقرآن)؛ البحار ٩٢: ١١/٢٦، والآية من سورة الفرقان ٢٥: ٤٥.

ميكائيل . وعلى رجله اليمنى : بسم الله إسرافيل . وعلى رجله اليسرىٰ : بسم الله ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾[١] . وبين كتفيه : بسم الله العزيز الجبّار .

وللغِبّ[٢] يأخذ ثلاثة أوراق ، يكتب على إحداها : «طيسوما» وعلى الثانية : «أو حوما» وعلى الثالثة : «ابرا سوما» ويلقى في الماء ثلاث دفعات[٣] .

ولوَجْع الرأس يقال : «يا طاهي ، ياذرّ ، ياطمنة ، ياطنات» ، فإنّها أسامٍ عظام ، لها مكان من الله ﷻ يصرف الله عنه[٤] .

قصّة القَلَنْسوة العجيبة

هناك طرائف وظرائف عن قصّة القلنسوة العجيبة ذات الأسرار الغريبة ، كانت حرزاً حصيناً وطلّسما منيعاً ، لمعالجة الأمراض الصعبة العلاج أو ممتنعه . توارثها ملوك الروم وقياصرتها وبطارقتها ، وحتّى ملوك الأحباش بأتيوبيا (الحبشة) منذ أربعمائة سنة قبل ظهور الإسلام

والآن فاستمع إلى القصّة كما يقصّها الأخباريّون :

ذكر الزمخشري في كتابه «ربيع الأبرار» : أنّه صُدِعَ المأمونُ بطَرَسُوس[٥] فلم ينفعه علاج . فوجّه إليه قيصر ـ ملك الروم ـ قلنسوةً وكتب : بلغني صداعك ، فضعها على رأسك يسكن . فخاف أن تكون مسمومة ، فوضعها على رأس حاملها فلم تضرّه ، ثُمّ وضعت على رأس مصدَّع فسكن ، فوضعها على رأسه فسكن ، فتعجّب من ذلك . ففتقت فإذا فيها رقٌّ فيه : «بسم الله الرّحمان الرّحيم ، كم من نعمةٍ في عرق ساكن ، ﴿حمٓ عٓسٓقٓ ، لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ . من كلام الرحمان خمدت النيران ، ولا حول ولا قوّة إلّابالله العليّ العظيم» .

وجـال نفع الدواء فيك كما   يجول ماء الربيع في الغصن[٦] .

وعن محمّد بن الفهم قال : كنت عند المأمون في بلاد الروم ، فأقام على حصن ليفتحه ، فجال الحرب بينهم ، فلحق المأمون صداع ، فأمر بالكفّ عن الحرب . فأطلع البطريق ، فقال : ما بالكم

---

(١) الإنسان ٧٦ : ١٣ .

(٢) الغِبّ : الحمّى تأتيه يوماً وتتركه يوماً .

(٣) مكارم الأخلاق : ٤٠٢ ـ ٤٠٣ ؛ البحار ٩٢ : ٢٩ / ١٣ .

(٤) طب الأئمّة : ١٩ ؛ البحار ٩٢ : ٥٤ / ١٦ .

(٥) طَرَسُوس : مدينة كانت عامرة بثغور الشام بين أنطاكيّة وحلب وبلاد الروم .

(٦) ربيع الأبرار ٥ : ٦٦ / ٢٠٣ ، باب ٧٧ (في الأمراض والعلل) ؛ البحار ٩٢ : ٦٣ / ٣٨ . والآية من سورة الواقعة ٥٦ : ١٩ .

كففتم عن الحرب؟ فقالوا: نال أميرالمؤمنين صداع، فرمىٰ قلنسوةً، فقال: قولوا له: يلبسها، فإنّ الصداع يسكن، فلبسها فسكن. فأمر المأمون بفتقها، فوجد فيها قطعة رقٍّ فيها مكتوب: «سبحان من لا ينسى من نسيه، ولا ينسى من ذكره. كم من نعمة لله على عبد شاكر وغير شاكر، في عرق ساكن وغير ساكن، حمّ عسق ...».

وروي أنّ النجاشي كان ورث عن آبائه قلنسوة من ٤٠٠ سنة، ما وضعت على وجع إلّا سكن. ففتّشت فإذا فيها: «بسم الله الملك الحقّ المبين، ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَآئِماً بِالْقِسْطِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾. الله نور، وحكمة، وحول، وقوّة، وقدرة، وسلطان، وبرهان. لا إله إلّا الله، آدم صفيّ الله. لا إلٰه إلّا الله إبراهيم خليل الله. لا إلٰه إلّا الله موسى كليم الله [لا إلٰه إلّا الله عيسى روح الله وكلمته][1]. لا إله إلّا الله محمّد العربيّ رسول الله وحبيبه وخيرته من خلقه. اسكن يا جميع الأوجاع والأسقام والأمراض، وجميع العلل وجميع الحمّيات. سكّنْتُكَ بالذي سكن له ما بالليل والنهار وهو السميع العليم وصلى الله على خير خلقه محمّد وآله أجمعين[2].

وقصّة «حرز القلنسوة» يرويها الطبرسيّ بشكل آخر، وعلى عكس ما رواه الراوندي:

[م/١٧٦] قال: كان بالملك النجاشيّ صداع، فكتب إلى النبيّ ﷺ في ذلك فبعث إليه هذا الحرز، فخاطه في قلنسوته، فسكن ما به من صداع.

والحرز هو: «بسم الله الرّحمان الرحيم. بسم الله الحقّ المبين. ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَآئِمًا بِالْقِسْطِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. لله نور وحكمة. وعزّة وقوّة. وبرهان وقدرة. وسلطان ورحمة. يا من لا ينام. لا إلٰه إلّا الله، إبراهيم خليل الله. لا إلٰه إلّا الله، موسى كليم الله. لا إلٰه إلّا الله، عيسى روح الله وكلمته. لا إلٰه إلّا الله، محمّد رسول الله وصفيّه وصفوته، صلّى الله عليه وآله وسلم عليهم أجمعين. اسكن سكّنتك بما سكن له ما في السماوات والأرض، وبمن يسكن له ما في الليل والنهار، وهو السميع العليم. فسخّرنا له الريح تجري بأمره رخاءً حيث

(١) صحّحناه على رواية المكارم حسبما يأتي.

(٢) دعوات الراوندي: ٢١١ / ٥٧١؛ البحار ٩٢: ٦٢ـ٦٣ / ٣٨. والآية من سورة آل عمران ٣: ١٨ـ١٩.

أصاب. والشياطين كلّ بنّاء وغوّاص. ألا إلى الله تصير الأمور»(١).

ولعلّك أيّها القارئ النبيه تعجب من طول الحديث حول قصّة جوفاء فارغة، هي أشبه بأساطير خرافيّة بائدة، لكنّها جاءت ـ مع الأسف ـ في مجموعات حديثيّة معروفة، ويتداولها السذّج من ذوي العقائد الرجعيّة (الجاهليّة الأولى) وحتّى اليوم، فكان من الضروري الإنذار بالتحرّز منها، فلا نرجع إلى الوراء.

[م / ١٧٧] وذكر الطبرسيّ رقية أخرى للصداع: يكتب في رقٍّ ويشدّ على الرأس بخيط: «بسم الله الرحمان الرحيم ـ إلى سبع آيات من أوّل سورة آل عمران ـ ويعقبها بقوله: أخرج منها مذموماً مدحوراً»(٢).

[م / ١٧٨] وللشقيقة: بعد البسملة، الآية الثامنة من سورة آل عمران. ويعقّبه بدعاء غريب. ذكره(٣). قال: فإن برئ وإلّا أَخَذْتَ حمّصةً بيضاء ونصفاً ودققتها دقّاً ناعماً وقرأت عليها سورة التوحيد ثلاث مرّات، وسقيتها المريض(٤).

ولعلاج الصمم: امسح يدك عليه واقرأ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا﴾ ـ إلى آخر سورة الحشر ـ(٥).

ولوجع الأذن: يقرأ على دهن الياسمين أو البنفسج سبع مرّات: ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾. ويصبّ في الأذن(٦).

[م / ١٧٩] ولوجع الضرس: اسكني أيّتها الريح، أسكنتك بالذي سكن له ما في السماوات وما في الأرض. رفعه الرافعي إلى النبيّ(٧).

[م / ١٨٠] ولعرق النساء: بعد البسملة، بسم الله وبالله، أعوذ بسم الله الكبير، وأعوذ بسم الله العظيم، من شرّ كلّ عرقٍ نعّار، ومن شرّ حرّ النار(٨).

---

(١) مكارم الأخلاق: ٤٠٣ ـ ٤٠٤. والآيتان من سورة ص ٣٨: ٣٧، وسورة الشورى ٤٢: ٥٣.

(٢) مكارم الأخلاق: ٤٠٤. والآية من سورة الأعراف ٧: ١٨. (٣) المصدر: ٣٧٣ و ٤٠٤.

(٤) المصدر: ٣٧٤. (٥) طب الائمة: ٢٣. والآية من سورة الحشر ٥٩: ٢١.

(٦) مكارم الأخلاق: ٣٧٥. والآيتان من سورة لقمان ٣١: ٧. والإسراء ١٧: ٣٦.

(٧) كنزالعمّال ١٠: ٦٤ / ٢٨٣٨٠. (٨) طب الائمة: ٣٧.

[م / ١٨١] وللبواسير: اكتب سورة يس بالعسل واشربه[١].

[م / ١٨٢] وللرعاف: يا من حمل الفيل من بيته الحرام، اسكن دم فلان بن فلان.

[م / ١٨٣] وأيضاً: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾. ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ ـ إلى قوله ـ هَمْسًا﴾. ﴿يا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾ ... الآية. ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾ ... الآية[٢] إلى غيرها من أحاديث هي لا تُشبه الجدّ، فتدبّر.

الإسرائيليات

من أعظم البليّات التي داهمت العالم الإسلامي منذ عهده الأوّل، وبعد وفاة الرسول ﷺ مباشرة، هي كارثة الإسرائيليّات، زاحمت درب الحياة على المسلمين، بوفرة أباطيلها وأكاذيب كادت تقلب الحقائق ظهراً لبطن، على يد مشعوذين من مسلمة أهل الكتاب، وآخرين منخدعين بتسويلات أحبار اليهود.

فكان من ذا وذاك لمّة كبيرة من أقاصيص وحكايات، هي أشبه بالخرافات، ازدحمت بها كتب الحشويّة من أهل الحديث والتفسير، حشدوا بها حقائبهم الواسعة ملأ الحلقوم.

وبذلك أصبح الحديث والتفسير مزيجاً من الغث والسمين وصار التحديث موضع اتهام النبهاء من المحقّقين.

وقد تحدّثنا عن كارثة الإسرائيليات وآثارها السيئة المتبقّية في عالم الحديث والتفسير، واستوفينا الكلام فيها بتفصيل، عند التعرّض لآفات التفسير ولا سيّما الأثريّ منه[٣]، فلا نعيد.

وسوف ننبّه على مواضع أقحم فيها الإسرائيليات إقحاماً، ضمن سرد أحاديث التفسير، حسب ترتيب الآيات، ونبيّن وجه تزييفها، إن شاء الله تعالى.

---

(١) مكارم الأخلاق: ٣٨٣.

(٢) المصدر: ٣٨٣. والآيات من سورة طه ٢٠: ٥٥ و ١٠٨. هود ١١: ٤٤. يس ٣٦: ٩.

(٣) في كتابنا: التمهيد ١٠: ٣٧ وما بعد.

ما ورد بشأن أسباب النزول

كانت لمعرفة أسباب النزول قيمتها الأغلىٰ في سبيل فهم معاني القرآن الكريم، حسبما فصّلنا الكلام فيه[١]. غير أنّ الذي يجدر التنبّه له ـ هنا ـ أنّ الطابع الغالب على المأثور في هذا الباب هو الضعف والجهالة والإرسال، فضلاً عن الوضع والدسّ والتزوير.

قال الإمام بدر الدين الزركشي: يجب الحذر من الضعيف فيه والموضوع فإنّه كثير. قال الميموني: سمعت الإمام أحمد بن حنبل يقول: ثلاث ليس لها اصول ـ أولا أصل لها ـ: المغازي والملاحم والتفسير. أي لا أصل معتمداً عليه. قال المحقّقون من أصحابه: يعني أنّ الغالب، أنّها ليس لها أسانيد صحاح متّصلة الإسناد. وإلّا فقد صحّ من ذلك كثير[٢].

قال جلال الدين السيوطي: الذي صحّ من ذلك قليل جدّاً، بل أصل المرفوع منه (أي المتّصل الإسناد إلى النبيّ ﷺ) في غاية القلّة[٣].

وقد نقم على الواحدي في إخراجه أحاديث في أسباب النزول، أكثرها ضعاف أو في أسانيدها مجاهيل أو هي أباطيل. ومن ثمّ عمد هو إلى تأليف أخصر وأجمع وأسدّ، أسماه «لباب النقول» وحسبه يمتاز على تأليف الواحدي بأمور: أحدها، الاختصار. ثانيها: الجمع الكثير ممّا تفلّت عن الواحدي. ثالثها: إسناد كلّ حديث إلى مخرّجه من الكتب المعتبرة. أمّا الواحدي فتارةً يورد الحديث بإسناده، وفيه مع التطويل عدم العلم بمخرج الحديث. وتارة يورده مقطوعاً. رابعها: تمييز الصحيح من غيره والمقبول من المردود. خامسها: الجمع بين الروايات المتعارضة. سادسها: تنحية ما ليس من أسباب النزول.

ذكر ذلك في المقدمة. وهل وفى بما وعد أو استطاع الإيفاء بما صال وجال؟

إنّ المراجع لهذا التأليف ـ مع امتيازاته الستّة ـ ليجد فيه الغثّ ما يغلب على السمين. وفيه ما يخالف العقل السليم.

[م / ١٨٤] روى من طريق البيهقي عن أبي هريرة: أنّ النبيّ ﷺ وقف على حمزة حين استشهد بأحد، وقد مُثّل به، فقال: لأمثّلنّ بسبعين منهم مكانك!! فنزل جبرائيل بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ

(١) راجع: التمهيد ١: ٢٥٣ ـ ٢٧٦.
(٢) البرهان ٢: ١٥٦.
(٣) الإتقان ٤: ١٨١.

فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَ لَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ . وَ اصْبِرْ وَ مَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ لَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ . إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّ الَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[١].

[م/ ١٨٥] قال: وقد أخرج الترمذيّ عن أبيّ بن كعب، قال: أُصيب في أحد من الأنصار أربعة وستّون ومن المهاجرين ستّة منهم حمزة. وقد مثّل بهم. فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لنربينّ عليهم. فلمّا كان يوم فتح مكّة أنزل الله هذه الآيات[٢].

هذا مع العلم أنّ سورة النحل بكاملتها نزلت بمكّة قبل الهجرة، الأمر الذي يكشف عن غفوة واضع هذه الأحاديث التي تتنافي وقدسيّة شأن الرسول وصحابته الأبرار، فلا يتجاوزون حدود ما أنزل الله، ولا يزلّ بهم هوسات النفس ولا همزات الشياطين.

هذا وقد أحسّ السيوطي بوهنها، فحاول علاجها بافتراض نزول الآيات ثلاث مرات: قبل الهجرة، وبعدها بأحد، ثمّ يوم فتح مكة[٣].

يا لله! الكذبة الفادحة تتبعها كذبات!!

[م/ ١٨٦] قال: وأخرج الطبراني وابن أبي شيبة (بإسناد فيه جهالة)[٤] عن حفص بن ميسرة روى عن أمّه، أنّها روت عن أمّها خولة، وقد كانت خادم رسول الله ﷺ: أنّ جرواً دخل بيت النبيّ ﷺ فدخل تحت السرير فمات. فمكث النبيّ ﷺ أربعة أيّام لا ينزل عليه الوحي، فقال: يا خولة، ما حدث في بيت رسول الله ﷺ، جبرئيل ما يأتيني!! فقلت في نفسي: لو هيّأت البيت، فكنسته فأهويت بالمكنسة تحت السرير فأخرجت الجرو.

قالت: فجاء النبيّ ﷺ وترتعد لَحْياه، وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته الرعدة، فأنزل الله: ﴿والضحى ـ إلى قوله ـ فترضى﴾[٥].

قال ابن حجر: قصّة إبطاء جبرائيل بسبب كون الكلب تحت سريره ﷺ لم يشعر به، مشهورة، لكنّ كونها سبب نزول هذه الآيات غريب، بل شاذّ مردود[٦].

على أنّ القصّة المزعومة مدنيّة، والسورة مكّيّة بلا خلاف.

---

(١) الآية من آخر سورة النحل ـ وهي مكّيّة النزول. شعب الإيمان ٧: ١٢٠ / ٩٧٠٣.

(٢) الترمذي ٤: ٣٦١ ـ ٣٦٢ / ٥١٣٦.

(٣) لباب النقول: ١٦٧.

(٤) ذكره ابن حجر (فتح الباري ٨: ٥٤٥).

(٥) لباب النقول: ١٦٧؛ الكبير ٢٤: ٢٤٩ / ٦٣٦.

(٦) فتح الباري ٨: ٥٤٥.

[م / ١٨٧] وأخرج البخاري عن عمر بن الخطّاب، قال: لمّا توفّي عبدالله بن أبي سلول، جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفّن فيه أباه، فأعطاه.

ثمّ سأله أن يصلّي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلّي عليه. قال عمر: فأخذت ثوبه وقلت: تصلّي عليه، وقد نهاك ربّك أن تصلّي عليه؟!

فقال رسول الله ﷺ: إنّما خيّرني الله فقال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾[١]. وسأزيد على السبعين.

قال عمر: إنّه منافق، قال: فصلّى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾[٢]. قال عمر: فعجبت بعدُ من جرأتي على رسول الله[٣].

قلت: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ﴾[٤]. كيف يظنّون بنبيّ الإسلام يستهين حرمات الله وفي تلك التعاليل الواهية، والتي تتناسب وعقليّة الراوي الهزيلة، دون مقام الرسول الرفيع.

وحاول أئمّة النقد والتمحيص ردّ مثل هذا الحديث لنكارته، ونسبوه إلى وهم الراوي، معلّلين بأنّه يستدعي أن يكون عمر قد اجتهد في مقابلة النصّ، أو أنّه فهم ما لم يفهمه صاحب الشريعة.

وحاول ابن حجر تصحيح الخبر والردّ على هؤلاء، لكنّه أتى بما يزيد في الطين بلّة. يقول: زعم غير هؤلاء أنّ عمر اطّلع على نهيٍ خاصّ في ذلك. لكنّه من أين؟ قال القرطبي: لعلّ ذلك وقع في خاطر عمر، فيكون من قبيل الإلهام ـ وقد حُرم النبيّ ﷺ من ذلك حينذاك!؟ ـ قال: ويحتمل أن يكون فهم ذلك من نهي الاستغفار ـ ما لم يفهمه النبيّ ﷺ منه!! ـ[٥].

قال ابن حجر: وما قاله القرطبيّ أقرب. لكنّ المشكلة: كيف يُلْهَم عمر بما لا يعرفه صاحب الشريعة. وهنا اقترح ابن حجر افتراض فهم عمر قال:

[م / ١٨٨] أخرج ابن مردويه أنّ عمر، قال للنبيّ ﷺ: أتصلّي عليه وقد نهاك الله؟ فقال النبيّ ﷺ: أين؟ قال: قال الله ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ...﴾. قال ابن حجر: فكان عمر قد فهم من هذه الآية ـ ما هو الأكثر الأغلب من لغة العرب ـ من أنّ «أو» ليست ـ هنا ـ للتخيير، بل للتسوية، في

---

(١) التوبة ٩: ٨٠.
(٢) التوبة ٩: ٨٤.
(٣) البخاري ٥: ٢٠٦ ـ ٢٠٧، وراجع: لباب النقول: ١٤٦.
(٤) سبأ ٣٤: ٢٠.
(٥) القرطبي ٨: ٢١٩.

عدم الوصف المذكور.

قال: وقد فهم عمر ـ أيضاً ـ من قوله تعالى: ﴿سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ أنّها للمبالغة، ولا مفهوم للعدد هنا. بل المراد نفي المغفرة لهم ولو كثر الاستغفار ـ مهما بلغ ـ فيحصل من ذلك، النهي عن الاستغفار، فأطلقه.

قال: وفهم ـ أيضاً ـ: أنّ المقصود الأعظم من الصلاة على الميّت طلب المغفرة للميّت والشفاعة له، فلذلك استلزم عنده النهيُ عن الاستغفار تركَ الصلاة قال: ولهذه الأمور استنكر عمر على النبيّ ﷺ إرادة الصلاة على عبدالله بن أبي سلول. قال: هذا تقرير ما صدر عن عمر، مع ما عرف من شدّة صلابته في الدين!![1]

ولعلّك أيّها القارئ النابه، في غنىً عن زنة أمثال هذه السفاسف، ممّا شحن بها أهل الحشو حقائبهم المنتفخة بأقاصيص وأساطير غريبة ومهينة إلى حدّ بعيد.

ولعلّهم في عذر طالما سدّوا على أنفسهم أبواب الرجوع إلى أئمة الهدى العترة من آل بيت الرسول ـ صلوات الله عليهم ـ وقد أوصى بهم في كثير من المواقف، ولا سيّما في حديث الثَقَلين الناصّ على أنّ العترة هم خلفاؤه في تبيين وشرح وتفصيل الكتاب.

هذا السيوطي ـ على سعة باعه واضطلاعه بالحديث والتفسير ـ لم يمكنه الحصول على أحاديث الرسول ﷺ ـ بشأن القرآن وتفسيره وتبيينه أكثر من مائتين وخمسين رواية، أكثرها ضعاف ومراسيل، أوردها في آخر كتابه الإتقان، سورة سورة.

أمّا نحن ـ الإماميّة ـ فبفضل رجوعنا إلى أئمّة أهل البيت والتماس اعتابهم المقدّسة من أوّل يومنا، فقد ورثنا ما يقرب من عشرة آلاف حديث مأثور عن الرسول الأعظم، أسندها إليه الأئمّة من عترته، ولا سيّما الإمامين الهمامين الباقر والصادق وأحفادهما الأئمّة عليهم السلام دوّنتها كتب أصحابنا في الحديث والتفسير، وفيها العرض التامّ لأسباب النزول والأحداث التي استدعت نزول آية أو آيات في مجالاتها، وغيرها من موارد الحاجة إلى تفسير النبيّ وتبيينه. والحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) راجع: فتح الباري ٨: ٢٥٢.

الحُرُوفُ المُقَطَّعَةُ

في أوائل السور

وردت في مفتتح تسع وعشرين سورة حروف مقطّعة هي نصف حروف الهجاء، إمّا مفردة أو منضمّة من غير تركيب، وهي: «الم. المص. المر. الر. طس. طسم. حم. حمعسق. كهيعص. طه. يس. ص. ن. ق.». ومجموع هذه الحروف ثمانية وسبعون حرفاً، وهي بحذف المكرّرات تصبح أربعة عشر حرفاً: (أ. ح. ر. س. ص. ط. ع. ق. ك. ل. م. ن. هـ. ي).

قال الزمخشري: إذا تأمّلت ما أورده الله في الفواتح من هذه الأسماء وجدتها نصف حروف المعجم أربعة عشر سواء... في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم.

ثمّ إذا نظرت في هذه الأربعة عشر وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف. بيان ذلك: إن فيها من (المهموسة) نصفها: الصاد، والكاف، والهاء، والسين، والحاء. ومن (المجهورة) نصفها: الألف، واللام، والميم، والراء، والعين، والطاء، والقاف، والياء، والنون. ومن (الشديدة) نصفها: الألف، والكاف، والطاء، والقاف. ومن (الرخوة) نصفها: اللام، والميم، والراء، والصاد، والهاء، والعين، والسين، والحاء، والياء، والنون. ومن (المطبقة) نصفها: الصاد، والطاء. ومن (المنفتحة) نصفها: الألف، واللام، والميم، والراء، والكاف، والهاء، والعين، والسين، والحاء، والقاف، والياء، والنون. ومن (المستعلية) نصفها: القاف، والصاد، والطاء. ومن (المنخفضة) نصفها: الألف واللام،

والميم، والراء، والكاف، والهاء، والياء، والعين، والسين، والحاء، والنون. ومن حروف (القلقلة) نصفها: القاف، والطاء[١].

ثمّ إذا استقريت الكلم وتراكيبها رأيت الحروف التي ألغى الله ذكرها من هذه الأجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها، فسبحان الذي دقّت في كلّ شيء حكمته.

قال: وقد علمت أنّ معظم الشيء وجلّه ينزّل منزلة كلّه، وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته. فكأنّ الله عزّاسمه عدّد على العرب الألفاظ التي منها تراكيب كلامهم، إشارة إلى ما ذكرتُ، من التبكيت لهم وإلزام الحجّة إيّاهم.

قال: وقد اختلفت أعداد هذه الحروف، فوردت (ص، ق، ن) حرفاً واحداً. و (طه، طس، يس، حم) على حرفين. و (الم، الر، طسم) على ثلاثة أحرف. و (المص، المر) على أربعة أحرف. و (كهيعص، حمعسق) على خمسة أحرف. كلّ ذلك على عادة افتنان العرب في أساليب كلامهم وتصرّفهم فيه على طرق شتّى ومذاهب متنوّعة، ولم تتجاوز أبنية كلماتهم على ذلك[٢].

قيل: إنما جاءت الحروف المقطعة على نصف حروف المعجم تنبيهاً على أنّ من زعم أنّ القرآن ليس بآية فليأخذ الشطر الباقي ويركّب عليه ألفاظاً ليعارض بها القرآن. نقله الزركشي عن القاضي أبي بكر. ثمّ قال: وهذه الأحرف تختلف من حيث مواضعها، فلم تقع الكاف والنون إلّا مرّة واحدة، والعين والياء والهاء والقاف مرّتين، والصاد ثلاث مرّات، والطاء أربعاً، والسين خمساً، والراء ستّاً، والحاء سبعاً، والألف واللام ثلاث عشرة، والميم سبع عشرة.

قال الإمام بدر الدين الزركشي: وقد جمع هذه الأحرف الأربع عشرة قولك: «نصٌّ حكيمٌ قاطعٌ له سرٌّ». قلت: وهكذا قولك: «صِراط عليٍّ حقٌّ نُمسِكه»!

قال: وتأمّل السور المفتتحة بحرف واحد، فإنّ أكثر كلماتها مبنية على ذلك، كالقاف في سورة «ق»، ففيها ذكر الخلق، وتكرار القول، والقرب، والتلقّي، والرقيب، والسابق، والقرين، والالقاء،

---

(١) بقي عليه حروف (الصفير) وهي ثلاثة: السين، والصاد، والزاي. فذُكر منها اثنان: السين، والصاد. لأنّ النصف ـ في العادة ـ في العدد الفرد يجب تكميل كسره. وكذلك من حروف (اللينة) اثنان: الألف، والياء، كذلك. و(المكرّر) وهو الراء. و(الهاوي) وهو الألف. و(المنحرف) وهو اللام، وقد ذكرها.

وأمّا حروف (الذلاقة والمصمتة) قال أحمد: فالصحيح أن لا يعدّا صنفين، حتّى أنّ الزمخشري في (المفصّل: ٣٩٥) أبعد في تمييزهما. (هامش الكشاف ١: ٢٩).

(٢) الكشاف ١: ٢٩ ـ ٣١ مع اختزال.

والتقدّم، والمتّقين، والقلب، والقرن، والتنقيب، والقتل، وتشقق الأرض، وبسوق النخل، والرزق، والقوم، وما شاكل، وفي ذلك سرّ مكنون.

وسرّ آخر: أنّ المعاني الواردة في السورة كلّها تناسب لما في حرف القاف، من الشدّة والجهر والقلقلة والانفتاح.

وهكذا سورة «ص» اشتملت على عدة خصومات جاءت في السورة. فأولها خصومة الكفار مع النبيّ، ثمّ اختصام الخصمين عند داوود، ثمّ تخاصم أهل النار، ثمّ اختصام الملأ الأعلى في العلم، ثمّ تخاصم ابليس.

وكذلك سورة القلم، فواصلها على النون واشتمالها على كلمات نونية كثيرة. قال: وكذا السور المفتتحة بحرفين أو أكثر، فإنّ له رابطاً مع كلمات السورة بالذات.

هذا من جهة اللفظ، ولعلّ في طيّها أسراراً عظيمة يعلمها الربّانيون[١].

قال جلال الدين السيوطي: إنّ كلّ سورة بدئت بحرف من هذه الحروف فإنّ أكثر كلماتها وحروفها مماثل له، فحقّ لكلّ سورة منها أن لا يناسبها غير الوارد فيها. فلو وضع «ق» موضع «ن» لم يمكن. وسورة «ق» بدئت به لما تكرر فيها من الكلمات بلفظ القاف. وهكذا قد تكرّرت الراء في سورة يونس، من الكلام الواقع فيها إلى مائتي كلمة أو أكثر، فلهذا افتتحت بالراء، وسورة الأعراف زيد فيها «ص» على «الم» لنفس السبب[٢].

هل الحروف المقطّعة آية؟

عُدَّت من بعض السُّور آية دون بعض؛ وذلك لأنّه علم توقيفي لا مجال للقياس فيه، كمعرفة ذوات السور وعدد آيها. قال الزمخشري: أمّا ﴿الٓمٓ﴾ فآية حيث وقعت من السور المفتتحة بها، وهي: ستّ[٣]. وكذلك ﴿الٓمٓصٓ﴾ آية[٤]. و﴿الٓمٓرٰ﴾ لم تعدّ آية[٥]. وكذلك ﴿الٓرٰ﴾ ليست بآية في سُوَرها الخمس[٦]. و﴿طسٓمٓ﴾ آية في سورتيها[٧]. و﴿طه﴾ و﴿يسٓ﴾ آيتان. و﴿طسٓ﴾ ليست بآيه[٨]. و﴿حمٓ﴾

---

(١) البرهان ١: ١٦٧ ـ ١٧٠.

(٢) معترك الأقران ١: ٧١.

(٣) البقرة وآل عمران والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة.

(٤) من سورة الأعراف.

(٥) من سورة الرعد.

(٦) يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

(٧) الشعراء والقصص.

(٨) سورة النمل.

آية في سورها كلّها[١]. و﴿حمٓ. عٓسٓقٓ﴾ آيتان[٢] و﴿كهيعٓصٓ﴾ آية واحدة[٣]. و﴿صٓ﴾ و﴿قٓ﴾ و﴿نٓ﴾ ثلاثتها لم تعدّ آية.

قال: هذا مذهب الكوفيّين وأمّا من عداهم فلم يعدّوا شيئاً منها آية[٤].

[م/١٨٩] وأخرج وكيع وعبد بن حميد عن أبي عبدالرحمان السُّلَمي: أنّه كان يعدّ ﴿الٓمٓ﴾ آية. و﴿حمٓ﴾ آية[٥].

التلهّج بالحروف المقطّعة

قال الزمخشري: اعلم أنّ الألفاظ التي يتهجّى بها أسماء، مسمّياتها الحروف المبسوطة التي منها ركّبت الكلم. فقولك: ضاد، اسم سمّي به «ضَهْ» من ضَرَبَ، إذا تهجّيته. وكذلك: راء، باء، اسمان لقولك: «رَهْ»، «بَهْ»[٦].

قال: وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة، وهي: أنّ المسمّيات لمّا كانت ألفاظاً كأساميها وهي حروف وحدان، والأسامي عدد حروفها مرتق إلى الثلاثة، اتّجه لهم طريقٌ إلى أن يدلّوا في التسمية على المسمّى، فلم يغفلوها وجعلوا المسمّى صدر كلّ اسم منها، كما ترى[٧]، إلّا الألف، فإنّهم استعاروا الهمزة مكان مسماها، لأنّه لا يكون إلّا ساكناً[٨].

قال: ومما يضاهيها، في إيداع اللفظ دلالة على المعنى: التهليل، والحوقلة، والحيعلة، والبسملة. وحكمها ـ ما لم تلها العوامل ـ أن تكون ساكنة الأعجاز، موقوفة. كأسماء الأعداد، فيقال: أَلِفْ، لامْ، مِيمْ. كما يقال: واحِدْ، اثنانْ، ثلاثَةْ. فإذا وليتها العوامل، أدركها الإعراب، تقول: هذه ألفٌ، وكتبتُ ألفاً، ونظرت إلى ألفٍ، وهكذا كلّ اسم عمدت إلى تأدية ذاته فحسب، قبل أن يحدث فيه ـ بدخول العوامل ـ شيءٌ من تأثيراتها، فحقّك أن تلفظ به موقوفاً.

---

(١) غافر وفصّلت والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف. (٢) الشورى.

(٣) سورة مريم. (٤) الكشاف ١: ٣١.

(٥) الدرّ ١: ٥٥.

(٦) وذلك لأنّ «ضاد» اسم مركب من ثلاثة أحرف. أمّا المسمّى فهو «ض» من قولك: «ضرب»، وهو حرف واحد لا يمكن النطق به إلّا مع إلحاق هاء السكت به. هكذا «ضَهْ» كما يأتي التصريح به في كلام الخليل الآتي.

(٧) فالحرف الذي هو المسمّى، جعل صدراً للفظة التي هي اسمها، مثل «ض» في الضاد، و«ر» في الراء، و«ب» في الباء.

(٨) فصدر اللفظة التي هي اسم الألف، همزة، حيث الألف ساكن أبداً، ولا يمكن النطق بالساكن.

ألا ترىٰ أنّك إذا أردت أن تلقي على الحاسب أجناساً مختلفة، ليرفع حسبانها، كيف تصنع؟ وكيف تلقيها أغفالاً من سمة الإعراب! فتقول: دارْ. غلامْ. جاريَةْ. ثوبْ. بساطْ. ولو أعربتَ ركبتَ شَطَطاً.

قال: ثمّ إنّي عثرت من جانب الخليل على نصٍّ في ذلك. قال سيبويه: قال الخليل يوماً ـ وسأل أصحابه ـ: كيف تقولون، إذا أردتم أن تلفظوا بالكاف، التي في «لك». والباء التي في «ضرب»؟ فقيل: نقول: باء. كاف. فقال: إنّما جئتم بالإسم، ولم تلفظوا بالحرف، وقال: أقول: كَهْ، بَهْ.

قال: فإن قلت: من أيّ قبيل هي من الأسماء، أمعربة أم مبنيّة؟ قلت: بل هي أسماء معربة، وإنّما سكنت سكون «زَيْدْ» و «عَمْرْوْ» وغيرهما من الأسماء حيث لا يمسّها إعراب، لفقد مقتضيه وموجبه[١].

واستدلّ الإمام الرازي بأنّ هذا الحكم (أي العراء من حركات الإعراب) جارٍ في كلّ اسم عمدت إلى تأدية مسمّاه فحسب، لأنّ جوهر اللفظ موضوع لجوهر المعنىٰ، وحركات اللفظ (الإعرابيّة) دالّة على أحوال المعنى، فإذا أريد إفادة جوهر المعنى فحسب، وجب إخلاء اللفظ عن الحركات[٢].

الحروف المقطّعة في مختلف الآراء

اختلفت الأنظار عن الحروف المقطّعة في أوائل السور، وربما بلغت عشرين قولاً أو تزيد، حسبما أحصاه الإمام الرازي في تفسيره الكبير. سوى أنّ الاتجاهات الرئيسيّة التي سلكتها تلكم الأقوال تعتمد على المباني الثلاثة التالية:

١ ـ اعتقاد أنها من المتشابه المجهول تماماً، علم مستور، وسرّ محجوب، استأثر الله به.

[م / ١٩٠] فقد حُكي عن الشعبي أنّه قال: نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلى الله[٣].

وقد أنكر أهل الكلام هذا الاعتقاد لو أُريد به الجهل مطلقاً، حتّى على مثل رسول الله ﷺ وسائر أُمناء الوحي. إذ كيف يرد في الكتاب المبين ما يكاد يخفى على الخافقين. وقد قال تعالى:

---

(١) الكشاف ١: ١٩ ـ ٢١. (٢) التفسير الكبير ٢: ٢.

(٣) البرهان ١: ١٧٣.

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[١].

وإن أُريد به الحجب عن العامّة واختصاص علمه بأولياء الله المخلَصين فهذا مردّه إلى القول التالي:

٢ ـ إنّها الرموز بين الله ورسوله، لا يمسّه إلّا المطهّرون، الأُمناء على وحيه. قال أرباب القلوب: التخاطب بالحروف المفردة سنّة الأحباب في سنن المحابّ، فهو سرّ الحبيب مع الحبيب، بحيث لا يطّلع عليه الرقيب:

بين المحبّين سرّ ليس يُفشيه قول ولا قلم للخلق يحكيه

[م/١٩١] وقد روى السيد رضيّ الدين ابن طاووس عن «حقائق التفسير» لأبي عبدالرحمان محمّد بن الحسين السلمي عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال: الم، رمز وإشارة بينه تعالى وبين حبيبه محمّد صلى الله عليه وآله أراد أن لا يطّلع عليه سواهما، أخرجه بحروف بَعَّدهُ عن درك الأغيار، وظهر السرّ بينهما لا غير[٢].

[م/١٩٢] وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ ابن حيّان في التفسير عن داوود بن هند، قال: كنت أسأل الشعبي عن فواتح السُّور، قال: يا داوود! إنّ لكلّ كتاب سرّاً، وإنّ سرّ هذا القرآن فواتح السُّور، فدعها وسل عمّا بدا لك[٣].

قال الحجّة البلاغي: ولا غرو أن يكون في القرآن ما هو محاورة رمزيّة بأسرار خاصّة، مع الرسول صلى الله عليه وآله وأُمناء الوحي عليهم السلام[٤].

قال ابن بابويه أبو جعفر الصدوق: والعلّة الأُخرى في إنزال أوائل هذه السور بالحروف المقطّعة ليخصّ بمعرفتها أهل العصمة والطهارة، فيقيمون بها الدلائل، ويظهرون بها المعاجز. ولو عمّ الله تعالى بمعرفتها جميع الناس لكان في ذلك ضدّ الحكمة وفساد التدبير[٥].

وهذا هو اختيار جلّ أهل النظر في التفسير.

---

(١) سورة ص ٣٨: ٢٩.

(٢) سعد السعود: ٢١٧؛ البحار: ٨٩ / ٣٨٤ والموجود في المطبوعة أخيراً: وقيل: «الم» سرّ الحقّ إلى حبيبه صلى الله عليه وآله ولا يعلم سرّ الحبيب. ألا تراه يقول: «لو تعلمون ما أعلم» أي من حقائق سرّ الحقّ. وهو الحروف المفردة في الكتاب. (تفسير السلمي ١: ٤٦).

(٣) الدرّ ١: ٥٩. (٤) آلاء الرحمان ١: ٦٤.

(٥) كمال الدين وتمام النعمة: ٦٤٠؛ البحار ٨٩: ٣٨١ ـ ٣٨٢ / ١٤.

وفي كلام العرب شواهد على الرمز بالحروف، وليس بالأمر الغريب. قال الشاعر[1]:

قلنا لها: قفي لنا، قالت: قاف — لا تحسبي أنّا نسينا الإيجاف

فقد أرادت بقولها: قاف «قد وقفت» فأشارت إليه رمزاً بإظهار حرف القاف كناية عن تمام الكلمة. وكذا رمزوا عن النحاس بحرف «ص»، وعن النقد بحرف «ع»، وعن السحاب بحرف «غ». وهكذا سمّوا بالحروف أشياء، منها جبل قاف، والحوت نوناً. وقد يسمّون الأعلام بها أيضاً، كما سمّوا والد حارثة «لام» فقالوا: حارثة بن لام.

وممّا يشهد لذلك أيضاً نقصهم الكلمة حروفاً ليكون الباقي دلالة عليه، كما في الترخيم، في مثل «ياحار» بحذف «الثاء». و «يا مال» بحذف «الكاف»: وكقول راجزهم:

ماللظليم عال كيف لا يا — ينقد عنه جلده إذا يا

وأراد بالياء ياء المضارعة، رمزاً إلى قوله: يفعل. أي «لا يفعل» و «إذا يفعل».

وقال الآخر:

بالخير خيراً «تا» وإن شرّاً «فا» — ولا أُريد الشرّ إلّا أن «تا»

فالتاء إشارة إلى قول «تشاء» وبالفاء فاء الجزاء. والمعنى:

بالخير خيراً تشاء وإن شرّاً فشرّاً — ولا أُريد الشرّ إلّا أن تشاء

قال أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري: والشواهد على ذلك كثيرة يطول باستيعابها الكتاب[2].

ماقيل في حلّ تلك الرموز

قيل: إنها بحساب الأبجد. وأول من تنبّه لذلك يهود المدينة، على حياته ﷺ وذلك:

[م/١٩٣] لمّا نزلت السورة الكبرى «البقرة» بالمدينة مفتتحة بقوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ جاءت جماعة من أحبارهم ـ قيل: هم حيّي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب ونفر آخرون ـ إلى رسول الله ﷺ فقالوا: ما علمنا نبيّاً أخبر أُمّته بمدّة ملكهم بأقلّ ممّا أخبرتهم به. وهي إحدى وسبعون سنة، على

---

(١) في تفسير الخازن ١: ٢٣ نسبه إلى الراجز، وهو الأغلب بن عمرو العجلي من الشعراء المخضرمين المعمّرين. مات في وقعة نهاوند في جملة من توجّه من الكوفة مع سعد سنة ٢١. وهو أول من رجز الأراجيز الطوال. ومن ثمّ سمّي بالراجز. والإيجاف: الإسراع في السير.

(٢) الطبري ١: ٥٣.

حروف ﴿الٓمٓ﴾[1]. فولّى ﷺ عليّاً مخاطبتهم، فقال لهم عليّ عليه السلام: فما تصنعون بـ﴿الٓمٓصٓ﴾؟ فقالوا: مائة وإحدى وستون[2].

قال: فما تصنعون بقوله: ﴿الٓر﴾؟ فقالوا: مائتان وإحدى وثلاثون[3]. ثمّ قال لهم: فما تصنعون بـ﴿الٓمٓر﴾؟ قالوا: مائتان وإحدى وسبعون[4].

فقال عليه السلام: فواحدة من هذه له أو جميعها؟ فاختلط كلامهم.

وقالوا ـ أخيراً ـ: بل يجمع له كلها، وذلك سبعمائة وأربع وثلاثون سنة[5]. ثمّ يرجع الملك إلينا، نحن اليهود.

فقال عليه السلام: أكتاب من كتب الله نطق بهذا أم آراؤكم دلّتكم عليه؟ قالوا: آراؤنا دلّت عليه، ودليل صوابه أنّ هذا حساب الجمل.

فقال عليه السلام: كيف دلّ على ما تزعمون من مدّة ملك هذه الأُمّة، وليس في حساب الجمل دليل على ما اقترحتم بلا بيان؟ أرأيتم إن قيل لكم: إنّ هذا العدد يدلّ على لعنكم بحسابها، أو غير ذلك، فماذا تقولون؟! وعند ذلك سقط ما في أيديهم، وباؤوا بغضب من الله ورسوله[6].

انظر إلى دقّة تعبير الإمام عليه السلام في ردّه على اليهود، لم يقرّهم في أصل المبنى ولا في الفرع الذي بنوه على ذلك الأصل.

* * *

وقيل: إنّها رموز إلى أسمائه تعالى وصفاته الجلال والجمال. فالألف في قوله ﴿الٓمٓ﴾ رمز عن اسم الجلالة «الله»، واللام عن «اللطيف»، والميم عن «المجيد». أو كناية عن «آلائه» و«لُطفه» و«مجده».

أو اختصار عن قوله «أنا الله العليم» وما شاكل ذلك من التأويلات التي هي أشبه بالتخرّصات.

---

(١) بفرض الواحد العددي هي السّنة، لتكون الألف في مثل «الم» رمزاً إلى سنة واحدة، واللام ثلاثون سنة، والميم أربعون، فالمجموع: واحد وسبعون.

(٢) فإنّ «ص» ٩٠ يضاف إلى ٧١، والمجموع: ١٦١.

(٣) ألف: ١. لام: ٣٠. راء: ٢٠٠ = ٢٣١.

(٤) ١ + ٣٠ + ٤٠ + ٢٠٠ = ٢٧١.

(٥) وهي مجموعة: ٧١ + ١٦١ + ٢٣١ + ٢٧١ = ٧٣٤. وكان في الحديث سقط صحّحناه على الدرّ المنثور ١: ٢٣.

(٦) بتلخيص من تفسير القمّي ١: ٢٢٣؛ معاني الأخبار: ١٩ ـ ٢٦؛ البحار ٨٩: ٣٧٤ ـ ٣٨٠ / ١٠. وهكذا تجد مقتطفات منه في سائر التفاسير، النيسابوري بهامش الطبري ١: ١٢١ ـ ١٢٢؛ الطبري ١: ١٣٨/٢٠٠؛ التفسير الكبير ٢: ٧؛ الدرّ ١: ٢٣.

وقال محيي الدين ابن عربي ـ في مفتتح سورة البقرة ـ: أشار بهذه الحروف الثلاثة إلى كلّ الوجود من حيث هو كلّ، لأنّ «أ» إشارة إلى ذات الذي هو أول الوجود، و «ل» إلى العقل الفعّال المسمّى جبرئيل، وهو أوسط الوجود الذي يستفيض من المبدأ ويُفيض إلى المنتهى، و «م» إلى محمّد الذي هو آخر الوجود، تمّ به دائرته وتتّصل بأولها[1].

* * *

أنها مجرّد أسماء حروف وأصوات هجاء، لا تحمل في طيّها معنى ولا تحتوي على سرّ مكنون، سوى أنّ إيراد هذه الأحرف بهذا النمط وفي ذلك المقطع من الزمان يهدف إلى غرض وحكمة بالغة، وإن كانت لا تعدو اعتبارات لفظيّة محضة.

وهذا نظير ما مرّ عن الزمخشري في بيان حكمة ذلك، وقوله أخيراً: فسبحان الذي دقّت في كلّ شيء حكمته.

وكذا قول بعضهم: إنّ لهكذا أصوات في بدء التلاوة كان تأثير بالغ في انتباه السامعين لينصتوا إلى قراءة الذكر الحكيم. حيث كانت العرب إذا سمعوا القرآن يُتلى قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَـٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾[2].

وهكذا القول بأنّها أقسام. أقسم الله بها كما أقسم بأشياء كالفجر والضحى والتين والزيتون. فقد أقسم بأسماء الحروف الهجائيّة، لأنّها الأصل في كلّ كلام والأساس لكلّ بيان في أيّة لغة من اللغات.

* * *

وذكر الزمخشري وجوهاً ثلاثة في تأويل هذه الحروف، أحدها ـ وزعم أنّ عليه إطباق الأكثر ـ: أنّها أسماء السور[3].

وهكذا قال الإمام الرازي: والمختار عند أكثر المحقّقين ـ من هذه الأقوال[4] ـ أنّها أسماء السور باعتبار أنّها أسماء ألقاب[5].

لكن يرد عليهما: أنّه كيف جعلت أسامي لتسع وعشرين سورة فحسب، وأمّا باقي السور فخلو عن هذه التسمية الغريبة!! ثمّ ما هي المناسبة لتسمية ستّ سور ﴿الٓمٓ﴾: (البقرة. آل عمران.

(١) تفسيره المختصر ١: ١٣.
(٢) فصّلت ٤١: ٢٦.
(٣) الكشاف ١: ٢١.
(٤) وقد عدّها إلى أحد وعشرين قولاً. التفسير الكبير ١: ٥ ـ ٨.
(٥) المصدر: ٨.

العنكبوت. الروم. لقمان. السجدة) وسبع سور ﴿حمٓ﴾: (غافر. فصّلت. الشورى. الزخرف. الدخان. الجاثية. الأحقاف ـ عرفت بالحواميم) وخمس سور ﴿الٓر﴾: (يونس. هود. يوسف. إبراهيم. الحجر) وسورتين ﴿طسٓمٓ﴾: (الشعراء. القصص) وهو من الاشتراك في التسمية لغير ما مبرّر.

هذا فضلاً عن كون التسمية ـ هنا ـ توقيفيّة، ولم يرد بذلك نصّ من مهبط الوحي. وللزمخشري ـ نفسه ـ ردّ لطيف على هذا القول، يأتي عند استعراض الوجه التالي.

الوجه الثاني ـ الذي ذكره الزمخشري ـ أن يكون ورود هذه الأسماء هكذا، مسرودة على نمط التعديد[١] كالإيقاظ وقرع العصا، لمن تُحدِّي بالقرآن وبغرابة نظمه، وكالتحريك للنظر في أنّ هذا المتلوّ عليهم ـ وقد عجزوا عنه عن آخرهم ـ كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم، ليؤدّيهم النظر إلى أن يستيقنوا: أن لم تتساقط مَقْدَرَتُهم دونه، ولم تظهر مَعْجَزَتُهم[٢] عن أن يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة ـ وهم أمراء الكلام وزعماء الحوار، وهم الحُرّاص على التساجل[٣] في اقتضاب الخطب، والمتهالكون على الافتنان في القصيد والرجز ـ ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم، المبالغَ التي بزّت بلاغة كلّ ناطق[٤] وشقّت غبار كلّ سابق، ولم يتجاوز الحدّ الخارج عن قوى الفُصَحاء، ولم يقع وراء مطامح أعين البُصَراء، إلّا لأنّه ليس بكلام البشر، وأنّه كلام خالق القُوَى والقُدَر.

ثُمّ أخذ في ترجيح هذا القول على الوجه الأوّل، قال: وهذا القول من القوّة والخلاقة بالقبول[٥] بمنزل، ولناصره على الأوّل أن يقول: إنّ القرآن إنّما نزل بلسان العرب، مصبوباً في أساليبهم واستعمالاتهم والعرب لم تتجاوز فيما سمّوا به مجموع اسمين، ولم يسمّ أحد منهم بمجموع ثلاثة أسماء وأربعة وخمسة. والقول بأنّها أسماء السور حقيقة، يخرج إلى ما ليس في لغة العرب ويؤدّي أيضاً إلى صيرورة الاسم والمسمّى واحداً. وعقّبه باعتراضات وأجوبة لا تخلو من طرافة[٦].

قلت: ولله درّه في نعته هذا الجميل لجانب إعجاز القرآن الكريم وهو كما قال الإمام أحمد بن

---

(١) التعديد والمعادّة: المناهدة وهي المناهضة في الحرب والمناضلة.

(٢) المَعْجَزَة ـ بفتح الميم والجيم ـ وبكسر الجيم أيضاً ـ مصدر، في مقابل المَقْدَرَة ـ مثلّث الدال ـ.

(٣) الحُرّاص ـ بضمّ الحاء وتشديد الراء: جمع حريص. والتساجل: التفاخر. واقتضاب الكلام: ارتجاله.

(٤) أي غلبت وسلبت مقدرة الخصم.

(٥) الخلاقة: الجدارة واللياقة.

(٦) الكشاف ١: ٢٧ ـ ٢٨.

المنير الإسكندري في الشرح: غاية في الصناعة ونهاية في البراعة [١].

الوجه الثالث: أن ترد السورة مصدّرة بذلك، ليكون أوّل ما يقرع الأسماع مستقلاً بوجه من الإعراب، وتقدمةً من دلائل الإعجاز. وذلك أنّ النطق بالحروف أنفسها، كانت العرب فيه مستوية الأقدام، الأمّيّون منهم وأهل الكتاب، بخلاف النطق بأسامي الحروف، فإنّه كان مختصّاً بمن خطّ وقرأ وخالط أهل الكتاب وتعلّم منهم. وكان مستغرباً مستبعداً من الأمّي التكلّم بها، استبعاد الخطّ والتلاوة، كما قال ﷻ: ﴿وَ مَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَ لَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[٢]. فكان حكم النطق بذلك ـ مع اشتهار أنّه لم يكن ممّن اقتبس شيئاً من أهله ـ حكم الأقاصيص المذكورة في القرآن، التي لم تكن قريش ومن دان بدينها في شيء من الإحاطة بها، في أنّ ذلك حاصل له من جهة الوحي، وشاهد بصحّة نبوّته، وبمنزلة أن يتكلّم بالرطانة[٣] من غير أن يسمعها من أحد[٤].

وقال أبو مسلم: المراد بذلك، أنّ هذا القرآن الذي عجزتم عن معارضته ولم تقدروا على الإتيان بمثله هو من جنس هذه الحروف التي تتحاورون بها في كلامكم وخطابكم، فحيث لم تقدروا عليه فاعلموا أنّه من فعل الله، وإنّما كرّرت في مواضع، استظهاراً في الحجّة؛ وحكي ذلك عن قطرب[٥].

* * *

وقال سيدنا الطباطبائي ﵀: إذا تدبّرت السّوَر المفتتحة بحروف مشتركة من هذه الحروف المقطّعة، مثل الف لام ميمات والف لام راءات والطواسين والحواميم، وجدتها متشابهة المضامين ومتناسبة السياقات. ويمكن أن يُحدس أنّ بين هذه الحروف وبين مضامين تلك السور ارتباطاً خاصّاً. مثلاً سورة الأعراف صدرت بقوله ﴿الٓمٓصٓ﴾ فكأنها جامعة بين مضامين الميمات وسورة ص. وكذلك سورة الرعد المصدّرة بقوله ﴿الٓمٓر﴾ كأنها جامعة في مضمونها بين الميمات والراءات وهكذا.

ويستفاد من ذلك: أنّ هذه الحروف رموز بين الله سبحانه ورسوله ﷺ خفيّة عنّا، لا نعلم منها

---

(١) المصدر: ٢٧، في الهامش رقم ٣.

(٢) العنكبوت ٢٩: ٤٨.

(٣) الرطانة: التكلّم بالأعجميّة.

(٤) الكشاف ١: ٢٨ ـ ٢٩.

(٥) التبيان ١: ٤٨؛ مجمع البيان ١: ٧٧، باختلاف يسير.

سوى هذا المقدار من الارتباط. ولعلّ المتدبّر يتبيّن له أزيد من ذلك.

وربما يشير إلى هذا المعنى:

[م / ١٩٤] ما روي عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام قوله: «لكلّ كتاب صفوة، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجّي»[1].

وهناك محاولات أخرى حديثة حدثت في العصر الأخير، حاولت كشف هذه الرموز عن طريق العقل الألكتروني، قام بها عالم كيماوي مصري يعيش في أمريكا (هو الدكتور رشاد خليفة) نشرتها مجلّة «آخر ساعة» المصريّة لعددها (١٩٩٦ ـ ٢٤ يناير ١٩٧٣).

كما و قام الأستاذ سعد عبدالمطّلب العدل، بمحاولة غريبة لتطبيق ما ورد في القرآن من الحروف المقطّعة على الخطّ الهيروغليفي المصريّ القديم، في رسالة أعدّها لذلك. أصدرها سنة (٢٠٠٢ م).

وقد ذكرنا ذلك بتلخيص في المجلد الخامس من التمهيد، فليراجع هناك.

الرأي المختار

والرأي المختار هو القول بأنها إشارات رمزيّة إلى أسرار بين الله ورسوله، لم يهتد إليها سوى المأمونون على وحيه. ولو كان يمكن الاطّلاع عليها لغيرهم لم تَعُد حاجة إلى الرمز بها من أوّل الأمر.

نعم لا يبعُد اشتمالها على حِكمٍ وفوائدَ تزيد في فخامة مواضعها من مفتتح السورَ، ولا سيّما بهذا النظم المتفنّن في تنوّعه البديع.

ولعلّ ما أشار إليه الزمخشري، وجاء في كلام الزركشي، واحتملته قريحة سيّدنا الطباطبائي لعلّه شذرات من تلك الحِكمِ والفوائد المودعة إلى جنب ما حوته تلك الحروف من أسرار عظام. والله أعلم بحقيقة الحال.

الحروف المقطّعة في مختلف الروايات

ذكر الإمام أبو إسحاق الثعلبي أنّ كثيراً من السلف ذهبوا إلى أنّها من المتشابهات التي استأثر الله بعلمها، فنحن نؤمن بتنزيلها ونكل إلى الله تأويلها. وعن بعضهم: لكلّ كتاب سرٌّ، وسرّ القرآن

---

(١) الميزان ١٨: ٦، سورة الشورى؛ مجمع البيان ١: ٧٥.

فواتحه[١].

وقال الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: إنّ لكلّ كتاب صفوةً، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجّي. وفسّره الآخرون، فقال سعيد بن جبير: هي أسماء الله مقطّعة، لو أحسن الناس تأليفها لعلموا اسم الله الأعظم، ألاترى أنّك تقول: ﴿الر﴾[٢] وتقول: ﴿حم﴾[٣] وتقول: ﴿ن﴾[٤] فيكون الرحمان، وكذلك سائرها على هذا الوجه، إلّا أنّا لا نقدر على وصلها والجمع بينها.

وقال قتادة: هي أسماء القرآن.

وقال عبدالرحمان بن زيد بن أسلم: هي أسماء للسور المفتتحة بها.

وقال ابن عبّاس: هي أقسام أقسم الله بها، وروي أنّه ثناء أثنى الله به على نفسه.

وقال أبو العالية: ليس منها حرف إلّا وهو مفتاح لإسم من أسماء الله عزّ وجلّ، وليس منها حرف إلّا وهو في آلائه وبلائه، وليس منها حرف إلّا في مدّة قوم وآجال آخرين.

وقال عبدالعزيز بن يحيى: معنى هذه الحروف: أنّ الله ذكرها، فقال: اسمعوها مقطّعة، حتّى إذا وردت عليكم مؤلّفة كنتم قد عرفتموها قبل ذلك، وكذلك يُعلَّم الصبيان أوّلاً مقطّعة، وكان الله أسمعهم مقطّعة مفردة، ليعرفوها إذا وردت عليهم، ثمّ أسمعهم مؤلّفة.

وقال أبو روق: إنّها تكتب للكفّار، وذلك أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يجهر بالقراءة في الصلوات كلّها، وكان المشركون يقولون: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَ الْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾.

فربما صفّقوا وربما صفّروا وربما لغطوا ليغلّطوا النبيّ صلّى الله عليه وآله، فلمّا رأى رسول الله صلّى الله عليه وآله ذلك أسرّ في الظهر والعصر وجهر في سائرها، وكانوا يضايقونه ويؤذونه، فأنزل الله تعالى هذه الحروف المقطّعة، فلمّا سمعوها بقوا متحيرين متفكّرين، فاشتغلوا بذلك عن إيذائه وتغليطه، فكان ذلك سبباً لاستماعهم وطريقاً إلى انتفاعهم.

وقال الأخفش: إنّما أقسم الله بالحروف المعجمة لشرفها وفضلها، ولأنّها مباني كتبه المنزلة

---

(١) الطبري ١: ١٣٢. ونسبه الثعلبي (١: ١٣٦) إلى أبي بكر، ولم يثبت في مستند وثيق، والجوامع التفسيريّة والحديثيّة قبله خلو عن هذا الاستناد. نعم نسبه أبوبكر ابن الأنباري (النحوي اللغوي العلّامة، ت ٣٢٨) إلى الربيع بن خُثيم. ثمّ قال: قال أبوبكر: فهذا يوضّح أنّ حروفاً من القرآن سترت معانيها عن جميع العالم. إلى آخر ما يأتي في كلام القرطبي. فلعلّ الإمام الثعلبي زعمه أبابكر الصدّيق وهو غريب!

(٢) الحجر ١٥: ١.

(٣) الدخان ٤٤: ١.

(٤) القلم ٦٨: ١.

بالألسن المختلفة، ومباني أسمائه الحسنى وصفاته العليا، وأصول كلام الأُمم بما يتعارفون ويذكرون الله ويوحّدونه، وكأنّه أقسم بهذه الحروف إنّ القرآن كتابه وكلامه لا ريب فيه.

وقال النقيب: هي النبهة والاستئناف ليعلم أنّ الكلام الأوّل قد انقطع، كقولك: ولا، إنّ زيداً ذهب.

وأحسن الأقاويل فيه وأمتنها، أنّها إظهار لإعجاز القرآن وصدق محمد ﷺ؛ وذلك أنّ كلّ حرف منه من هذه الحروف الثمانية والعشرين(١).

والعرب تعبّر ببعض الشيء عن كلّه كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾(٢) أي صلّوا لا يصلّون، وقوله: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾(٣) فعبّر بالركوع والسجود عن الصلاة إذ كانا من أركانها، وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾(٤) أراد جميع أبدانكم.

وقال: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾(٥) أي الأنف فعبّر باليد عن الجسد، وبالأنف عن الوجه.

وقال الشاعر في امرأته:

لمّا رأيتُ أمرها في حُطّي ... وفَنَكَتْ في كَذِبٍ ولَطٍّ

أخذتُ منها بقرون شُمْط ... فلم يزل ضربي بها ومعطي

حتّى علا الرأسَ دمٌ يغطّي(٦)

فعبّر بلفظة «حُطّي» عن جملة حروف أبجد.

ويقول القائل: (أ ب ت ث) وهو لا يريد هذه الأربعة الأحرف دون غيرها، بل يريد جميعها، وقرأتُ: الحمد لله، وهو يريد جميع السورة، ونحوها كثير.

وكذلك عبّر الله بهذه الحروف عن جملة حروف التهجّي، والإشارة فيه: أنّ الله تعالى نبّه العرب وتحدّاهم، فقال: إنّي قد نزّلت هذا الكتاب من جملة الثمانية والعشرين التي هي لغتكم ولسانكم،

---

(١) وفي العبارة تشويش ظاهر، ولعلّ الأصل: أنّ القرآن الذي عجزتم عن الإتيان بمثله مؤلّف من هذه الحروف الثمانية والعشرين، التي تعرفونها. فجاء بنصف حروف التهجّي وهي بعضها اكتفاءً بالبعض عن الكل.

(٢) المرسلات ٧٧: ٤٨.
(٣) العلق ٩٦: ١٩.

(٤) آل عمران ٣: ١٨٢.
(٥) القلم ٦٨: ١٦.

(٦) هي من الخماسيّات راجع: الطبري ١: ١٣٢. ولسان العرب ١٠: ٤٨٠. و«حُطّي» بحاء مهملة، ثانية جُملات أبي جاد (أبجد، حطّي...).

وعليها مباني كلامكم، فإن كان محمّد هو الذي يقوله من تلقاء نفسه، فأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة مثله، فلمّا عجزوا عن ذلك بعد الإجهاد ثبت أنّه معجزة.

هذا قول المبرّد وجماعة من أهل المعاني، فإن قيل: فهل يكون حرفاً واحداً عوداً للمعنى؟ وهل تجدون في كلام العرب أن يقال: الم زيد قائم؟ وحم عمرو ذاهب؟ قلنا: نعم، هذا عادة العرب يشيرون بلفظ واحد إلى جميع الحروف ويعبّرون به عنه. قال الراجز:

قُلتُ لها: قِفي قالت: قافْ لا تحسبي أنّا نسينا الإيجاف[1]

أي قف أنت. وأنشد سيبويه لغيلان:

نادوهم أن أَلجِمُوا، ألا تَا قالوا جميعاً كلُّهم: ألا فَا[2]

أي ألا تركبون فقالوا: ألا فاركبوا. وأنشد قطرب في جارية:

قد وعدتني أمّ عمروٍ أَنْ تا تَدهُن رأسي وتُفَلِّيني تا

أراد: أن تأتي وتمسح.[3] وأنشد الزجّاج:

بالخير خيرات وإن شرّاً «فا» ولا أريد الشرّ إلّا أن «تا»[4]

أراد بقوله (فا): وإن شراً فشرّ له، وبقوله «تا»: إلّا أن تشاء.

قال الأخفش: هذه الحروف ساكنة لأنّ حروف الهجاء لا تُعْرَب، بل توقف على كلّ حرف على نيّة السكت، ولا بدّ أن تفصل[5] بالعدد في قولهم: واحد ـ إثنان ـ ثلاثة ـ أربعة. قال أبو النجم:

أقبلتُ من عند زياد كالخَرِف تخُطُّ رجلاي بخطٍّ مختلف

وتكتبان في الطريقِ: لامَ الِف[6]

فإذا أدخلت حرفاً من حروف العطف حرّكتها.

وأنشد أبو عبيدة:

إذا اجتمعوا على ألف وواو وياء هاج بينهم جدال

---

(١) شرح شافية ابن الحاجب ٤: ٢٦٤.
(٢) المصدر.
(٣) لسان العرب ١: ١٦٤ وفيه: تفلّيني وا.
(٤) المصدر ١٥: ٢٨٨.
(٥) أي يوقَف هنيهة قدر ما يميّز كلّ عدد من غيره. راجع: شرح الشافية ٢: ٢١٥.
(٦) لسان العرب ٩: ٦٢، «لامَ الِف» فتح الميم ـ نقلاً لحركة الهمزة إليها ـ وكسر لام الف، بإسقاط الهمزة هكذا «لامَ لِفْ» والمقصود: أنّ رجليه تخطّان على الأرض حرف «لا». وراجع: شرح الشافية ٢: ٢٢٣.

وهذه الحروف تُذكّر على اللفظ وتؤنّث على توهّم الكلمة.

قال كعب الأحبار: خلق الله العلم من نور أخضر، ثمّ أنطقه ثمانية وعشرين حرفاً من أصل الكلام، وهيّأها بالصوت الذي سمع وينطق به. فنطق بها العلم فكان أوّل ذلك كلّه الهمزة، فنظرتْ إلى بعضها فتصاغرت وتواضعت لربّها تعالى، وتمايلت هيبة له، فسجدت فصارت همزة، فلمّا رأى الله تعالى تواضعها مدّها وطوّلها وفضّلها، فصارت ألفاً، فتلفظها به، ثمّ جعل القلم ينطق حرفاً حرفاً إلى ثمانية وعشرين حرفاً، فجعلها مدار الكلام والكتب والأصوات واللغات والعبارات كلّها إلى يوم القيامة، وجميعها كلّها في أبجد. وجعل الألف لتواضعها مفتاح أول أسمائه، ومقدّماً على الحروف كلّها[١].

فأمّا قوله ﷻ: ﴿الٓمٓ﴾ فقد اختلف العلماء في تفسيرها:

[م/ ١٩٥] روى عطاء بن السايب عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس في قول الله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ قال: أنا الله أعلم.

[م/ ١٩٦] وروى أبو روق عن الضحاك في قوله ﴿الٓمٓ﴾: أنا الله أعلم.

[م/ ١٩٧] وقال مجاهد وقتادة: ﴿الٓمٓ﴾ اسم من أسماء القرآن.

[م/ ١٩٨] وقال الربيع بن أنس: (ألف) مفتاح اسم الله، و(لام) مفتاح اسمه لطيف، و(ميم) مفتاح اسمه مجيد.

[م/ ١٩٩] وروى خالد عن عكرمة قال: ﴿الٓمٓ﴾ قسم.

[م/ ٢٠٠] وقال محمّد بن كعب: (الألف) آلاء الله، و(اللام) لطفه، و(الميم) ملكه.

[م/ ٢٠١] وفي بعض الروايات عن ابن عبّاس[٢]: (الألف) الله، و(اللام) جبرئيل، أقسم الله بهم إنّ هذا الكتاب لا ريب فيه، ويحتمل أن يكون معناه على هذه التأويل: أنزل الله هذا الكتاب على لسان جبريل إلى محمّد ﷺ.

وقال أهل الإشارة: (ألف): أنا، (لام): لي، (ميم): منّي.

[م/ ٢٠٢] وعن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن جعفر الصادق عليه السلام وقد سئل عن قوله: ﴿الٓمٓ﴾

(١) أسطورة إسرائيليّة غريبة!

(٢) في تفسير السُّلمي (١: ٤٦) عن سهل بن عبدالله: الألف هو الله، واللام جبرائيل، والميم محمّد ﷺ.

فقال: في الألف ستّ صفات من صفات الله: «الابتداء»؛ لأنّ الله تعالى ابتدأ جميع الخلق. والألف ابتداء الحروف. و«الاستواء»: فهو عادل غير جائر، والألف مستو في ذاته، و«الانفراد» والله فرد والألف فرد. و«اتصال الخلق بالله»، والله لا يتصل بالخلق، فهم يحتاجون إليه وله غنىً عنهم. وكذلك الألف لايتصل بحرف، فالحروف متصلة به، وهو «منقطع عن غيره»، والله بـاينَ بجميع صفاته من خلقه. و«معناه من الألفة»، فكما أنّ الله سبب أُلفة الخلق، فكذلك الألف، عليه تألّفت الحروف وهو سبب أُلفتها[١].

وقالت الحكماء[٢]: عجز عقول الخلق في ابتداء خطابه، وهو محل الفهم، ليعلموا أن لاسبيل لأحد إلى معرفة حقائق خطابه إلّا بعلمهم بالعجز عن معرفة حقيقة خطابه.

وأما محل ﴿الٓمٓ﴾ من الإعراب فرفع بالابتداء وخبره فيما بعده.

وقيل: ﴿الٓمٓ﴾ ابتداء، و ﴿ذَٰلِكَ﴾ ابتداء آخر و ﴿الْـكِتَابُ﴾ خبره، وجملة الكلام خبر الابتداء الأول[٣].

* * *

وهكذا ذكر أبو عبدالله الأنصاري القرطبي ذهاب لفيف من السلف إلى أنّ هذه الحروف رموز وأسرار استأثر الله بعلمها، لا يعلمها إلّا الله، قال:

اختلف أهل التأويل في الحروف التي في أوائل السور؛ فقال عامر الشّعبيّ وسفيان الثّوري وجماعةٌ من المحدّثين: هي سرّ الله في القرآن، ولله في كلّ كتاب من كتبه سرّ. فهي من المتشابه الذي انفرد الله تعالى بعلمه، ولا يجب أن يُتكلّم فيها، ولكن نؤمن بها ونقرأ كما جاءت.

وذكر أبو اللّيث السّمَرْقَنْدِيّ عن ابن مسعود أنّه قال: الحروف المقطّعة من المكتوم الذي لا يُفَسّر. وقال أبو حاتم: لم نجد الحروف المقطّعة في القرآن إلا في أوائل السّور، ولا ندري ما أراد الله بها!

قال: ومن هذا المعنى ما ذكره أبو بكر ابن الأنباري بإسناده إلى سعيد بن مسروق عن الربيع بن

---

(١) لم نجد له مستنداً، وهو حديث غريب جداً. (رواه عنه الطبرسي في مجمع البيان ١: ٣٢ ـ ٣٣).

(٢) في تفسير السلمي: وقال بعض العراقيين: حيّر عقول الخلق في ابتداء خطابه، وهو محلّ الفهم، ليعلموا أن لاسبيل لأحد إلى معرفة حقائق خطابه إلّا بعلمهم بالعجز عن معرفة خطابه.

(٣) الثعلبي ١: ١٣٦ ـ ١٤٠.

خُثيم قال: إن الله تعالى أنزل هذا القرآن فاستأثر منه بعلم ما شاء، وأطلعكم على ماشاء، فأما ما استأثر به لنفسه فلستم بنائليه فلا تسألوا عنه، وأما الذي أطلعكم عليه فهو الذي تسألون عنه وتخبرون به، وما بكل القرآن تعلمون، ولا بكل ما تعلمون تعملون. قال أبو بكر: فهذا يوضّح أنّ حروفاً من القرآن سُترت معانيها عن جميع العالَم، اختباراً من الله ﷻ وامتحاناً؛ فمن آمن بها أثيب وسعد، ومن كفر وشكّ أثِمَ وبَعُد.

وقال جمع من العلماء كبير: بل يجب أن نتكلّم فيها، ونلتمس الفوائد التي تحتها، والمعاني التي تتخرّج عليها؛ واختلفوا في ذلك على أقوال عديدة؛ فروي عن ابن عبّاس: أنّ الحروف المقطّعة في القرآن اسم الله الأعظم، إلّا أنّا لا نعرف تأليفه منها. وقال قُطْرُب والفرّاء وغيرهما: هي إشارة إلى حروف الهجاء أعلم الله بها العرب حين تحدّاهم بالقرآن، أنّه مؤتلف من حروف هي التي منها بناء كلامهم؛ ليكون عجزهم عنه أبلغ في الحجّة عليهم إذ لم يخرج عن كلامهم. قال قُطْرُب: كانوا ينفرون عند استماع القرآن، فلمّا سمعوا: ﴿الم﴾ و﴿المص﴾ استنكروا هذا اللفظ، فلما أنصتوا له ﷺ أقبل عليهم بالقرآن المؤتلف، ليثبته في أسماعهم وآذانهم ويقيم الحجّة عليهم. وقال قوم: روي أن المشركين لمّا أعرضوا عن سماع القرآن بمكة وقالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾[1] نزلت ليستغربوها فيفتحون لها أسماعهم فيسمعون القرآن بعدها فتجب عليهم الحجّة. وقال جماعة: هي حروف دالة على أسماء أخذت منها وحذفت بقيّتها؛ كقول ابن عبّاس وغيره: الألف من الله، واللام من جبريل، والميم من محمّد ﷺ وقيل: الألف مفتاح اسمه: الله، واللام مفتاح اسمه: لطيف، والميم مفتاح اسمه: مجيد. وروى أبو الضّحى عن ابن عبّاس في قوله: ﴿الم﴾ قال: أنا الله أعلم، ﴿الر﴾ أنا الله أرى، ﴿المص﴾ أنا الله أفصّل. فالألف تؤدّي عن معنى أنا، واللام تؤدّي عن اسم الله، والميم تؤدّي عن معنى أعلم. واختار هذا القول الزجّاج وقال: أذهب إلى أنّ كلّ حرف منها يؤدّي عن معنًى؛ وقد تكلّمت العرب بالحروف المقطّعة نظماً لها ووضعاً بدل الكلمات التي الحروف منها، كما سبق[2].

وإليك أمّهات الأقوال في هذه الحروف ـ حسبما ورد في الروايات ـ:

---

(١) فصّلت ٤١: ٢٦.

(٢) القرطبي ١: ١٥٤ ـ ١٥٥.

القول بأنّها أقسام أقسم الله بها

[م/٢٠٣] أخرج ابن جرير بإسناده إلى عكرمة قال: ﴿الٓمٓ﴾ قسم[1].

[م/٢٠٤] وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في كتاب الأسماء والصفات عن ابن عبّاس في قوله ﴿الٓمٓ﴾ و ﴿الٓمٓصٓ﴾ و ﴿الٓر﴾ و ﴿الٓمٓر﴾ و ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ و ﴿طه﴾ و ﴿طسٓمٓ﴾ و ﴿طسٓ﴾ و ﴿يسٓ﴾ و ﴿صٓ﴾ و ﴿حمٓ﴾ و ﴿قٓ﴾ و ﴿نٓ﴾ قال: هو قسم أقسم الله به، وهو من أسماء الله[2].

القول بأنّها تشكّل الاسم الأعظم

[م/٢٠٥] أخرج ابن جرير بإسناده إلى ابن مسعود في قوله ﴿الٓمٓ﴾ قال: هو اسم الله الأعظم[3].

[م/٢٠٦] وأخرج ابن أبي شيبة في تفسيره وعبد بن حميد وابن المنذر عن عامر. انه سئل عن فواتح السور نحو ﴿الٓمٓ﴾ و ﴿الٓر﴾ قال: هي أسماء من أسماء الله مقطعة بالهجاء، فإذا وصلتها كانت أسماء من أسماء الله[4].

[م/٢٠٧] وروى الصدوق بإسناده إلى أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ﴿الٓمٓ﴾ هو حرف من حروف اسم الله الأعظم المقطّع في القرآن؛ الذي يؤلّفه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والإمام، فإذا دعى به أجيب[5].

[م/٢٠٨] وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدّي قال: بلغني عن ابن عبّاس في قوله ﴿الٓمٓ﴾ و ﴿رحم﴾ و ﴿طسٓ﴾ قال: هي اسم الله الأعظم[6].

[م/٢٠٩] وروى عليّ بن إبراهيم عن أبيه، عن محمّد بن أبي عمير، عن جميل بن صالح، عن المفضّل، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ﴿الٓمٓ﴾ وكلّ حرف في القرآن، مقطّعة من حروف اسم الله الأعظم الذي يؤلّفه الرسول والإمام عليهما السلام فيدعو به فيجاب[7].

---

(١) الطبري ١: ١٣٠/١٩٢؛ الدرّ ١: ٥٧؛ معاني القرآن ١: ٧٤-٧٥.

(٢) الدرّ ١: ٥٦-٥٧؛ الأسماء والصفات ١: ١٥٣.

(٣) الطبري ١: ١٣٠/بعد حديث ١٨٩؛ الدرّ ١: ٥٧.

(٤) الطبري ٧: ١٠٦/١٣٥٩٣؛ الدرّ ١: ٥٧.

(٥) معاني الأخبار: ٢٣/٢.

(٦) الدرّ ١: ٥٧؛ الطبري ١: ١٣٠/١٨٩؛ ابن أبي حاتم ١: ٣٢/٤٤.

(٧) تأويل الآيات ١: ٣١/١. وراجع: القمّي ٢: ٢٦٧، سورة الشورى.

[م / ٢١٠] وأخرج أبو الشيخ والبيهقي في الأسماء والصفات عن السدّي قال: فواتح السور كلّها من أسماء الله[١].

[م / ٢١١] وأخرج ابن مردويه عن ابن عبّاس قال: فواتح السور أسماء من أسماء الله[٢].

القول بأنّها أسماء السور

[م / ٢١٢] أخرج ابن جرير عن زيد بن أسلم قال ﴿الٓمٓ﴾ ونحوها أسماء السور[٣].

القول بأنّها من أسماء القرآن

[م /٢١٣] أخرج ابن جرير عن مجاهد في قوله ﴿الٓمٓ﴾ قال: اسم من أسماء القرآن[٤].

[م / ٢١٤] وأخرج عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله: ﴿الٓمٓ﴾ قال: اسم من أسماء القرآن[٥].

القول بأنّها هجاء موضوع افتتح بها السور

[م / ٢١٥] أخرج ابن المنذر عن مجاهد قال: فواتح السور كلها ﴿الٓمٓ﴾ و ﴿الٓمٓر﴾ و ﴿حمٓ﴾ و ﴿قٓ﴾ وغير ذلك هجاء موضوع[٦].

---

(١) الدرّ ١: ٥٧؛ الأسماء والصّفات ١: ١٥٤؛ ابن كثير ١: ٣٨، نقلاً عن سالم بن عبدالله وإسماعيل بن عبدالرحمان السّدي الكبير؛ الطبري ١: ١٣٠ / ١٩٠.

(٢) الدرّ ١: ٥٧.

(٣) الدرّ ١: ٥٧؛ الطبري ١: ١٣٠ / ١٨٨، بلفظ: سألت عبدالرحمان بن زيد بن أسلم عن قول الله ﴿الٓمٓ. ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ و ﴿الٓمٓ. تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾ و ﴿الٓمٓر تِلْكَ﴾ فقال: قال أبي: إنّما هي أسماء السور؛ القرطبي ١: ١٥٦؛ ابن كثير ١: ٣٨؛ التبيان ١: ٤٧، نقلاً عن زيد بن أسلم والحسن ـ قال الشيخ الطوسي ﵀ في ص ٤٨: وأحسن الوجوه التي قيلت قول من قال: إنّها أسماء للسور خصّ الله تعالى بها بعض السور بتلك كما قيل للمعوذتين: المقشقشتان؛ مجمع البيان ١: ٧٥، بلفظ: إنّها أسماء السور ومفاتحها ـ عن الحسن وزيد بن أسلم ـ قال الطبرسي ﵀ في ص ٧٧: أجود هذه الأقوال القول المحكي عن الحسن؛ أبوالفتوح ١: ٩٦.

(٤) الدرّ ١: ٥٧؛ الطبري ١: ١٢٩ / ١٨٥، وفي الحديث رقم ١٨٦: نقلاً عن ابن جريج؛ التبيان ١: ٤٧؛ أبو الفتوح ١: ٩٦.

(٥) الدرّ ١: ٥٧؛ عبدالرزاق ١: ٢٥٨؛ الطبري ١: ١٢٩ / ١٨٤؛ ابن أبي حاتم ١: ٣٣ / ٥٠، نقلاً عن مجاهد وقتادة وزيد بن أسلم؛ القرطبي ١: ١٥٦؛ التبيان ١: ٤٧، عن قتادة ومجاهد وابن جريج.

(٦) الدرّ ١: ٥٧؛ الطبري ١: ١٣١ / ١٩٧؛ ابن كثير ١: ٣٩؛ التبيان ١: ٤٨، بلفظ: قال بعضهم: هي حروف هجاء موضوعة. روى ذلك عن مجاهد.

[م/ ٢١٦] وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن الحسن قال ﴿الٓمٓ﴾ و ﴿طسٓمٓ﴾ فواتح يفتتح الله بها السور[١].

[م/ ٢١٧] وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ ابن حيّان عن مجاهد قال ﴿الٓمٓ﴾و ﴿حمٓ﴾ و ﴿الٓمٓصٓ﴾ و ﴿صٓ﴾ فواتح افتتح الله بها القرآن[٢].

القول بأنّها أسرار ورموز

[م/ ٢١٨] وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ ابن حيّان في التفسير عن داوود بن أبي هند قال: كنت أسأل الشعبي عن فواتح السور قال: يا داوود إنّ لكل كتاب سرّاً، وإنّ سرّ هذا القرآن فواتح السور، فدعها وسل عمّا بدا لك[٣].

[م/ ٢١٩] وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي العالية قال: هذه الأحرف الثلاثة من التسعة والعشرين حرفاً، دارت فيها الألسن كلّها، ليس منها حرف إلّا وهو مفتاح اسم من أسمائه، وليس منها حرف إلّا وهو في آلائه، وليس منها حرف إلّا وهو في مدّة أقوام وآجالهم. وقال عيسى بن مريم عليه السلام وعجب فقال: وأعجب أنّهم ينطقون بأسمائه ويعيشون في رزقه، فكيف يكفرون به؟! فالألف مفتاح اسمه الله، واللام مفتاح اسمه لطيف، والميم مفتاح اسمه مجيد. فالألف آلاء الله، واللام لطف الله، والميم مجد الله. فالألف سنة، واللام ثلاثون سنة، والميم أربعون سنة[٤].

قال أبو محمّد: وروي عن الربيع بن أنس مثل ذلك[٥].

[م/ ٢٢٠] وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: إنّ اليهود كانوا يجدون محمداً وأمّته (في كتبهم) أنّ محمّداً مبعوث، ولا يدرون ما مدّة أمّة محمّد! فلمّا بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم وأنزل ﴿الٓمٓ﴾ قالوا: قد كنّا نعلم أنّ هذه الأمّة مبعوثة، وكنا لا ندري كم مدّتها، فإن كان محمّد صادقاً فهو نبيّ هذه الأمّة قد بين لنا كم مدّة محمّد! لأنّ ﴿الٓمٓ﴾ في حساب جُمَلنا إحدى وسبعون سنة، فما نصنع بدين

---

(١) الدرّ ١: ٥٧؛ ابن أبي حاتم ٨: ٢٧٤٧ / ١٥٥١٩.

(٢) الدرّ ١: ٥٧؛ الطبري ١: ١٢٩ ـ ١٣٠؛ ابن أبي حاتم ١: ٣٣ / ٥١، بلفظ: عن مجاهد أنه قال: ﴿الٓمٓ﴾ هي فواتح يفتتح الله بها القرآن؛ ابن كثير ١: ٣٨؛ التبيان ١: ٤٧.

(٣) الدرّ ١: ٥٩؛ البغوي ١: ٨٠؛ مجمع البيان ١: ٧٥.

(٤) ابن أبي حاتم ١: ٣٣ / ٤٩؛ الدرّ ١: ٥٩؛ الطبري ١: ١٣١ / ١٩٨.

(٥) ابن أبي حاتم ١: ٣٣ / ٤٩.

إنّما هو واحد وسبعون سنة؟

فلمّا نزلت ﴿الٓر﴾ وكانت في حساب جملهم مائتي سنة وواحداً وثلاثين سنة قالوا: هذا الآن مائتان وواحد وثلاثون سنة وواحدة وسبعون. قيل ثمّ أنزل ﴿الٓمٓر﴾ فكان في حساب جملهم مائتي سنة وواحدة وسبعين سنة في نحو هذا من صدور السور فقالوا: قد التبس علينا أمره[1].

[م/٢٢١] وأخرج ابن اسحق والبخاري في تاريخه وابن جرير عن ابن عبّاس عن جابر بن عبدالله بن رئاب قال «مرّ أبو ياسر بن أخطب في رجال من يهود برسول الله ﷺ وهو يتلو فاتحة سورة البقرة ﴿الٓمٓ. ذَٰلِكَ الْـكِتَابُ﴾ فأتاه أخوه حُيَيّ بن أخطب في رجال من اليهود فقال: تعلمون ـ والله ـ لقد سمعت محمّداً يتلو فيما أنزل عليه ﴿الٓمٓ. ذَٰلِكَ الْـكِتَابُ﴾ فقالوا أنت سمعته؟ قال: نعم. فمشى حُيَيّ في أولئك النفر إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمّد الم تذكر أنّك تتلو فيما أنزل عليك ﴿الٓمٓ. ذَٰلِكَ الْـكِتَابُ﴾؟ قال: بلى. قالوا: قد جاءك بهذا جبريل من عندالله؟ قال: نعم. قالوا: لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلمه بيّن لنبيّ لهم ما مدّة ملكه وما أجل أمّته غيرك! فقال حُيَيّ بن أخطب ـ وأقبل على من كان معه ـ: الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون، فهذه إحدى وسبعون سنة. أفتدخلون في دين نبيّ إنّما مدّة ملكه وأجل أمّته إحدى وسبعون سنة!؟

ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقال: يا محمّد هل مع هذا غيره؟ قال: نعم. قال: ما ذاك؟ قال ﴿الٓمٓصٓ﴾ قال: هذه أثقل وأطول. الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والصاد تسعون، فهذه مائة وإحدى وستّون سنة.

هل مع هذا يا محمّد غيره؟ قال: نعم. قال: ماذا؟ قال ﴿الٓر﴾ قال: هذه أثقل وأطول. الألف واحدة، واللام ثلاثون، والراء مائتان، فهذه احدى وثلاثون ومائتا سنة.

فهل مع هذا غيره؟ قال: نعم. ﴿الٓمٓر﴾ قال: فهذه أثقل وأطول. الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والراء مائتان، فهذه احدى وسبعون سنة ومائتان. ثمّ قال: لقد لبس علينا أمرك يا محمّد حتّى ما ندري أقليلاً أُعطيت، أم كثيراً! ثمّ قاموا. فقال أبو ياسر لأخيه حيي ومن معه من الأحبار: ما يُدريكم لعلّه قد جمع هذا لمحمّد كلّه. إحدى وسبعون، وإحدى وستّون ومائة، وإحدى وثلاثون ومائتان، وإحدى وسبعون ومائتان، فذلك سبعمائة وأربع وثلاثون. فقالوا: لقد تشابه

---

(١) الدرّ ١: ٥٨ ـ ٥٩.

علينا أمره.

فيزعمون أنّ هذه الآيات نزلت فيهم: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾(١).

[م/٢٢٢] وروى الصدوق بإسناده إلى محمّد بن قيس قال: سمعت أبا جعفر يحدّث «أنّ حُيَيّاً وأبا ياسر ابني اخطب ونفراً من يهود أهل نجران أتوا رسول الله ﷺ فقالوا له: أليس فيما تذكر فيما أنزل الله عليك ﴿الٓمٓ﴾؟ قال: بلى. قالوا أتاك بها جبرئيل من عندالله؟ قال: نعم؛ قالوا: لقد بعث أنبياء قبلك، وما نعلم نبيّاً منهم أخبر ما مدّة ملكه وما أجل أمّته غيرك! قال فأقبل حُيَيّ بن أخطب على أصحابه فقال لهم: الألف واحد، واللام ثلثون، والميم أربعون فهذه إحدى وسبعون سنة، فعجب أن يدخل في دين مدّة ملكه وأجل أمّته إحدى وسبعون سنة! قال: ثمّ أقبل على رسول الله ﷺ فقال له: يا محمّد هل مع هذا غيره؟ قال: نعم، قال: فهاته، قال: ﴿الٓمٓصٓ﴾ قال: هذه أثقل وأطول، الألف واحد، واللام ثلثون، والميم أربعون، والصاد تسعون، فهذه مائة وإحدى وستون سنة. ثمّ قال لرسول الله ﷺ: فهل مع هذا غيره؟ قال: نعم، قال: هاته. قال، ﴿الٓر﴾ قال هذه أثقل وأطول، الألف واحد، و اللام ثلاثون، والراء مأتان، ثمّ قال لرسول الله ﷺ: فهل مع هذا غيره؟ قال: نعم، قال: هاته، قال ﴿الٓمٓر﴾ قال هذه أثقل وأطول، الألف واحد، واللام ثلثون، والميم أربعون، والراء مائتان، ثمّ قال له: هل مع هذا غيره؟ قال: نعم، قالوا: قد التبس علينا أمرك فما ندري ما أعطيت ثمّ قاموا عنه. ثمّ قال أبو ياسر لحُيَيٍّ أخيه: ما يُدريك لعلّ محمّداً قد جُمع له هذا كلّه وأكثر منه!

قال: فذكر أبو جعفر عليه السلام أنّ هذه الآيات أنزلت فيهم ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾(٢) قال: وهي تجري في وجه آخر على غير تأويل حُيَيّ وأبي ياسر وأصحابهما»(٣).

[م/٢٢٣] وقال: وحدثنا محمّد بن القاسم الأستر آبادي المعروف بأبي الحسن الجرجاني المفسر رضوان الله عليه قال: حدّثني أبو يعقوب يوسف بن محمّد بن زياد وأبوالحسن عليّ بن

(١) الدرّ ١: ٥٧ ـ ٥٨؛ التاريخ ٢: ٢٠٨ / ٢٢٠٩؛ الطبري ١: ١٣٨ ـ ١٣٩ / ٢٠٠؛ ابن كثير ١: ٤٠ ـ ٤١. والآية من سورة آل عمران ٣: ٧.

(٢) آل عمران ٣: ٧.

(٣) معاني الأخبار: ٢٣ ـ ٢٤ / ٣؛ البحار ٨٩: ٣٧٤ ـ ٣٧٥ / ٢؛ القمي ١: ٢٢٣؛ العيّاشي ١: ٤٤ / ٢ باختصار.

محمّد بن سيّار عن أبويهما عن الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام أنّه قال: كذّبت قريش واليهود بالقرآن وقالوا: «سحر مبين تقوّله» فقال الله: ﴿الٓمٓ. ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ أي يا محمّد! هذا الكتاب الذي أنزلناه عليك هو بالحروف المقطعة التي منها «ألف، لام، ميم» وهي بلغتكم وحروف هجائكم. فأتوا بمثله إن كنتم صادقين، واستعينوا على ذلك بسائر شهدائكم. ثمّ بيّن أنّهم لا يقدرون عليه بقوله: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1] ثمّ قال الله: ﴿الٓمٓ﴾ هو القرآن الذي افتتح بالم هو ذلك الكتاب الذي أخبرتُ به موسى فمن بعده من الأنبياء، فأخبروا بني إسرائيل أنّي سأنزله عليك يا محمّد كتاباً عزيزاً ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[2]

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا شكّ فيه، لظهوره عندهم، كما أخبرهم أنبياؤهم أنّ محمّداً ينزل عليه كتابٌ لا يمحوه الباطل، يقرأه هو وأمّته على ساير أحوالهم.

﴿هُدًى﴾: بيان من الضلالة ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾: الذين يتّقون الموبقات؛ ويتّقون تسليط السفه على أنفسهم، حتّى إذا علموا ما يجب عليهم علمه عملوا بما يوجب لهم رضا ربهم.

قال: وقال الصادق عليه السلام: ثمّ الألف حرف من حروف قولك: الله، دلّ بالألف على قولك: الله، ودلّ باللام على قولك: الملك العظيم القاهر للخلق أجمعين، ودلّ بالميم على أنّه المجيد المحمود في كلّ أفعاله.

وجعل هذا القول حجّة على اليهود، وذلك أنّ الله لمّا بعث موسى بن عمران ثمّ من بعده من الأنبياء إلى بني اسرائيل، لم يكن فيهم قوم إلّا أخذوا عليهم العهود والمواثيق ليؤمننّ بمحمّد العربي الأمّي المبعوث بمكّة، الذي يهاجر إلى المدينة، يأتي بكتاب الله بالحروف المقطعة افتتاح بعض سوره، يحفظه أمّته، فيقرؤنه قياماً وقعوداً ومشاة، وعلى كلّ الأحوال، يسهل الله عزّ وجلّ حفظه عليهم...

قال فلما بعث الله محمّداً وأظهره بمكة، ثمّ سيّره منها إلى المدينة وأظهره بها، ثمّ أنزل عليه الكتاب وجعل افتتاح سوره الكبرى بالٓم، يعني: ﴿الٓمٓ. ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ وهو ذلك الكتاب الذي أخبرتُ به أنبيائي السالفين، أنّي سأنزله عليك يا محمّد ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، فقد ظهر كما أخبرهم به

(١) الإسراء ١٧: ٩١. (٢) فصّلت ٤١: ٤٢.

أنبيائهم أنّ محمّداً ينزل عليه كتاب مبارك لا يمحوه الباطل، يقرؤه هو و أمّته على سائر أحوالهم، ثمّ اليهود يحرّفونه عن جهته، ويتأولونه على غير وجهه، ويتعاطون التوصل إلى علم ما قد طواه الله عنهم من حال آجال هذه الأمّة، وكم مدّة ملكهم.

فجاء إلى رسول الله ﷺ جماعة منهم فولّى رسول الله ﷺ علياً عليه السلام مخاطبتهم. فقال قائلهم: إن كان ما يقول محمّد حقّاً، لقد علمناكم قدر ملك أمّته هو إحدى وسبعون سنة، الألف واحد، واللام ثلثون، والميم أربعون، فقال عليّ عليه السلام: فما تصنعون بـ﴿المص﴾ وقد أنزلت عليه؟ فقالوا: هذه إحدى وستّون ومأة سنة. قال: فماذا تصنعون بـ﴿الر﴾ وقد أنزلت عليه؟ فقالوا: هذه أكثر، هذه مائتان وإحدى وثلثون سنة. فقال عليّ عليه السلام: فما تصنعون بما أنزل إليه ﴿المر﴾؟ قالوا: هذه مائتان وإحدى وسبعون سنة فقال عليّ عليه السلام: فواحدة من هذه له أو جميعها له؟ فاختلط كلامهم، فبعضهم قال: له واحدة منها، وبعضهم قال: بل يجمع له كلّها، وذلك سبعمأة وأربع سنين، ثمّ يرجع الملك إلينا يعني إلى اليهود.

فقال عليّ عليه السلام أكتاب من كتب الله عزّ وجلّ نطق بهذا أم آراؤكم دلّتكم عليه؟ فقال بعضهم كتاب الله نطق به، وقال آخرون منهم: بل آراؤنا دلّت عليه، فقال عليّ عليه السلام: فأتوا بالكتاب من عندالله ينطق بما تقولون! فعجزوا عن إيراد ذلك، وقال للآخرين: فدلّونا على صواب هذا الرأي! فقالوا: صواب رأينا، دليله على أنّ هذا حساب الجمل! فقال عليّ عليه السلام كيف دلّ على ما تقولون وليس في هذه الحروف الاّ ما اقترحتم بلا بيان، أرأيتم إن قيل لكم إنّ هذه الحروف ليست دالّة على هذه المدّة لملك أمّة محمّد ولكنها دالّة على أن كلّ واحد منكم قد لُعن بعدد هذا الحساب، أو أنّ عدد ذلك لكلّ واحد منكم ومنّا بعدد هذا الحساب دراهم أو دنانير، أو أنّ لعليّ على كلّ واحد منكم ديناً عدد ماله مثل عدد هذاالحساب؟

فقالوا: يا أبا الحسن، ليس شيء ممّا ذكرته منصوصاً عليه في «الم، والمص، والر، والمر». فقال عليّ عليه السلام: ولا شيء ممّا ذكرتموه منصوص عليه في «الم، والمص، والر، والمر»، فإن بطل قولنا لما قلنا، بطل قولك لما قلت.

فقال خطيبهم ومنطيقهم: لا تفرح يا عليّ بأن عجزنا عن إقامة حجّة على دعوانا فأيّ حجّة لك في دعواك إلّا أن تجعل عجزنا حجّتك، فإذاً ما لنا حجّة في ما نقول ولا لكم حجّة فيما تقولون! قال

عليّ عليه السلام :لا سواء، إنّ لناحجّة هي المعجزة الباهرة(١).

هذا ما ورد بشأن مفتتح سورة البقرة و السور الخمس (آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة) التي افتتحت بـ«الم».

* * *

وفي مفتتح سورة الأعراف : ﴿المص﴾

[م / ٢٢٤] أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عبّاس، في قوله ﴿المص﴾ قال: أنا الله أفصل وهكذا عن سعيد بن جبير(٢).

[م / ٢٢٥] وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدّي في قوله ﴿المص﴾ قال: هو المصوّر(٣).

[م / ٢٢٦] وأخرج أبو الشيخ عن الضحّاك ﴿المص﴾ قال: أنا الله الصادق(٤).

[م / ٢٢٧] وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن محمّد بن كعب القرظي، قال: الألف من الله. والميم من الرّحمان. والصّاد من الصّمد(٥).

[م / ٢٢٨] وأخرج ابن بابويه بإسناده إلى سفيان بن سعيد الثوري، عن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال: ﴿المص﴾ معناه: أنا الله المقتدر الصادق(٦).

* * *

و في مفتتح سورة يونس وهود، ويوسف، وإبراهيم، والحجر: ﴿الر﴾.

[م / ٢٢٩] أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والبيهقي في الأسماء والصفات وابن النجّار في تاريخه عن ابن عبّاس في قوله ﴿الر﴾ قال: أنا الله أرىٰ. وهكذا عن سعيد بن جبير والضحّاك(٧).

[م / ٢٣٠] وفي رواية أخرى عن ابن عبّاس، قال: الر، حم، ن، حروف الرحمان مقطعة(٨).

---

(١) معاني الأخبار: ٢٤ ـ ٢٨؛ تفسير الإمام: ٦٢ ـ ٦٧؛ البحار ١٠: ١٤ ـ ١٨ / ٧ و ٨٩: ٣٧٧ ـ ٣٨٠ / ١٠.

(٢) الدرّ ٣: ٤١٢ ـ ٤١٣؛ الطبري ٥: ١٥٢ / ١١١٢٨ و ١١١٢٩، وفيه: «أنا الله أفضل» وبنحوه في الأسماء والصفات ١: ١٥٤.

(٣) الطبري ٥: ١٥٢ / ١١١٣٠؛ ابن أبي حاتم ٥: ١٤٣٧ / ٨٢٠٢.

(٤) الدرّ ٣: ٤١٣.

(٥) ابن أبي حاتم ٥: ١٤٣٧ / ٨٢٠٥؛ الدرّ ٣: ٤١٣.

(٦) معاني الأخبار: ٢٢ / ١.

(٧) الدرّ ٤: ٣٣٩ ـ ٣٤٠؛ الطبري ٨: ١١٩ / ١٥٢٤٣؛ الأسماء والصفات ١: ١٥٤.

(٨) الدرّ ٤: ٣٤٠ وفيه: «مفرقة»؛ الطبري ٧: ١٠٥ / ١٣٥٩٠.

[م / ٢٣١] وعن محمّد بن كعب القرظي: الف ولام وراء، من الرحمان(١).

[م / ٢٣٢] وأخرج ابن بابويه بالإسناد إلى الثوري: أنّه سأل الإمام جعفر بن محمّد عليه السلام عن معنى ﴿الٓر﴾، فقال: «معناه: أنا الله الرؤوف»(٢).

* * *

وفي مفتتح سورة الرعد: ﴿الٓمٓر﴾.

[م / ٢٣٣] أخرج ابن بابويه بإسناده إلى سفيان الثوري عن الإمام جعفر بن محمّد عليه السلام قال: «معناه: أنا الله المحيي المميت الرزّاق»(٣).

* * *

وفي مفتتح سورة مريم: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾.

[م / ٢٣٤] أخرج الفريابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم ـ وصحّحه ـ والبيهقي في الأسماء والصفات، عن ابن عبّاس، في قوله: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ قال: كبيرٌ. هادٍ. أمين. عزيز. صادق. وفي لفظ: كافٍ، بدل كبير(٤).

[م / ٢٣٥] وعنه أيضاً قال: كاف، من كريم، وهاء، من هادٍ. وياء، من حكيم. وعين، من عليم. وصاد، من صادق(٥).

[م / ٢٣٦] وعن عبدالله بن مسعود وناس من الصحابة: الكاف من الملك. والهاء من الله. والياء والعين من العزيز. والصاد من المصوّر(٦).

[م / ٢٣٧] وعن الكلبي، حدّث عن أبي صالح عن أمّ هانئ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «كافٍ، هادٍ، عالم، صادق»(٧).

[م / ٢٣٨] وعن عكرمة قال: أنا الكبير الهادي، عليٌّ أمين صادق(٨).

---

(١) الدرّ ٤: ٣٤٠.
(٢) معاني الأخبار: ٢٢ / ١.
(٣) المصدر.
(٤) الطبري ٩: ٥٢ ـ ٥٦ / ١٧٦٥٨، ١٧٦٦٣، ١٧٦٦٦ وفيه «يمين» بدل قوله «أمين»، و ١٧٦٧٣ و ١٧٦٧٥؛ ابن أبي حاتم ٧: ٢٣٩٦ / ١٣٠٢٢؛ الحاكم ٢: ٣٧٢؛ الأسماء والصفات ١: ١٥٣.
(٥) الطبري ٩: ٥٢ ـ ٥٦؛ ابن أبي حاتم ٧: ٢٣٩٦ / ١٣٠٢٣؛ الحاكم ٢: ٣٧١ ـ ٣٧٢؛ الأسماء والصفات ١: ١٥٣؛ عبدالرزاق ٢: ٣٥٠ / ١٧٣١.
(٦) الدرّ ٥: ٤٧٨؛ ابن أبي حاتم ٧: ٢٣٩٦ / ١٣٠٢٤.
(٧) الدرّ ٥: ٤٧٨.
(٨) المصدر.

[م / ٢٣٩] وعن محمّد بن كعب: الكاف من الملك، والهاء من الله، والعين من العزيز، والصاد من الصمد[١].

[م / ٢٤٠] وعن الربيع بن أنس: الكاف، مفتاح اسمه: كافي. والهاء، مفتاح اسمه: هادي. والعين، مفتاح اسمه: عالم. والصاد، مفتاح اسمه: صادق[٢].

[م / ٢٤١] وأخرج ابن بابويه بإسناده إلى الثوري عن الإمام جعفر بن محمّد عليه السلام في معنى ﴿كهيعص﴾ قال: «معناه: أنا الكافي، الهادي، الوليّ، العالم، الصادق الوعد»[٣].

[م / ٢٤٢] وبإسناده عن جعفر بن محمّد بن عُمارة عن أبيه قال: حضرت عند الإمام جعفر بن محمّد عليه السلام فدخل عليه رجل فسأله عن ﴿كهيعص﴾، فقال: «كاف، كافٍ لشيعتنا. هاء، هادٍ لهم. ياء، وليّ لهم. عين، عالم بأهل طاعتنا. صاد، صادق لهم وعده، حتّى يبلغ بهم المنزلة التي وعدها إيّاهم في بطن القرآن»[٤].

[م / ٢٤٣] وروى بإسناده إلى سعد بن عبدالله القمي، في حديث له مع أبي محمّد الحسن بن عليّ العسكريّ عليه السلام، فكان فيما سأله، السؤال عن تأويل هذه الأحرف الخمس في مفتتح سورة مريم؟ فقال: «هذه الحروف من أنباء الغيب، اطّلع الله عليه عبده زكريّا عليه السلام، ثمّ قصّها على محمّد صلّى الله عليه وآله ثمّ قال: فالكاف: اسم كربلاء، والهاء: هلاك العترة. والياء: يزيد، وهو ظالم الحسين عليه السلام. والعين: عطشه. والصاد: صبره»[٥].

[م / ٢٤٤] وروى عليّ بن إبراهيم بإسناده إلى أبي بصير عن الإمام أبي عبدالله عليه السلام قال: ﴿كهيعص﴾ هذه أسماء مقطّعة. قال: «الله هو الكافي، الهادي، العالم، الصادق، ذوالأيادي العظام وهو قوله كما وصف نفسه تبارك وتعالى»[٦].

❊ ❊ ❊

وفي مفتتح سورة ﴿طه﴾:

والكلام فيه من جهتين: الأولى في قراءتها: قرأ أبو عمرو بفتح الطاء وكسر الهاء وقرأ أهل المدينة والشام بين الكسر والفتح فيهما وقرأ الأعمش وحمزة والكسائي بكسر الطاء والهاء وقرأ

---

(١) ابن أبي حاتم ٧: ٢٣٩٦ / ١٣٠٢٤.
(٢) الدرّ ٥: ٤٧٨.
(٣) معاني الأخبار: ٢٢ / ١.
(٤) المصدر: ٢٨ / ٦.
(٥) كمال الدين: ٤٦١ / ٢١.
(٦) القمي ٢: ٤٨.

عاصم وابن كثير بالتفخيم فيهما. قال أبو إسحاق الثعلبي: وكلّها لغات فصيحة صحيحة[١].

[م/٢٤٥] وأخرج الثعلبي بإسناده إلى زرّ بن حبيش قال: قرأ رجل على عبدالله بن مسعود «طَهْ»[٢] فقال له عبدالله: «طِهِ»[٣] فقال له الرجل: يا أبا عبدالرحمان! أليس أُمر أن يطأ قدميه؟ فقال عبدالله: «طِهِ»، هكذا أقرأني رسول الله ﷺ[٤].

قال الزمخشري: أمالها

وذكر الطبرسي أنّ أبا عمرو قرأ بفتح الطاء وكسر الهاء، كسراً لطيفاً من غير إفراطٍ. قال: وروي عن أبي جعفر ونافع: كهيعص وطه وطس وحم والر، كلّه بين الفتح والكسر، وهو إلى الفتح أقرب[٥].

قال الزمخشري: أبو عمرو فخّم الطاء لاستعلائها وأمال الهاء. وفخّمها ابن كثير وابن عامر على الأصل والباقون أمالوهما[٦].

الجهة الثانية في معناها:

قال الطبرسي: روي عن الحسن أنّه قرأ «طَهْ» بفتح الطاء وسكون الهاء. فإن صحّ ذلك عنه فأصله: طَأْ، فأبدل من الهمزة هاءً، ومعناه: طَاءِ الأرض بقدميك جميعاً.

[م/٢٤٦] وقد روي أنّ النبيّ ﷺ كان يرفع إحدىٰ قدميه في الصلاة ليزيد تعبُه، فأنزل الله: ﴿طه. مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰٓ﴾[٧]، فوضعها وروي ذلك عن أبي عبدالله عليه السلام.

قال الزجّاج: ويجوز أن يكون «طه» أمراً من «وَطَأَ يَطَأُ» على قول من لم يهمز، ثمّ حذفت الألف فصار «طَ» ثمّ زيدت الهاء في الوقف[٨].

قال الزمخشري: وعن الحسن: «طَهْ» وفسّر بأنّه أمر بالوطء، وأنّ النبيّ ﷺ كان يقوم في تهجّده على إحدى رجليه، فأمر بأن يطأ الأرض بقدميه معاً، وأنّ الأصل: طَأْ، فقلبت همزته هاءً،

---

(١) الثعلبي ٦: ٢٣٥ ـ ٢٣٦.

(٢) لعلّه قرأ: طَهْ، كما يأتي في قراءة الحسن.

(٣) لعلّه بالإمالة فيهما، كما يأتي عن الزمخشري في قراءة الباقين: الأعمش وحمزة والكسائي.

(٤) المصدر.

(٥) مجمع البيان ٧: ٦.

(٦) الكشاف ٣: ٤٩.

(٧) طه ٢٠: ١ ـ ٢.

(٨) مجمع البيان ٧: ٧.

أو قلبت ألفاً في يطا، فيمن قال: لا هناك المرتع[1] أي لا هنأك. ثمّ بني عليه الأمر، والهاء للسكت.

قال: ويجوز أن يكتفى بشطري الاسمين، وهما الدالّان بلفظهما على المسمّيين. والله أعلم بصحّة ما يقال: إنّ «طا،ها» في لغة «عكّ»[2] في معنى «يا رجل».

قال الزمخشري: ولعلّ عَكّاً تصرّفوا في «يا هذا»، كأنّهم في لغتهم يقلبون الياء طاءً، فقالوا في «يا»: «طا» واختصروا «هذا» فاقتصروا على «ها».

قال: وأثر الصنعة ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به:

إنّ السفاهة طاها في خلائقكم ... لا قدّس الله أخلاق الملاعين!

قال: والأقوال الثلاثة في الفواتح. أعني التي قدّمتها في أوّل الكتاب[3]، هي التي يُعوّل عليها الألبّاءُ المتقنون[4].

[م/٢٤٧] وأخرج الطبري بإسناده إلى عكرمة عن ابن عبّاس، قال: «طه» بالنبطيّة: يا رجل.

[م/٢٤٨] وبإسناده إلى ابن جُرَيج قال: أخبرني ابن مسلم عن سعيد بن جبير أنّه قال: «طه»: يا رجل بالسريانيّة وهكذا عن مجاهد والضحّاك وقتادة، «طه» يعني: يا رجل أو يا إنسان ـ بالنبطية أو السريانية ـ[5].

[م/٢٤٩] وأخرج الثعلبي عن عكرمة قال: هو كقولك: يا رجل، بلسان الحبشة، يعني: محمداً ﷺ.

[م/٢٥٠] وروى السدّي عن أبي مالك وعكرمة، قالا: «طه»: يا فلان.

[م/٢٥١] وقال الكلبي: هو بلغة عكّ: يا رجل[6].

قال أبو جعفر الطبري: والذي هو أولى بالصواب عندي من الأقوال فيه، قول من قال: معناه: يا رجل، لأنّها كلمة معروفة في عكّ، فيما بلغني، وأنّ معناها فيهم: يا رجل.

---

(١) من شعر الفرزدق يهجو عمرو بن زهرة الفزاري والي العراق:

نزع ابن بشر وابن عمرو قبله ... وأخو هواة لمثلها يتوقّع

راحت بمسلمة البغال عشيّة ... فارعي فزارة لا هناك المرتع

(٢) عكّ بن عدنان أخو معد، وهم اليوم في اليمن. قاله الجوهري.

(٣) الكشّاف ١: ٢١ ـ ٢٩. وتقدّم نقله هنا.

(٤) المصدر ٣: ٤٩ ـ ٥٠.

(٥) الطبري ١٦: ١٧٠ / ١٨٠٧٦ و ١٨٠٧٨.

(٦) الثعلبي ٦: ٢٣٦؛ الطبري ١٦: ١٧١ / ١٨٠٨٠ و ١٨٠٨١.

قال: أنشدت لمتممّ بن نويرة:

هتفت بطٰهٰ في القتال فلم يجب   فخفت عليه أن يكون موائلاً[1]

وقال آخر:

إنّ السفاهة طٰهٰ من خلائقكم   لا بارك الله في القوم الملاعين[2]

قال أبو جعفر: فإذا كان ذلك معروفاً فيهم على ما ذكرنا، فالواجب أن يوجّه تأويله إلى المعروف فيهم من معناه، ولا سيّما إذا وافق ذلك تأويل أهل العلم من الصحابة والتابعين. قال: فتأويل الكلام إذن: يا رجل، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى[3].

قلت: وقد عرفت كلام الزمخشري: إنّ أثر الاصطناع في البيت المستشهد به ظاهر لا يخفى[4].

[م / ٢٥٢] وأخرج ابن بابويه بإسناده إلى الثوري عن الإمام جعفر بن محمّدعليه السلام قال: «طه، اسمٌ من أسماء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ومعناه: يا طالب الحقّ الهادي إليه»[5].

[م / ٢٥٣] وروى الثعلبي عنه عليه السلام قال: «طه، طهارة أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ قرأ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[6]».

وقيل: الطاء، شجرة طوبى. والهاء، هاوية. قال الثعلبي: والعرب تعبّر ببعض الشيء عن كلّه، فكأنّه أقسم بالجنّة والنار.

[م / ٢٥٤] وقال سعيد بن جبير: الطاء افتتاح اسمه: طاهر وطيّب. والهاء، افتتاح اسمه: هادي.

وقيل: الطاء، يا طامع الشفاعة للأمّة. والهاء، يا هادي الخلق إلى الملّة.

وقيل: الطاء، من الطهارة. والهاء، من الهداية. وكأنّه تعالى قال لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم: يا طاهراً من الذنوب، ويا هادياً إلى علّام الغيوب.

وقيل: الطاء، طبول الغزاة. والهاء، هيبتهم في قلوب الكفّار.

وقيل: الطاء، طرب أهل الجنّة في الجنّة. والهاء، هوان أهل النار في النار.

---

(١) في تفسير الثعلبي ٦: ٢٣٦: فخفت لعمرك أن يكون موائلاً.

(٢) في تفسير الثعلبي: إنّ السفاهة طه في خلائقكم لا قدّس الله أرواح الملاعين.

(٣) الطبري ١٦: ١٧١.

(٤) الكشاف ٣: ٥٠.

(٥) معاني الأخبار: ٢٢ / ١.

(٦) الأحزاب ٣٣: ٣٣.

وقيل: الطاء، تسعة ـ في حساب الجمل ـ والهاء، خمسة: أربعة عشر. ومعناها: يا أيّها البَدْر[1] (الطالع ليلة أربعة عشر).

[م/ ٢٥٥] وروى سعد بن عبدالله بإسناده إلى الكلبي عن الصادق عليه السلام: «أنّ لمحمدٍ عشرة أسماء في القرآن: محمّد. أحمد. رسول. عبدالله. طه. يس. ن. مدّثّر. مزّمّل. ذِكر»[2].

* * *

وفي مفتتح سورة الشعراء والقصص: ﴿طسٓمٓ﴾ وفي مفتتح سورة النمل: ﴿طسٓ﴾.

[م/ ٢٥٦] أخرج ابن أبي حاتم عن محمّد بن كعب القرظي في قوله ﴿طسٓمٓ﴾ قال: الطاء، من ذي الطول. والسين، من القدّوس. والميم، من الرحمان[3].

[م/ ٢٥٧] وأخرج ابن بابويه بإسناده إلى الثوري عن جعفر بن محمّد عليه السلام قال: سألته عن معنى قوله تعالى: ﴿طسٓ﴾ و ﴿طسٓمٓ﴾، فقال: «أمّا ﴿طسٓ﴾ فمعناه: أنا الطالب السميع. وأمّا ﴿طسٓمٓ﴾ فمعناه: أنا الطالب السميع المبدئ المعيد»[4].

[م/ ٢٥٨] وقال علي بن إبراهيم القمي: ﴿طسٓمٓ﴾ هو حرف من حروف اسم الله الأعظم المرموز في القرآن[5].

[م/ ٢٥٩] وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عبّاس في قوله ﴿طسٓ﴾ قال: هو اسم الله الأعظم[6].

[م/ ٢٦٠] وأخرج عن قتادة، قال ـ مرّةً ـ: هو اسم الله الأعظم وأخرى: هو اسم من اسماء القرآن[7] وكذا قال في ﴿طسٓمٓ﴾: إنّه اسم من أسماء القرآن[8].

* * *

وفي مفتتح سورة ﴿يسٓ﴾.

[م/ ٢٦١] أخرج ابن مردويه عن ابن عبّاس قال: ﴿يسٓ﴾، محمّد. وفي لفظ قال: يا محمّد[9].

[م/ ٢٦٢] وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر والبيهقي في الدلائل عن محمّد بن الحنفيّة، قال: يا

---

(١) الثعلبي ٦: ٢٣٦ ـ ٢٣٧.
(٢) مختصر بصائر الدرجات: ٦٧ ـ ٦٨، رواه مفصّلاً.
(٣) الدرّ ٦: ٢٨٨؛ ابن أبي حاتم ٨: ٢٧٤٧ / ١٥٥١٨.
(٤) معاني الأخبار: ٢٢ / ١.
(٥) القمّي ٢: ١١٨.
(٦) الدرّ ٦: ٣٤٠؛ ابن أبي حاتم ٩: ٢٨٣٨ / ١٦٠٨٧.
(٧) الدرّ ٦: ٣٤٠؛ عبدالرزاق ٢: ٤٧٢ / ٢١٤٤؛ ابن أبي حاتم ٩: ٢٨٣٨ / ١٦٠٩٠.
(٨) الدرّ ٦: ٢٨٨؛ عبدالرزاق ٢: ٤٨٦ / ٢١٨٧.
(٩) الدرّ ٧: ٤١.

محمّد(١).

[م / ٢٦٣] ومن طريق آخر عن ابن عبّاس قال: ﴿يس﴾، يا إنسان، بالحبشيّة. وهكذا عن الحسن وعكرمة والضحّاك: يا إنسان(٢).

[م / ٢٦٤] وعن الحسن، قال: يقسم الله بما يشاء، ثمّ نزع بهذه الآية ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ﴾(٣). كأنّه يرى أنّه سلّم على رسوله ﷺ(٤).

[م / ٢٦٥] وذكر الزمخشري عن ابن عبّاس قال: معناه، يا إنسان في لغة طيّ. قال: والله أعلم بصحّته! وإن صحّ فوجهه أن يكون أصله: يا أُنَيْسِين، فكثر النداء به على ألسنتهم حتّى اقتصروا على شطره. كما قالوا في القسم: م الله، في أيمن الله(٥).

[م / ٢٦٦] وروى ابن بابويه بإسناده إلى الثوري عن الصادق عليه السلام قال: «﴿يس﴾، اسم من أسماء النبيّ ﷺ ومعناه: يا أيّها السامع للوحي»(٦).

[م / ٢٦٧] وروى الطبرسيّ عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «إنّ لرسول الله ﷺ اثنا عشر اسماً، خمسة منها في القرآن: محمّد وأحمد وعبدالله ويس ون»(٧).

وقد تقدّم في سورة «طه» أنّ له ﷺ عشرة أسماء في القرآن(٨).

* * *

وفي مفتتح سورة (ص).

[م / ٢٦٨] أخرج عبد بن حميد عن أبي صالح قال: سُئل جابر بن عبدالله وابن عبّاس عن ﴿ص﴾؟ فقالا: ما ندري ما هو!(٩)

[م / ٢٦٩] وعن الحسن ـ في قوله ﴿ص﴾ ـ قال: حادِث القرآن! أي تحدّث معه لمقايسة أعمالك وعرضها عليه(١٠).

---

(١) الدرّ ٧: ٤١؛ الدلائل ١: ١٥٨.

(٢) الدرّ ٧: ٤١ ـ ٤٢؛ ابن أبي حاتم ١٠: ٣١٨٨ / ١٨٠٢٤؛ الطبري ١٢: ١٧٨ / ٢٢٢٢١.

(٣) الصافات ٣٧: ١٣٠. على قراءة شاذّة.

(٤) الدرّ ٧: ٤٣؛ ابن أبي حاتم ١٠: ٣١٨٨ / ١٨٠٢٦.

(٥) الكشاف ٤: ٣.

(٦) معاني الأخبار: ٢٢ / ١.

(٧) الاحتجاج ١: ٣٧٧.

(٨) مختصر بصائر الدرجات: ٦٧ ـ ٦٨.

(٩) الدرّ ٧: ١٤٣.

(١٠) الدرّ ٧: ١٤٣؛ الطبري ١٢: ١٤٠ / ٢٢٨٠٧.

[م / ٢٧٠] وأخرج ابن جرير عن الحسن ـ أيضاً ـ كان يقرأ «صادِ» بخفض الدال وكان يجعلها من المصاداة، يقول: عارض القرآن. قال عبدالوهاب: اعرضه على عملك، فانظر أين عملك من القرآن[1].

[م / ٢٧١] وأخرج ابن مردويه عن الضحّاك ـ في قوله ﴿صٓ﴾ ـ يقول: إنّي أنا الله الصادق[2].

[م / ٢٧٢] وأخرج ابن جرير عن الضحّاك ـ أيضاً ـ قال: صدق الله[3].

[م / ٢٧٣] وأخرج ابن مردويه عن ابن عبّاس، قال: ﴿صٓ﴾ محمّد[4].

[م / ٢٧٤] وأخرج ابن بابويه عن الثوري عن الصادق عليه السلام قال: « ﴿صٓ﴾ عين تنبع من تحت العرش، وهي التي توضّأ منها النبيّ لمّا عرج به»[5].

* * *

سُوَر الحواميم وحمٓ عسٓقٓ.

[م / ٢٧٥] روى ابن بابويه بإسناده إلى سفيان الثوري عن الصادق عليه السلام قال: «أمّا ﴿حمٓ﴾ فمعناه: الحميد المجيد. وأمّا «حمٓ عسٓقٓ» فمعناه: الحليم، المثيب، العالم، السميع، القادر القويّ»[6].

[م / ٢٧٦] وأخرج ابن مردويه عن أبي أمامة قال: ﴿حمٓ﴾ اسم من أسماء الله تعالى[7].

[م / ٢٧٧] وأخرج أبو يعلى وابن عساكر عن أبي معاوية: أنّ عمر بن الخطّاب صعد المنبر وقال: هل سمع أحدكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ ﴿حمٓ عسٓقٓ﴾. فقال ابن عبّاس: حم، اسم من أسماء الله. وعين: عاين المذكور عذاب يوم بدر. وسين: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[8]. وقاف؟ ـ فسكت ـ فقام أبوذر وأكمله بقوله: قاف: قارعة من السماء تصيب الناس[9].

* * *

وفي مفتتح سورة ﴿قٓ﴾.

---

(١) الدرّ ٧: ١٤٣؛ الطبري ١٢: ١٤٠ / بعد ٢٢٨٠٨.
(٢) الدرّ ٧: ١٤٣.
(٣) الدرّ ٧: ١٤٤؛ الطبري ١٢: ١٤١ / ٢٢٨١٢.
(٤) الدرّ ٧: ١٤٤.
(٥) معاني الأخبار: ٢٢ / ١.
(٦) المصدر.
(٧) الدرّ ٧: ٣٧٠.
(٨) الشعراء: ٢٢٧.
(٩) الدرّ ٧: ٣٣٦؛ ابن عساكر ٣٤: ١٥ ـ ١٦.

[م/ ٢٧٨] أخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عبّاس ـ في قوله ﴿ق﴾ ـ قال: هو اسم من أسماء الله تعالى [١].

[م/ ٢٧٩] وعن قتادة: اسم من أسماء القرآن [٢].

[م/ ٢٨٠] وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عبّاس ـ أيضاً ـ قال: خلق الله تعالى من وراء هذه الأرض بحراً محيطاً، ثمّ خلق من وراء ذلك جبلاً يقال له «ق»، السماء الدنيا مترفرفة عليه [٣].

[م/ ٢٨١] وأخرج ابن المنذر وابن مردويه وأبو الشيخ والحاكم، عن عبدالله بن بريدة، قال: جبل من زمرّد، محيط بالدنيا، عليه كتفا السماء [٤].

[م/ ٢٨٢] وأخرج ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ عن ابن عبّاس، قال: خلق الله جبلاً يقال له «ق» محيط بالعالم، وعروقه إلى الصخرة التي عليها الأرض [٥].

[م/ ٢٨٣] وعن مجاهد: جبل محيط بالأرض [٦].

[م/ ٢٨٤] وأخرج ابن بابويه بإسناده إلى الثوري عن الصادق عليه السلام قال: «وأمّا ﴿ق﴾ فهو الجبل المحيط بالأرض، وخضرة السماء منه، وبه يمسك الله الأرض أن تميد بأهلها» [٧].

[م/ ٢٨٥] وروى عليّ بن إبراهيم بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: «﴿ق﴾ جبل محيط بالدنيا من زمرّد أخضر، وخضرة السماء من ذلك الجبل» [٨].

[م/ ٢٨٦] وفي رواية أخرى: ﴿ق﴾ جبل محيط بالدنيا من وراء يأجوج ومأجوج، وهو قَسَم والروايات من هذا القبيل كثيرة [٩].

* * *

وفي مفتتح سورة القلم: ﴿نٓ﴾.

اختلفت الروايات عن ابن عبّاس وأصحابه.

[م/ ٢٨٧] ففي رواية: أنّه الحوت [١٠].

---

(١) الدرّ ٧: ٥٨٩؛ الطبري ١٣: ١٨٩ / ٢٤٦٢٥.
(٢) الدرّ ٧: ٥٨٩.
(٣) الدرّ ٧: ٥٨٩؛ ابن أبي حاتم ١٠: ٣٣٠٧ / ١٨٦٢٤.
(٤) الدرّ ٧: ٥٨٩؛ الحاكم ٢: ٤٦٤؛ العظمة ٤: ١٤٨٩ / ٩٨١ ـ ٤.
(٥) الدرّ ٧: ٥٨٩؛ العظمة ٤: ١٤٨٩ / ٩٨٠ ـ ٣.
(٦) الدرّ ٧: ٥٨٩؛ عبدالرزاق ٣: ٢٢٧ / ٢٩٤٥ ـ ٢٩٤٤.
(٧) معاني الأخبار: ٢٢ ـ ٢٣ / ١.
(٨) القمّي ٢: ٢٦٨.
(٩) المصدر: ٣٢٣.
(١٠) الدرّ ٨: ٢٤٢.

[م / ٢٨٨] وعنه عن رسول الله ﷺ: «النون، السمكة التي عليها قرار الأرضين»[(١)].

[م / ٢٨٩] وفي أخرى: أنّها الدواة[(٢)].

[م / ٢٩٠] وفي ثالثة: أنها اللوح المحفوظ، سطّر عليه ما هو كائن إلى يوم القيامة[(٣)].

[م / ٢٩١] وتقدم ـ أيضاً ـ: أنّ ﴿الٓر﴾ و﴿حمٓ﴾ و﴿نٓ﴾ حروف مقطّعة من الرحمان[(٤)].

[م / ٢٩٢] وقال بعضهم: أنّ ﴿نٓ﴾ اسم من أسماء سورة القلم[(٥)].

[م / ٢٩٣] وروى ابن بابويه بإسناده إلى الثوري عن الصادق عليه السلام قال: «وأمّا ﴿نٓ﴾ فهو نهر في الجنّة».

وفي نفس الحديث: نون، ملك يؤدّي إلى القلم، وهو ملك يؤدّي إلى اللوح، وهو ملك يؤدّي إلى إسرافيل، وهو إلى ميكائيل، وهو إلى جبرائيل، وهو إلى الأنبياء والرُّسُل[(٦)].

[م / ٢٩٤] وفي حديث آخر: «وأمّا نون فكان نهراً في الجنّة أشدّ بياضاً من الثلج. فقال له الله: كن مداداً». وروايات أخرى من هذا القبيل[(٧)].

* * *

تلك جلّ محاولات أهل الحديث جاؤوا بروايات أكثرها خِداش لا تلوي على محور ثابت معقول، ولاتعدو حدسيّات فارغة جوفاء لا تحتضن عائدة ولا تفيد فائدة فضلاً عن الاضطراب وتضارب الآراء، كلٌّ يضرب على وتره ضرباً على هواه وبلا هوادة.

والأرجح في النظر، أنّها موضوعة عن لسان الأئمة وكبار الصحابة والتابعين الأجلّاء. وفي أسانيدها الغمز واللمز، الشيء الوفير. وأكثر الأقوال فاقدة حجّة الاستناد ولعلّ في سردها ـ كما عرضنا ـ كفاية للحكم بوهنها، لمن تدبّر وتعمّق.

---

(١) المصدر.

(٢) الطبري ١٤: ١٩ / ٢٦٧٦٨.

(٣) الدرّ ٨: ٢٤١.

(٤) الطبري ١٤: ١٩ / ٢٦٧٦٧.

(٥) المصدر: ٢١.

(٦) معاني الأخبار: ٢٣ / ١.

(٧) علل الشرايع ٢: ٤٠٢ / ٢.

فضل قراءة هذه الأحرف

[م/ ٢٩٥] أخرج البخاري في تاريخه، والترمذيّ وصحّحه، وابن الضريس ومحمّد بن نصر، وابن الأنباري في المصاحف، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه، وأبو ذرّ الهروي في فضائله، والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها. لا أقول: ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف».

وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، والدارمي، وابن الضريس، والطبراني ومحمّد بن نصر عن ابن مسعود موقوفاً. مثله[1].

[م/ ٢٩٦] وأخرج محمّد بن نصر، وأبو جعفر النحّاس في كتاب الوقف والابتداء، والخطيب في تاريخه، وأبو نصر السجزي في الإبانة عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «اقرأوا القرآن، فإنّكم تؤجرون عليه، وكلّ حرف عشر حسنات. أما إنّي لا أقول: ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن ألف عشر، ولام عشر، وميم عشر، فتلك ثلاثون»[2].

[م/ ٢٩٧] وأخرج ابن أبي شيبة والبزّار والمرهبي في فضل العلم، وأبو ذر الهرويّ وأبو نصر السجزي عن عوف بن مالك الأشجعي قال: قال رسول الله ﷺ «من قرأ القرآن كتب الله له بكلّ حرف حسنة. لا أقول ﴿الٓمٓ. ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ حرف، ولكن الألف، والذال، والألف، والكاف»[3].

---

(١) الدرّ ١: ٥٥؛ التاريخ ١: ٢١٦، بلفظ: عن النبيّ ﷺ: من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة؛ الترمذي ٤: ٢٤٨ / ٣٠٧٥؛ الحاكم ١: ٥٥٥، كتاب فضائل القرآن، بلفظ: «عن عبدالله عن النبيّ ﷺ قال: إنّ هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا من مأدبته ما استطعتم، إنّ هذا القرآن حبل الله والنور المبين والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لا يزيغ فيستعتب، ولا يعوجّ فيقوّم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الردّ. أتلوه فإنّ الله يأجركم على تلاوته، كلّ حرف عشر حسنات. أما أنّي لا أقول: الٓم حرف، ولكن الف ولام وميم»؛ الشعب ٢: ٣٤٢ / ١٩٨٣؛ المصنّف ٧: ١٥٢ / ١؛ سنن سعيد بن منصور ١: ١٧ / ٤؛ الدارمي ٢: ٤٢٩، بلفظ: «عن عبدالله قال: تعلموا هذا القرآن فإنّكم تؤجرون بتلاوته بكل حرف عشر حسنات أما أنّي لا أقول بالٓم، ولكن بالف ولام وميم، بكل حرف عشر حسنات»؛ الكبير ٩: ١٣٠ / ٨٦٤٧، بلفظ: «عن ابن مسعود قال: من قرأ القرآن فله بكلّ حرف آية عشر حسنات، ولاأقول الٓم عشر ولكن الف ولام وميم ثلاثون حسنة».

(٢) الدرّ ١: ٥٥؛ الخطيب ١: ٣٠١؛ كنزالعمّال ١: ٥١٨ / ٢٣٢١.

(٣) الدرّ ١: ٥٦؛ المصنف ٧: ١٥٢ / ٢، بلفظ: عن عوف بن مالك الأشجعي قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ حرفا من كتاب الله كتب الله له حسنة، لا أقول ﴿الٓمٓ. ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ ولكن الحروف مقطعة عن الألف واللام والميم؛ مسند البزار ٧: ١٩٢ / ٢٧٦١،

←

[م/٢٩٨] وأخرج محمّد بن نصر والبيهقي في شعب الإيمان، والسجزي عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «من قرأ حرفاً من القرآن كتب الله له به حسنة. لا أقول ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، ولكن باء، وسين، وميم، ولا أقول: ﴿الٓمٓ﴾ ولكن الألف، واللام، والميم»[١].

[م/٢٩٩] وأخرج محمّد بن نصر السلفي في كتاب الوجيز في ذكر المجاز والمجيز، عن أنس ابن مالك عن النبيّ ﷺ قال «من قرأ حرفاً من القرآن كتب الله له عشر حسنات. بالباء، والتاء، والثاء»[٢].

[م/٣٠٠] وأخرج ابن أبي داوود في المصاحف، وأبو نصر السجزي، عن ابن عمر قال: إذا فرغ الرجل من حاجته، ثمّ رجع إلى أهله ليأت المصحف، فليفتحه فليقرأ فيه، فإنّ الله سيكتب له بكلّ حرف عشر حسنات. أما إنّي لا أقول: ﴿الٓمٓ﴾، ولكن الألِف عشر، واللام عشر، والميم عشر[٣].

[م/٣٠١] وأخرج أبو جعفر النحّاس في الوقف والابتداء، وأبو نصر السجزي، عن قيس بن سكن قال: قال ابن مسعود: تعلّموا القرآن، فإنّه يكتب بكل حرف منه عشر حسنات، ويكفّر به عشر سيئات. أما إنّي لا أقول: ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن أقول ألِف عشر، ولام عشر، وميم عشر[٤].

← بلفظ: قال: قال رسول الله: من قرأ حرفاً من القرآن كتب الله له أحسبه قال عشر حسنات ولا أقول ﴿الٓمٓ. ذٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ لكن بالألف واللام والميم.

(١) الدرّ ١: ٥٦؛ الشعب ٢: ٣٤١ـ٣٤٢ / ١٩٨٣؛ كنزالعمّال ١: ٥٣٤ / ٢٣٩٤.

(٢) الدرّ ١: ٥٦.

(٣) الدرّ ١: ٥٦؛ كنزالعمّال ٢: ٢٩٢ / ٤٠٣٥ بتفاوت.

(٤) الدرّ ١: ٥٦؛ المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ١٥٢ / ١.

نقد الآثار على منصة التمحيص

وإذ كانت الأحاديث المأثورة عن السلف، لها دورها الأوفى في التفسير وفي فهم معاني القرآن الكريم، فهل بقيت سليمة طيلة الأعصار ولم يعكر صفو زلالها شوائب الأكدار؟

الأمر الذي استرعى انتباه علماء الأمّة منذ العهد الأول ليقوموا بفرض الحدود الفاصلة بين الصحيح والزائف من الأخبار. وأهمّ تلك الحدود المائزة هو ما نبّه عليه نبيّ الإسلام ﷺ بالعرض على كتاب الله ومحكمات آياته، فما وافق كتاب الله فهو حقّ وما خالفه فهو باطل. والكتاب هنا كناية عن محكمات الدين وضرورات العقول فيشمل السنّة القويمة وبرهان العقل اللائح. فما رافقها فهو سليم وما حاد عنها فهو سقيم.

ومن ثَمَّ فطريقة التمحيص هي ملاحظة المحتوى في اعتلاء فحواه وقوّة مؤدّاه، قبل ملاحظة الأسناد، وإن كان للأسناد أيضاً دورها في الاعتبار، ولكن في الدرجة الثانية، على خلاف مذاهب بعض المتأخّرين في اهتمامهم بالأسانيد محضاً وترك رعاية المحتوى قوّة واعتلاءً.

إذن فالعمدة هي العناية بالمتون قبل رعاية الأسناد:

[م/٣٠٢] فقد تواتر عن النبيّ ﷺ: «ما جاءكم عنّي يوافق كتاب الله فأنا قُلته، وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله»[1].

---

(١) رواه ثقة الإسلام الكليني بإسناد صحيح إلى الإمام الصادق عليه السلام فيما رواه من خطبة النبيّ ﷺ بمنى (الكافي ١: ٦٩/ ٥ باب الأخذ بالسنّة وشواهد الكتاب).

[م/٣٠٣] قال الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام: إنّه قد كُذب على رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده، حتّى قام خطيباً فقال: «أيّها الناس قد كَثُرت عليَّ الكذّابة[1]، فمن كذب عليَّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار». قال عليه السلام: ثُمّ كُذب عليه من بعده. وجَعَلَ يفصّل القول عن أنواع الكذبة عليه واختلاف الدواعي لها. ثُمّ بيّن العلاج وطريقة التمييز بين السليم والسقيم بالعرض على الكتاب والسنّة ومحكمات الدين[2]. وكذا العرض على ضرورات العقول كما في الحديث[3].

[م/٣٠٤] وفي حديث آخر عنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ على كلّ حقٍّ حقيقةً، وعلى كلّ صوابٍ نوراً. فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه»[4].

[م/٣٠٥] وفي صحيحة ابن أبي يعفور: أنّه حضر مجلس أبي عبدالله الصادق عليه السلام وسأله عن اختلاف الحديث، يرويه من يوثق به ومنهم من لا يوثق به؟ قال عليه السلام: «إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله صلى الله عليه وآله، وإلّا فالذي جاءكم به أولى به»[5].

[م/٣٠٦] وفي صحيح أيّوب بن الحرّ قال: سمعت أبا عبدالله الصادق عليه السلام يقول: «كلّ شيء مردود إلى الكتاب والسنّة. وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف»[6].

[م/٣٠٧] وروى الشيخ الجليل أبوالفتوح الرازي في تفسيره القيّم ـ مرسلاً ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إذا أتاكم عنّي حديث فاعرضوه على كتاب الله وحجّة عقولكم، فإن وافقهما فاقبلوه وإلّا فاضربوا به عرض الجدار»[7]. رواه مرسلاً لكنه إرسال قاطع.

والأحاديث بهذا الشأن كثيرة، وقد اتّفقت على جعل المقياس في تمييز السليم عن السقيم هو العرض على كتاب الله ووجود شاهد عليه من القرآن أو السنّة المتواترة أو ضرورة العقل الرشيد.

[م/٣٠٨] إذ «ما من شيء إلّا وفيه كتاب أو سنّة» كما قال الإمام الصادق عليه السلام[8].

[م/٣٠٩] وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «إذا حدّثتكم بشيء فاسألوني من كتاب الله»[9].

---

(١) أي الجماعة الكذّابة.
(٢) المصدر: ٦٢ / ١، باب اختلاف الحديث وعلاجه.
(٣) يأتي الحديث برواية أبي الفتوح الرازي في تفسيره ٣: ٣٩٢ ذيل الآية (٤٠) من سورة النساء.
(٤) الكافي ١: ٦٩ / ١.
(٥) الكافي ١: ٦٩ / ٢، باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب وسوف نذكر أنّ هذا الحديث من جلائل الأحاديث التي نوّهت باعتلاء شأن المحتوى وأنّ الاعتبار به قبل الأسناد، حتّى ولو فرضت موثوقاً بها.
(٦) المصدر / ٣.
(٧) أبو الفتوح ٥: ٣٦٨.
(٨) الكافي ١: ٥٩ / ٤.
(٩) المصدر: ٦٠ / ٥.

[م / ٣١٠] وفي حديث المعلّى بن خنيس قال: قال أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «ما من أمر يختلف فيه اثنان إلّا وله أصل في كتاب الله عزّ وجلّ. وأضاف: ولكن لا تبلغه عقول الرجال»[١] أي الرجال الأباعد!

[م / ٣١١] وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم»[٢].

أي تدبّروا فيه وأمعنوا النظر في معانيه، ففيه شفاء لكل داء، أمّا هو فلا يبادئكم بما فيه لولا مراجعتكم له و إلحاح الطلب منه. ومن ثمّ قال الإمام عليه السلام: «فلو سألتموني عنه لعلّمتكم»[٣].

[م / ٣١٢] وروى الكشّي بإسناده إلى محمّد بن عيسى بن عبيد عن يونس بن عبدالرحمان، أنّ بعض أصحابنا سأله وأنا حاضر فقال له: يا أبا محمّد! ما أشدّك في الحديث، وأكثر إنكارك لما يرويه أصحابنا، فما الذي يحملك على ردّ الأحاديث؟

فقال يونس: حدّثني هشام بن الحكم أنّه سمع أبا عبدالله عليه السلام يقول: «لا تقبلوا علينا حديثاً إلّا ما وافق القرآن والسنّة، أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدّمة، فإنّ المغيرة بن سعيد دسّ في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدّث بها أبي. فاتّقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربّنا تعالى وسنّة نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فإنّا إذا حدّثنا قلنا: قال الله عزّ وجلّ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

قال يونس: وافيت العراق فوجدت بها قطعة من أصحاب أبي جعفر عليه السلام ووجدت أصحاب أبي عبدالله عليه السلام متوافرين، فسمعت منهم وأخذت كتبهم، فعرضتها من بعدُ على أبي الحسن الرضا عليه السلام فأنكر منها أحاديث كثيرة أن تكون من أحاديث أبي عبدالله عليه السلام وقال لي: «إنّ أبا الخطّاب كذب على أبي عبدالله عليه السلام، وكذلك أصحاب أبي الخطاب يدسّون هذه الأحاديث إلى يومنا هذا في كتب أصحاب أبي عبدالله عليه السلام.

قال عليه السلام: فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن، فإنّا إن تحدّثنا حدّثنا بموافقة القرآن وموافقة السنّة، إنّا عن الله وعن رسوله نحدّث، ولا نقول قال فلان وفلان، فيتناقض كلامنا. إنّ كلام آخرنا مثل كلام أوّلنا، وكلام أوّلنا مصادق لكلام آخرنا. فإذا أتاكم من يحدّثكم بخلاف ذلك فردّوه عليه وقولوا: أنت أعلم وما جئت به، فإنّ مع كلّ قولٍ منّا حقيقةً وعليه نوراً، فما لا حقيقة معه ولا نور عليه فذلك من قول الشيطان»[٤].

---

(١) المصدر / ٦.
(٢) المصدر: ٦١ / ٧.
(٣) المصدر.
(٤) رجال الكشّي ٢: ٤٨٩ ـ ٤٩٠ / ٤٠١.

[م / ٣١٣] وفي حديث سماعة عن الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: قلت له: أكلّ شيء في كتاب الله وسنّة نبيّه، أَوَ تقولون فيه؟ قال: «بل كلّ شيء في كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم»[١].

[م / ٣١٤] وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام في حديث قال: «إذا جاءكم عنّا حديث، فوجدتم عليه شاهداً أو شاهدين من كتاب الله فخذوا به وإلّا فقفوا عنده، ثمّ ردّوه إلينا حتّى يستبين لكم»[٢].

وعليه فالمعيار الأوّل لتمييز القويّ عن الضعيف هو العرض على محكمات الدين، نظير عرض المتشابهات من القرآن على محكمات الآيات، الأمر الذي يتطلّب حَنَكَةً وإحاطةً شاملة، بعد الاستعانة بالله العليّ القدير.

أمّا البحث عن الأسناد فهو بحث جانبي وعقيم في غالب الأحيان، بعد وفور المراسيل وإهمال الكثير من تراجم الرجال. فضلاً عن إمكان الدسّ في الأسناد. نظير الاختلاق في المتون، فبقي طريق العرض على المحكمات هو الأوفق الأوفى على كلّ حال.

[م / ٣١٥] قال الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام: «إنّ في أخبارنا متشابهاً كمتشابه القرآن، ومحكماً كمحكم القرآن، فردّوا متشابهها إلى محكمها، ولا تتّبعوا متشابهها دون محكمها فتضلّوا»[٣].

وقد مرّ عليك حديث ابن أبي يعفور عن الإمام الصادق عليه السلام: جعل الاعتبار بتواجد شاهد من كتاب الله أو من سنة رسول الله، يشهد بصدق الرواية، سواء أكان الراوي ثقة أو غير ثقة. فلا اعتبار بالسند وحده ما لم يدعمه اعتلاء المحتوى[٤].

[م / ٣١٦] وهكذا روى العيّاشي بإسناده عن محمّد بن مسلم عن الصادق عليه السلام قال: «يا محمّد! ما جاءك في رواية ــ من برٍّ أو فاجر ــ يوافق القرآن فخذ به، وما جاءك في رواية ــ من برٍّ أو فاجر ــ يخالف القرآن فلا تأخذ به»[٥].

كيف العرض على كتاب الله

سؤال أثارته الدراسات الأصوليّة ولا سيّما في باب التعادل والترجيح، حيث الموافق مع كتاب الله متقدّم على المخالف. ذلك أنّ نصوص الكتاب محدودة النطاق وليست بذلك المتّسع

---

(١) الكافي ١: ٦٢ / ١٠.

(٢) المصدر ٢: ٢٢٢ / ٤.

(٣) عيون أخبار الرضا ١: ٢٦١ / ٣٩، باب ٢٨.

(٤) راجع: الكافي ١: ٦٩ / ٢، باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب.

(٥) العيّاشي ١: ٢٠ / ٣؛ مستدرك الوسائل ١٧: ٣٠٤ / ٥.

الشامل لجلّ مسائل الخلاف فضلاً عن كلّها، فكيف العرض؟!

وقد اضطربت كلماتهم هنا، حيث فرضوا المخالفة مع الكتاب إمّا بالتباين أو بالعموم من وجه أو بالعموم المطلق. أمّا الأخير فلا مخالفة ذاتيّاً بعد إمكان الجمع عرفيّاً بالحمل على التخصيص، مثاله: قوله تعالى ـ بشأن المطلّقات ـ: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾(١)، المخصّص بما ثبت في الشريعة من اختصاص ذلك بالرجعيّات(٢).

وهكذا المخالفة بالعموم من وجه، كما في قوله تعالى: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾(٣)، مع حديث «لا ضرر ولا ضرار»(٤) فيما إذا حاول الطبيب معالجة مريض، لكن فرط منه ما أوجب تلفه أو نقصه، من غير أن يكون عامداً، فإنّ الآية تنفي ضمان خسارته، لكونه محسناً وبصدد معالجته. أمّا حديث «لا ضرر» فيقضي بضمانه، وإن لم يرتكب إثماً.

وفي ذلك ينبغي اللجوء إلى ترجيح أحد الظاهرين على الآخر، إمّا ترجيحاً بمقتضى قوّة الدلالة أو بمرجّحات أُخَر، وهنا كان الترجيح مع الحديث، لما ورد مستفيضاً من ضمان الطبيب ولو كان حاذقاً(٥).

أمّا المخالفة بالتباين فلا مورد له، بعد شعور الوضّاعين بعدم رواج أكاذيبهم ما لو كانت المخالفة صريحاً مع ظاهر الكتاب.

فأين موضع عرض الأحاديث على كتاب الله، ليعرف السقيم منها عن السليم، بالخلاف أو الوفاق؟!

قلت: ليس الأمر كما ظُنّ، إذ لا يُعقل أن يكذب أحد على رسول الله ﷺ أو أحد الصادقين عليهم السلام كذباً صريحاً، بحيث يتخالف مع القرآن أو السنّة القويمة، بشكل واضح ومباين علناً، إذ حيث ذاك تبدو سوأته على ملاءٍ من الناس و يفضح من أساس.

لكنّه ـ عن خبث ـ يحاول تلبيس الأمر بحيث يمكن تعبيره على العامّة. أمّا الخاصّة فلا تشتبه عليهم التلبيسات ولا يمكن التعبير عليهم، ماداموا أذكياء نبهاء، يعرفون مراسي الشريعة ومبانيها القويمة، ويقفون سدّاً منيعاً دون رسوب الأباطيل في الدين.

---

(١) البقرة ٢: ٢٢٨.
(٢) راجع: الجواهر ٣٢: ١٧٩ فما بعد.
(٣) التوبة ٩: ٩١.
(٤) مسند أحمد ٥: ٣٢٧.
(٥) راجع: الوسائل ٢٩: ٢٦٠، باب ٢٤ (ضمان الطبيب إذا لم يأخذ البراءة).

[م/٣١٧] قال رسول الله ﷺ: «يحمل هذا الدين في كلّ قرنٍ عدول ينفون عنه تأويل المبطلين وتحريف الغالين وانتحال الجاهلين»(١).

[م/٣١٨] وفي لفظ آخر: «يحمل هذا العَلَم من كلّ خَلَف عدول ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»(٢).

نعم، إنّهم بفضل وقوفهم على محكمات الدين وعرفانهم لأصول الشريعة ومبانيها الوثيقة، يمكنهم رفض الواردات المنافية مع معطيات الكتاب والسنّة، رفضاً عن علم وحكمة وعلى أساس متين. ﴿أُوْلَـٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾(٣).

إذن فالمراد من المخالفة هنا هي المباينة مع صميم الدين وروح الشريعة الغرّاء، مباينةً مع أهدافها وأغراضها الهادفة إلى إسعاد الأمّة في دنياهم وآخرتهم. فما عاكس هذا الاتجاه، فهو زخرف مرفوض، وما رافقه فهو حقّ مقبول.

نعم هناك محكمات ومتشابهات، فمن عرف المحكمات لم تلتبس عليه المتشابهات.

ومن لمس الحقيقة في صميمها، سهل عليه رفض الأباطيل.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾(٤).

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾(٥).

[م/٣١٩] وبهذا المعنى ورد حديث المعلّى عن الإمام الصادق عليه السلام: «ما من أمرٍ يختلف فيه اثنان إلّا وله أصل في كتاب الله عزّ وجلّ ولكن لا تبلغه عقول الرجال»(٦).

أي ما من أمر يمسّ شؤون الأمّة إلّا ويمكن نَقْده (تمييز جيّده عن رديئه) في ضوء محكمات القرآن، الأمر الذي يخصّ الراسخين في العلم النابهين الأذكياء، ومن ثَمّ قال: ولكن لا تبلغه عقول الرجال، أي سائر الناس من الغوغاء العوامّ.

[م/٣٢٠] وفي حديث ابن أبي يعفور عن الصادق عليه السلام قال: «إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له

---

(١) رواه الكشّي بالإسناد إلى الإمام الصادق عن آبائه عن رسول الله ﷺ (رجال الكشّي ١: ١٠ / ٥)؛ البحار ٢: ٩٣ / ٢٢.

(٢) تفسير الإمام: ٤٧؛ البحار ٢٧: ٢٢٢ / ١١.

(٣) الأنعام ٦: ٩٠.

(٤) الأنبياء ٢١: ١٨.

(٥) الرعد ١٣: ١٧.

(٦) الكافي ١: ٦٠ / ٦.

شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله ﷺ وإلّا فالذي جاءكم به أولى به»[١].

أي وجدتم له شاهداً يشهد بصدقه، الأمر الذي يتنبّه له العارفون بمواضع كتاب الله وسنة نبيّه عرفاناً شاملاً وفي إحاطة بالغة.

[م/٣٢١] جاء في حديث هشام عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا تقبلوا علينا حديثاً إلّا ما وافق القرآن والسنّة أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدّمة. قال: فاتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربّنا تعالى وسنّة نبيّنا ﷺ. فإنّا إذا حدّثنا، قلنا: قال الله عزّ وجلّ، وقال رسول الله ﷺ»[٢].

فجعل عليه السلام المعيار لمعرفة السليم عن السقيم هو العرض على المعلوم من كتاب الله وسنة نبيّه.

وفيما رواه الشيخ أبو الفتوح الرازي المفسّر، ما هو أجلى وأبين. قال:

[م/٣٢٢] قال رسول الله ﷺ: «إذا أتاكم عنّي حديث فاعرضوه على كتاب الله وحجّة عقولكم»[٣].

فقد جعل ﷺ حجّة العقول إلى جنب كتاب الله، معياراً للتمييز. والمراد: بداهة العقل الرشيد وضرورة الحكمة القويمة. ومن ثَمَّ:

[م/٣٢٣] كان عبدالله بن عبّاس رضي الله عنه إذا حدّث قال: إذا سمعتموني أحدّث عن رسول الله ﷺ فلم تجدوه في كتاب الله أو حسناً عند الناس، فاعلموا أنّي قد كذبت عليه[٤].

فالشائع الذائع والمعلوم المعروف عن رسول الله، هو المعيار لنبذ الشاذّ الزائف الذي لا يعضده المعقول المستحسن السائغ.

وعليه فليس المراد: الموافقة أو المخالفة الحرفية مع الكتاب، وإنما هي مخالفة جوهريّة، بحيث يتنافى وروح الإسلام النابضة في جميع تشريعاته وأحكامه وسننه، الأمر الذي يمكن للفقيه الألمعي الاستشراف عليه بما أوتي من العلم بمواضع الدين وأسرار الشريعة.

فلو جاءت هناك رواية ـ مهما كانت أسانيدها ـ ولم تكن منسجمةً مع طبيعة تشريعات الدين كتاباً وسنةً، ولم تلتئم مع مزاج الشريعة الأصيل، فلا محالة كانت باطلة يجب نبذها وضربها عرض الجدار. مثلاً:

[م/٣٢٤] ما ورد بشأن الأكراد وأنّهم حيّ من أحياء الجنّ، كشف عنهم الغطاء، فلا تخالطوهم

---

(١) المصدر: ٢/٦٩.
(٢) رجال الكشّي ٢: ٤٨٩/٤٠١.
(٣) أبو الفتوح ٥: ٣٦٨، ذيل الآية (٤٠) من سورة النساء.
(٤) الدارمي ١: ١٤٦، باب تأويل حديث رسول الله.

ولا تعاملوهم[١]. متنافٍ مع صراحة الكتاب بأنّ البشريّة جمعاء خلقوا من نسل واحد وانحدروا من سلالة واحدة، لا ميز بينهم في جنس ولا نسب ولا في جوهر الذاتيّات.

قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ واحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾[٢].

فالخطاب عام ويشمل جميع الشعوب والقبائل وأصناف الناس عربهم وعجمهم على سواء.

[م/٣٢٥] قال رسول الله ﷺ: «الناس من آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المُشْط، لا فضل للعربيّ على العجميّ، ولا للأحمر على الأسود إلّا بالتقوى»[٣].

إذن فحديث الأكراد الآنف، متبائن مع صريح الكتاب والسنّة المأثورة. وبذلك اتّضح:

[م/٣٢٦] قوله ﷺ: «إنّ على كلّ حقٍّ حقيقةً وعلى كلّ صوابٍ نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه»[٤].

يعني: من عرف الكتاب عرف وجه الصواب في جميع الأمور، وأمكنه تمييز الحق عن الباطل في يسر وسهولة، بما آتاه الله من بصيرة ونور.

[م/٣٢٧] قال الصادق عليه السلام: «ما آتاكم عنّا من حديث لا يصدّقه كتاب الله فهو زخرف»[٥].

[م/٣٢٨] وقال: «لا تصدّق علينا إلّا ما وافق كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ»[٦].

وأصرح من الجميع:

[م/٣٢٩] ما رواه الحسن بن الجهم ـ الرجل الثقة الثبت ـ عن العبد الصالح الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام قال: «إذا جاءك الحديثان المختلفان، فقسهما على كتاب الله وأحاديثنا، فإن أشبههما فهو حقّ، وإن لم يُشبههما فهو باطل»[٧].

---

(١) رواه عليّ بن الحكم عمّن حدّثه عن أبي الربيع الشامي عن أبي عبدالله عليه السلام. الوسائل ١٧: ٤١٦ باب ٢٣ (من أبواب آداب التجارة). والرواية كما ترى مجهولة الاسناد (من الذي حدّث ابن الحكم؟) بل وإنّ خليد بن أوفى المعروف بأبي الربيع الشامي، لم يرد في شأنه توثيق ولا مدحه أحد من أصحاب الرجال.

(٢) النساء ٤: ١.

(٣) قاله بشأن من لمز بشأن سلمان الفارسيّ. راجع: البحار ٢٢: ٣٤٨/ ٦٤.

(٤) جامع أحاديث الشيعة ١: ٣١١ ـ ٣١٢/ ٤٥٤ ـ ٨. (عن الكافي ١: ٦٩/ ١؛ أمالي الصدوق: ٤٤٩/ ٦٠٨ ـ ١٨).

(٥) جامع أحاديث الشيعة ١: ٣١٣/ ٤٥٧ ـ ١١؛ العيّاشي ١: ٢٠/ ٤.

(٦) جامع أحاديث الشيعة ١: ٣١٤/ ٤٦٣ ـ ١٧؛ العيّاشي ١: ٢٠/ ٦.

(٧) جامع أحاديث الشيعة ١: ٣١٤/ ٤٦٤ ـ ١٨.

ويعني بالمشابهة: المسانخة والتلاؤم والوفاق، الأمر الذي لا يخصّ الوفاق الحرفي، وإنّما هي الموافقة في صميم الكلام وفحواه العام، كما عرفت.

فالمراد بالموافقة هي الموافقة الذاتيّة بين مضمون الحديث والأصول الإسلاميّة المستفادة من الكتاب والسنّة. ومن ثَمَّ كانت روايات الجبر والتفويض مرفوضة عندنا، لمكان مخالفتها مع قاعدة «الأمر بين الأمرين» المستفادة من صميم الكتاب والسنّة.

الأمر الذي يعبَّر عنه في علم «معرفة الحديث» بالنقد الداخلي للخبر، أي مقارنة مضمونه مع الأصول العامّة والمباني الأولى للشريعة، انسجاماً مع روحها النابضة في جميع أشلائها.

وهذه هي الطريقة الحكيمة التي سلكها عميد الطائفة الشيخ أبو عبدالله المفيد ـ ﷺ ـ في معالجة روايات الجبر والتفويض. قال: وكتاب الله تعالى مقدّم على الأخبار والروايات، وإليه يتقاضى في صحيح الأخبار وسقيمها، فما قضى به فهو الحقّ دون ما سواه[1].

قال ذلك ردّاً على أبي جعفر الصدوق فيما زعم أنّ أفعال العباد مخلوقة لله. وفسّر الخلق بالتقدير، استناداً إلى روايةٍ لم يتحقّقها. وكانت مخالفة للكتاب بشأن استطاعة العباد.

جاء في رسالة الاعتقادات: «اعتقادنا في أفعال العباد أنّها مخلوقة، خلق تقدير لا خلق تكوين. ومعنى ذلك أنّه لم يزل الله عالماً بمقاديرها»[2].

قال أبو عبدالله المفيد: الصحيح عن آل محمّد ـ صلوات الله عليهم ـ أنّ أفعال العباد غير مخلوقة لله تعالى. والذي ذكره أبو جعفر ﷺ قد جاء به حديث غير معمول به ولا مرضيّ الإسناد[3]، والأخبار الصحيحة بخلافه. وذكر من تلك الأخبار:

[م / ٣٣٠] ما روى عن أبي الحسن الثالث عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى الرضا عليهم السلام أنّه «سئل

---

(١) رسالة تصحيح الاعتقاد: ٤٤ (مصنّفات المفيد ٥). (٢) رسالة الاعتقادات: ٢٩ / ٤ (مصنّفات المفيد ٥)؛ البحار ٥: ١٩.

(٣) والحديث هو ما رواه الصدوق (سنة ٣٥٢) عن شيخه عبدالواحد بن محمّد بن عبدوس العطّار النيسابوري ـ مجهول ـ عن عليّ ابن محمّد بن قُتيبة النيسابوري ـ لم يوثّق ـ عن الفضل بن شاذان، فيما سأل المأمونُ الإمام الرضا عليه السلام أن يكتب له محض الإسلام على سبيل الإيجاز. فجاء فيما كتب: «وأنّ أفعال العباد مخلوقة لله تعالى، خلق تقدير لا خلق تكوين، والله خالق كلّ شيء. ولا نقول بالجبر والتفويض». (عيون أخبار الرضا ٢: ١٣٢ / ١، باب ٣٥).

وروى أيضاً بنفس الإسناد: عن ابن عبدوس عن ابن قتيبة عن حمدان بن سليمان النيسابوري عن عبدالسلام بن صالح أبي الصلت الهروي قال: سمعت أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام يقول: أفعال العباد مخلوقة. فقلت له: يا ابن رسول الله، وما معنى «مخلوقة»؟ قال: مقدّرة. (معاني الأخبار: ٣٩٥ ـ ٣٩٦ / ٥٢، باب نوادر المعاني).

عن أفعال العباد ، أهي مخلوقة لله تعالى؟ فقال : لو كان خالقاً لها لما تبرّأ منها . وقد قال سبحانه :﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾[(١)] ولم يُرد البراءة من خلق ذواتهم، وإنّما تبرّأ من شركهم وقبائحهم».

[م / ٣٣١] وفي حديث أبي حنيفة مع الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام حيث «سأله عن أفعال العباد ، ممّن هي؟ فأجابه الإمام ــ في وجه عقلي حاصر ــ : إنّها من العباد ، بدليل اختصاصهم بالمثوبة والعقاب»[(٢)].

والإنكار على الصدوق إنّما هو من جهة ابتناء عقيدته على خبر ضعيف الإسناد فضلاً عن مخالفته للكتاب فيما بيّنه الإمام الهادي عليه السلام : أنّ الشرك والقبائح لو كان فعله تعالى لما تبرّأ منه في صريح القرآن . مضافاً إلى مخالفته لبرهان العقل في توجيه الملامة إلى فاعل القبيح محضاً دون غيره على الإطلاق .

وأيضاً فإنّ المفيد إنّما أنكر على الصدوق ضعف مقدرته على تمحيص الأخبار وتمييز السليم عن السقيم ، ومن ثَمَّ جاءته بليّة الاسترسال إلى أحاديث ضعاف .

قال ــ في مسألة الإرادة والمشيئة ــ : الذي ذكره الشيخ أبو جعفر رحمه الله في هذا الباب لا يتحصّل ، ومعانيه تختلف وتتناقض . والسّبب في ذلك أنّه عمل على ظواهر الأحاديث المختلفة ولم يكن ممّن يرى النّظر فيميّز بين الحقّ منها والباطل ، ويعمل على ما يوجب الحجّة . ومن عوّل في مذهبه على الأقاويل المختلفة وتقليد الرّواة كانت حاله في الضعف ما وصفناه[(٣)].

هذا في حين أنّ السيّد أبا المعالي المرتضى استثنى أبا جعفر الصدوق من جماعة القمّيين المسترسلين في نقل الحديث من غير هوادة . قال : والقمّيّون كلّهم من غير استثناءٍ لأحدٍ منهم إلّا أبا جعفر ابن بابويه رحمه الله ، بالأمس كانوا مشبّهة مجبّرة وكتبهم وتصانيفهم تشهد بذلك وتنطق به . قال : فليت شعري أيّ رواية تخلص وتسلم من أن يكون في أصلها وفرعها واقفٌ أو غالٍ ، أو قمّي مشبّه مجبّر ، والاختبار بيننا وبينهم التفتيش . ثُمّ لو سلم خبر أحدهم من هذه الأمور ، ولم يكن راويَهُ إلّا مقلّد بحت معتقد لمذهبه بغير حجّة ودليل . ومن كانت هذه صفته عند الشيعة ، جاهل بالله تعالى ، لا يجوز أن يكون عدلاً ، ولا ممكن أن تقبل أخباره في الشريعة .

---

(١) التوبة ٩: ٣.

(٢) تصحيح الاعتقاد : ٤٣ ـ ٤٤ (مصنفات المفيد ٥). والحديث رواه المشايخ في جلّ كتبهم . راجع : البحار ١٠: ٢٤٧ / ١٦ والتعليقة رقم ٨.

(٣) تصحيح الاعتقاد : ٤٩.

قال: وكلّ من نشير إليه منهم إذا سألته عن سبب اعتقاده التوحيد والعدل أو النبوّة والإمامة، أحالك على الروايات وتلا عليك الأحاديث. فلو عرف هذه المعارف بجهة صحيحة، لما أحال في اعتقاده إذا سُئل عن جهة علمها[1].

وعليه فالمذهب الصحيح في تمحيص الأخبار هو ما ذهب إليه شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي ﵀ في كتابه «الاستبصار»: قسّم الخبر إلى متواترٍ يوجب تواتره العلم بصحّة مؤدّاه، وخبر آحاد حفّت به قرائن قطعيّة تلحقه بالمتواتر، وخبر آحاد عري من القرائن، غير أنّه ممّا رواه الثقات ولم يكن ما يوجب وهنه، فهذا أيضاً يجب العمل به على أصولنا.

قال: واعلم أنّ الأخبار على ضربين: متواتر وغير متواتر. فالمتواتر منها ما أوجب العلم. فما هذا سبيله يجب العمل به، من غير توقّع شيء يُنضاف إليه ولا أمر يقوىٰ به ولا يرجّح به على غيره. وما يجري هذا المجرى لا يقع فيه التعارض ولا التضادّ في أخبار النبيّ ﷺ والأئمّة ﵈.

وما ليس بمتواتر على ضربين، فضرب منه يوجب العلم أيضاً، وهو كلّ خبر تقترن إليه قرينة توجب العلم. وما يجري هذا المجرى يجب أيضاً العمل به. وهو لاحق بالقسم الأوّل.

والقرائن أشياء كثيرة:

منها: أن تكون مطابقة لأدلّة العقل ومقتضاه.

ومنها: أن تكون مطابقة لظاهر القرآن، إمّا لظاهره أو عمومه أو دليل خطابه أو فحواه. فكلّ هذه القرائن توجب العلم وتخرج الخبر عن حيّز الآحاد وتدخله في باب المعلوم.

ومنها: أن تكون مطابقة للسنّة المقطوع بها، إمّا صريحاً أو دليلاً أو فحوى أو عموماً.

ومنها: أن تكون مطابقة لما أجمع المسلمون عليه، أو أجمعت عليه علماء الطائفة.

فإنّ جميع هذه القرائن تخرج الخبر من حيّز الآحاد وتدخله في باب المعلوم وتوجب العمل به. وأمّا القسم الآخر، فهو كلّ خبر لا يكون متواتراً ويتعرّى من كلّ واحد من هذه القرائن، فإنّ ذلك خبر واحد، ويجوز العمل به على شروط (ذكرها في الأصول وعمدتها: رواية الثقة الأمين).

فإذا كان الخبر لا يعارضه خبر آخر، فإنّ ذلك يجب العمل به، لأنّه من الباب الذي عليه الإجماع في النقل. إلّا أن تعرف فتاواهم بخلافه، فيُترك لأجلها العمل به.

---

(١) رسالته في إبطال العمل بأخبار الآحاد رقم ٤٨ (رسائل السيّد المرتضى ـ المجموعة الثالثة: ٣١٠ ـ ٣١١).

ثمّ أخذ في الكلام عن المتعارضين وعن أنواعه وطريقة العلاج، على ما بُيّن في الأصول[١].

وهكذا فصّل الكلام في ذلك في كتابه الذي وضعه لتمهيد أصول الفقه[٢].

وهذا المنهج الذي انتهجه الشيخ هو المنهج القويم لتقييم الروايات ووزنها على المقياس العقلاني الرشيد.

فقد جعل المعيار لوزن اعتبار الأخبار هي مراتب قوّتها في إيجاب العلم بمؤدّاها، فما كانت متواترة كان سبيلها وجوب العمل بها من غير انتظار شيء ينضاف إليها.

وأمّا غير المتواتر من الأخبار فما كان منه مقترناً بقرائن توجب العلم بصحّة مؤدّاه، فهذا كالمتواتر، كان سبيله العمل بموجبه، لأنّ ما يوجب العلم يستلزمه وجوب العمل بلا ريب.

وهذا أدقّ نكتة تنبّه لها شيخنا الأقدم، في أنّ أخبار الآحاد المحتفّة بقرائن صادقة، هي كالمتواترات الموجبة للعلم! فليس هناك تعبّد بظنّ وإنّما هو عمل بعلم.

وهذا هو الذي مشى عليه سيّدنا الأستاذ الإمام الخوئي ـ طاب ثراه ـ بشأن حجّية أخبار الآحاد (الجامعة لشرائط الحجّية) في مختلف أبواب الشريعة، وليس خاصّاً بأبواب التكاليف. حيث اعتبر من مؤدّى خبر الثقة الأمين علماً وليس تعبّداً بظنّ[٣].

والمهمّ في كلام الشيخ، تعداده للقرائن الحافّة الموجبة للعلم، وقد جعل أوّلها وأولاها هي: مطابقة دلائل العقل الحكيمة. وثانيها: موافقة دلائل الكتاب، بأنحاء الدلائل الجليّة منها والخفيّة (ظاهر الكتاب وباطنه) والتي يعلم تفسيرها وتأويلها الراسخون في العلم.

وثالثها: موافقة السنّة المقطوع بها، إمّا صريحاً أو دليلاً أو فحوىً أو عموماً.

ورابعها: المرافقة مع إجماع المسلمين أو إجماع علماء الطائفة، وإجماعهم حجّة بلا ريب.

والعمدة: أنّه ﷺ جعل من مؤدّى تلكم الأخبار المحتفّة بإحدى هذه القرائن، علماً يوجب العمل به. وأنّ خبراً هذا شأنه خارج عن حيّز أخبار الآحاد وداخل في باب المعلوم الذي يلزم الأخذ به.

وممّا يُلفت النظر في كلامه ﷺ أنّه جعل خبر الواحد ـ المنقول في كتب الأصحاب ـ إذا لم يعارضه خبر آخر، داخلاً في باب الإجماع على نقله، ويلزم العمل به ما لم تعارضه الفتاوىٰ!

وهذا هو القول الفصل بشأن اعتبار أخبار الآحاد، في جميع مجالات الدين، أصولاً وفروعاً،

---

(١) الاستبصار ١: ٣ ـ ٤.

(٢) راجع: عدّة الأصول ١: ٣٣٦ و ٣٦٧ ـ ٣٧٢.

(٣) نقلنا كلامه في الفصل السابق.

ما لم يَعْلُها أثر وهنٍ يوجب التريّث لديه، كما إذا كان الآتي بالخبر معروفاً بالفسق، وقد قال تعالى: ﴿إن جَآءَكُمْ فَاسِقُ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾(١). وهذا التخصيص دليل على الترخيص فيما عداه.

وإليك موارد سلكها الشيخ بهذا النهج القويم في تقييم الأخبار وتمييز سليم الروايات عن سقيمها أو الترجيح مع محكمات الآثار:

[م/٣٣٢] روى بإسناده إلى محمّد بن إسماعيل عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ الله عزّ وجلّ خلق الدنيا في ستّة أيّام، ثمّ اختزلها من أيّام السنة، والسنة ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً. شعبان لا يتمّ أبداً. وشهر رمضان لا ينقص والله أبداً، ولا تكون فريضةٌ ناقصةً، إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾(٢). وشوّال تسعة وعشرون يوماً. وذو القعدة ثلاثون يوماً، لقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾(٣). وذوالحجّة تسعة وعشرون يوماً. والمحرّم ثلاثون يوماً. ثمّ الشهور بعد ذلك شهر تامّ وشهر ناقص!؟(٤)

هذا الخبر ـ على إرساله ـ موهون بمخالفة الواقع، وفيها تعاليل غريبة جدّاً.

ونظيرها أحاديث أخر نصّت على أنّ شهر الصيام لا ينقص أبداً.

لكنّ الشيخ رحمه الله رفضها رفضاً باتّاً، بحجّة أنّها مخالفة للكتاب ومتواتر الأخبار، فضلاً عن وهن محتواها من تعاليل غريبة، تُوهن جانب انتسابها إلى إمام هدى معصوم عليه السلام وأخذ في الاستدلال على نكارتها من وجوه، في عدّة صفحات(٥).

[م/٣٣٣] وروى بإسناده إلى محمّد بن قيس عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: «قضى أميرالمؤمنين عليه السلام في وليد أمة سبّ رجلاً: أن لا حدّ عليه، وقال للخصم: سُبَّه كما سَبَّك أو تعفو عنه».

قال الشيخ: هذا الخبر ضعيف مخالف لما قدّمناه من الأخبار الصحيحة، ولظاهر القرآن، فلا ينبغي أن يُعمَل عليه. على أنّ فيه ما يضعّفه، وهو: أنّ أميرالمؤمنين أمر الخصم أن يسبّ خصمه كما سبّه، ولا يجوز أن يأمر عليه السلام بالسّبّ، لأنّ السّبّ قبيح، وإنّما له أن يقيم عليه الحدّ إمّا على الكمال أو التعزير. فأمّا أن يأمره بالسباب فذلك مما لا يجوز على حال(٦).

---

(١) الحجرات ٤٩: ٦.
(٢) البقرة ٢: ١٨٥.
(٣) الأعراف ٧: ١٤٢.
(٤) الاستبصار ٢: ٦٨/٢١٨ ـ ٢٠.
(٥) المصدر: ٦٩ ـ ٧١.
(٦) تلفيق ممّا ذكره في كتابيه: التهذيب ١٠: ٨٨/٣٤٢ ـ ١٠٧؛ الاستبصار ٤: ٢٣٠ ـ ٢٣١/ ٨٦٧ ـ ١٥.

[م / ٣٣٤] وروى بإسناده إلى عليّ بن الحكم عن عبدالرحمان بن محمّد بن عُبَيدالله العزرمي الفزاري عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «صلّى عليٌّ عليه السلام بالناس على غير طهر، وكانت الظهر، فخرج مناديه أنّ أميرالمؤمنين صلىٰ على غير طهر فأعيدوا، وليبلغ الشاهد الغائب»[١].

هذا الحديث ـ حسب قواعد الفنّ ـ صحيح الإسناد ولا مغمز في عبدالرحمان العزرمي، وحتّى أنّ ابن حبّان ذكره في الثقات وقال: يعتبر حديثه من غير روايته عن أبيه[٢].

لكنّ الشيخ رمى الحديث بالشذوذ، لمخالفته لأحاديث متضافرة بعدم البأس بصلاة قوم أمّهم رجل على غير طهور وهو لا يعلم[٣]. وقد اتفقت آراء الفقهاء على ذلك، ويعضده حديث «لا تعاد».

قال: وقد تضمّن أيضاً من الفساد ما يقدح في صحّته، وهو أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام صلّى بالناس على غير وضوء، وقد آمَنَنَا من ذلك، دلالة عصمته عليه السلام.

قلت: وللعزرمي هذا أيضاً أحاديث قد يشنَّع عليه،

[م / ٣٣٥] منها ما رواه بشأن الحسنين عليهما السلام: كان بينهما طهر، وكان بينهما في الميلاد ستة أشهر وعشر[٤].

[م / ٣٣٦] وقد اشتهرت الرواية عند الشيعة الإماميّة بأنّ الحسن عليه السلام ولد في النصف من رمضان في سنة ثلاث من الهجرة. وولد الحسين عليه السلام لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة بعد أخيه بعشرة أشهر وعشرين يوماً.

نصّ على ذلك ابن شهر آشوب في المناقب[٥] والمفيد في الإرشاد[٦]. وهكذا الشيخ في المصباح[٧].

[م / ٣٣٧] ومن غريب حديثه أيضاً ما رواه عن أبيه في رجل موطوء، فأمر به أميرالمؤمنين بالسيف ثمّ الحرق بالنار، وفيه تعليل غريب[٨].

[م / ٣٣٨] وروى بإسناده إلى عمّار الساباطي فيمن شكّ في صلاة المغرب، فلم يدر ركعتين صلّىٰ أم ثلاثاً، قال: «يسلّم ثمّ يقوم فيضيف إليها ركعة»[٩].

---

(١) الاستبصار ١: ٤٣٣ / ١٦٧١.
(٢) لسان الميزان ٣: ٤٢٩ / ١٦٧٩.
(٣) الاستبصار ١: ٤٣٢، باب ٢٦٤.
(٤) الكافي ١: ٤٦٣ ـ ٤٦٤ / ٢، باب مولد الحسين عليه السلام.
(٥) المناقب ٣: ٢٣١؛ البحار ٤٣: ٢٣٧ / ١.
(٦) الإرشاد ٢: ٢٣١؛ البحار ٤٣: ٢٥٠ / ٢٦.
(٧) مصباح المتهجد: ٨٢٦؛ البحار ٤٣: ٢٦٠ / ٤٨.
(٨) الكافي ٧: ١٩٩ / ٥ و ٦.
(٩) الاستبصار ١: ٣٧١ / ٧ و ٨.

وردّه الشيخ بأنّه مخالف لسائر الأخبار المعمول بها لدى الأصحاب، ولأنّ عمّاراً الساباطي هذا ضعيف فاسد المذهب لا يُعْمَل بما يختصّ بروايته. وقد اجتمعت الطائفة على ترك العمل بهذا الخبر[١].

[م/٣٣٩] وروى بإسناده إلى ضريس الكناسي قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن امرأة وعبد قتلا رجلاً خطأً؟ فقال: «إنّ خطأ المرأة والعبد مثل العمد، فإن أحبّ أولياء المقتول أن يقتلوهما قتلوهما».

[م/٣٤٠] وأيضاً بالإسناد إلى أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: سئل عن غلام لم يُدرك وامرأة قتلا رجلاً خطأً؟ فقال: «إنّ خطأ المرأة والغلام عمد، فإن أحبّ أولياء المقتول أن يقتلوهما قتلوهما»[٢].

قال الشيخ: قد أوردت هاتين الروايتين لما تتضمّنان من أحكام قتل العمد. فأمّا قوله في الخبر الأوّل: إنّ خطأ المرأة والعبد عمد، وفي الرواية الأخرى: إنّ خطأ المرأة والغلام عمد، فهذا مخالف لقول الله تعالى، لأنّ الله حكم في قتل الخطأ الدية دون القود، فلا يجوز أن يكون الخطأ عمداً، كما لا يجوز أن يكون العمد خطأً فيما سوى المجانين.

وأيضاً فإنّ العبد إذا قَتَل خطأً سُلّم إلى أولياء المقتول أو يفتديه مولاه، وليس لهم قتله. وكذلك الصبيّ إذا لم يبلغ فإنّ عمده خطأ وتتحمّل الدية عاقلته، فكيف يجوز أن نقول في هذه الرواية إنّ خطأه عمد.

قال: وإذا كان الخبران على ما وصفنا من الاختلاط، لم ينبغ أن يكون العمل عليهما[٣].

[م/٣٤١] وروى بإسناده إلى أبي مريم الأنصاري ــ بطريقين ــ عن أبي جعفر عليه السلام «في امرأة قتلت رجلاً؟ قال: تُقتل ويؤدّي وليُّها بقيّة المال».

قال الشيخ: هذه رواية شاذّة، لم يروها إلّا أبو مريم الأنصاري، ومع ذلك فإنّها مخالفة لظاهر الكتاب، قال الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾[٤]. والروايات التي قدّمناها صريحة

(١) المصدر: ٣٧٢.

(٢) التهذيب ١٠: ٢٤٢/ ٩٦٢ ـ ٢ و ٩٦٣ ـ ٣؛ الاستبصار ٤: ٢٨٦؛ الكافي ٧: ٣١٠/ ٢ و ١؛ من لا يحضره الفقيه ٤: ١١٣/ ٥٢٢٤.

(٣) راجع: التهذيب ١٠: ٢٤٣. وهكذا ذكر في الاستبصار.

(٤) المائدة ٥: ٤٥.

بأنّه لا يجني الجاني على أكثر من نفسه، فإذا وردت رواية مخالفة لذلك، ينبغي أن لا يُلتفت إليها[١].

انظر كيف جعل ظاهر الكتاب نصّاً بعد دعمه بصريح الروايات، وجعل ما يخالف هذا الظاهر مخالفاً للكتاب. وهو أسلوب فنيّ دقيق، قد يخفى على غير ذوي الاختصاص بمشارب الفقاهة.

وللشيخ في ترجيحاته لمختلف الروايات أساليب تنبؤك عن سعة باعه في طريقة الاجتهاد والاستنباط، ولا بدّ أن تؤخذ أسوة ـ كما كانت عند السلف والخلف من فقهائنا العظام ـ ولا يجعل مجرّد اعتبار السند أو محض وثاقة الراوي معياراً للقبول.

وهذا الإمام أحمد بن حنبل يجعل العرض على الثابت من قول رسول الله ﷺ مقياساً لتمييز الصحيح عن السقيم.

[م/٣٤٢] قال محمّد بن منصور: كنّا عند أحمد بن حنبل فقال له رجل: يا أبا عبدالله! ما تقول في هذا الحديث الذي يروى: أنّ عليّاً عليه السلام قال: «أنا قسيم النار»؟ فقال أحمد: وما تنكرون من ذا؟ أليس روينا أنّ النبيّ ﷺ قال لعليّ عليه السلام «لا يحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق»؟ قلنا: بلى! قال: فأين المؤمن؟ قلنا: في الجنّة. قال: وأين المنافق؟ قلنا: في النار. قال أحمد: فعليٌّ قسيم النار![٢]

نماذج من نقد الحديث ذاتياً

ولقد كان نقد الحديث متناً (ذاتيّاً من داخل محتواه) أمراً معروفاً منذ البداية ولا يزال. وإليك أوّلاً النقد بمخالفة الكتاب:

[م/٣٤٣] روى البخاري في صحيحه بالإسناد إلى مسروق بن الأجدع قال: قلت لعائشة: يا أُمّتاه! هل رأى محمد ﷺ ربّه؟ فقالت: لقد قفّ شعري[٣] مما قُلْتَ! أين أنت من ثلاثٍ من حدّثكهنّ فقد كذب:

١ ـ من حدّثك أنّ محمّداً ﷺ رأى ربّه، فقد كذب. ثُمَّ قرأت:

﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٤]. ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّـهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾[٥].

---

(١) الاستبصار ٤: ٢٦٨/٥ ـ ١٠٠٩، باب ١٥٥.

(٢) طبقات الحنابلة ١: ٣٢٠. (الإمام الصادق والمذاهب الاربعة ـ أسد حيدر ٤: ٥٠٣).

(٣) يقال: قفّ شَعْرُه، إذا قام لشدّة الفزع.

(٤) الأنعام ٦: ١٠٣.

(٥) الشورى ٤٢: ٥١.

٢ ـ ومن حدّثك أنّه يعلم ما في غدٍ فقد كذب. ثُمّ قرأت: ﴿وَ مَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾(١).

٣ ـ ومن حدّثك أنّه ﷺ كتم (أي لم يبلّغ بعض ما أنزل إليه) فقد كذب. ثُمّ قرأت: ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾(٢).

قالت: ولكنّه ﷺ رأى جبريل عليه السلام في صورته مرّتين(٣).

[م / ٣٤٤] روى أبو هريرة عن النبيّ ﷺ: «لا يدخل الجنّة ولد الزنا، ولا ولده، ولا ولد ولده».

[م / ٣٤٥] وروى عبدالله بن عمرو عنه ﷺ: «لا يدخل الجنّة ولد زنية».

[م / ٣٤٦] وروى: «إنّ الله ذرأ لجهنّم ماذرأ، كان ولد الزنا فيمن ذرأ لجهنّم»(٤).

[م / ٣٤٧] وهكذا روى أبو هريرة عنه ﷺ: «لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا شيء من نسله إلى سبعة آباء».

وناقش ابن الجوزي هذه الأحاديث مناقشة سَنَديّة أوّلاً وذكر تضعيف الأئمة لها من وجوهٍ، ثمّ قال: وأيّ ذنب لولد الزنا حتّى يمنعه من دخول الجنّة، فهذه الأحاديث تخالف الأصول، وأعظم ما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾(٥).

وفي قصّة هاروت وماروت وما حيكت حولهما من أساطير، يقول سيّدنا العلّامة الطباطبائي: إنّها قصّة خرافيّة تنسب إلى الملائكة المكرمين ما يخالف نصّ القرآن على نزاهتهم وطهارة ساحتهم عن الأدناس والأرجاس(٦).

قال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ. لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾(٧). ﴿لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾(٨).

وقال بشأن ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾(٩):

[م / ٣٤٨] فيما أخرجه الفريابي وغيره عن عليّ عليه السلام قال: «نزلت هذه الآية في إبراهيم

---

(١) لقمان ٣١: ٣٤. (٢) المائدة ٥: ٦٧.

(٣) راجع: البخاري ٦: ٥١. في تفسير سورة النجم. وقد أسلفنا الحديث عن رؤيته ﷺ لجبرائيل في صورته مرّتين. في كتابنا التمهيد ١: ٦١. عند البحث عن الوحي المباشر.

(٤) كنزالعمّال ٥: ٣٢٣ / ١٣٠٩٥ ـ ١٣٠٩٧.

(٥) الموضوعات ٣: ١١١. والآية من سورة الأنعام ٦: ١٦٤. (٦) الميزان ١: ٢٤١.

(٧) الأنبياء ٢١: ٢٦ ـ ٢٧. (٨) التحريم ٦٦: ٦.

(٩) الأنعام ٦: ٨٢.

وأصحابه خاصّة، ليس في هذه الأمّة»(١).

قال: والرواية لا توافق بظاهرها الأصول الكليّة المستخرجة من الكتاب والسنّة، فإنّ الآية ـ في دلالتها ـ عامّة، إذ الإيمان بجميع آثاره ومراتبه، وكذا الظلم بمراتبه وسوء آثاره، أمر يرتبط مع فطرة الإنسان ومعطياته الإنسانيّة المودعة في جبلّته وذلك لا يختلف مع اختلاف الأمم والأزمنة. فالقول باختصاص مضمون الآية بأمّة دون غيرها، مخالف لهذه الكليّة الفطريّة المستفادة من الكتاب والسنّة(٢).

وله ﷺ مواقف كريمة تجاه روايات جاءت مخالفة لمعطيات الكتاب والسنّة، ولم يقتصر على ما خالف الكتاب نصّاً، وإن لم يكن ذلك بعزيز.

مثلاً: ما ورد بشأن بدء النسل البشري، وقد اختلفت الروايات في ذلك:

[م/٣٤٩] فقد روي أنّ أحد ابني آدم تزوّج بحوراء نزلت من السماء، فولدت له أربعة بنين. وتزوّج ابنه الآخر من بنات الجانّ، فولدت له أربع بنات، فتزوّج بنو ذاك من بنات هذا. فما كان من جمال فمن قبل الحوراء وما كان من قبح وسوء خلق فمن الجنّ. والروايات بهذا المعنى كثيرة(٣).

وتجاه ذلك رواية أخرى:

[م/٣٥٠] في حديث الإمام عليّ بن الحسين السجّاد عليه السلام مع قرشيّ يصف فيه تزوّج كلّ من ابني آدم بأخت الآخر من غير بطنه. حتّى إذا استوى النسل، جاء التحريم بالتزوّج بالأخوات.

وعلّل عليه السلام ذلك بأنّ تحريم التزوّج بالأخت تشريع اعتباري، فيجوز تحليله حينذاك وتحريمه بعد ذلك، وليس ذاتيّاً كي لا يتحمّل التخصيص ولو في مصلحة تكثير النسل بدءاً.

وبذلك يختلف عن تزوّج بعض الأقوام ـ فيما يقال ـ بذوات الأرحام، كالأخت مثلاً. حيث كان هذا بعد التحريم.

هكذا رواه صاحب كتاب الاحتجاج بالإسناد إلى أبي حمزة الثمالي، قال: سمعت عليّ بن الحسين عليه السلام يحدّث رجلاً من قريش. وسرد الحديث(٤).

قال سيدنا الطباطبائي ـ تعقيباً على حديث الإمام السجّاد ـ: وهذا هو الموافق لظاهر الكتاب

---

(١) الدرّ ٣: ٣٠٩.

(٢) الميزان ٧: ٢٢١ نقلاً بتوضيح.

(٣) راجع: العيّاشي ١: ٢٤١ ـ ٢٤٢. وعلل الشرائع ١: ١٧ ـ ١/١٨.

(٤) الاحتجاج ٢: ٤٣ ـ ٤٤.

وللاعتبار أيضاً(١).

وعلّل ذلك مسبقاً بقوله: وظاهر الآية أنّ النسل البشري ينتهي إلى آدم وزوجته حوّاء، من غير أن يشاركهما فيه غيرهما، حيث قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا﴾(٢)، ولم يقل: منهما ومن غيرهما.

قال: وبناءً عليه كان الازدواج في الطبقة الأولى ـ بعد آدم وزوجته ـ أي في أولادهما بلاواسطة، إنّما وقع بين الإخوة والأخوات (ازدواج البنين بالبنات). إذ الذكور والإناث كانا منحصرين فيهم يومذاك. قال: ولا ضير فيه بعد كونه حكماً تشريعيّاً يرجع أمره إلى الله وفق ما يراه من مصلحة، فيجوز أن يباح يوماً ويحرّم يوماً آخر ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾(٣)(٤).

أنظر كيف رجّح روايةً مرسلة فريدة في نوعها، على سائر الروايات وكادت أن تكون مستفيضة. لا لشيء إلّا لأنّ تلك كانت متوافقة مع ظاهر الكتاب وللاعتبار العقلي أيضاً.

على أنّ في تلك الروايات ـ فضلاً عن كونها مخالفة لظاهر الكتاب ـ شيئاً من نكارة يرفضها العقل وكذا العلم أيضاً. إذ كيف يمكن التوالد من تزاوج جنسين؟! ثمّ كيف كان الجمال وصالح الأعمال نابعاً من أصل غير بشري؟! وكذا القباحة في المنظر والسلوك ناشئة من خارج إطار اختيار الإنسان بما يرفع عن الإنسان مسؤوليته في الحياة!! كلّ ذلك مخالف لصريح مناهج الكتاب وتعاليمه الحكيمة، الأمر الذي يحتمّ نبذ تلكم الأخبار وضربها عرض الجدار.

وهكذا اختلفت الأقوال والروايات بشأن والد إبراهيم: آزر أو تارح. وجاء في ظاهر تعبير القرآن: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾(٥).

[م / ٣٥١] أخرج أبو الشيخ عن الضحّاك في الآية قال: آزر أبو إبراهيم(٦) قال ابن كثير: آزر اسم صنم، وأبو إبراهيم اسمه تارح. وهكذا قال غير واحد من علماء النسب: إنّ اسمه تارح. قال: كأنّه غُلِّبَ عليه آزر: لخدمته ذلك الصنم(٧).

أو لعلّ اسمه الأصلي كان «آزر» بمعنى النشيط، ولكنهم رأوا منه كسلاً وفشلاً فلقّبوه بتارح بمعنى الكسول(٨).

---

(١) الميزان ٤: ١٥٧.
(٢) النساء ٤: ١.
(٣) الرعد ١٣: ٤١.
(٤) الميزان ٤: ١٤٥ ـ ١٤٦.
(٥) الأنعام ٦: ٧٤.
(٦) الدرّ ٣: ٣٠٠.
(٧) ابن كثير ٢: ١٥٥.
(٨) على ما أسبقنا الكلام فيه. راجع: كتابنا التمهيد ٧: ٦٦ ـ ٦٩.

فقد تسالم أصحاب هذا القول على أنّ المعنيّ بهذا الخطاب هو والد إبراهيم الحقيقي، سواء أكان اسمه آزر أو تارح.

وفي قبال ذلك إطباق آراء مفسّري الإماميّة، وفق أحاديثهم المأثورة المستفيضة بطهارة آباء النبيّ ﷺ، على أنّ المخاطب بهذا الكلام هو عمّ إبراهيم، وربّما تزوّج بأمّه بعد وفاة والده تارح، فأصبح إبراهيم ربيبه، وبذلك صحّ إطلاق الأب عليه. لأنّ الأب أعم من الوالد، فيطلق على الجدّ للأمّ، وعلى المربّي والمعلّم والمرشد، وعلى العمّ أيضاً حيث جاء إطلاق الأب عليه في القرآن. فقد حكى الله عن أولاد يعقوب قولهم: ﴿نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾[1]. وإسماعيل كان عمّاً ليعقوب.

وأنكر الزجّاج أن يكون «آزر» اسم والد إبراهيم. قال الشيخ أبو جعفر الطوسيّ: والذي قاله الزجّاج يُقوّي ما قاله أصحابنا: أنّ آزر كان جدّ إبراهيم لأمّه أو كان عمّه، لأنّ أباه كان مؤمناً، لأنّه قد ثبت عندهم أنّ آباء النبيّ ﷺ إلى آدم كلّهم كانوا موحّدين لم يكن فيهم كافر. ولا خلاف بين أصحابنا في هذه المسألة.

[م/٣٥٢] قال: وأيضاً روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «نقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات، لم يدنّسني بدنَس الجاهليّة». وهذا خبرٌ لا خلاف في صحّته[2]. فبيّن النبيّ ﷺ أنّ الله نقله من أصلاب الطاهرين. فلو كان فيهم كافر لما جاز وصفهم بأنّهم طاهرون، لأنّ الله وصف المشركين بأنّهم أنجاس: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[3] [4].

وللإمام الرازي بحث مذيّل وحجج أقامها دعماً لما يقوله مفسرو الشيعة، وأخيراً يقول: فثبت بهذه الوجوه أنّ «آزر» ما كان والد إبراهيم عليه السلام بل كان عمّاً له، والعمّ قد يسمّى بالأب، كما سمّى أولادُ يعقوب إسماعيل أباً ليعقوب.

[م/٣٥٣] وقال النبيّ ﷺ بشأن عمّه العبّاس حين أُسِر: «ردّوا عليّ أبي».

قال: وأيضاً يحتمل أنّ «آزر» كان والد أمّ إبراهيم. وهذا قد يقال له الأب، كما كان عيسى عليه السلام

(١) البقرة ٢: ١٣٣.

(٢) ورد في تأويل قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ (الشعراء ٢٦: ٢١٩) بطريق الفريقين أحاديث متظافرة أنّه ﷺ قال: «لم أزل أُنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات». راجع: التفسير الكبير ١٣: ٣٩؛ الدرّ ٦: ٣٣٢؛ مجمع البيان ٦: ٤٢٦.

(٣) التوبة ٩: ٢٨. (٤) التبيان ٤: ١٧٥.

من ذريّة إبراهيم من قبل الأمّ[١].

ولسيّدنا الطباطبائي هنا تحقيق لطيف، جعل من القول بكون «آزر» والد إبراهيم متنافياً مع ظاهر الكتاب، فضلاً عن منافاته لأصول العقيدة الإسلاميّة في آباء النبيّ ﷺ وكونهم موحّدين حتّى آدم عليه السلام.

وذلك أنّ إبراهيم لمّا آيس من آزر إيمانه هجره ووعده بالاستغفار له: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾[٢].

وبالفعل وفى بما وعد: ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾[٣]. لكن سرعان ما رجع عمّا كان قد رجا في أبيه خيراً، ومن ثمّ تبرّأ منه من بعد: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[٤].

هذا في بداية الأمر وقبل مغادرته بلاد شنعار (كلدان ـ العراق) وربما كان في منتصف عمره أي في سنّ الخامسة والسبعين. ولكنّه بعد ما طاف البلاد واتخذ الأرض المقدّسة مهجراً له ورزق بإسماعيل ومن بعده بإسحاق، فكان ممّا فعله في أخريات حياته أن بنى البيت هو وابنه إسماعيل وربما بلغ من العمر ما يقارب المأة والخمسين، هنا لك دعا ربّه وقال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾[٥] نراه يعود فيستغفر لوالديه ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾[٦].

هنا يأتي العلّامة الطباطبائي ليدلي برأيه الأخير، ويقول: والآية بما لها من السياق والقرائن المحتفّة بها، خير شاهدة على أنّ والده الذي دعا له واستغفر له هنا، غير أبيه آزر الذي تبرّأ منه في سالف الأيّام.

إذ لم يكن إبراهيم ممن ينسى أو يتناسى موقف أبيه آزر ـ الذي تبيّن له أنّه عدوّ لله ـ ليعود فيدعو له من جديد، مع العلم أنّه لم يحصل شيء جديد في موقف آزر العدائي العتيد مع الله سبحانه.

قال العلّامة: فقد تحصّل أنّ آزر الذي جاء ذكره في تلكم الآيات، لم يكن والد إبراهيم ولا أباه

(١) التفسير الكبير ١٣: ٤٠.
(٢) مريم ١٩: ٤٧.
(٣) الشعراء ٢٦: ٨٩.
(٤) التوبة ٩: ١١٤.
(٥) إبراهيم ١٤: ٣٥.
(٦) إبراهيم ١٤: ٤١.

الحقيقي. وإنّما أطلق عليه الأب توسّعاً، كما هو جار في اللغة ومعروف لدى سائر الأقوام[١].

انظر إلى هذه الدقّة الفائقة في معالجة أخبار كانت سقيمة ومتنافرة مع نصّ الكتاب والمستفاد من أصول المعارف الإسلاميّة العريقة.

وللأستاذ الشيخ محمّد عبده أيضاً مواقف مشهودة تجاه تلكم الأخبار الضعيفة ولا سيّما الإسرائيليّات، فقد أبان فضحها وفنّدها تفنيداً بالغاً، ونقدها في ضوء نور العقل وهدي الكتاب العزيز. نذكر منها:

قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَآءِ. فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ. قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ. قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾[٢].

ذكر أرباب النقل في التفسير هنا، في وجه سؤال زكريّا ربّه أن يجعل له آية، ما يتنافى ومقام الأنبياء وكرامتهم عند الله، قالوا: إنّه شكّ ـ على أثر وسوسة إبليس ـ أنّ الذين بشّروه كانوا هم الملائكة أم الشياطين سخروا به، فعاقبه الله بعقد لسانه ثلاثة أيام لا يقدر على التكلّم، لمكان شكّه وتأثّره بوسوسة إبليس.

قال الطبري ـ في تأويل قوله ﴿رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً﴾: يعني بذلك (جلّ ثناؤه) خبراً عن زكريّا قال: ربّ إن كان هذا النداء الذي نُوديته والصوت الذي سمعته صوت ملائكتك وبشارةً منك لي فاجعل لي آية، يقول: علامة أنّ ذلك كذلك، ليزول عني ما قد وسوس إليّ الشيطان فألقاه في قلبي من أنّ ذلك صوت غير الملائكة وبشارة من عند غيرك:

[م/ ٣٥٤] روى بإسناده عن السّدّي: أنّ زكريّا لما سمع نداء الملائكة بالبشارة، جاءه الشيطان فقال له: إنّ الصوت الذي سمعت ليس هو من الله، إنّما هو من الشيطان يسخر بك. ولو كان من الله أوحاه إليك كما يوحي إليك في غيره من الأمر، فشكّ زكريّا مكانه وقال: أنّى يكون لي غلام[٣].

[م/ ٣٥٥] وهكذا روى بإسناده عن عكرمة قال: فأتاه الشيطان فأراد أن يكدر عليه نعمة ربّه، فقال: هل تدري من ناداك؟ قال: نعم ناداني ملائكة ربّي! قال: بل ذلك الشيطان! لو كان هذا من ربّك

(١) الميزان ٧: ١٦٨ ـ ١٧١ وراجع ما كتبناه هنا بتفصيل في التمهيد ٧: ٦٦ ـ ٦٩.

(٢) آل عمران ٣: ٣٧ ـ ٤١.

(٣) الطبري ٣: ٣٥٠ / ٥٥٠٧.

لأخفاه إليك كما أخفيت نداءك. فكان قوله ما قال ... ومراجعته ربّه ... للوسوسة التي خالطت قلبه من الشيطان حتّى خُيّلت إليه أنّ النداء الذي سمعه كان من غير الملائكة. فقال: ربّ أنّى يكون لي غلام، مستثبتاً في أمره ليتقرّر عنده بآية يريه الله في ذلك أنّه بشارة من الله[1].

[م/٣٥٦] هذا وقد روي عن قتادة قال: شافهته الملائكة. ومع ذلك فقد عاقبه الله إذ سأل الآية مع مشافهة الملائكة إيّاه بما بشّرته به[2].

الأمر الذي استنكره النبهاء من المفسرين، القدامى منهم والمتأخرون.

قال القاضي: لا يجوز أن يشتبه كلام الملائكة بكلام الشيطان عند الوحي على الأنبياء عليهم السلام إذ لو جوّزنا ذلك لارتفع الوثوق عن كلّ الشرائع.

وأجاب بعضهم عن ذلك بما لا يفيد[3].

أمّا الأستاذ عبده فقد وقف وقفته الحاسمة قائلاً: ومن سخافات بعض المفسّرين زعمهم أنّ زكريّا عليه السلام اشتبه عليه وحي الملائكة ونداؤهم بوحي الشيطان، ولذلك سأل سؤال التعجّب، ثمّ طلب آية للتثبّت.

[م/٣٥٧] قال: وروى ابن جرير عن السدّي وعكرمة: أنّ الشيطان هو الذي شكّكه في نداء الملائكة وقال: إنّه من الشيطان!!

قال: ولو لا الجنون بالروايات مهما هزلت وسمجت لما كان لمؤمن أن يكتب مثل هذا الهزء والسخف الذي ينبذه العقل وليس في الكتاب ما يشير إليه. ولو لم يكن لمن يروي مثل هذا إلّا هذا لكفى في جرحه، وأن يُضرب بروايته على وجهه. فعفى الله عن ابن جرير إذ جعل هذه الرواية ممّا ينشر[4].

أمّا سؤال زكريّا فكان عن وجد واشتياق إلى لقاء الوعد، كيف ومتى تتحقّق هذه البشارة السارّة. فجاءه الجواب: عند ما تؤمر بصيام الصمت ثلاثة أيّام. فتمسك عن الكلام إلّا بذكر الله. فعند ذاك كان أوان تحقق الوعد المبشَّر به.

وهكذا نجد الأستاذ شهماً عند تفسير سورة الفلق، حيث مزدحم روايات سحر النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم

(١) المصدر: ٣٥٠ ـ ٣٥١/٥٥٠٨. (٢) المصدر: ٣٥٢/٥٥١١.

(٣) راجع: التفسير الكبير ٨: ٣٩. والميزان ٣: ١٩٤ ـ ١٩٥. وفيه بعض الغرابة!

(٤) المنار ٣: ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

وأنّه سُحر على يد لبيد بن أعصم اليهودي ـ قيل: كان خادماً له ـ فكان يخيّل إليه أنّه فعل شيئاً ولم يفعله. والقصّة ـ كما جاءت في الصحيحين[(١)] ـ.

[م / ٣٥٨] حدثت بها عائشة، قالت: سَحر رسول الله ﷺ غلام يهودي يخدمه يقال له: لبيد ابن أعصم[(٢)]، حتّى كان ﷺ يخيّل إليه أنّه يفعل الشيء وما يفعله.

[م / ٣٥٩] وفي لفظ آخر: سُحر حتّى كان يرى أنّه يأتي النساء ولا يأتيهنّ.

[م / ٣٦٠] وفي رواية الإمام أحمد: قالت: لبث النبيّ ﷺ ستة أشهر يرى أنه يأتي ولا يأتي[(٣)].

قال سفيان: وهذا أشدّ ما يكون من السحر[(٤)]. قالت: حتّى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة دعا رسول الله ثمّ دعا ثمّ دعا (ليكشف الله عنه). فاستخرج السحر وعُوفي، فأنزل الله المعوّذتين، إحدى عشرة آية، بعدد العقد وشُوفي[(٥)].

يقول الأستاذ عبده: وقد رووا هاهنا أحاديث في أنّ النبيّ ﷺ سحره لبيد بن أعصم وأثّر سحره فيه حتّى كان يخيّل أنّه يفعل الشيء وهو لا يفعله أو يأتي شيئاً وهو لا يأتيه، وأنّ الله أنبأه بذلك وأخرجت موادّ السحر من بئر وعوفي ﷺ ممّا كان نزل به من ذلك ونزلت السورة.

قال: ولا يخفى أنّ تأثير السحر في نفسه ﷺ حتّى يصل به الأمر إلى أن يظنّ أنّه يفعل شيئاً وهو لا يفعله، ليس من قبيل تأثير الأمراض في الأبدان.

بل هو ماسّ بالعقل آخذ بالروح، وهو ممّا يصدِّق قول المشركين فيه: ﴿إِن تَـتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُـلاً مَّسْحُورًا﴾[(٦)]. وليس المسحور عندهم إلّا من خولط في عقله وخُيّل له أنّ شيئاً يقع وهو لا يقع، فيخيّل إليه أنّه يوحىٰ إليه ولا يوحىٰ إليه.

قال: وقال كثير من المقلّدين الذين لا يعقلون ما هي النبوّة ولا ما يجب لها: إنّ الخبر بتأثير السحر في النفس الشريفة قد صحّ، فيلزم الاعتقاد به. وعدم التصديق به من بدع المبتدعين، لأنّه ضرب من إنكار السحر، وقد جاء القرآن بصحّة السحر[(٧)]!!

---

(١) البخاري ٤: ٩١ و ٧: ٢٨؛ مسلم ٧: ١٤.

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل ٧: ٩٢ ـ ٩٤؛ الدرّ ٨: ٦٨٧.

(٣) مسند أحمد ٦: ٦٣، و ٥٧ و ٩٦.

(٤) البخاري ٧: ٢٩.

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل ٤: ٢٢٥ وراجع: تفسير ابن كثير ٤: ٦١٤.

(٦) الإسراء ١٧: ٤٧.

(٧) هذا شطط من القول، إذ لا حقيقة للسحر ولا اعترف القرآن به. وقد تكلّمنا عن ذلك بتفصيل في كتابنا التمهيد ٧: ٢٢٣ ـ ٢٥٠. نعم ذكر الآلوسي: أنّ مذهب أهل السنّة على إثباته وأنّ له حقيقة، لدلالة الكتاب والسنّة على ذلك. راجع: تفسيره «روح المعاني» ٣٠: ٢٨٣.

قال: فانظر كيف ينقلب الدين الصحيح والحقّ الصريح في نظر المقلّد بدعةً، نعوذ بالله، يحتجّ بالقرآن على ثبوت السحر، ويعرض عن القرآن في نفيه السحر عنه ﷺ وعدّه من افتراء المشركين عليه. ويؤوّل في هذه ولا يؤوّل في تلك! مع أنّ الذي قصده المشركون ظاهر، لأنّهم كانوا يقولون: إنّ الشيطان يلابسه، وملابسة الشيطان تعرف بالسحر عندهم وضرب من ضروبه. وهو بعينه أثر السحر الذي نسب إلى لبيد، فإنّه قد خالط عقله وإدراكه في زعمهم.

قال: والذي يجب اعتقاده أنّ القرآن مقطوع به وأنّه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم ﷺ فهو الذي يجب الاعتقاد بما يثبته وعدم الاعتقاد بما ينفيه، وقد جاء بنفي السحر عنه ﷺ حيث نسب القول بإثبات حصول السحر له إلى المشركين أعدائه ووبّخهم على زعمهم هذا، فإذن هو ليس بمسحور قطعاً. وأمّا الحديث فعلى فرض صحّته هو آحاد والآحاد لايؤخذ بها في باب العقائد، وعصمة النبي من تأثير السحر في عقله عقيدة من العقائد، لايؤخذ في نفيها عنه إلّا باليقين، و لايجوز أن يؤخذ فيها بالظنّ والمظنون. على أنّ الحديث الذي يصل إلينا من طريق الآحاد إنّما يُحصّل الظنّ عند من صحّ عنده، أمّا من قامت له الأدلّة على أنّه غير صحيح فلا تقوم به عليه حجّة. وعلى أيّ حال فلنا بل علينا أن نفوّض الأمر في الحديث ولا نحكّمه في عقيدتنا، ونأخذ بنصّ الكتاب وبدليل العقل، فإنّه إذا خولط النبيّ في عقله كما زعموا[١] جاز عليه أن يظنّ أنّه بلّغ شيئاً وهو لم يبلّغه أو أنّ شيئاً نزل عليه وهو لم ينزل عليه، والأمر ظاهر لا يحتاج إلى بيان[٢].

انظر كيف عالج تلكم الروايات ـ مهما قيل في صحّة إسنادها ـ معالجة فنّيّة ونقدها نقداً علميّاً وفي ضوء هدي الكتاب ونور العقل الرشيد!

وعلى غراره جرى المفسّر المضطلع سيّد قطب، قال: هذه الروايات تخالف أصول العصمة النبويّة في الفعل والتبليغ ولا تستقيم مع الاعتقاد بأنّ كلّ فعل من أفعاله ﷺ وكلّ قول من أقواله سنّة وشريعة. كما أنّها تصطدم بنفي القرآن عن الرسول ﷺ أنّه مسحور، وتكذيب المشركين فيما كانوا يدّعونه من هذا الإفك. ومن ثمّ نستبعد هذه الروايات، وأحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في أمر العقيدة، والمرجع هو القرآن. والتواتر شرط للأخذ بالأحاديث في أصول الاعتقاد، وهذه الروايات ليست من المتواتر، فضلاً عن أنّ نزول هاتين السورتين في مكّة هو الراجح، ممّا يوهن أساس

---

(١) ولا سيّما في حديث الستة أشهر.

(٢) راجع: تفسير الشيخ محمّد عبده لجزء عمّ: ١٨١ ـ ١٨٢.

الروايات الأخرى(١).

قال السّيد محمّد رشيد رضا: ولو انتُقدت الروايات من جهة فحوى متنها كما تُنتقد من جهة سندها لقضت المتون على كثير من الأسانيد بالنقض(٢).

وقد استوفينا الكلام حول مزعومة سحر النبيّ ﷺ وتزييف رواياته بصورة مستوعبة، فراجع(٣).

وهذا المحقق المضطلع الخبير العلّامة التستري في كتابه «الأخبار الدخيلة» تراه يعالج المستوردات من الأخبار معالجة فنّيّة دقيقة، مهما قيل بصحة أسانيدها ما دامت هزيلة المحتوى، ومخالفة للكتاب والسنّة وللعقل الرشيد مثلاً:

[م/ ٣٦١] وردت رواية عن عليّ بن إبراهيم بالإسناد إلى أبي بصير، سأل الإمام أبا جعفر عليه السلام عن الطلاق الذي لا يحلّ للزوج الرجوع إلّا بعد أن تنكح زوجاً غيره؟

فقال: أُخبرك بما صنعتُ أنا بامرأة كانت عندي:

يقول: طلّقتها على طهر ثمّ تركتها حتّى كادت تنقضي عدّتها راجعتها، ثمّ طلّقتها على طهر وتركتها وقبل أن تنقضي عدّتها راجعتها، ثمّ طلّقتها على طهر.

ثمّ قال: وإنّما فعلت ذلك حيث لم يكن لي بها حاجة!!(٤)

يقول العلّامة التستري: لا شكّ إنّه من الأخبار الموضوعة، لنزاهة مقام الإمامة أن يفعل شيئاً كان الله قد شنّع الجاهليّة عليه، كانوا يكرّرون الطلاق والرجوع إضراراً بالمرأة، لا لشيء سواه. قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوٓا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾(٥).

ومضافاً إلى مخالفته الصريحة:

[م/ ٣٦٢] لما رواه الصدوق عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لا ينبغي للرجل أن يطلّق امرأته ثمّ يراجعها وليس له فيها حاجة ثمّ يطلّقها، فهذا هو الضرار الذي نهى الله عزّ وجلّ عنه، إلّا أن يطلّق ثمّ

---

(١) في ظلال القرآن ٨: ٧١٠ الجزء ٣٠ / ٢٩٢.
(٢) تفسير المنار ٣: ١٤١.
(٣) التمهيد ١: ١٩١ ـ ١٩٦. ولسيّدنا الطباطبائي هنا كلام قد يبدو عليه أثر الغرابة. راجع: الميزان ٢: ٥٥٠ ـ ٥٥١.
(٤) الكافي ٦: ٧٥ ـ ٧٦ / ١.
(٥) البقرة ٢: ٢٣١.

يراجع وهو ينوي الإمساك»[١].

أتُرى أنّ الإمام الصادق يشنّع صنيعاً قد فعله أبوه الباقر من قبل؟!

يقول العلّامة التستري: مثل هذا الصنيع يتحاشاه كلّ إنسان له شرف ومقام، فكيف بذي الشرف التليد. ثمّ إذا لم يكن للإمام حاجة بها فكان يكفيه طلاق واحد من غير حاجة إلى هذا التناوش الغريب![٢]

فلا بدّ أن خبر أبي بصير مدسوس، كما عرفت في حديث يونس بن عبدالرحمان عن المغيرة ابن سعيد وأنّه كان يدسّ في أحاديث أهل البيت عليهم السلام[٣].

ولسيدنا الأُستاذ الإمام الخميني رحمه الله مواقف مشهودة في السلوك على طريقة الشيخ، من الاعتبار بالمحتوى قبل العناية بالأسناد.

وإليك مثلاً ما ورد بشأن بيع العنب ممّن نعلم أنّه يصنعه خمراً، فقد أفتى بعض الفقهاء بالجواز نظراً لعدم قصد الإعانة على الإثم، ولروايات وردت بالجواز.

[م/٣٦٣] منها: صحيحة رفاعة بن موسى، قال: سُئل أبو عبدالله عليه السلام وأنا حاضر، عن بيع العصير ممّن يخمّره؟ قال: «ألسنا نبيع تمرنا ممّن يجعله شراباً خبيثاً»[٤].

[م/٣٦٤] وروى ابن أذينة، قال: كتبت إلى أبي عبدالله عليه السلام أسأله عن رجل له كرم، أيبيع العنب والتمر ممّن يعلم أنّه يجعله خمراً أو سكراً؟ فقال: «إنّما باعه حلالاً في الإبّان الذي يحلّ شربه أو أكله، فلا بأس ببيعه»[٥].

[م/٣٦٥] وفي رواية أبي كهمس: ثمّ قال: «هو، ذا، نحن نبيع تمرنا ممّن نعلم أنّه يصنعه خمراً»[٦].

قال الأُستاذ: إنّها مخالفة للكتاب[٧] والسنّة المستفيضة:

[م/٣٦٦] الحاكية للعن رسول الله صلى الله عليه وآله الخمر وغارسها وحارسها وبائعها ومشتريها وحاملها

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٣: ٥٠١ ـ ٥٠٢ / ٤٧٦٢.
(٢) راجع: الأخبار الدخيلة ٣: ٣٠٧ ـ ٣٠٨.
(٣) راجع: رجال الكشّي ٢: ٤٨٩، ترجمة المغيرة بن سعيد (٤٠١).
(٤) التهذيب ٧: ١٣٦ / ٦٠٣ ـ ٧٤؛ الاستبصار ٣: ١٠٥ / ٣٧٠ ـ ٢.
(٥) الكافي ٥: ٢٣١ / ٨.
(٦) المصدر: ٢٣٢ / ١٢.
(٧) المائدة ٥: ٢: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾.

وساقيها[١].

قال: ولا يصحّ القول بتقييد الآية والسنّة، لإباء العقول عن ذلك، فإنّ الالتزام بحرمة التعاون على كلّ إثم إلّا بيع التمر أو العنب الذي يشترى للتخمير، كما ترى!!

قال: فتلك الروايات، بما أنّها مخالفة للكتاب والسنّة المستفيضة، وبما أنّها مخالفة لحكم العقل ولروايات النهي عن المنكر، مخالفة لأصول المذهب ومخالفة لقداسة ساحة المعصومين عليهم السلام حيث إنّ الظاهر منها أنّ الأئمّة عليهم السلام كان من دأبهم بيع التمر ممّن يصنعه خمراً، ولا يبيعونه من غيره، الأمر الذي لا يرتضي به شيعيّ إماميّ، كيف! ولو صدر مثل هذا العمل من أوسط الناس لعابوه، والمسلم بما هو مسلم. والشيعي بما هو شيعي، يرى مثل هذا العمل قبيحاً مخالفاً لرضى الشارع، فكيف يصدر من المعصوم عليه السلام[٢].

وشاهد آخر: مسألة التحيّل للفرار عن الربا، وقد وردت بشأنها روايات تجيزه، معلّلةً بأنّه نعم الفرار من الحرام إلى الحلال أو أنّه فرار من باطل إلى حقّ[٣].

قال الأستاذ: لا بدّ من وقفةٍ فاحصة عند هذه الروايات، إذ أنّ الربا، مع تلك التشديدات التي وردت بشأنه في القرآن الكريم والسنّة المتواترة، ممّا قلّ نحوها في سائر المعاصي، ومع ما فيه من مفاسد اقتصاديّة واجتماعية وحتّى سياسيّة أحياناً، كيف يمكن تحليله بمثل هذه الحيل التي يرفضها العقل الذي أدرك المصالح في منعه والمفاسد في رواجه!

ثمّ أخذ في الكلام عن أنواع الربا (القرضي والمعاملي) وأنّه في النوع الثاني يشبه الربا، وليس نفسه عرفاً، فكان التخلّص منه بوجه شرعي جائزاً. أمّا النوع القرضي فلا مخلص منه، فإنّه عين الربا القبيح عقلا، الممنوع شرعاً.

قال: وما ورد من الروايات في تجويزه بالحيل الشرعية ـ حسب مصطلحهم ـ هي روايات ضعيفة الإسناد، سوى رواية واحدة هي ما رواه الشيخ بإسناده إلى محمّد بن إسحاق الصيرفي[٤].

قال: وسائر الروايات ضعاف، بل بعضها مشتمل على ما لا يليق بساحة الإمام عليه السلام.

---

(١) الفقيه ٤: ٨/ ٤٩٦٨.

(٢) راجع: ما سجّله بهذا الصدد بقلمه الشريف في كتابه «المكاسب المحرّمة» ١: ٢١٧ ـ ٢١٩.

(٣) راجع: الوسائل ١٨: ١٧٩ ـ ١٨٠.

(٤) التهذيب ٧: ٥٢ ـ ٥٣/ ٢٢٧ ـ ٢٧.

[م / ٣٦٧] كرواية محمّد بن عبدالله ـ وهو مجهول ـ عن محمّد بن إسحاق عن الرضا عليه السلام وفيها ـ بعد السؤال عن الحيلة ـ: «قال: لا بأس به، قد أمرني أبي ففعلت»!! وهكذا في رواية مسعدة بن صدقة(١).

قال: وأنت خبير بأنّ بعض الأعمال وإن كان مباحاً فرضاً، لكن لا يرتكبه المعصوم المنزّه عن ارتكاب ما يوجب تنفّر الطباع.

قال: ولهذا في نفسي شيء من محمّد بن إسحاق هذا، وكان صيرفيّاً يصرف النقود، وقد نسب في رواياته ذلك إلى أربعة من المعصومين: الباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام. فياترى كيف يصح قبولها!؟ وإنّما هي نظير روايات بيع العنب ممّن يصنعه خمراً، مستنكرة جدّاً ويرفضها العقل الرشيد. انتهى بتلخيص(٢).

وإنّما أطلنا الكلام في هذا الباب، نظراً لأهميّة الموضوع ولكونه تأسيساً ـ قد يبدو جديداً ـ لطريقة تمحيص الروايات، يعود عهدها إلى عهد السلف من أهل التحقيق من الفقهاء، رضوان الله تعالى عليهم.

منهجنا في هذا العرض

ومنهجنا في هذا العرض هو اجتياز مراحل ثلاث للوصول إلى النتيجة المطلوبة في نهاية المطاف:

أوّلاً: عرض الآية على دلائلها الذاتيّة في داخل إطارها، فإن وفت بالإفادة تماماً، وإلّا فسعياً وراء قرائن وشواهد من آيات اُخرى، ترفع الإبهام وتحلّ المشكلة. حيث القرآن ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض، كما قال الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام(٣). فإنّ الآية قد لا تَنْطِق ـ حيثُ عَلَتْها هالة من الإبهام ـ فلا بدّ أن تُستَنْطَق، وذلك بالتدبّر والتعمّق في جوانبها والاستعلام من آيات أخرى جاءت نظيرتها وتستهدف نفس الاتّجاه. قال عليه السلام: «ذلك القرآن فاستنطقوه، ولن ينطق»(٤). وذلك حيثما أجملت وأبهمت، فمسّت الحاجة إلى البيان والتفصيل من خارج إطارها، من آية أخرى

(١) المصدر: ٢٢٨ ـ ٢٨.
(٢) راجع: كتاب البيع ـ بقلمه الشريف ٢: ٥٣٧ ـ ٥٥١.
(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٣٣.
(٤) المصدر، الخطبة ١٥٨.

ظاهرة الدلالة، أو حديث صريح صحيح الإسناد إلى السلف الصالح العارفين بمواضع القرآن الكريم أو شاهد نزول متين قويم، وغير ذلك ممّا له دخل مباشر في فهم معاني القرآن وهي أصول وقواعد عرفت باسم: مباني التفسير وأصوله الذاتيّة[(١)].

ثانياً: استعراض روايات مأثورة عن السلف، فبالدرجة الأولى: روايات مأثورة عن النبيّ الأكرم ﷺ حيث توظيفه من قبل الله تعالى بتبيين القرآن وتفهيمه للناس، ببيان ما أبهم وتفصيل ما أجمل، وقد فعل ﷺ ما كلّفه الله وامتثل أوامره تعالى بكمال.

قال تعالى: ﴿وَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[(٢)].

ولا بدّ أنّه ﷺ امتثل هذا الدستور القاطع، وأبان من معاني القرآن وحلّ مشاكله بصورة شاملة ورفع الإبهام عن وجهها بشكل تامّ، الأمر الذي نبهّنا عليه عند الكلام عن تفاسير الرسول وشمولها المستوعب، في كتابنا «التفسير والمفسّرون».

وبعده يأتي دور الصحابة والتابعين وفي مقدّمتهم العترة الطاهرة، الذين كانوا هم المراجع لفهم معاني القرآن بعد جدّهم الرسول ﷺ. ولدينا من ذا وذاك الوفير من صحاح أحاديث التفسير. وكانت رصيدنا الأوفى لدعم دلائل القرآن الذاتيّة الأولى.

ثالثاً: تمحيص تلكم الروايات على أصول النقد النزيه، بعرض ما تشابه منه على المحكمات المتلقّاة من الكتاب والسنّة القويمة ومع دعمها بحجج العقول، كما في الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «إذا أتاكم عنّي حديث فاعرضوه على كتاب الله وحجّة عقولكم. فإن وافقهما فاقبلوه وإلّا فاضربوا به عرض الجدار»[(٣)]. وقد أوضحنا ـ فيما سبق ـ طريق العرض والاستخلاص. وبهذا النهج الرتيب نستصفي النقيّ من الرديّ من خضمّ الآثار ومزدحم الأخبار، ولنجعلها سنداً متّبعاً للأخذ والاعتبار.

تلك كانت جلّ محاولاتنا سعياً وراء الحصول على اليقين المطمئنّ به من روايات التفسير، رجاء أن يكون التوفيق حليفنا والحقّ رائدنا في طول المسير، والله من وراء القصد، وهو المستعان.

---

(١) ممّا نبّهنا عليه في حقل أصول التفسير من كتابنا التمهيد، الجزء التاسع.

(٢) النحل ١٦: ٤٤.

(٣) أبوالفتوح ٣: ٣٩٢. وقد تقدّم.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الحَمْدِ

فاتحة الكتاب

هي مكيّة وآياتها مع البسملة سبع:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا

الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ

الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

والكلام عنها يشمل جوانب سبعة:

١ - ما ورد في فضلها من جلائل الآثار.

٢ - ما أُثر بشأن قراءتها عن السلف.

٣ - في نظمها البديع وأُسلوبها الرفيع.

٤ - في الكلام عن الاستعاذة.

٥ - في الكلام عن البسملة.

٦ - تفسيرها في ضوء الأثر الصحيح.

٧ - في ذكر آمين.

ولنذكرها تباعاً في سبعة فصول:

فضل سورة الحمد

لا شكّ أنّ سورة الحمد ـ على قصر حجمها ـ هي كبيرة الشأن، عظيمة الشأو، غزيرة المفاد. ويكفي في عظيم شأنها: أنّها جُعلت عدل القرآن العظيم، وهي السَّبع المثاني المفروض قراءتها في الصلاة بتكرار واستمرار. وقد اشتملت على اُمّهات مقاصد الكتاب.

والآثار بشأنها على طوائف:

منها ما ورد في فضل تلاوتها وأنّها تعدل تلاوة ثلث القرآن أو ثلثيه أو القرآن كلّه.

ومنها ما ورد: أنّها ذخر ادّخرها الله في كنز تحت العرش وأنزلها اختصاصاً بهذه الاُمّة.

ومنها ما ورد: أن لا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب ولا يعوّض عنها بشيء.

ومنها ما ورد: أنّها شفاء من كلّ داء وفيها قضاء كلّ حاجة وقد تقطّع فيها اسم الله الأعظم.

ومنها غير ذلك ممّا ورد في رفيع شأنها، نذكرها حسب الترتيب:

[١/١] روى أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين ابن بابويه الصدوق من طريق محمّد بن القاسم المفسّر المعروف بأبي الحسن الجرجاني، عن يوسف بن محمّد بن زياد، وعليّ بن محمّد بن سيار عن أبويهما، عن الإمام الحسن بن علي عن أبيه علي بن محمّد عن أبيه محمّد بن علي، عن أبيه الرضا عن آبائه عن علي عليه السلام أنّه قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ الله تبارك وتعالى قال

لي: يا محمّد ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾(١) فأفرد الامتنان عليَّ بفاتحة الكتاب وجعلها بإزاء القرآن العظيم، وإنّ فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش، وإنّ الله ﷻ خصّ محمّداً وشرّفه بها، ولم يشرك معه فيها أحداً من أنبيائه ما خلا سليمان، فإنّه أعطاه منها «بسم الله الرحمان الرحيم» ألا تراه يحكي عن بلقيس حين قالت: ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ. إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾»(٢).

ثمّ ذكر ثواب قراءتها وقال: «من قرأها أعطاه الله تعالى بكلّ حرف منها حسنة، كلّ واحدة منها أفضل له من الدُّنيا وما فيها من أصناف أموالها وخيراتها، ومن استمع إلى قارئ يقرأها كان له قدر ما للقارئ. فليستكثر أحدكم من هذا الخير المعرّض لكم، فإنّه غنيمة لا يذهبنّ أوانه، فيبقى في قلوبكم الحسرة»(٣).

[١ / ٢] وروي أنّ رجلاً يسمّى عبد الرحمان كان معلّماً لأولاد في المدينة فعلّم ولداً للحسين ؈ يقال له جعفر، فعلّمه ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فلمّا قرأها على أبيه الحسين ؈ استدعى المعلّم وأعطاه ألف دينار وألف حلّة وحشا فاه دُرّاً. فقيل له في ذلك؟ فقال ؈: «وأنّى تساوى عطيّتي هذه بتعليمه ولدي ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾»(٤).

[١ / ٣] وأخرج أبو نعيم والديلمي عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «فاتحة الكتاب تجزئ ما لا يجزئ شيء من القرآن. ولو أنّ فاتحة الكتاب جعلت في كفّة الميزان، وجعل القرآن في الكفّة الأُخرى لفضلت فاتحة الكتاب على القرآن سبع مرّات»(٥).

[١ / ٤] وأخرج عبد بن حميد في مسنده والفريابي في تفسيره عن ابن عبّاس قال: فاتحة الكتاب ثلث القرآن(٦).

[١ / ٥] وأخرج أبو عبيد في فضائله عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ فاتحة

---

(١) الحجر ١٥: ٨٧. (٢) النمل ٢٧: ٢٩ ـ ٣٠.

(٣) الأمالي: ٢٤٠ ـ ٢٤١ / ٢٥٥، المجلس ٣٣؛ العيون ١: ٢٧٠ ـ ٢٧١ / ٦٠، باب ٢٨ (ما جاء عن الرضا من الأخبار المتفرّقة)؛ تفسير الإمام: ٢٩؛ البحار ٨٩: ٢٢٧ ـ ٢٢٨ / ٥، باب ٢٩؛ جامع الأخبار: ١٢٢ / ١٥.

(٤) مناقب ابن شهرآشوب ٣: ٢٢٢؛ البحار ٤٤: ١٩١ / ٣، باب ٢٦.

(٥) الدرّ ١: ١٦؛ فردوس الأخبار ٣: ١٥٧ / ٤٢٦٣؛ كنز العمّال ١: ٥٥٧ / ٢٤٩٨.

(٦) الدرّ ١: ١٥.

الكتاب فكأنّما قرأ التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان»[١].

[٦/١] روى الطبرسي عن أُبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «أيّما مسلم قرأ فاتحة الكتاب، أُعطي من الأجر كأنّما قرأ ثلثي القرآن، وأُعطي من الأجر كأنّما تصدّق على كلّ مؤمن ومؤمنة». وروي من طريق آخر هذا الخبر بعينه، إلّا أنّه قال: «كأنّما قرأ القرآن»[٢].

[٧/١] وأخرج عبد بن حميد في مسنده عن ابن عبّاس يرفعه إلى النبيّ ﷺ: «فاتحة الكتاب تعدل بثلثي القرآن»[٣].

[٨/١] روى العياشي بإسناده إلى يونس بن عبد الرحمان عمّن رفعه، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنْ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾. فقال: «هي سورة الحمد وهي سبع آيات منها ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾، وإنّما سمّيت المثاني لأنّها تثنّى في الركعتين»[٤] أي تكرّر.

[٩/١] وعن أبي رجاء قال: سألت الحسن عن قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنْ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ قال: هي فاتحة الكتاب. ثمّ سئل عنها وأنا أسمع، فقرأها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ...﴾ حتّى أتى على آخرها، فقال: تُثنّى في كلّ قراءة. أو قال: في كلّ صلاة. الشكّ من أبي جعفر[٥]

[١٠/١] وأخرج الطبراني في الأوسط بإسناده عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ أُمّ القرآن وقل هو الله أحد فكأنّما قرأ ثلث القرآن»[٦].

[١١/١] وأخرج الحاكم وصحّحه وأبو ذرّ الهروي في فضائله والبيهقي في الشعب عن أنس قال: «كان ﷺ في مسير له فنزل فمشى رجل من أصحابه إلى جنبه، فالتفت إليه النبيّ ﷺ فقال: ألا أخبرك بأفضل القرآن؟ فتلا عليه ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ...﴾[٧].

[١٢/١] وأخرج الطبراني في الأوسط عن أبي زيد وكانت له صحبة قال: «كنت مع النبي ﷺ في بعض فجاج المدينة، فسمع رجلاً يتهجّد ويقرأ بأُمّ القرآن. فقام النبيّ ﷺ فاستمع حتّى ختمها

---

(١) الدرّ ١: ١٦؛ فضائل القرآن: ٧/١١٧ ـ ٣٣، باب ٣٣.
(٢) مجمع البيان ١: ٤٨؛ جامع الأخبار: ١٠/١٢١ و ١١، فصل ٢٢.
(٣) الدرّ ١: ١٥؛ المحرّر الوجيز ١: ٦٦؛ منتخب مسند عبد بن حميد: ٦٧٨/٢٢٧، باب مسند ابن عبّاس؛ كنز العمّال ١: ٢٤٩٥/٥٥٦.
(٤) العيّاشي ١: ٣/٣٣.
(٥) الطبري ١: ١١١/٧٤.
(٦) الدرّ ١: ١٥؛ الأوسط ٥: ٣٢؛ مجمع الزوائد ٦: ٣١١.
(٧) الدرّ ١: ١٥؛ الحاكم ١: ٥٦٠/٧؛ الشعب ٢: ٤٤٤ ـ ٢٣٥٨/٤٤٥؛ الكبرى ٥: ٨٠١١/١١؛ كنز العمّال ١: ٢٥١٤/٥٥٩.

ثمّ قال: ما في الأرض مثلها»[١].

[١٣/١] وأخرج مسلم والنسائي وابن حبّان والطبراني والحاكم عن ابن عبّاس قال: «بينما رسول الله ﷺ جالس وعنده جبريل إذ سمع نقيضاً[٢] من السماء من فوق، فرفع جبريل بصره إلى السماء فقال: يا محمّد هذا مَلَك قد نزل لم ينزل إلى الأرض قطّ! قال: فأتى النبيّ ﷺ فسلّم عليه فقال: أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبيّ قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ حرفاً منهما إلّا أُعطيته»[٣].

[١٤/١] وأخرج ابن الضريس عن أبي قلابة يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «من شهد فاتحة الكتاب حين تستفتح كان كمن شهد فتحاً في سبيل الله، ومن شهدها حين تختم كان كمن شهد الغنائم حين تقسّم»[٤].

[١٥/١] وأخرج عبد بن حميد في تفسيره عن إبراهيم قال: سألت الأسود عن فاتحة الكتاب أمن القرآن هي؟ قال: نعم[٥].

[١٦/١] وأخرج عبد بن حميد عن إبراهيم قال: كان عبدالله بن مسعود لا يكتب فاتحة الكتاب في المصحف وقال: لو كتبتها لكتبت في أوّل كلّ شيء[٦].

[١٧/١] وأخرج عبد بن حميد ومحمّد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة وابن الأنباري في المصاحف عن محمّد بن سيرين أنّ أُبيّ بن كعب كان يكتب فاتحة الكتاب، والمعوّذتين، واللّهمّ إيّاك نعبد، واللّهمّ إيّاك نستعين، ولم يكتب ابن مسعود شيئاً منهنّ. وكتب عثمان بن عفّان فاتحة الكتاب، والمعوّذتين[٧].

وقد بسطنا الكلام عن ذلك في مباحثنا عن مصاحف الصحابة في العهد الأوّل في الجزء الأوّل

---

(١) الدرّ ١: ١٤؛ الأوسط ٣: ١٨٣؛ مجمع الزوائد ٦: ٣١٠.

(٢) هو بالقاف والضاد أي صوتاً كصوت الباب إذا فتح.

(٣) الدرّ ١: ١٣؛ مسلم ٢: ١٩٨؛ النسائي ١: ٣١٧/ ٩٨٤؛ ابن حبان ٣: ٥٧/ ٧٧٨؛ الكبير ١١: ٣٥٠، باب سعيد بن جبير عن ابن عبّاس؛ الحاكم ١: ٥٥٨ ـ ٥٥٩، باب فضيلة فاتحة الكتاب، وصحّحه على شرط الشيخين؛ القرطبي ١: ١١٦؛ ابن كثير ١: ١٢.

(٤) الدرّ ١: ١٧؛ كنز العمّال ١: ٥٤٢/ ٢٤٣٠؛ تاريخ بغداد ٩: ٣٠٨/ ٤٨٤٥ (صالح بن بشير).

(٥) الدرّ ١: ١٠.

(٦) الدرّ ١: ١٠؛ القرطبي ١: ١١٥. بلفظ: «... قيل لعبد الله بن مسعود: لِمَ لم تكتب فاتحة الكتاب في مصحفك؟ قال: لو كتبتها لكتبتها مع كلّ سورة»؛ ابن كثير ١: ١٠.

(٧) الدرّ ١: ١٠.

من كتابنا التمهيد[١].

***

[١ / ١٨] قال مجاهد: سُمّيت مثاني لأنّ الله تعالى استثناها لهذه الأُمّة فذخرها لهم[٢].

[١ / ١٩] وأخرج إسحاق بن راهويه في مسنده عن عليّ عليه السلام. أنّه سئل عن فاتحة الكتاب فقال: حدّثنا نبيّ الله صلى الله عليه وآله: «أنّها أُنزلت من كنز تحت العرش»[٣].

[١ / ٢٠] وأخرج الواحدي في أسباب النزول والثعلبي في تفسيره عن عليّ عليه السلام قال: «نزلت فاتحة الكتاب بمكّة من كنز تحت العرش»[٤].

[١ / ٢١] وروي عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «فاتحة الكتاب، وآية الكرسيّ، وشهد الله أنّه لا إله إلّا هو، وقل اللّهمّ مالك الملك. هذه الآيات معلّقات بالعرش ليس بينهنّ وبين الله حجاب»[٥].

[١ / ٢٢] وأخرج أبو الشيخ في الثواب والطبراني وابن مردويه والديلمي والضياء المقدسي في المختارة عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أربع أُنزلن من كنز تحت العرش لم ينزل منه شيء غيرهنّ. أُمّ الكتاب، وآية الكرسي، وخواتيم سورة البقرة، والكوثر».

وأخرج ابن الضريس عن أبي أمامة موقوفاً (أي على أبي أمامة) مثله[٦].

[١ / ٢٣] روى الصدوق بإسناده إلى جابر عن النبيّ صلى الله عليه وآله في حديث طويل قال فيه حاكياً عن الله تعالى: «وأعطيتُ لك ولأُمّتك كنزاً من كنوز عرشي: فاتحة الكتاب»[٧].

[١ / ٢٤] قال الطبرسي: روى جعفر بن محمّد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «لمّا أراد الله عزّ وجلّ أن يُنزل فاتحة الكتاب، وآية الكرسي، وشهد الله، و ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ إلى قوله ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٨] تعلّقن بالعرش وليس بينهنّ وبين الله حجاب، وقلن: ياربّ تهبطنا دار الذنوب وإلى من

---

(١) التمهيد ١: ٢٧٧ فما بعد (تأليف القرآن). (٢) البغوي ١: ٧٠.

(٣) الدرّ ١: ١٦؛ كنز العمّال ١: ٢٥٠١ / ٥٥٧.

(٤) الدرّ ١: ١٠؛ أسباب النزول: ١١؛ الثعلبي ١: ٨٩؛ التفسير الكبير ١: ١٧٧؛ أبو الفتوح ١: ٣٤؛ كنز العمّال ٢: ٤٠٥١ / ٢٩٧.

(٥) القرطبي ١: ١١١؛ كنز العمّال ٢: ٥٠٥٦ / ٦٧٩؛ البحار ٨٩: ١٨ / ٢٦٩؛ جامع الأخبار: ١٢٥ / ٢٤٠ ـ ٢٨.

(٦) الدرّ ١: ١٦؛ كنز العمّال ١: ٢٥٠٤ / ٥٥٨؛ الكبير ٨: ٢٣٥.

(٧) الخصال: ٤٢٥ / ١، باب العشرة (أسماء النبيّ صلى الله عليه وآله عشرة)؛ البحار ٨٩: ٢٣٠ / ١٠، باب ٢٩ (فضائل سورة الفاتحة).

(٨) آل عمران ٣: ١٨ و ٢٦ ـ ٢٧.

يعصيك ونحن معلّقات بالطهور والقدس! فقال: وعزّتي وجلالي ما من عبد قرأكنّ في دَبْر كلّ صلاة إلّا أسكنته حظيرة على ما كان فيه، ونظرت إليه بعيني المكنونة، في كلّ يوم سبعين نظرة، وإلّا قضيتُ له في كلّ يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة، وإلّا أعذته من كلّ عدوّ ونصرته عليه، ولا يمنعه من دخول الجنّة إلّا الموت»[١]. أي لا يحول بينه وبين الجنّة سوى الموت.

[١ / ٢٥] وأخرج الحاكم وصحّحه وابن مردويه في تفسيره وأبو ذر الهروي في فضائله والبيهقي في الشعب عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعطيت سورة البقرة من الذكر الأوّل، وأُعطيت فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش، والمفصّل نافلة»[٢].

[١ / ٢٦] وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن الحسن قال: أنزل الله مائة وأربعة كتب، أودع علومها أربعة منها: التوراة، والإنجيل والزبور والفرقان، ثمّ أودع علوم التوراة والإنجيل والزبور الفرقان، ثمّ أودع علومَ القرآنِ المفصَّلَ، ثمّ أودع [علوم] المفصَّلِ فاتحةَ الكتاب. فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة[٣].

[١ / ٢٧] وأخرج أبو بكر ابن الأنباري في المصاحف عن قتادة قال: نزلت فاتحة الكتاب بمكّة[٤].

[١ / ٢٨] وأخرج وكيع في تفسيره وابن الأنباري في المصاحف وأبو الشيخ في العظمة وأبو نعيم في الحلية عن مجاهد قال: رنّ إبليس أربعاً: حين نزلت فاتحة الكتاب، وحين لعن، وحين هبط إلى الأرض، وحين بعث محمّد ﷺ[٥].

[١ / ٢٩] وأخرج ابن الضريس عن عبد العزيز بن ربيع قال: لمّا نزلت فاتحة الكتاب، رنّ إبليس كرنّته يوم لعن[٦].

[١ / ٣٠] وأخرج ابن الضريس عن مجاهد قال: لمّا نزلت ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ شقّ على

---

(١) مجمع البيان ٢: ٢٦٧؛ البحار ٩٢: ٢٦١ / ٥٧، باب ٢٩ (فضائل سورة الفاتحة).

(٢) الدرّ ١: ١٦؛ الحاكم ١: ٥٥٩؛ الشعب ٢: ٤٤٨ / ٢٣٦٤. (٣) الدرّ ١: ١٦؛ الشعب ٢: ٤٥٠ ـ ٤٥١ / ٢٣٧١؛ أبو الفتوح ١: ٣٠.

(٤) الدرّ ١: ١١؛ المحرّر الوجيز ١: ٦٥. وفيه: قال ابن عبّاس وموسى بن جعفر عن أبيه وعلي بن الحسين وقتادة وأبو العالية ومحمّد بن يحيى بن حبان: أنّها مكّيّة؛ القرطبي ١: ١١٥. وفيه: قال ابن عبّاس وقتادة وأبو العالية الرياحي ـ واسمه رفيع ـ وغيرهم: هي مكّيّة؛ ابن كثير ١: ٩؛ مجمع البيان ١: ٤٧ عن ابن عبّاس وقتادة؛ أبو الفتوح ١: ٣٣؛ التبيان ١: ٢٣.

(٥) الدرّ ١: ١٦ ـ ١٧؛ العظمة ٥: ١٦٧٩ / ١١٢٤؛ حلية الأولياء ٣: ٢٩٩؛ القرطبي ١: ١٠٩؛ أبو الفتوح ١: ٣٨. بالاختصار.

(٦) الدرّ ١: ١٧.

إبليس مشقّة شديدة، ورنّ رنّة شديدة، ونخر نخرة شديدة. قال مجاهد: فمن أنّ أو نخر فهو ملعون[١].

[١ / ٣١] روى الصدوق بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «رنّ إبليس أربع رنّات: يوم لُعن، وحين أُهبط إلى الأرض، وحين بُعث محمّد صلى الله عليه وآله على حين فترة من الرسل، وحين أُنزلت أُمّ الكتاب»[٢].

[١ / ٣٢] وروى العيّاشي بإسناده عن عبدالملك بن عمرو، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ إبليس رنّ أربع رنّات: يوم لعن وحين هبط إلى الأرض وحين بعث محمّد صلى الله عليه وآله على فترة من الرُّسل وحين أُنزلت أُمّ الكتاب ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. ونخر نخرتين: حين أكل آدم عليه السلام من الشجرة وحين أُهبط آدم إلى الأرض، قال: ولُعن مِن فِعل ذلك»[٣].

[١ / ٣٣] وأخرج ابن أبي شيبة في المصنّف وأبو سعيد ابن الأعرابي في معجمه والطبراني في الأوسط من طريق مجاهد عن أبي هريرة: إنّ إبليس رنّ حين أُنزلت فاتحة الكتاب، وأُنزلت بالمدينة[٤].

قلت: وهذا وهم من أبي هريرة، رواه عنه مجاهد روايةً لا اعتقاداً. وقد أسبقنا الكلام عن ذلك في الجزء الأوّل من التمهيد.

[١ / ٣٤] وأخرج وكيع والفريابي في تفسيريهما وأبو عبيد في فضائل القرآن وابن أبي شيبة في المصنّف وعبد بن حميد وابن المنذر في تفسيره وأبو بكر ابن الأنباري في كتاب المصاحف وأبو الشيخ في العظمة وأبو نعيم في الحلية من طرق عن مجاهد (ولعلّه عن أبي هريرة) قال: نزلت فاتحة الكتاب بالمدينة[٥].

---

(١) المصدر.

(٢) الخصال: ٢٦٣ / ١٤١، أبواب الأربعة، باب رنّ إبليس لعنه الله أربع رنّات، وزاد: «ونخر نخرتين: حين أكل آدم من الشجرة، وحين أهبط من الجنّة»؛ العيّاشي ١: ٣٤ / ٨، بزيادة: «ونخر نخرتين: حين أكل آدم من الشجرة وحين أهبط آدم إلى الأرض».

(٣) العيّاشي ١: ٣٤ / ٨.

(٤) الدرّ ١: ١١؛ المصنّف ٧: ١٨٥ / ١؛ الأوسط ٥: ١٠٠؛ مجمع الزوائد ٦: ٣١١. قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، شبيه المرفوع ورجاله رجال الصحيح.

(٥) الدرّ ١: ١١؛ فضائل القرآن: ٢٢٢ / ١٥ ـ ٥٦؛ المصنّف ٧: ١٨٥ / ٧؛ العظمة ٥: ١٦٧٩ / ١١٢٤؛ الحلية ٣: ٢٩٩ عن مجاهد؛
←

[١ / ٣٥] وأخرج أبو نعيم في الدلائل من طريق ابن إسحاق : حدّثني إسحاق بن يسار عن رجل من بني سلمة قال : لمّا أسلم فتيان بني سلمة ، وأسلم ولد عمرو بن الجموح ، قالت امرأة عمرو له : هل لك أن تسمع من ابنك ما روى عنه ؟ فقال : أخبرني ما سمعت من كلام هذا الرجل . فقرأ عليه ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى قوله : ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فقال : ما أحسن هذا وأجمله! وكلّ كلامه مثل هذا ؟ فقال : يا أبتاه وأحسن من هذا ، وذلك قبل الهجرة[١].

[١ / ٣٦] وأخرج أحمد والبخاري والدارمي وأبو داوود والنسائي وابن جرير وابن حبان وابن مردويه والبيهقي عن أبي سعيد بن المعلّى قال : كنت أُصلّي فدعاني النبيّ ﷺ فلم أُجبه فقال : «ألم يقل الله ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾[٢] ثمّ قال : لأُعلّمنّك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد . فأخذ بيدي فلمّا أردنا أن نخرج قلت : يارسول الله إنّك قلت لأعلّمنّك سورة في القرآن ؟ قال : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ...﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أُوتيته»[٣].

في هذا الحديث نكارة من وجوه :

أوّلاً . كيف يوبّخ النبيّ ﷺ رجلاً أخذ بحرمة الصلاة فلم يقطعها ، ليؤخّر إجابة النبي فور إكمال الصلاة ، كما في الحديث الآتي : فخفّف وأسرع إلى النبيّ وسلّم عليه سلام تسليم ؟

ثانياً . ما وجه دلالة الآية التي استند إليها النبي ـ فرضاً ـ وهي خاصّة بشأن دعوته للإسلام ؟

ثالثاً . الثابت من الأحاديث ومن ظاهر تعبير القرآن ، أنّ سورة الحمد ـ وهي السبع المثاني ـ تعادل القرآن العظيم ، لا أنّها القرآن بذاته!

رابعاً . ماذا يبدو من الحديث ؟ هل كانت سورة الحمد أعظم سورة في القرآن ، أم هي نفس القرآن ؟! والعبارة في ذيل الحديث مجملة : «هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أُوتيته» .. ما شأن العطف في «... والقرآن العظيم» ، وما شأن الوصف في «... الذي أُوتيته ...» ، وصف لماذا ؟

خامساً . ما هذا الاهتمام البالغ بشأن تعليم سورة ، كان المسلمون تعاهدوها منذ بزوغ

← التفسير الكبير ١ : ١٧٧ ؛ المحرّر الوجيز ١ : ٦٥ ؛ القرطبي ١ : ١١٥ ، لكنّه رجّح نزولها بمكّة ؛ والبغوي ١ : ٧٠ ؛ ابن كثير ١ : ٩ ، لكنّه رجّح نزولها بمكّة ؛ مجمع البيان ١ : ٤٧ ؛ أبو الفتوح ١ : ٣٣ عن مجاهد وعطاء ؛ التبيان ١ : ٢٣ عن مجاهد .

(١) الدرّ ١ : ١١ ؛ الدلائل ١ : ٢٢٨ / ٣١١ ، الرواية مطوّلة . (٢) الأنفال ٨ : ٢٤ .

(٣) الدرّ ١ : ١٣ ؛ مسند أحمد ٤ : ٢١١ ؛ البخاري ٥ : ١٤٦ ، كتاب تفسير القرآن ؛ الدارمي ١ : ٣٥٠ ؛ أبو داوود ١ : ٣٢٨ / ١٤٥٨ ؛ النسائي ٥ : ١١ / ٨٠١٠ ؛ الطبري ٨ : ٧٩ / ١٦١٣٥ ؛ ابن حبان ٣ : ٥٦ / ٧٧٧ ؛ الشعب ٢ : ٤٤١ ـ ٤٤٢ / ٢٣٤٥ ؛ ابن ماجة ٢ : ١٢٤٤ / ٣٧٨٥ .

الإسلام ؟! وهل كان أبو سعيد لا يعرف هذه السورة ولا يعرف موضعها من حياة المسلمين العبادية ؟! الأمر الذي يوهن جواز نسبة مثل هذا الحديث إلى النبيّ الكريم!!

[١ / ٣٧] وأخرج أبو عبيد وأحمد والدارمي والترمذي وصحّحه والنسائي وابن خزيمة وابن المنذر والحاكم وصحّحه وابن مردويه وأبو ذرّ الهروي في فضائل القرآن والبيهقي في سننه عن أبي هريرة «أنّ رسول الله ﷺ خرج على أُبيّ بن كعب فقال: يا أُبيّ ـ وهو يصلّي ـ فالتفت أُبيّ فلم يجبه. فصلّى أُبيّ فخفّف، ثمّ انصرف إلى رسول الله ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: ما منعك أن تجيبني إذ دعوتك؟ فقال: يارسول الله إنّي كنت في الصلاة. قال: أفلم تجد فيما أوحى الله إليّ أن ﴿اسْتَجِيبُوا لِلّٰهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾؟[1] قال: بلى. ولا أعود إن شاء الله! قال: أتحبّ أن أُعلّمك سورةً لم تنزل في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في الفرقان مثلها؟ قال: نعم يارسول الله! فقال رسول الله ﷺ: كيف تقرأ في الصلاة؟ فقرأ بأُمّ القرآن! فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده ما أُنزل في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في الفرقان، مثلُها، وإنّها السبع من المثاني. أو قال: السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أُعطيته»[2].

وفي هذا الحديث زيادة نكارة على التي سبقت، هي وصف سورة الحمد بأنّها لم تنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان.

هل كانت سائر السور نازلة في تلك الكتب، حتّى تختصّ هذه السورة بكرامة نزولها على رسول الله خاصّة؟!

وهل كان من المتوقّع نزولها في تلك الكتب، مع ما نعلم أنّ تلك الصحف لم تعدّ لنزول مثل سور القرآن فيها.

ثمّ ما معنى: «ولا في الفرقان ...» ماذا يقصد من الفرقان؟ هل هو القرآن أم غيره أم ماذا؟

[١ / ٣٨] وأخرج أحمد في مسنده وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه في تفاسيرهم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنّه قال في أمّ القرآن: «هي أُمّ القرآن، وهي السبع

---

(١) الأنفال ٨: ٢٤.

(٢) الدرّ ١: ١٣؛ فضائل القرآن: ١ / ١١٦ ـ ٣٣؛ مسند أحمد ٢: ٤١٢ ـ ٤١٣؛ الدارمي ٢: ٤٤٦؛ الترمذي ٤: ٢٣١ / ٣٠٣٦، أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب؛ النسائي ٦: ٣٥١ / ١١٢٠٥؛ ابن خزيمة ١: ٢٥٢؛ الحاكم ٢: ٢٥٨؛ البيهقي ٢: ٣٧٦.

المثاني، وهي القرآن العظيم»(١).

[١/ ٣٩] وأخرج البخاري والدارمي في مسنده وأبو داوود والترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه في تفاسيرهم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أمّ القرآن، وأمّ الكتاب، والسبع المثاني»(٢).

[١/ ٤٠] وأخرج ابن الضريس في فضائل القرآن عن أيّوب أنّ محمّد بن سيرين كان يكره أن يقول: أمّ القرآن. ويقول: قال الله: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾(٣) ولكن «فاتحة الكتاب»(٤).

* * *

[١/ ٤١] وأخرج الشافعي في الأمّ وابن أبي شيبة في المصنّف وأحمد في مسنده والبخاري ومسلم وأبو داوود والترمذي والنسائي وابن ماجة والبيهقي في السنن عن عبادة بن الصامت: أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»(٥).

[١/ ٤٢] وأخرج أحمد والبيهقي في سننه عن أبي هريرة قال: أمرني رسول الله ﷺ قال: «كلّ صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خِداج ـ ثلاث مرّات ـ يعني غير تامّ»(٦).

[١/ ٤٣] وأخرج ابن ماجة في سننه عن أبي سعيد الخُدري قال، قال رسول الله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ في كلّ ركعة بالحمد وسورة في فريضة أو غيرها»(٧).

[١/ ٤٤] وأخرج الدارقطني والحاكم عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «أمّ

---

(١) الدرّ ١: ١٢؛ مسند أحمد ٢: ٤٤٨؛ الطبري ١: ٧٣/ ١١٠؛ ابن كثير ١: ١٠.

(٢) الدرّ ١: ١٢؛ البخاري ٥: ٢٢٢، كتاب التفسير ـ سورة الحجر، باب قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي﴾؛ الدارمي ٢: ٤٤٦، كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب؛ أبو داوود ١: ٣٢٨/ ١٤٥٧، كتاب الصلاة، باب ٣٥٠ (فاتحة الكتاب)؛ الترمذي ٤: ٣٦٠/ ٥١٣٠. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح؛ مسند أحمد ٢: ٤٤٨؛ كنز العمّال ١: ٥٥٨/ ٢٥٠٥؛ التبيان ١: ٢٢.

(٣) الرعد ١٣: ٣٩. (٤) الدرّ ١: ١١.

(٥) الدرّ ١: ١٨؛ الأمّ ١: ١٢٩؛ المصنف ١: ٣٩٦/ ١؛ مسند أحمد ٥: ٣١٤؛ البخاري ١: ١٨٤، كتاب الصلاة، باب ٩٥ (وجوب القراءة للإمام والمأموم)؛ مسلم ٢: ٨؛ أبو داوود ١: ١٨٩/ ٨٢٢؛ الترمذي ١: ١٥٦/ ٢٤٧؛ النسائي ٢: ١٣٧؛ ابن ماجة ١: ٢٧٣/ ٨٣٧؛ البيهقي ٢: ٣٨؛ كنز العمّال ٧: ٤٣٨/ ١٩٦٦٩؛ القرطبي ١: ١١٩؛ ابن كثير ١: ١٣؛ أبو الفتوح ١: ٣٩.

(٦) الدرّ ١: ١٨؛ مسند أحمد ٢: ٤٧٨؛ البيهقي ٢: ٣٨؛ ابن ماجه ١: ٢٧٤/ ٨٤١؛ القرطبي ١: ١١٩؛ ابن كثير ١: ١٢؛ أبو الفتوح ١: ٣٩.

(٧) ابن ماجة ١: ٢٧٤/ ٨٣٩، كتاب إقامة الصلاة والسنّة فيها، باب ١١ (القراءة خلف الإمام).

القرآن عوض عن غيرها، وليس غيرها عنها عوضاً»(١).

[١/ ٤٥] وعن عفيف بن سالم قال: سألت عبدالله بن يحيى بن أبي كثير عن قراءة الفاتحة خلف الإمام فقال: عن الكافية تسأل؟ قلت: وما الكافية؟ قال: «الفاتحة» أما علمت أنّها تكفي عن سواها ولا يكفي سواها عنها(٢).

[١/ ٤٦] وأخرج الثعلبي عن عبد الجبّار بن العلاء قال: كان سفيان بن عيينة يسمّي فاتحة الكتاب: الوافية(٣).

* * *

[١/ ٤٧] ومن طريق معاوية بن صالح عن أبي سليمان قال: مرّ أصحاب رسول الله ﷺ في بعض غزوهم على رجل قد صرع، فقرأ بعضهم في أُذنه بأُمّ القرآن فبرأ. فقال رسول الله ﷺ: «هي أُمّ القرآن، وهي شفاء من كلّ داء»(٤).

[١/ ٤٨] وأخرج الدارمي والبيهقي في شعب الإيمان بسند رجاله ثقات عن عبد الملك بن عمير قال: «قال رسول الله ﷺ فاتحة الكتاب شفاء من كلّ داء»(٥).

[١/ ٤٩] وأخرج أحمد والبيهقي في شعب الإيمان بسند جيّد عن عبدالله بن جابر أنّ رسول الله ﷺ قال له: «ألا أُخبرك بأخير سورة نزلت في القرآن؟ قلت: بلى يارسول الله، قال: فاتحة الكتاب. وأحسبه قال: فيها شفاء من كلّ داء»(٦).

[١/ ٥٠] وأخرج البزّار في مسنده عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وضعت جنبك على

---

(١) الدرّ ١: ١٨؛ الدارقطني ١: ٣٢٠؛ الحاكم ١: ٢٣٨؛ كنز العمّال ١: ٥٥٨/ ٢٥٠٧؛ أبو الفتوح ١: ٣١.

(٢) الدرّ ١: ١٢؛ الثعلبي ١: ١٢٨. وزاد في آخره: إيّاك أن تصلّي إلّا بها؛ التفسير الكبير: ١٧٦١؛ القرطبي ١: ١١٣؛ ابن كثير ١: ٩؛ أبو الفتوح ١: ٣١.

(٣) الدرّ ١: ١٢؛ الثعلبي ١: ١٢٧؛ التفسير الكبير ١: ١٧٦؛ ابن كثير ١: ٩، القرطبي ١: ١١٣١، وقال في تعليل تسميتها بالوافية: لأنّها لا تنتصف ولا تحتمل الاختزال. ولو قرأ من سائر السور نصفها في ركعة، ونصفها الآخر في ركعة لأجزأ. ولو نصفت الفاتحة في ركعتين لم يُجز.

(٤) الدرّ ١: ١٥؛ الثعلبي ١: ١٢٨ ـ ١٢٩. وفيه: (رجل مقعد متربّع) بدل (رجل قد صرع) و(في أُذنه شيئاً من القرآن) بدل (في أُذنه بأُمّ القرآن)؛ أبو الفتوح ١: ٣٢.

(٥) الدرّ ١: ١٥؛ الدارمي ٢: ٤٤٥؛ الشعب ٢: ٤٥٠/ ٢٣٧٠.

(٦) الدرّ ١: ١٤؛ مسند أحمد ٤: ١٧٧؛ الشعب ٢: ٤٤٩ ـ ٤٥٠؛ مجمع الزوائد ٦: ٣١٠؛ ابن كثير ١: ١١ ـ ١٢.

الفراش وقرأت فاتحة الكتاب، وقل هو الله أحد فقد أمنت من كلّ شيء إلّا الموت»[١].

[١ / ٥١] وأخرج ابن قانع في معجم الصحابة عن رجاء الغنوي قال: قال رسول الله ﷺ: «استشفوا بما حمد الله به نفسه قبل أن يحمده خلقه، وبما مدح الله به نفسه. قلنا: وما ذاك يا نبيّ الله؟ قال: «الحمد لله» و«قل هو الله أحد» فمن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله»[٢].

[١ / ٥٢] وأخرج سعيد بن منصور في سننه والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي سعيد الخُدري أنّ رسول الله ﷺ قال: «فاتحة الكتاب شفاء من السُّم»[٣].

وأخرج أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من وجه آخر عن أبي سعيد وأبي هريرة مرفوعاً مثله[٤].

[١ / ٥٣] روى ثقة الإسلام الكليني عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن سنان، عن سلمة بن محرز قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «من لم يبرأه الحمد لم يبرأه شيء»[٥].

[١ / ٥٤] وعن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن إسماعيل بن بزيع عن عبدالله بن الفضل النوفلي رفعه قال: ما قرأت الحمد على وجع سبعين مرّة إلّا سكن[٦].

[١ / ٥٥] روى العيّاشي بإسناده عن إسماعيل بن أبان، يرفعه إلى النبي ﷺ، قال: «قال رسول الله ﷺ لجابر بن عبدالله: يا جابر ألا أُعلِّمك أفضل سورة أنزلها الله في كتابه؟ فقال جابر: بلى بأبي أنت وأُمّي يارسول الله علِّمنيها، قال: فعلّمه «الحمد» أُمّ الكتاب، ثمّ قال له: يا جابر ألا أُخبرك عنها؟ قال: بلى بأبي أنت وأُمّي، فأخبرني، قال: هي شفاء من كلّ داء إلّا السام يعني الموت»[٧].

---

(١) الدرّ ١: ١٥؛ ابن كثير ١: ١٤؛ مجمع الزوائد ١٠: ١٢١، باب ما يقول إذا أوى إلى فراشه وإذا انتبه. وقال الهيثمي: رواه البزّار وفيه غسّان بن عبيد وهو ضعيف، ووثّقه ابن حبان وبقيّة رجاله رجال الصحيح؛ كنز العمّال ١٥: ٤١٢٧٩/٣٣٥.

(٢) الدرّ ١: ١٧؛ معجم الصحابة ١: ٢١٥؛ كنز العمّال ١٠: ٢٨١٠٤/٨.

(٣) الدرّ ١: ١٤؛ الشعب ٢: ٢٣٦٨/٤٥٠؛ فردوس الأخبار ٣: ٤٢٦٤/١٥٧؛ القرطبي ١: ١١٢؛ ابن كثير ١: ٩؛ أبو الفتوح ١: ٣٢؛ كنز العمّال ١: ٢٤٩٩٦/٥٥٧.

(٤) الدرّ ١: ١٥.

(٥) الكافي ٢: ٢٢/٦٢٦، كتاب فضل القرآن، باب فضل القرآن؛ جامع الأخبار: ١٤/١٢٢، فصل ٢٢ عن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام؛ العيّاشي ١: ١٠/٣٥؛ البحار ٨٩: ٣٤/٢٣٧، باب ٢٩.

(٦) الكافي ٢: ١٥/٦٢٣، كتاب فضل القرآن، باب فضل القرآن؛ البحار ٩٢: ١٤٨ ـ ١٤٩.

(٧) العيّاشي ١: ٩/٣٤.

[١/٥٦] وأخرج الثعلبي عن الشعبي أنّ رجلاً شكا إليه وجع الخاصرة فقال: عليك بأساس القرآن. قال: وما أساس القرآن؟ قال: فاتحة الكتاب(١).

[١/٥٧] وروى العياشي بإسناده إلى أبي بكر الحضرمي قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إذا كانت لك حاجة فاقرأ المثاني وسورة أُخرى وصلّ ركعتين وادع الله، قلت: أصلحك الله وما المثاني؟ قال: فاتحة الكتاب ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾»(٢).

[١/٥٨] وعن ابن بابويه قال: حدّثني أبي رحمه الله، قال: حدّثني محمّد بن يحيى العطّار، عن محمّد بن أحمد، عن محمّد بن حسّان، عن إسماعيل بن مهران، قال: حدّثني الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني، عن أبيه، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «اسم الله الأعظم مقطّع في أُمّ الكتاب»(٣).

[١/٥٩] وأخرج أبو الشيخ في الثواب عن عطاء قال: «إذا أردت حاجة فاقرأ بفاتحة الكتاب حتّى تختمها. تُقضى إن شاء الله»(٤).

[١/٦٠] روى الشيخ في الأمالي بإسناده عن الصادق عليه السلام قال: «من نالته علّة فليقرأ: الحمد في جيبه (أي ينفثها فيه) سبع مرّات، فإن ذهبت، وإلّا فليقرأها سبعين مرّة وأنا الضامن له العافية»(٥).

[١/٦١] روى الكليني عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن معاوية بن عمّار عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «لو قرئت الحمد على ميّت سبعين مرّة ثمّ رُدّت فيه الرّوح، ما كان ذلك عجباً»(٦).

[١/٦٢] وأخرج الديلمي في مسند الفردوس عن عمران بن حصين: فاتحة الكتاب وآية الكرسي، لا يقرأهما عبدٌ في دارٍ فتصيبهم في ذلك اليوم عين إنس أو جنّ(٧).

[١/٦٣] وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق عن شدّاد بن أوس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

---

(١) الدرّ ١: ١٢؛ الثعلبي ١: ١٢٨؛ ابن كثير ١: ٩؛ القرطبي ١: ١١٣؛ مجمع البيان ١: ٤٧ بالاختصار عن ابن عبّاس؛ أبو الفتوح ١: ٣١.

(٢) العيّاشي ١: ٣٥/١١، وج ٢: ٢٤٩/٣٥ في تفسير سورة الحجر.

(٣) ثواب الأعمال: ١٠٤، باب ثواب من قرأ سورة فاتحة الكتاب؛ العيّاشي ١: ٣٣/١؛ البحار ٨٩: ٢٣٤/١٦، باب ٢٩ (فضائل سورة الفاتحة).

(٤) الدرّ ١: ١٧.

(٥) الأمالي للطوسي: ٢٨٤/٥٥٣، المجلس العاشر.

(٦) الكافي ٢: ٦٢٣/١٦، كتاب فضل القرآن.

(٧) الدرّ ١: ١٦؛ فردوس الأخبار ٣: ١٨٨/٤٣٧٩، باب الفاء؛ كنز العمّال ١: ٥٥٧/٢٥٠٢.

«إذا أخذ أحدكم مضجعه ليرقد، فليقرأ بأُمّ القرآن وسورة. فإنّ الله يوكّل بـه مـلكاً يـهبّ مـعه إذا هبّ»[١].

[١ / ٦٤] وأخرج أبو عبيدة وأحمد والبـخاري ومسـلم وأبـو داوود والتـرمذي والنسـائي وابن ماجة والحاكم والبيهقي عن أبي سعيد الخدري قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سريّة ثـلاثين راكباً، فنزلنا بقوم من العرب، فسألناهم أن يُضيّفونا فأبوا، فَلُدِغَ سيّدهم فأتونا فقالوا: فيكم أحد يرقي من العقرب؟ فقلت: نعم أنا. ولكن لا أفعل حتّى تعطونا شيئاً. قالوا: فإنّا نعطيكم ثلاثين شاة. فقال: فقرأ عليها «الحمد» سبع مرّات فبرأ. فلمّا قبضنا الغنم عُرض في أنفسنا منها، فكففنا حـتّى أتينا النبيّ ﷺ فذكرنا ذلك له قال: «أما علمت أنّها رقية! اقتسموها واضربوا لي معكم بسهم»[٢].

في هذا الحديث شناعة: كيف يتقاضى صحابيّ جليل أجراً على نفخةٍ هي نفحةٌ رحمانيّة حتّى ولو كان القوم قد أساءوا في امتناعهم عن الإقراء، وليس من شيمة الكريم أن يقابل سيّئة بسـيّئة. ومنطق الإسلام: أحسن إلى من أساء إليك.

ثمّ من أين علم أبو سعيد أنّ قراءة الحمد سبع مرّات ترقي اللّدغ؟ فلو كان بتعليم النبيّ، فقد

---

(١) الدرّ ١: ١٧؛ ابن عساكر: ٢٢ / ٤١٣؛ كنز العمّال ١: ٣٢٩ / ٤١٢٥٦؛ النسائي ٦: ٢٠٣ / ١٠٦٤٨ بلفظ: «... ما من عبد مسلم يأوي إلى فراشه فيقرأ سورة من كتاب الله حين يأخذ مضجعه إلّا وكّل الله به ملكاً لا يدع شيئاً يقربه ويؤذيه حتى يهبّ متى هبّ» هبّ من النوم: استيقظ.

(٢) الدرّ ١: ١٤؛ فضائل القرآن: ١١٩ / ١٥ـ٣٣؛ مسند أحمد ٣: ١٠، مسـند أبي سعيد الخدري؛ البخاري ٧: ٢٥؛ مسلم ٧: ٢٠، كتاب السلام، باب جواز أخذ الأُجرة على الرقية بالقرآن والأذكار؛ أبو داوود ٢: ٢٢٨ / ٢٩٠٠، كتاب الطب، باب كيف الرقى؛ الترمذي ٣: ٢٦٨ ـ ٢٦٩ / ٢١٤٢، أبواب الطبّ عن رسول الله ﷺ، باب ١٩ (ما جاء في أخذ الأجر على التعويذ). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح؛ النسائي ٦: ٢٥٤ / ١٠٨٦٦، كتاب الطب، باب الشرط في الرقية؛ ابن ماجة ٢: ٧٢٩ / ٢١٥٦، كتاب التجارات، باب أجر الراقي؛ الحاكم ١: ٥٥٩ بلفظ: حدّثنا أبو جعفر محمّد بن صالح بن هاني، حدّثنا الحسين بن محمّد القباني، حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، أنبأ جرير عن الأعمش عن جعفر بن أياس عن أبي نضرة عن أبي سعيد ﷺ قال: «بعثنا رسول الله ﷺ في غزاة أو سرية فمررنا على أهل أبيات فاستضفناهم فلم يضيّفونا فنزلنا بأُخرى ولدغ سيّدهم فأتونا فقالوا: هل أُحد منكم يرقي؟ فقلت: أنا راق. قال: فارق صاحبنا. قلت: لا، قد استضفناكم فلم تضيّفونا. قالوا: فإنّا نجعل لكم. فجعلوا لنا ثلاثين شاة. قال: فأتيته فجلست أمسحه وأقرأ فاتحة الكتاب وأردّدها حتّى برأ. فأخذنا الشياه فقلنا: أخذناه ونحن لا نحسن أن نرقي. ما نحن بالذي نأكلها حـتّى نسأل رسول الله ﷺ. فأتيناه فذكرنا ذلك له. قال: فجعل يقول: وما يدريك أنّها رقية؟ قلت: يارسول الله ما دريت أنّها رقية ولكن شيء ألقى الله في نفسي. فقال رسول الله ﷺ: كلوا واضربوا لي منكم بسهم».

قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه إنّما أخرجه عن يحيى بن يحيى عن هشيم عن أبي بشر عن أبي المتوكّل عن أبي سعيد مختصراً. والبيهقي ٦: ٢٠٠، كتاب البيوع، باب الجعالة.

كان علّمه أيضاً أن لا يتقاضى أجراً!

وأشنع من ذلك: طمع رسول الله ـ وحاشاه ـ أن يُجْعَل له سهم. وهو يعلم أنّ الشياه على قدر الفرسان. فمن الذي يؤثر رسول الله بسهمه؟

ثمّ إنّ هذه القصّة لو عُرضت على الأجانب لم يكن تجاوبها سوى الشنعة بشريعة الأطماع.

[١/٦٥] وأخرج الطبراني في الأوسط والدارقطني في الافراد وابن عساكر عن السائب ابن يزيد قال: عوّذني رسول الله ﷺ بفاتحة الكتاب تفلاً...[١].

[١/٦٦] وأخرج أحمد وأبو داوود والنسائي وابن السني في عمل اليوم والليلة والحاكم وصحّحه والبيهقي في الدلائل عن خارجة بن الصلت التميمي عن عمّه. أنّه أتى رسول الله ﷺ ثمّ أقبل راجعاً من عنده، فمرّ على قوم عندهم رجل مجنون موثّق بالحديد، فقال أهله: أعندك ما تداوي به هذا؟ فإنّ صاحبكم قد جاء بخير! قال: فقرأت عليه «فاتحة الكتاب» ثلاثة أيّام، في كلّ يوم مرّتين غدوة وعشية، أجْمَعُ بزاقي ثمّ أتفل، فبرأ، فأعطوني مائة شاة. فأتيت النبيّ ﷺ فذكرت ذلك له فقال: «كل، فمن أكل برقية باطلٍ فقد أكلت برقية حقٍّ»[٢]. قلت: العهدة على الراوي!

[١/٦٧] وأخرج أحمد والبخاري والبيهقي في سننه عن ابن عبّاس إنّ نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ مرّوا بماء فيه لديغ أو سليم، فعرض لهم رجل من أهل الحي فقال: هل فيكم من راق؟ إنّ في الماء رجلاً لديغاً أو سليماً. فانطلق رجل منهم فقرأ «بفاتحة الكتاب» على شاء[٣] فبرأ، فجاء بالشاء إلى أصحابه فكرهوا ذلك وقالوا: أخذت على كتاب الله أجراً؟ حتّى قدموا المدينة فقالوا: يارسول الله أخذ على كتاب الله أجراً! فقال رسول الله ﷺ: «إنّ أحقّ ما أخذتم عليه أجراً، كتاب الله»[٤].

---

(١) الدرّ ١: ١٤؛ الأوسط ٧: ٣١؛ ابن عساكر ٢٠: ١١٣؛ مجمع الزوائد ٥: ١١٣، كتاب الطب؛ كنز العمّال ١٠: ١٠٤ / ٢٨٥٣٠.

(٢) الدرّ ١: ١٥؛ مسند أحمد ٥: ٢١٠ ـ ٢١١؛ أبو داوود ٢: ٢٢٧ / ٣٨٩٦؛ النسائي ٤: ٣٦٥ / ٧٥٣٤؛ عمل اليوم والليلة: ٢١٠ / ٦٣٥، باب ما يقرأ على من يعرض له في عقله؛ الحاكم ١: ٥٥٩ ـ ٥٦٠؛ الدلائل ٧: ٩١ ـ ٩٢؛ أبو الفتوح ١: ٣٢ ـ ٣٣.

(٣) أي على أجر شاء.

(٤) الدرّ ١: ١٤؛ مسند أحمد ٣: ١٠ و ٤٤؛ البخاري ٧: ٢٣؛ البيهقي ٦: ١٢٤، بلفظ: (أخبرنا) أبو عبدالله الحافظ، حدّثنا أبو يحيى أحمد بن محمّد بن إبراهيم السمرقندي، حدّثنا أبو عبدالله محمّد بن نصر، حدّثنا عبيدالله بن عمر القواريري، حدّثنا يوسف بن يزيد يعني أبا معشر البراء، حدّثنا عبيد الله بن الأخنس عن ابن أبي مليكة عن ابن عبّاس «أنّ نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ مرّوا بماء ←

[٦٨/١] وعن المجموع الرائق للسيّد هبة الله في منابع القرآن، قال: «سورة الحمد، من قرأها في كفّه إذا عطس مرة ومسح بها وجهه، أمن من الرمد، والصداع، والبياض في العين، والجرب، والكلف، والرعاف»[١].

ونقله الكفعمي في حاشية الجُنَّة: وزاد في آخره: «ووجع الأسنان» وأسقط «الجرب»[٢].

[٦٩/١] روى السيد عليّ بن طاووس في مهج الدعوات: نقلاً من كتاب زاد العابدين ـ تأليف الحسين بن أبي الحسن بن خلف الكاشغري الملقب بالفضل ـ ما هذا لفظه: حديث نيسان، قال: وأخبرنا الوالد أبو الفتوح، حدّثنا أبو بكر محمّد بن عبدالله الخشاني البلخي، حدّثنا أبو نصر محمّد بن أحمد الباب الحريري، حدّثنا أبو نصر عبدالله بن العبّاس المذكر البلخي، حدّثنا أحمد بن أحمد البلخي، حدثنا عيسى بن هارون عن محمّد بن جعفر بن عبدالله بن عمر قال: حدّثنا نافع، عن ابن عمر قال: كنا جلوساً إذ دخل علينا رسول الله ﷺ، وسلم علينا فرددنا عليه السلام، فقال: «ألا أعلّمكم دواء علّمني جبرئيل عليه السلام حيث لا أحتاج إلى دواء الأطباء؟ وقال عليّ عليه السلام وسلمان وغيرهما ـ رحمة الله عليهم ـ ما ذاك الدواء؟ فقال النبيّ ﷺ لعليّ عليه السلام: تأخذ من ماء المطر بنيسان، وتقرأ عليه فاتحة الكتاب سبعين مرّة، وآية الكرسي سبعين مرّة، وقل هو الله أحد سبعين مرّة، وقل أعوذ برب الفلق سبعين مرّة، وقل أعوذ برب الناس سبعين مرّة، وقل يا أيها الكافرون سبعين مرّة وتشرب من ذلك الماء غدوة وعشيّة سبعة أيام متواليات. قال النبيّ ﷺ: والذي بعثني بالحق نبيّاً، إنّ جبرائيل قال: إنّ الله يرفع عن الذي يشرب من هذا الماء كلّ داء في جسده، ويعافيه ويخرج من عروقه وجسده وعظمه وجميع أعضائه، ويمحو ذلك من اللوح المحفوظ، والذي بعثني بالحقّ نبيّاً، إن لم يكن له ولد وأحب أن يكون له ولد بعد ذلك، فشرب من ذلك الماء كان له ولد، وإن كانت المرأة عقيماً شربت من ذلك الماء رزقها الله ولداً، وإن كان الرجل عنيّناً والمرأة عقيماً وشرب من

← وفيهم لديغ أو سليم فعرض لهم رجل من أهل الماء فقال لهم: هل فيكم من راق، إنّ في الماء رجلاً لديغاً أو سليماً، فانطلق رجل منهم فقرأ أمّ الكتاب على شاء فبرأ فجاء بالشاء إلى أصحابه فكرهوا ذلك وقالوا: أخذت على كتاب الله أجراً؟ فأتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان. فقال رسول الله ﷺ: إنّ أحقّ ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله». (رواه البخاري في الصحيح عن سيدان بن مضارب عن أبي معشر).

(١) البحار ١٠٢: ٦٣، بالهامش.

(٢) مستدرك الوسائل ٨: ٣٨٨ / ٩٧٥٧. والجُنَّة الواقية هي اسم كتاب المصباح للكفعمي.

الماء أطلق الله عنه، وذهب ما عنده ويقدر على المجامعة، وإن أحبّت أن تحمل بابن حملت، وإن أحبّت أن تحمل بذكر أو أُنثى حملت، وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَاثًا وَ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ الذُّكُورَ. أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَ إِنَاثًا وَ يَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾[1] وإن كان به صداع يشرب من ذلك يسكن عنه الصداع، بإذن الله تعالى. وإن كان به وجع العين، يقطر من ذلك الماء في عينيه، ويشرب منه ويغسل عينيه، يبرأ بإذن الله تعالى، ويشد أُصول الأسنان، ويطيب الفم، ولا يسيل من أُصول الأسنان اللعاب، ويقطع البلغم، ولا يتخم إذا أكل وشرب، ولا يتأذّى بالريح، ولا يصيبه الفالج، ولا يشتكي ظهره، ولا يتوجّع بطنه، ولا يخاف من الزكام، ووجع الضرس، ولا يشتكي المعدة والدود، ولا يصيبه قولنج، ولا يحتاج إلى الحجامة، ولا يصيبه الباسور[2]، ولا يصيبه الناسور[3]، ولا يصيبه الحكّة، ولا الجدري، ولا الجنون، ولا الجذام، والبرص، والرعاف، ولا القلس، ولا يصيبه عمى، ولا بكم، ولا خرس، ولا صمم، ولا مقعد، ولا يصيبه الماء الأسود في عينيه، ولا يصيبه داء يفسد عليه صومه وصلاته، ولا يتأذّى بالوسوسة، ولا الجنّ، ولا الشياطين، وقال النبيّ ﷺ: قال جبرائيل: إنّه من شرب من ذلك الماء، ثمّ كان به جميع الأوجاع التي تصيب الناس، فإنّها شفاء له من جميع الأوجاع، فقلت يا جبرائيل! هل ينفع في غير ما ذكرت من الأوجاع؟ قال جبرائيل: والذي بعثك بالحقّ نبيّاً، من قرأ هذه الآيات على هذا الماء، ملأ الله قلبه نوراً وضياءً، ويلقي الإلهام في قلبه، ويجري الحكمة على لسانه، ويحشو قلبه من الفهم والتبصرة ما لم يعط مثله أحداً من العالمين، ويرسل إليه ألف مغفرة، وألف رحمة، ويخرج الغش، والخيانة، والغيبة، والحسد، والبغي، والكبر، والبخل، والحرص، والغضب من قلبه، والعداوة، والبغضاء، والنميمة، والوقيعة في الناس، وهو الشفاء من كلّ داء».

وقد روي في رواية أُخرى عن النبيّ ﷺ، فيما يقرأ على ماء المطر في نيسان زيادة، وهي أنّه يقرأ عليه سورة إنّا أنزلناه، ويكبر الله ويهلل الله، ويصلي على النبيّ ﷺ، كلّ واحدة منها سبعين مرّة[4].

---

(١) الشورى ٤٢: ٤٩ و ٥٠.

(٢) الباسور: واحد البواسير، وهي كالدمل في مقعدة الإنسان (مجمع البحرين ٣: ٢٢١).

(٣) الناسور: مرض كسابقه إلّا أنّه أشد (مجمع البحرين ٣: ٤٩٢).

(٤) مستدرك الوسائل ١٧: ٣٢ / ٢٠٦٦٧؛ مهج الدعوات: ٣٥٦؛ البحار ٦٣: ٤٧٦ ـ ٤٧٨ / ١.

[١ / ٧٠] وعن سعدويه بن مهران قال: حدّثنا محمّد بن صدقة، عن محمّد بن سنان الزاهري، عن يونس بن ظبيان، عن محمّد بن إسماعيل، عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: جاء رجل من بني أُمية إلى أبي جعفر عليه السلام، وكان مؤمنا من آل فرعون يوالي آل محمّد صلى الله عليه وآله، فقال: «يا ابن رسول الله، إنّ جاريتي قد دخلت في شهرها، وليس لي ولد فادع الله أن يرزقني ابنا، فقال: اللّهمّ ارزقه ابنا ذكراً سويّاً، ثمّ قال: إذا دخلت في شهرها فاكتب لها ﴿إنّا أنزلناه﴾ وعوّذها بهذه العوذة، وما في بطنها، بمسك وزعفران واغسلها وأسقها ماءها وانضح فرجها بماء إنّا أنزلناه وعوّذ ما في بطنها بهذه العوذة: أعيذ مولودي ببسم الله، بسم الله ﴿وَ أَنَّا لَمَسْنَا السَّمَآءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَ شُهُبًا. وَ أَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْأنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾[١] ثمّ يقول بسم الله بسم الله، أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم، أنا وأنت، والبيت ومن فيه، والدار ومن فيها، نحن كنّا في حرز الله، وعصمة الله، وجيران الله، وجوار الله، آمنين محفوظين، ثمّ تقرأ المعوذّتين وتبدأ بفاتحة الكتاب، ثمّ بسورة الإخلاص، ثمّ تقرأ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ. فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ. وَ مَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَـٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ. وَ قُل رَّبِّ اغْفِرْ وَ ارْحَمْ وَ أَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾[٢] ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ـ إلىٰ قوله ـ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٣] ثمّ تقول: مدحوراً من يشاقّ الله ورسوله، أقسمت عليك يا بيت ومن فيك، بالأسماء السبعة، والأملاك السبعة الذين يختلفون بين السماء والأرض، محجوباً من هذه المرأة وما في بطنها كلّ عرض واختلاس أو لمس أو لمعة أو طيف مسّ من إنس أو جان، وإن قال عند فراغه من هذا القول ومن العوذة كلّها: أعني بهذا القول وبهذه العوذة فلاناً وأهله وولده ومنزله، فليسمّ نفسه وليسمّ منزله وداره وأهله وولده، فيلفظ به، وليقل: أهل فلان بن فلان، وولد فلان بن فلان، لأنّه أحكم له وأجود، وأنا الضامن على نفسه وأهله وولده، أن لا يصيبهم آفة ولا خبل ولا جنون، بإذن الله عزّ وجلّ»[٤].

---

(١) الجنّ ٧٢: ٨ و ٩.

(٢) المؤمنون ٢٣: ١١٥ ـ ١١٨.

(٣) الحشر ٥٩: ٢١ ـ ٢٤.

(٤) مستدرك الوسائل ١٥: ٢٠٨ / ٢٩ ـ ١٨٠؛ طب الأئمة: ٩٦، باب: ما يكتب للموعود ساعة يولد.

ما روي عن السلف بشأن قراءتها

القراءة في الرواية عن السلف

قال القرطبي: وأجمع القرّاء السبعة وجمهور الناس على رفع الدّال من ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

[١ / ٧١] وروى عن سفيان بن عُيينة ورؤبة بن العجّاج: «الحَمْدَ لله» بنصب الدّال. وهذا على إضمار فعل.

[١ / ٧٢] وروى عن ابن أبي عَبلَة: «الحَمْدُ لُلّهُ» بضمّ الدّال واللام على اتّباع الثـاني للأوّل، وليتجانس اللفظ. قال: وطلب التجانس في اللفظ كثير في كلامهم، نحو «أَجُوْءُك» و«هو مُنْحدُرُ من الجبل». وفي قراءة لأهل مكّة: «مُرُدفين» بضمّ الراء إتّباعاً للميم.

[١ / ٧٣] وروى عن الحسن بن أبي الحسن وزيد بن علي: «الَحْمدِ لِلّه» بكسر الدّال، عـلى اتّباع الأوّل للثاني[١].

---

(١) القرطبي ١: ١٣٥ ـ ١٣٦؛ ابن كثير ١: ٢٣؛ أبو الفتوح ١: ٦٣ ـ ٦٤. وهذا الأخير روى القراءة بفتح الدال من الحمد، عن محمّد بن هارون ورؤبة بن العجاج.

كان رسول الله ﷺ يمُدُّ في قراءته

المدّ: عبارة عن زيادة مطٍّ في حرف المدّ على المدّ الطبيعي، وهو الذي لا يقوم ذات حرف المدّ دونه.

وحروف المدّ، هي الحروف الجوفيّة: «الألف» ولا تكون إلّا ساكنةً، ولا يكون قبلها إلّا مفتوح. و«الواو» الساكنة المضموم ما قبلها. و«الياء» الساكنة المكسور ما قبلها.

وللمدّ أحكام ذكرها ابن الجزري وبيّن أسبابه وأطواره واختلاف موارده وفي مقداره: طولى ووسطى ودون ذلك، وذكر في المتصل (نحو: الرحمان. الرحيم. مالك. الدين. نستعين. يوقنون. لكفور...): أنّ أئمّة أهل الأداء من أهل العراق إلّا القليل منهم، وكثير من المغاربة، على مدّه قدراً واحداً مشبعاً من غير إفحاش ولا خروج عن منهاج العربيّة. وأخيراً قال: فوجب أن لا يعتقد أنّ قصر المتصل جائز عند أحد من القرّاء. قال: وقد تتبّعته فلم أجده في قراءة صحيحة ولا شاذّة، بل رأيت النصّ بمدّه فذكر الرواية عن رسول الله ﷺ:

[١ / ٧٤] قال: أخبرني الحسن بن محمّد الصالحي ـ فيما قرئ عليه وشافهني به ـ عن علي بن أحمد المقدسي، عن محمّد بن أبي زيد الكراني في كتابه، عن محمود بن إسماعيل الصيرفي عن أحمد بن محمّد بن الحسين الأصبهاني، عن سليمان بن أحمد الحافظ، عن محمّد بن علي الصائغ المكّي، عن سعيد بن منصور، عن شهاب بن خراش، عن مسعود بن يزيد الكندي، قال: كان ابن مسعود يقرئ رجلاً، فقرأ الرجل: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾[١] مرسلةً[٢]. فقال ابن مسعود: ما هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ! فقال الرجل: كيف أقرأكها، يا أبا عبد الرحمان؟ فقال: أقرأنيها: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَآءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ فمدّدها.

قال ابن الجزري: هذا حديث جليل حجّة ونصّ في هذا الباب، رجال إسناده ثقات، رواه الطبراني في معجمه الكبير[٣].

[١ / ٧٥] وروى محمّد بن سعد الكاتب بإسناده إلى قتادة قال: سألت أنس بن مالك. قال: قلت: كيف كانت قراءة رسول الله ﷺ؟ قال: كان يَمُدُّ صوته مدّاً.

---

(١) التوبة ٩: ٦٠.
(٢) أي مقصورة من غير مدّ للألفات.
(٣) النشر في القراءات العشر ١: ٣١٥ ـ ٣١٦. وراجع: الكبير ٩: ١٣٧ ـ ١٣٨ / ٨٦٧٧.

قال: كان يقول: بسم الله الرّحمان الرحيم، يمدّ بسم الله، ويمدّ الرحمان، ويمدّ الرحيم(١).

[١/ ٧٦] وهكذا روى أبو داوود بإسناده إلى قتادة، قال: سألت أنساً عن قراءة النبيّ ﷺ فقال: كان يمدّ مدّاً(٢).

[١/ ٧٧] أخرج ابن أبي شيبة والبخاري والدارقطني والحاكم والبيهقي في سننه عن أنس بن مالك، أنّه سُئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: كانت قراءته مدّاً. وإذا قرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾، يمُدّ «بسم الله»، ويمُدّ «الرّحمان»، ويمُدّ «الرحيم»(٣).

* * *

كان رسول الله ﷺ يقطع في قراءته، يقف على كلّ آية آية، ولا يوصلها تباعاً.

[١/ ٧٨] روى الحاكم بإسناده إلى أُمّ سَلَمة قالت: كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته آية آية. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ثمّ يقف. ﴿الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾، ثمّ يقف، وهكذا.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين(٤).

ورواه الدارقطني في السنن وقال: إسناد صحيح(٥).

ورواه أبو داوود في السنن. والإمام أحمد بن حنبل وابن خزيمة في الصحيح وغيرهم(٦).

[١/ ٧٩] وجاء في حديث أُمّ سَلَمة في وصف قراءته ﷺ: أنّه عدّ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ آية، ولم يعدّ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آية برأسها(٧) وسيأتي الحديث. وهكذا جاء في المصاحف.

* * *

كانت لرسول الله سكتتان في قراءة الصلاة: سكتة إذا فرغ من أُمّ القرآن. وسكتة إذا فرغ من السورة.

[١/ ٨٠] روى الشيخ بإسناده إلى إسحاق بن عمّار عن جعفر عن أبيه ﷺ: «أنّ رجلين من

---

(١) الطبقات ١: ٣٧٦.
(٢) أبو داوود ١: ٣٣٠/ ١٤٦٥، باب استحباب الترتيل في القراءة.
(٣) الدرّ ١: ٢٧؛ المصنف ٢: ٤٠٢/ ٥، باب قراءة القرآن؛ البخاري ٦: ١١٢، كتاب فضائل القرآن، باب مدّ القراءة؛ الدار قطني ١: ٣٠٦؛ الحاكم ١: ٢٣٣؛ البيهقي ٢: ٤٦، وراجع: ابن كثير ١: ١٨.
(٤) الحاكم ٢: ٢٣١ ـ ٢٣٢.
(٥) الدارقطني ١: ٣١٠.
(٦) أبو داوود ٢: ٢٤٨/ ٤٠٠١؛ مسند أحمد ٦: ٣٠٢؛ ابن خزيمة ٢: ١٨٨؛ الترمذي ٤: ٢٥٧/ ٣٠٩٥، كتاب القراءات عن رسول الله، باب ١.
(٧) الدرّ ١: ١٩.

أصحاب رسول الله ﷺ اختلفا في صلاة رسول الله. فكتبا إلى أُبيّ بن كعب: كم كانت لرسول الله ﷺ من سكتة؟ فقال: كانت له سكتتان: إذا فرغ من أُمّ القرآن، وإذا فرغ من السورة»(١).

[٨١/١] وروى الصدوق بإسناده إلى ابن عروبة عن قتادة عن الحَسَن: أنّ سَمُرة بن جندب وعمران بن حُصَين تذاكرا، فحدّث سمرة: أنّه حفظ عن رسول الله ﷺ سكتتين: سكتة إذا كبّر، وسكتة إذا فرغ من قراءته عند ركوعه.

ثمّ إنّ قتادة ذكر السكتة الأخيرة إذا فرغ من قراءة ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. أي حفظ ذلك سَمُرة وأنكره عليه عمران. قال: فكتبنا في ذلك إلى أُبيّ بن كعب، فكان في كتابه إليهما: أنّ سمرة قد حفظ وهكذا روى ابن ماجة في الصحيح بإسناده عن سعيد عن قتادة(٢).

واستدلّ الصدوق بذلك على أنّ رسول الله ﷺ لم يكن ليؤمّن، لأنّه يتنافى والسكوت.

قراءة ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

[٨٢/١] أخرج أبو داوود في السنن قال: حدّثنا أحمد بن حنبل عن عبد الرزّاق عن معمر عن الزُّهري قال معمر: وربما ذكر ابن المسيّب، قال: كان النبيّ ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان يقرأون ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. وأوّل من قرأها «مَلِك» مروان.

قال أبو داوود: هذا أصحّ من حديث الزُّهْري الآتي عن أنس وعن سالم عن أبيه. وقال: سمعت أحمد يقول: القراءة القديمة ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾(٣).

[٨٣/١] وأخرج الترمذي في الجامع قال: حدّثنا أبو بكر محمّد بن أبان عن أيّوب بن سُوَيد الرملي عن يونس بن يزيد عن الزهري عن أنس: أنّ النبيّ ﷺ وأبا بكر وعمر، وأراه قال: وعثمان، كانوا يقرأون: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾(٤).

قال أبو عيسى (الترمذي): هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث الزهري عن أنس بن مالك إلّا من حديث هذا الشيخ أيّوب بن سُوَيد الرملي.

---

(١) التهذيب ٢: ٢٩٧/١١٩٦.

(٢) الخصال: ٧٤ـ ٧٥/١١٦، باب الاثنين. وراجع: سنن ابن ماجة ١: ٢٧٨ باب سكتتي الإمام ٢١٤.

(٣) أبو داوود ٢: ٢٤٨/٤٠٠٠ و ٤٠٠١، كتاب الحروف والقراءات.

(٤) ولعلّ في النسخة تصحيفاً وكانت ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ومن ثمّ استغرب به الترمذي ونقضه بالحديث التالي.

[١ / ٨٤] وقد روى بعض أصحاب الزُّهْريّ هذا الحديث عنه: أنّ النبي ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يقرأون: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾(١).

[١ / ٨٥] قال: وقد روى عبد الرزّاق عن مَعْمَرٍ عن الزُّهري عن سعيد بن المسيّب: أنّ النبيّ ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يقرأون: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾(٢).

[١ / ٨٦] وأخرج أحمد في الزهد والترمذي وابن أبي داوود وابن الأنباري عن أنس: أنّ النبيّ ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان، كانوا يقرأون ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ بالألف. رواه جلال الدّين السيوطي في الدرّ المنثور(٣).

[١ / ٨٧] وهكذا أخرج سعيد بن منصور وابن أبي داوود في المصاحف من طريق سالم عن أبيه: أنّ النبيّ ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان، كانوا يقرأون: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾(٤).

وأخرج ابن أبي داوود السجستاني في المصاحف بعدّة طرق عن الزُّهري بالإسناد إلى النبيّ ﷺ وأبي بكر وعمر، كانوا يقرأون: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ بالألف.

قال ابن أبي داوود: وكلّ من رواه عن الزهري متّصلاً وغير متّصل فقراءة «مالك» إلّا رجل واحد فإنّه قال: «ملك».

وإليك من روايات ابن أبي داوود في هذا الباب:

[١ / ٨٨] أخرج بإسناده عن أيّوب بن سويد عن يونس بن يزيد عن الزُّهري عن أنس: أنّ النبيّ ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان، كانوا يقرأون: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

[١ / ٨٩] وبإسناده إلى أبي الربيع عن هشيم عمّن أخبره عن الزُّهري عن سالم عن أبيه: أنّ النبيّ ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان، كانوا يقرأون: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

[١ / ٩٠] وبإسناده إلى سعيد بن منصور عن هشيم عمّن أخبره عن الزهري عن سالم عن أبيه: أنّ النبيّ ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان، كانوا يقرأون: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

[١ / ٩١] وبإسناده إلى إبراهيم بن سليمان الزيّات عن بحر عن الزُّهري عن أبي سلمة عن

---

(١) الترمذي ٤: ٢٥٧ ـ ٢٥٨ / ٣٠٩٦، أبواب القراءات عن رسول الله.

(٢) المصدر.

(٣) الدرّ المنثور ١: ٣٥؛ الترمذي ٤: ٢٥٧ / ٣٠٩٦؛ المصاحف: ٩٢.

(٤) الدرّ ١: ٣٥.

أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

[١ / ٩٢] وبإسناده إلى معمر عن الزُّهري: أنّ النبيّ ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان قرأوا: ﴿مالك يوم الدِّين﴾. وأوّل من قرأها «ملك» مروان.

[١ / ٩٣] وبإسناده إلى ابن شهاب عن سعيد بن المسيب والبراء بن عازب قالا: قرأ رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

[١ / ٩٤] وبإسناده إلى طلحة الخزاعي عن الزهري: أنّ النبيّ ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان، كانوا يقرأون: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

[١ / ٩٥] وبإسناده إلى طلحة بن عبيدالله بن أبي كلدة عن الزُّهري: أنّ النبيّ ﷺ كان يقرأ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وأبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وأُبيّ بن كعب وابن مسعود ومعاذ بن جبل ـ رضي الله عنهم ـ.

[١ / ٩٦] وبإسناده إلى أبي مطرف عن ابن شهاب: أنّه بلغه أنّ النبيّ ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية وابنه كانوا يقرأون: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. قال ابن شهاب: وأوّل من أحدث «ملك» مروان.

[١ / ٩٧] وبإسناده إلى أبي إسحاق الخميسي عن مالك بن دينار عن أنس، قال: صلّيت خلف النبيّ ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ؑ كلّهم كان يقرأ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

[١ / ٩٨] وبإسناده إلى سفيان عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنّه قرأ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

[١ / ٩٩] وبإسناده إلى ابن فضيل عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ أنّه قرأ: «ملك» أو «مالك»؟

[١ / ١٠٠] لكن رَوَى بنفس الإسناد عن أبي هريرة أنّه ـ هو ـ كان يقرأ: «مالك»(١).

ولا شكّ أنّ اختياره لذلك ينمّ عن متابعة الرسول ﷺ.

[١ / ١٠١] قال ابن كثير: وقد روى من طرق متعدّدة أوردها ابن مردويه: أنّ رسول الله ﷺ كان يقرأها: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾(٢).

وقد عرفت كلام أبي بكر السجستاني: كلّ من روى قراءة رسول الله ﷺ عن الزُّهري متّصلاً

---

(١) المصاحف: ٩٢ ـ ٩٤ من رقم ٨٩ إلى ١٠١.
(٢) ابن كثير ١: ٢٦.

وغير متّصل فقراءة «مالك». إلّا رجل واحد فرواه «ملك»[(١)].

كما سمعت كلام الإمام أحمد بن حنبل ـ فيما نقله عنه أبو داوود[(٢)] ـ: إنّها قراءة السلف.

وهذا ـ بقول مطلق ـ يعني: أنّ القراءة بالألف قراءتهم أجمع، النبيّ ﷺ وأصحابه الأعلام.

وقد صرّح ابن شهاب: أنّ أوّل من أحدث قراءة «ملك» هو مروان بن الحكم. ولعلّه بهذه النسبة قصد الامتهان بشأن قراءة شذّت وخالفت قراءة السلف[(٣)].

ولقد تعصّب ابن كثير لمروان قائلاً: مروان، عنده علم بصحّة ما قرأوه ولم يطّلع عليه ابن شهاب[(٤)]. ولكن أين مروان ومعرفته بأُصول القراءات؟! ولم تثبت قراءة «ملك» عمّن سبقه من كبار الأصحاب المعروفين!

قال أبو بكر محمّد بن السري المعروف بابن السرّاج: ولعلّ القائل بذلك أراد: أوّل من قرأ في ذلك العصر أو من في ضَربه[(٥)]. أي لم يعهد من غيره ذلك العهد إلّا من كان على زنته وشاكلته[(٦)] بالنسبة إلى كبار السلف المرموقين.

ومن ثمّ فمن الغريب ما ذكره بعضهم ـ على ما نقله ابن السرّاج ـ: أنّ الخبر عن رسول الله ﷺ بقراءته: «ملك يوم الدين» أصحّ إسناداً من الخبر بقراءة «مالك»[(٧)].

إذ قد استفاض الخبر ـ إن لم يكن متواتراً ـ عن رسول الله ﷺ بالقراءة بالألف، وجرى عليها كبار أصحابه وعامّة المسلمين مشافهةً عنه ﷺ يداً بيدٍ، كما عرفت. ولم يثبت عنه ﷺ خبر أنّه قرأ بغير ألف، إلّا قول قيل مجهولاً، كما سبق في كلام السجستاني: «إلّا رجل واحد» ولم يُعْرَف![(٨)]

وقد ذكر أبو محمّد مكّي:

[١٠٢/١] أنّ أبا هريرة روى أنّ النبيّ ﷺ كان يقرأ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ بألف.

---

(١) المصاحف: ٩٢.

(٢) قال أبو داوود: سمعت أحمد يقول: القراءة القديمة ﴿مالك يوم الدِّين﴾. أبو داوود ٢: ٢٤٨/ ٤٠٠١.

(٣) قال أبو علي الفارسي: واحتجّ من كره قراءة «ملك» بأنّ أوّل من قرأها مروان. الحجّة في القراءات ١: ٧ ـ ٨.

(٤) ابن كثير ١: ٢٦.

(٥) الحجّة في القراءات ١: ١١.

(٦) وقد ذكر أبو محمد مكّي فيمن قرأ «ملك» بغير ألف، أبا الدرداء وعبدالله بن عمر ومروان بن الحكم... الكشف عن وجوه القراءات ١: ٢٧. وسيأتي أنّ نسبة ذلك إلى غير مروان من سائر الأصحاب، وَهْم توهّمه أبو حيّان وتبعه آخرون.

(٧) الحجّة في القراءات ١: ٧.

(٨) المصاحف: ٩٢.

[١ / ١٠٣] وكذلك روت أمّ حصين[١] أنّها سمعت النبيّ ﷺ يقرأ في الصلاة: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. وكذلك روت أُمّ سلمة. وهكذا الزهري وجماعات رووا قراءة النبيّ بألف، وكذا أعلام صحابته الكبار.

وأضاف: أنّ قراءة «مالك» حسن قويّ في الرواية. في حين أنّه اختار القراءة بغير ألف استناداً إلى حجج وتعاليل من غير إسنادها إلى رواية عن النبيّ أو الأصحاب[٢].

والخلاصة: أنّ علماء الفنّ وأهل الدقّة في علم القراءات أسندوا القراءة بالألف إلى الرواية عن النبي ﷺ وكبار السلف مضافاً إلى كونها قراءة العامّة جمهور المسلمين. أمّا القراءة بغير ألف فلم يُسندوها إلى رواية ذات اعتبار، سوى تعاليل وحجج ذكروها وراجت عند المتأخّرين.

و سيأتي أنّ الرواية الصحيحة عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق ﷺ هي قراءة «مالك» بالألف[٣].

وأمّا الرواية الأُخرى فقد حملناها على الإمالة في القراءة، فحسبها الراوي بإسقاط الألف رأساً.

فالصحيح الثابت هي قراءة ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

قراءة ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

[١ / ١٠٤] أخرج ابن أبي داوود السجستاني بإسناده إلى هشام بن يونس عن حفص بن غياث عن ابن جُرَيج عن ابن أبي مليكة عن أُمّ سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا قرأ قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ. مَـلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يقطع قراءته. قال هشام: قلت لحفص: قرأ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾؟ فقال: هكذا قال، يعني ابن جريج.

قال ابن أبي داوود: سمعت أبي يقول في هذا الحديث: إنّما هو الحديث في تقطيع القراءة والترسّل فيها، وأمّا قوله «ملك» فيقال: إنّها قراءة ابن جُرَيج، لا أنّه رواها عن ابن أبي مليكة[٤].

---

(١) هي بنت إسحاق الأحمسيّة. شهدت حجّة الوداع مع رسول الله ﷺ ورأت أُسامة وبلالاً أحدهما آخذاً بزمام ناقته والآخر رافعاً ثوبه يستره من الحرّ حتّى رمى جمرة العقبة. وحديثها في صحيح مسلم من طريق زيد بن أبي أنيسة عن يحيى بن الحصين. أُنظر: الإصابة ٤: ٤٤٢ / ١٢١٨؛ تهذيب التهذيب ١٢: ٤٦٣.

(٢) راجع: الكشف عن وجوه القراءات ١: ٢٩ ـ ٣٠؛ والمحرّر الوجيز ١: ٦٨.

(٣) سيأتي برقم ١ / ١١٤.

(٤) وسنذكر تشكيك الترمذي في صحّة نسبة قراءة «ملك» إلى النبيّ، في حديث أُمّ سلمة.

وقال الكسائي : قراءتهم ـ يعني أهل مكّة (وابن جريج مكّي) ـ: «مَـلِك». وإنّـما رُوي هـذا الحديث لتقطيع القراءة ، ولا أدري ما قولهم «ملك» ؟

قال ابن أبي داوود : وممّا يدلّ على أنّه كما قال أبي وكما قال الكسائي ، أنّ نافع بن عمر روى هذا الحديث عن ابن أبي مليكة فقال : «مالك» :

[١ / ١٠٥] حدّثنا علي بن حرب عن العبّاس بن سليمان عن نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة عن بعض أزواج النبي ﷺ : أنّ النبيّ قرأ : ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[١].

[١ / ١٠٦] وفي سنن أبي داوود بإسناده إلى عبدالله بن أبي مليكة ، عن اُمّ سَلَمة أنّها ذكرت قراءة رسول الله ﷺ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ. مَـالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ...﴾ يقطع قراءته آية آية .

قال أبو داوود : سمعت أحمد يقول : القراءة القديمة ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[٢].

وهذا تشكيك منه في صحّة نسبة قراءة «ملك» إلى رسول الله . كما قد تشكّك التـرمذي فـي حديثه عن قراءة النبي برواية اُمّ سَلَمة :

[١ / ١٠٧] روى بإسناده إلى ابن جُرَيج عن ابن أبي مليكة عن اُمّ سَلَمة قالت : كـان رسـول الله ﷺ يقطع قراءته ، يقول : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ، ثمّ يقف . ﴿الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ ، ثمّ يقف . وكـان يقرأها : ملك يوم الدِّين .

وقال أبو عيسى الترمذي : هذا حديث غريب ، وبه يقول أبو عبيدة ويختاره . هكذا روى يحيى ابن سعيد الأموي وغيره عن ابن جُريج عن ابن أبي مليكة عن اُمّ سَلَمة . قال : وليس إسناده بمتّصل ، لأنّ اللّيث بن سعد روى هذا الحديث عن ابن أبي مليكة عن يَعْلىٰ بن مَمْلَكٍ عن اُمّ سَلَمة . وحديث اللّيث أصحّ ، وليس في حديث اللّيث : «وكان يقرأ ملك يوم الدِّين»[٣].

وعليه فلم تثبت قراءة «ملك» بغير ألف عن رسول الله ﷺ وكذا سائر أصحابه وكبار التابعين . وقد وهم أبو حيّان الأندلسي في نسبة قراءة «ملك» إلى طلحة والزبير وزيد وأبي الدرداء وابن عمر والمسوّر وكثير من الصحابة والتابعين[٤] . إذ لم يبيّن مستنده في هذا الإسناد! وقد عرفت خـلافه برواية ابن أبي داوود السجستاني .

---

(١) المصاحف : ٩٤ ـ ٩٥. (٢) أبو داوود ٢ : ٢٤٨ / ٤٠٠١.

(٣) الترمذي ٤ : ٢٥٧ / ٣٠٩٥، كتاب القراءات عن رسول الله . (٤) البحر المحيط ١ : ٢٠.

والأغرب أنّ جلال الدِّين السيوطي أخرج في الدرّ المنثور أحاديث نسبها إلى إخراج ابن أبي داوود، وفيها:

[١٠٨/١] أنّه ﷺ قرأ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾![١].. وهي بعينها التي أخرجناها من كتاب المصاحف وكلّها: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. ولعلّ النسخة التي كانت بيد السيوطي كانت مشوّهة! ودليلاً على التشويش في نقل السيوطي:

[١٠٩/١] أنّه أخرج عنه عن أنس، قال: صلّيت خلف النبيّ ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، كلّهم كان يقرأ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[٢].

[١١٠/١] في حين أنّ المتّقي الهندي أخرجه عنه بنفس الإسناد، وفيه: كلّهم كان يقرأ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[٣]. وهو الصحيح المطابق لنصّ ابن أبي داوود[٤].

* * *

نعم [١١١/١] جاء في حديث عائشة أنّها وصفت خروج رسول الله ﷺ للاستسقاء وقال في دعائه: «الحمد لله ربّ العالمين. الرحمان الرحيم. مَلِكِ يوم الدِّين...».

قال أبو داوود: وهذا حديث غريب، إسناده جيّد. أهل المدينة يقرأون: «ملك يوم الدِّين». وإنّ هذا الحديث حجّة لهم[٥].

لكن الكلام فيه كالكلام في حديث أُمّ سَلَمة، كان وجه الكلام إلى بيان فعل النبي ﷺ حين خروجه لصلاة الاستسقاء، غير أنّ الراوي قرأ الآية حسب معهوده الخاصّ من غير التفات إلى إرادة إسناد هذه القراءة بالذات إلى رسول الله ﷺ.

هذا.. ولعلّ سهواً وقع في رواية أبي داوود!

[١١٢/١] فقد أخرج الحاكم هذا الحديث بنفس الإسناد، وفيه: «ثمّ قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ...﴾» بالألف. قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[٦].

وأخرجه البيهقي من طريق الحاكم، لكنّه أثبت النصّ وفق ما أخرجه أبو داوود في كتاب

---

(١) الدرّ ١: ٣٦.
(٢) المصدر.
(٣) كنز العمّال ٢: ٤٨٧٦/٦٠٩.
(٤) راجع: المصاحف: ٩٣.
(٥) أبو داوود ١: ١١٧٣/٢٦١.
(٦) الحاكم ١: ٣٢٨.

السنن عن هارون[١]. وهكذا فعل الذهبي في التلخيص!

والملخّص: أنّ القراءة بغير ألف. لم تثبت روايةً عن السلف، سوى ما أحدثه مروان ومن في ضربه ذلك العهد!

قراءة «مالك» في الرواية عن السبعة

قرأ عاصم والكسائي من السبعة: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. وخلف في اختياره ويعقوب. وهي القراءة الوحيدة المأثورة عن رسول الله ﷺ وجرى عليها كبار أصحابه المرموقين وتناقلها المسلمون خلفاً عن سلف، حسبما تقدّم.

وقرأ باقي السبعة: «مَلِك يوم الدّين». وأوّل من أحدث قراءة «مَلِك» بغير ألف، هو مروان بن الحكم، وشذّ عن الباقين ذلك العهد. واختارها اجتهاداً لفيفٌ من القرّاء المتأخّرين. وسنذكر أن لا مجال للاجتهاد في القراءة بعد كونها توقيفاً على ما ثبت نصّه عن رسول الله ﷺ وتناقلها جمهور المسلمين. وهي قراءة حفص المتّصلة إسنادها إلى الإمام أمير المؤمنين ؑ.

قال الإمام أحمد بن حنبل: وهي القراءة القديمة[٢] أي قراءة عامّة السلف قبل أن تحدث القراءة بغير ألف على يد مروان!

وقرأ يحيى بن يعمر وأيّوب السختياني: «مالك» بالإمالة البليغة. وقرأ قتيبة بن مهران عن الكسائي ـ في غير قراءته السبعيّة ـ بالإمالة المتوسّطة[٣].

وذكر أبو علي الفارسي: أنّ أحداً لم يُمل الألف من مالك[٤]. ولعلّه أراد القرّاء السبعة. وإلّا فقد ردّ عليه أبو حيّان الأندلسي ونسبه إلى الجهل بالمأثور من النقل. قال: إنّ ذلك جائز إلّا أنّه لا يُقرأ بما يجوز إلّا أن يأتي بذلك أثر مستفيض[٥]. وهكذا قال ابن الجزري: الإمالة بكلا شقّيها: البليغة وبين بين، جائزة في القراءة، جارية في لغة العرب[٦].

---

(١) سنن البيهقي ٣: ٣٤٩.

(٢) راجع: سنن أبي داوود ٢: ٢٤٨/٤٠٠١.

(٣) قال ابن الجزري: الإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء. كثيراً، هو المحض. وقليلاً، وهو: بين بين. ويقال له أيضاً: التقليل والتلطيف وبين بين. فهي بهذا الاعتبار تنقسم إلى قسمين إمالة شديدة، وإمالة متوسّطة. وكلاهما جائز في القراءة، جارٍ في لغة العرب. النشر في القراءات العشر ٢: ٣٠.

(٤) الحجّة في القراءات ١: ٨. وأخذ عنه الطبرسي في مجمع البيان ١: ٢٣.

(٥) البحر المحيط ١: ٢٠.

(٦) النشر في القراءات العشر ٢: ٣٠.

[١ / ١١٣] قلت: وعليه يحمل ما رواه العياشي بإسناده إلى داوود بن فرقد، قال: سمعت الصادق عليه السلام يقرأ ما لا أحصي: ملك يوم الدِّين[1] ولعلّ الإمام عليه السلام كان يميلها تلطيفاً ـ كما قال ابن الجزري ـ فحسبها الراوي بإسقاط الألف رأساً.

[١ / ١١٤] وإلّا فقد روى العياشي ـ أيضاً ـ بإسناده إلى الحلبي أنّه عليه السلام كان يقرأ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[2]. وهي القراءة المشهورة المعروفة لدى عامّة المسلمين تلقّوها يداً بيد عن رسول الله صلى الله عليه وآله. وهي قراءة حفص عن عاصم بإسناده الذهبي إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وبما أنّ القراءة توقيف ولا مجال للاجتهاد فيها، فما ذكروه من تعاليل وحجج في الترجيح هنا، عليلة لا اعتبار بها. وقد رجّح الشيخ قراءة: مالك[3]، وهو الثابت الصحيح.

قراءة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

[١ / ١١٥] ذكر الخليل بن أحمد: أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان يقرأ: ﴿وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فيُشبع رفع النون إشباعاً، وكان قرشيّاً قلباً، أي محضاً[4].

[١ / ١١٦] وأورده ابن خالويه في الشواذّ، قال: إنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان يُشبع الضمّة في النون من ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وكان عربيّاً قلباً، أي محضاً. قال: وقد روي عن ورش أنّه كان يقرأها كذلك[5].

قلت: وإشباع الضمّة أمّا وصلاً فظاهر، وأمّا وقفاً فعلى طريقة الرَّوْم، وهو الوقف بالحركة مع إخفاء الصوت بها. وخصّه الفرّاء بالضمّ أو الكسر، فيتولّد منه إشباع الضمّة إلى الواو. وإشباع الكسرة إلى الياء. خفيفتين.

أو على طريقة الإشمام بالضمّة عند الوقف. وهذه وتلك طريقتان من طرق الوقف الأربعة، كما قال ابن مالك:

---

(١) العيّاشي ١: ٣٧ / ٢٢.

(٢) المصدر: ٢١.

(٣) التبيان ١: ٣٥.

(٤) تقول العرب: جئتك بهذا الأمر قلباً أي محضاً لا يشوبه شيء. راجع: العين ٥: ١٧١.

(٥) شواذّ القراءات: ١.

وغيرها التأنيث من محرّك سكّنه أو قف رائم التحرّك
أو اشمم الضمّة أو قف مُضعِفا ما ليس همزاً أو عليلاً إن قفا[١]

[١/١١٧] وأخرج وكيع والفريابي عن أبي رُزين قال: سمعت عليّاً ﷺ يقرأ هذا الحرف، وكان قرشيّاً عربيّاً فصيحاً: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا ...﴾ يرفعهما جميعاً[٢].

[١/١١٨] وأخرج الخطيب أيضاً عن أبي رُزين: أنّ عليّاً ﷺ قرأ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فهمز، ومدّ، وشدّد[٣].

قراءة ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

[١/١١٩] أخرج الحاكم بإسناده إلى أبي هريرة: أنّ رسول الله ﷺ قرأ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ بالصاد. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد[٤].

[١/١٢٠] وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد والبخاري في تاريخه وابن الأنباري عن ابن عبّاس، أنّه قرأ: «اهدنا السراط» بالسين[٥].

وأمّا القرّاء فقد اختلفوا هنا:

[١/١٢١] فروي عن ابن كثير: السين، والصاد، والمضارعة بين الزاي والصاد. وروى عنه الأصمعي: الزراط بالزاي.

والباقون: بالصاد. غير أنّ حمزة يلفظ بها بين الصاد والزاي.

قال أبو علي الفارسي: وأمّا الزاي فأحسب أنّ الأصمعي لم يضبط عن أبي عمرو، لأنّ الأصمعي كان غير نحويّ، ولست أحبّ أن تُحمل القراءة على هذه اللغة[٦]. وأحسب أنّه سمع أبا عمرو يقرأ بالمضارعة للزّاي فتوهّمها زاياً!

---

(١) راجع: البهجة المرضية في شرح ألفية ابن مالك، لجلال الدّين السيوطي، باب الوقف.

(٢) الدرّ ١: ٣٧.

(٣) تاريخ بغداد ٢: ٨٧٧/٣٧٠، في ترجمة محمّد بن سعدان النحوي الضرير (حرف السين من آباء المحمّدين).

(٤) الحاكم ٢: ٢٣٢. وعقّبه الذهبي في التلخيص: وغُمز في السند بإبراهيم بن سليمان. لكنّ غمزه غير وارد بعد كون الرجل من الثقات وقد وثّقه أحمد وابن معين في أرجح قوليهما. تهذيب التهذيب ١: ٢٢٠/١٢٥.

(٥) الدرّ ١: ٣٨؛ التاريخ ٢: ٢٠٩٩/١٧٣.

(٦) تقول العرب: صَقْر وسَقْر. وكلب تقول: زَقْر بالمضارعة وهي المشابهة والمقاربة.

قال ابن السرّاج: والاختيار عندي: الصاد، لأنّها أخفّ على اللسان، لأنّ الصاد حرف مُطبَق كالطاء فيتقاربان، ويحسنان في السمع. والسين حرف مهموس، فهو أبعد من الطاء. ولأنّها قراءة الأكثر(١).

قلت: ولأنّه الثابت عن رسول الله ﷺ وهي قراءة حفص المسندة إلى الإمام أمير المؤمنين ﷺ. قال أبو حيّان: وبها كتبت في الإمام(٢).

* * *

[١/ ١٢٢] روى العيّاشي بإسناده إلى محمّد بن علي الحلبي عن الإمام الصادق ﷺ قال: سمعته ما لا أُحصي وأنا أُصلّي خلفه، يقرأ: إهدنا صراط المستقيم، بغير لام التعريف مضافاً(٣). ليكون «المستقيم» وصف إنسان كامل ينبغي الاقتداء به والاهتداء بهداه. وقد فُسّر بالإمام أمير المؤمنين ﷺ حيث القدوة والأُسوة بعد رسول الله ﷺ.

[١/ ١٢٣] ففي رواية داوود بن فرقد ـ في تفسير الصراط ـ عن الصادق ﷺ قال: يعني أمير المؤمنين، صلوات الله عليه(٤).

وهكذا جاء في كلام الطبرسي في مجمع البيان(٥).

وسيأتي تبيين المراد من تفسير «الصراط المستقيم» بالإمام أمير المؤمنين، معنيّاً به القدوة في انتهاج مسيرة الإسلام، «وأنّ الحقّ يدور معه حيثما دار»(٦).

قراءة ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّآلِّينَ﴾

[١/ ١٢٤] أخرج ابن أبي داوود بعدّة طرق أنّ عمر بن الخطّاب كان يقرأ: صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالّين(٧).

---

(١) الحجّة في القراءات ١: ٤٩ ـ ٥٠. (٢) البحر المحيط ١: ٢٥.

(٣) العيّاشي ١: ٢٤/ ٢٦. جاء في النسخ المطبوعة معرّفاً باللام. وكذا من نقله عنه ممّن تأخّر عنه.. غير أنّه لا وجه للاختصاص بقراءتها. ومن ثمّ فالصواب هي الإضافة بلا لام، كما ذكره المولى الشيخ أبو الحسن الشعراني في هامش مجمع البيان ١: ٣١. وهكذا ذكر ابن عطيّة: أنّ الإمام جعفر بن محمد الصادق ﷺ قرأ: «إهدنا صراط المستقيم» بالإضافة. (المحرّر الوجيز ١: ٧٤).

(٤) العيّاشي ١: ٢٤/ ٢٥. (٥) مجمع البيان ١: ٧٢.

(٦) الحديث، أخرجه ابن مردويه في المناقب بإسناده إلى أبي ذرّ ﷺ عن رسول الله ﷺ. راجع: الغدير ٣: ١٧٨.

(٧) المصاحف: ٥١.

وأسندها القرطبي إلى أُبيّ بن كعب أيضاً[١] وكذا إلى عبدالله بن الزبير[٢].

[١٢٥/١] وأخرج أيضاً عن الأعمش عن إبراهيم قال: كان علقمة بن قيس والأسود بن يزيد يقرآنها: صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالّين[٣]. والظاهر أنّه من اشتباه الراوي عن الأعمش.

[١٢٦/١] فقد روى ابن أبي داوود الحديث بالإسناد إلى الأعمش عن إبراهيم عن الأسود وعلقمة أنّهما قالا: سمعنا عمر بن الخطّاب يقرأ: صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالّين[٤]. ولم يأت فيه أنّهما قرآ كذلك.

كما وقد خلط السيوطي هنا فنقل الحديث وأبدل علقمة بعكرمة: قال:

[١٢٧/١] أخرج ابن أبي داوود عن إبراهيم قال: كان عكرمة والأسود يقرآنها كذلك[٥].

* * *

كان رسول الله ﷺ يقرأ: ﴿غَيْرِ المغضُوبِ عَلَيْهِمْ ...﴾ بخفض الراء. كما هي القراءة المشهورة لدى القرّاء وسائر المسلمين. على خلاف قراءة ابن كثير المكّي بالنصب.

[١٢٨/١] روى الحاكم في المستدرك بإسناده إلى إسماعيل بن إسحاق القاضي عن سليمان بن حرب وأبي الوليد عن شعبة عن سَلَمة بن كهيل، قال: سمعت أبا العنبس يحدّث عن علقمة بن وائل عن أبيه أنّه صلّى مع النبيّ ﷺ حين قال: غيرِ المغضوب عليهم.... قال القاضي: غيرِ، بخفض الراء. فإنّ في قراءة أهل مكّة (يعني بهم أتباع ابن كثير) غيرَ المغضوب عليهم، أي بالنصب[٦].

اللغة والأدب

﴿الحمد لله...﴾ جملة إنشائية لإبداء الشكر له تعالى على جزيل نعمائه. وأُبدلت في صورة اسميّة لغرض إرادة الثبات والدوام. وعليه فاللام للجنس لا للاستغراق، حيث لم يكن إخباراً عن المحامد.

---

(١) القرطبي ١: ١٥٠.
(٢) المصدر: ١٤٩.
(٣) المصاحف: ٩٠.
(٤) المصدر: ٥٠.
(٥) الدرّ ١: ٤١.
(٦) الحاكم ٢: ٢٣٢. وراجع لقراءة ابن كثير: إعراب القرآن لابن النّحاس ١: ٢١؛ مجمع البيان ١: ٦٧. قال: وقرئ أيضاً في الشواذ: غيرَ المغضوب عليهم، بالنصب.

و﴿الربّ﴾ من «رَبَبَ» مصدر مستعار للفاعل، وهو المالك المتصرّف. ويطلق في اللغة على السيّد وعلى المتصرّف للإصلاح والتربية. والمراد هنا: الكافل بمصالح الخلائق. ولا يقال الرّبّ بلاتقييد إلّا لله القائم بمصالح العباد على الإطلاق.

وبالإضافة يقال له تعالى ولغيره. يقال: ربّ الدار وربّ الفرس لصاحبهما، إذا كان كافلاً بتدبير شؤونهما.

وقد تسامح من ترجمه بالمربّي، من «رَبَو» بمعنى نما. إذ لا يتناوبان في موارد استعمالهما، فضلاً عن الافتراق في مادّة الكلمتين ومفهومهما، ولعلّه تفسير بلازم المعنى.

و﴿العالَمين﴾ اسم جمع لجماعة العقلاء وقد ورد في القرآن أكثر من سبعين مرّة أُريد به جماعة العقلاء لا غير: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾[1]. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾[2]. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[3]. ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾[4]. ﴿أَوَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾[5]. ﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[6]. ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[7]. ﴿مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ﴾[8]... إلى غيرها وهي كثيرة، أُريد بها جماعة الناس، ولم يُرَد في شيء من ذلك ما سوى الأناسي من الخلائق.

[١ / ١٢٩] وهكذا روي عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال: «عُني به الناس، وجُعل كلّ واحد منهم عالَماً. وقال: العالَم عالَمان: الكبير، وهو الفلك بما فيه. والصغير، وهو الإنسان...»[9].

[١ / ١٣٠] ونُسب إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

أتزعم أنّك جرمٌ صغير وفيك انطوى العالَم الأكبر[10]

ولكن شاع من غير أساس، تفسير العالمين بالعوالم باعتباره جمعاً للعالَم، فهناك عالَم الجماد وعالم النبات وعالم الحيوان وعالم الإنسان. وهكذا عالم الإنس وعالم الجنّ وعالم الملائكة.

---

(١) الأنعام ٦: ٩٠.
(٢) يوسف ١٢: ١٠٤ وص ٣٨: ٨٧ والتكوير ٨١: ٢٧.
(٣) الأنبياء ٢١: ١٠٧.
(٤) الفرقان ٢٥: ١.
(٥) العنكبوت ٢٩: ١٠.
(٦) العنكبوت ٢٩: ١٥.
(٧) آل عمران ٣: ٤٢.
(٨) آل عمران ٣: ٩٦.
(٩) أورده الراغب في مفرداته: ٣٤٥.
(١٠) مرآة العقول ١١: ٣٦١ ـ ٣٦٢.

[١/١٣١] وروي: «أنّ لله اثني عشر ألف عالم»[١].

قال الراغب: وجُمِعَ جَمْعَ السلامة فلكون الناس في جملتهم، والإنسان إذا شارك غيره في اللفظ غَلَبَ حُكْمُهُ.

لكنّه تكلّف ظاهر، حيث لم يرد استعمال «العالمين» في القرآن وغيره في سوى الأناسي.. قوله تعالى: ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[٢].. أفهل فُضّلت على إناث غير الأُناس؟!

وكان قوله: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[٣] هو المعني بقوله: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾[٤].

وهكذا رجّح السيّد محمّد رشيد رضا ـ في المنار ـ المأثور عن جدّه الإمام جعفر الصادق ـ عليه الرضوان ـ: أنّ المراد به الناس فقط[٥].

* * *

وقوله: ﴿إيّاك نعبد...﴾ التفاتة من الغيبة إلى الخطاب. أمّا الغيبة أوّلاً، فلاستعظام مقام الربوبيّة الشامخ أن يحضره العبد في مقام استكانته الخاضع. لكنّه لمّا وصف ربّه بصفات ونعوت هي تنمّ عن شمول رحمته وعموم عنايته، تجرّأ أن يرى نفسه منعَماً بفيض الحضور لدى ساحته تعالى، الرحبة الواسعة.

والإتيان بصيغة الجمع (نعبد. نستعين. إهدنا) استصغارًا للعبد بنفسه أن يحضر بشخصه لديه تعالى، فأدرج نفسه ضمن الجمع، ولعلّه «لأجل عين ألف عين تكرم».

---

(١) الخصال: ٦٣٩/١٤.
(٢) آل عمران ٣: ٤٢.
(٣) الشعراء ٢٦: ١٦٥.
(٤) النمل ٢٧: ٥٥.
(٥) المنار ١: ٥١.

نَظمُها البَدِيع

سورة الحمد، في نظمها البديع ومحتواها الرفيع، إرشاد إلى طريقة الابتهال إلى الله وعرض الحاجة لديه تعالى. ومن ثمّ فإنّ السورة قد ترتّبت على ثلاث مراحل متلاحقة: أُولاها: تمجيد شامل. والثانية: انقطاع تامّ. وفي النهاية: عرض الحاجة الملحّة. فقد كانت المرحلتان الأُوليان تمهيداً طبيعيّاً لإمكان البلوغ إلى المقاصد المعروضة في المرحلة الأخيرة.

تبتدئ بالتحميد والتمجيد على أتمّ النِّعم الشاملة: هو ربّ العالمين. ذو رحمة واسعة ورأفة بعباده المخلصين. وفي النهاية هوالمالك لأزمّة الأُمور يوم الدِّين. فهو تحميد على المبدأ والمعاد. ثمّ انقطاع كامل تامّ، لا معبود سواه ولا مستعان إلّا هو. فلا ملجأ غيره تعالى على الإطلاق.

وأخيراً يأتي دور عرض الحاجة: شمول عنايته تعالى لعبده المحتاج إليه طول مسيرته في الحياة، حتّى يصبح محبوّاً بولاية الله ومنعماً عليه مع زمرة المنعم عليهم، مجانباً فئة المعتدين الذين غضب الله عليهم، وجماعة المقصّرين الذين ضلّوا الطريق.

وهذه المراحل الثلاث قد ترتّبت ترتّباً طبيعيّاً، بحيث كانت كلّ مرحلة تمهيداً للورود إلى المرحلة التالية:

فحيث يقع التمجيد بتلك الصورة الشاملة، يتداعى منه إيجاب ذلك الانقطاع الكامل، وهذا الانقطاع بدوره يستدعي عرض الحاجة بكلّ خشوع لديه تعالى في نهاية المطاف.

[١٣٢/١] قال الإمام الصادق عليه السلام: «السورة التي أوّلها تحميد وأوسطها إخلاص وآخرها دعاء، هي سورة الحمد»(١). وإذا كان العبد يبدأ بحمده تعالى وتمجيده، ويبدي إخلاصه لديه، فجدير على الله أن يستجيب دعاءه ولا يُخيّب رجاءه.

[١٣٣/١] وأخرج أبو عبيد عن مكحول قال: أمّ القرآن: قراءة، ومسألة، ودعاء(٢).

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنّ سورة الحمد قُسّمت شطرين، فشطرها الأوّل (الحمد والإخلاص) لله، وشطرها الآخر (عرض الحاجة) للعبد.. فيقول عزّ وجلّ: «هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل. فقد استجبت لعبدي وأعطيته ما أمّل، وآمنته ممّا منه وَجِل».

[١٣٤/١] والحديث رواه الإمام أبو محمّد العسكري عن آبائه عليهم السلام عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «فاتحة الكتاب أعطاها الله محمّداً صلى الله عليه وآله وأُمّته. بدأ فيها بالحمد لله والثناء عليه، ثمّ ثنّى بالدعاء لله عزّ وجلّ. ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: قال الله عزّ وجلّ: قسّمت الحمد بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل: إذا قال العبد: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾؛ قال الله: بدأ عبدي باسمي، حقٌّ عليَّ أن أُتمّم له أُموره وأُبارك له في أحواله.

فإذا قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قال الله: حَمَدني عبدي وعلم أنّ النِّعم التي له من عندي، وأنّ البلايا التي اندفَعَتْ عنه فبتطوّلي. أُشهدكم يا ملائكتي أنّي أُضيف له نعيم الدُّنيا إلى نعيم الآخرة، وأدفع عنه بلايا الآخرة كما دفعتُ عنه بلايا الدُّنيا.

فإذا قال: ﴿الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾، قال الله: شهد لي عبدي بأنّي الرحمان الرحيم، أُشهدكم لأوفّرنّ من رحمتي حظّه، ولأجزلنّ من عطائي نصيبه.

فإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، قال الله: أُشهدكم ـ كما اعترف بأنّي أنا المالك يوم الدِّين ـ لأسهّلنّ يوم الحساب عليه حسابه، ولأتقبّلنّ حسناته، ولأتجاوزنّ عن سيّئاته.

فإذا قال العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، قال الله تعالى: صدق عبدي، إيّاي يعبد. أُشهدكم لأثيبنّه على عبادته ثواباً يغبطه كلّ من خالفه في عبادته لي.

فإذا قال: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قال الله: بي استعان عبدي، وإليّ التجأ، أُشهدكم لأُعينّه على

(١) العيّاشي ١: ٢٢/٢٣.
(٢) الدرّ ١: ١٧؛ فضائل القرآن: ١١٨/١٢ ـ ٣٣.

أُموره، ولأُغيثنّه في شدائده، ولآخذنّ بيده يوم نوائبه.

فإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ...﴾ إلى آخر السورة، قال الله ﷻ: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل، وقد استجبت لعبدي وأعطيته ما أمّل، وأمنته ممّا منه وَجِل...»[١].

وهذا الحديث اعتمده الصدوق ورواه من طريق محمّد بن القاسم المفسّر الأسترابادي عن يوسف بن محمّد بن زياد، وعلي بن محمّد بن يسار، عن أبويهما عن الإمام أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام، وذكر الحديث في كتابيه: (العيون والأمالي)[٢].

[١ / ١٣٥] وأخرج البيهقي في شعب الإيمان من طريق ابن سليمان عن الضحّاك عن عبدالله بن عبّاس عن النبيّ ﷺ قريباً من هذا الحديث:

قال ﷺ: «إنّ الله قد أنزل عليّ سورة لم ينزلها على أحد من الأنبياء والرسل قبلي. قال ﷺ: قال الله تعالى: قسّمت هذه السورة بيني وبين عبادي، فاتحة الكتاب، جعلت نصفها لي ونصفها لهم، وآية بيني وبينهم:

فإذا قال العبد: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾، قال الله: عبدي دعاني باسمين رقيقين، أحدهما أرقّ من الآخر. فالرحيم أرقّ من الرحمان، وكلاهما رقيقان[٣].

فإذا قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، قال الله: شكرني عبدي وحمدني.

فإذا قال: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قال الله: شهد عبدي أنّي ربّ العالمين (ربّ الإنس والجنّ والملائكة والشياطين، وربّ الخلق، وربّ كلّ شيء)[٤].

فإذا قال: ﴿الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾، يقول: مجّدني عبدي.

وإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ـ يعني يوم الحساب ـ قال الله تعالى: شهد عبدي أنّه لا مالك ليومه أحد غيري، فقد أثنى عليَّ عبدي.

[وإذا قال]: إِيَّاكَ نَعْبُدُ ـ يعني: الله أعبد وأوحّد. ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. قال الله: هذا بيني وبين

(١) تفسير الإمام: ٥٨ ـ ٥٩ / ٣٠.
(٢) العيون ١: ٢٧٠ ـ ٢٧١ / ٥٩؛ الأمالي: ٢٣٩ ـ ٢٤٠ / ٢٥٣.
(٣) قال البيهقي: ولعلّه تصحيف وقع في الأصل، وإنّما هو رفيقان. والرفيق من أسماء الله تعالى. قلت: لا محتمل للتصحيف هنا، حيث الرّقّة هي منشأ الرحمة، فتدبّر! وسيأتي الكلام عن ذلك في تفسير «الرحمان الرحيم».
(٤) هذا بناءً على تفسير العالمين بالعوالم، حسب الرأي المشهور، على ما نوّهنا.

عبدي: إيّاي يعبد، فهذا لي. وإيّاي يستعين، فهذا له. ولعبدي بَعْدُ ما سأل...»[(١)].

[١ / ١٣٦] وأخرج مالك في الموطأ وسفيان بن عيينة في تفسيره وأبو عبيد في فضائله وابن أبي شيبة وأحمد في مسنده والبخاري في جزء القراءة ومسلم في صحيحه وأبو داوود والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن جرير وابن الأنباري في المصاحف وابن حبّان والدارقطني والبيهقي في السنن عن أبي السائب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلّى صلاة لم يقرأ فيها بـأُمّ القرآن فهي خداج، فهي خداج، فهي خداج ثلاث مرّات. غير تامّ». قال أبو السائب: فقلت: يا أبا هريرة إنّي أحياناً أكون وراء الإمام... فغمز ذراعي وقال: اقرأ بها يا فارسي في نفسك، فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله ﷻ: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي، ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل» قال رسول الله ﷺ: «اقرؤا... يقول العبد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فيقول الله: حمدني عبدي. ويقول العبد: ﴿الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ فيقول الله: أثنى عليَّ عبدي. ويقول العبد: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فيقول الله مجّدني عبدي، ويقول العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فيقول الله: هذا بيني وبين عبدي، أوّلها لي وآخرها لعبدي وله ما سأل. ويقول العبد: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّالِّينَ﴾ فيقول الله: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل»[(٢)].

[١ / ١٣٧] وأخرج الطبري عن صالح بن مسمار المروزي، عن زيد بن الحباب، عن عنبسة بن سعيد، عن مطرف بن طريف، عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة، عن جابر بن عبدالله الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله ﷻ: قَسَّمْتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين وله ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾، قال: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، قال: مجَّدني عبدي، قال: هذا لي

---

(١) الدرّ ١: ٢٥؛ الشعب ٢: ٤٤٧ / ٢٣٦٢، باب ١٩ (في فضائل السور).

(٢) الدرّ ١: ١٨؛ الموطأ ١: ٨٤ ـ ٨٥ / ٣٩، باب ٩؛ فضائل القرآن: ١١٩ / ١٣ ـ ٣٣؛ المصنّف ١: ٣٩٦ / ٢، باب ١٣٤؛ مسند أحمد ٢: ٢٨٥؛ مسلم ٢: ٩؛ أبو داوود ١: ١٨٩ / ٨٢١؛ الترمذي ٤: ٢٦٩ ـ ٢٧٠ / ٤٠٢٧، وقال: هذا حديث حسن؛ النسائي ١: ٣١٦ / ٩٨١؛ ابن ماجة ٢: ١٢٤٣ ـ ١٢٤٤ / ٣٧٨٤؛ الطبري ١: ١٢٧ / ١٨٢؛ ابن حبّان ٥: ٨٤ / ١٧٨٤؛ الدارقطني ١: ٣٠٩ ـ ٣١٠؛ البيهقي ٢: ٣٨؛ ابن كثير ١: ١٢.

وله ما بقي»(١).

[١/ ١٣٨] وأخرج ابن الضريس في فضائل القرآن والبيهقي في الشعب عن أنس عن النبيّ ﷺ قال: «إنّ الله أعطاني فيما منّ به عليّ، أنّي أعطيتك فاتحة الكتاب. وهي من كنوز عرشي، ثمّ قسمتها بيني وبينك نصفين»(٢).

[١/ ١٣٩] وأخرج الطبراني في الأوسط عن أُبيّ بن كعب قال: قرأ رسول الله ﷺ فاتحة الكتاب ثمّ قال: «قال ربّكم: ابن آدم أنزلت عليك سبع آيات. ثلاث لي، وثلاث لك، وواحدة بيني وبينك. فأمّا التي لي فـ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ والتي بيني وبينك ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ منك العبادة وعليّ العون لك. وأمّا التي لك ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّالِّينَ﴾»(٣).

[١/ ١٤٠] وأخرج الدارميّ والترمذي وحسّنه والنسائي وعبدالله بن أحمد بن حنبل في زوائد المسند وابن الضريس في فضائل القرآن وابن جرير وابن خزيمة والحاكم وصحّحه من طريق العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن أُبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنزل الله في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في الفرقان، مثل أُمّ القرآن. وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أُوتيت، وهي مقسومة بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل»(٤).

[١/ ١٤١] وفي صحيح مسلم من حديث العلاء بن عبد الرحمان مولى الحرقة عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال ﴿الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ قال الله: أثنى عليّ عبدي. وإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال الله: مجّدني عبدي ـ وقال مرّةً: فوّض إليّ عبدي ـ وإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: هذا بيني وبين

---

(١) الدرّ ١: ١٩؛ الطبري ١: ١٢٨/ ١٨٣؛ ابن أبي حاتم ١: ٢٨/ ١٩. وفيه: «مدحني عبدي» بدل «حمدني عبدي». من دون زيادة قوله: «ثمّ قال: هذا لي وله ما بقي»؛ البغوي ١: ٧٩، رواه مطوّلاً؛ كنز العمّال ٧: ٢٨٨ ـ ٢٨٩/ ١٨٩٢٠.

(٢) الدرّ ١: ١٦؛ الشعب ٢: ٤٤٨/ ٢٣٦٣؛ كنز العمّال ١: ٥٥٨/ ٢٥٠٦.

(٣) الدرّ ١: ١٩؛ الأوسط ٦: ٢٧٩ ـ ٢٨٠؛ مجمع الزوائد ٢: ١١٢.

(٤) الدرّ ١: ١٣؛ الدارمي ٢: ٤٤٦؛ الترمذي ٤: ٣٦٠/ ٥١٣١؛ سنن النسائي ٢: ١٣٩؛ الطبري ٨: ٧٨، بعد حديث رقم ١٦١٣٢؛ ابن خزيمة ١: ٢٥٢؛ الحاكم ١: ٥٥٨.

عبدي ولعبدي ما سأل. وإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّآلِّينَ﴾ قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل»[١].

[١٤٢/١] وأخرج عبد بن حميد من طريق مطر الورّاق عن قتادة في قول الله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: ما وصف من خلقه. وفي قوله: ﴿الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ قال: مدح نفسه. ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال: يوم يُدان بين الخلائق. أي هكذا فقولوا. ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: دلّ على نفسه[٢] ﴿اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. أي الصراط المستقيم: ﴿صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي طريق الأنبياء ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ قال: اليهود. ﴿وَ لَا الضَّآلِّينَ﴾ قال: النصارى[٣].

---

(١) راجع: ابن كثير ١: ٢٧ ـ ٢٨.

هذا الحديث رواه العلاء عن أبيه وعن أبي السائب مولى بني عبدالله بن هشام، وكانا جليسي أبي هريرة. راجع: صحيح مسلم ٢: ٩.

(٢) وفي الدرّ (١: ١٣ ط: مصر القديمة): «دلّ على أهله». (٣) الدرّ ١: ٣٥.

الاستعاذة

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾(١).

تفريع على وساوس كان يلقيها الشيطان على قلوب المؤمنين وهم قريبو عهد بالإسلام وكانت دسائس أهل الشرك لا تزال تعمل في التضعضع بالعقيدة الإسلاميّة، وهكذا كانت تعمل الخبائث من أهل الكفر والإلحاد في كلّ زمان.

ومن ثمّ فمن الواجب الإسلامي الاستعاذة بالله من شرور شياطين الجنّ والإنس ما دامت المكائد تعمل عملها الخبيث، وأولى به عند تلاوة كتاب الله العزيز الحميد. ومن ثمّ جاء تعقيب الآية بقوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾(٢).

[١٤٣/١] قال الصادق عليه السلام: «أغلقوا أبواب المعصية بالاستعاذة، وافتحوا أبواب الطاعة بالتسمية»(٣).

[١٤٤/١] وروى العياشي بإسناده إلى الحلبي قال: «سألت أبا عبدالله الصادق عليه السلام عن التعوّذ من

---

(١) النحل ١٦: ٩٨.

(٢) النحل ١٦: ٩٩-١٠٠.

(٣) البحار ٨٩: ٢١٦/٢٤، باب ٢٦؛ الدعوات للراوندي: ٥٢/ ١٣٠.

الشيطان، عند كلّ سورة نفتحها؟ فقال: نعم، فتعوّذ بالله من الشيطان الرجيم»(١).

[١٤٥/١] وروى الصدوق عن أبي أحمد هانئ بن محمّد بن محمود عن أبيه بإسناد رفعه إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أنّه كان بمحضر الرشيد وعندما أراد الاستشهاد بآي من القرآن، استعاذ وسمّى ثمّ تلا الآية... قال: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾. ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ...﴾ ـ إلى قوله: ـ ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ...﴾ احتجاجاً على صدق الذرّية على ولد البنت»(٢).

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ...﴾ أي إذا أردت قراءته. نظير قوله: ﴿إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾(٣)، أي إذا أردتم مناجاته. وقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُم(٤)...﴾، أي إذا أردتم النهوض للصلاة(٥).

* * *

والأمر بالاستعاذة عند تلاوة القرآن، ظاهر في الوجوب، ولا أقلّ من التأكّد على الاستحباب.

قال الشيخ أبو جعفر الطوسي: الاستعاذة عند التلاوة مستحبّة غير واجبة، بلا خلاف(٦).

[١٤٦/١] وفي الحديث عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام: «أوّل كلّ كتاب نزل من السماء ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾. فإذا قرأت ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ فلا تبالي أن لا تستعيذ، فإذا قرأت ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ سترتك فيما بين السماء والأرض»(٧).

قال الشهيد الأوّل محمّد بن جمال الدّين مكّي: وللشيخ أبي علي بن الشيخ الأعظم أبي جعفر الطوسي قول بوجوب التعوّذ، للأمر به، وهو غريب. لأنّ الأمر هنا للندب بالاتّفاق. وقد نقل فيه والده في الخلاف الإجماع منّا(٨).

[١٤٧/١] وروى أبو جعفر الصدوق في الفقيه: كان رسول الله صلى الله عليه وآله أتمّ الناس صلاةً وأوجزهم،

---

(١) العيّاشي ٢: ٢٩٢/ ٦٨.

(٢) العيون ١: ١٨/ ٩، باب جمل من أخبار موسى بن جعفر عليه السلام. والآية من سورة الأنعام ٦: ٨٤ـ ٨٦.

(٣) المجادلة ٥٨: ١٢.

(٤) المائدة ٥: ٦.

(٥) قال الطبرسي: معناه: إذا أردتم القيام إلى الصلاة. مجمع البيان ٣: ٢٨٢.

(٦) التبيان ١: ٤٢٥.

(٧) الكافي ٣: ٣١٣/ ٣؛ الوافي ٨: ٦٤٨/ ٦٧٨٨ـ ٣.

(٨) ذكرى الشيعة ٣: ١٣١. وراجع: الخلاف ١: ٤٢٤.

كان إذا دخل في صلاته قال: «الله أكبر، بسم الله الرّحمان الرّحيم»[١]. يعني: إذا أراد الإيجاز والاقتصار على الواجب من الصلاة.

وفي أحاديث وصف الصلاة ما يدلّ على ذلك.

[١٤٨/١] ففي صحيحة حمّاد، حيث جاء الوصف لبيان الواجب منها، اقتصر على التكبير ثمّ قرأ الحمد: «فقال: الله أكبر، ثمّ قرأ الحمد...»[٢].

ولكن حيث يأتي الوصف لبيان الآداب، يذكر الاستعاذة أوّلاً ثمّ البسملة:

[١٤٩/١] «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرّجيم، بسم الله الرّحمان الرّحيم...»[٣].

وبهذا الاستحباب قال أبو حنيفة وسفيان والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق[٤].

وقال مالك: لا يستعيذ:

[١٥٠/١] لحديث أنس[٥]: كان النبيّ ﷺ وأبو بكر وعمر يفتتحون الصلاة بالحمد لله ربّ العالمين. قال ابن قدامة: متّفق عليه[٦]. ومن ثمّ كان مالك لا يرى الاستفتاح أيضاً. بل يكبّر ويقرأ[٧].

وحُمل حديث أنس على إرادة الإيجاز في الصلاة المكتوبة. كما ذكرناه بشأن حديث الصدوق الآنف. وقد ذكر الشيخ: أنّ مالكاً كان لا يتعوّذ في المكتوبة، ويتعوّذ في قيام شهر رمضان إذا قرأ[٨].

* * *

قال ابن الجزري: ذهب الجمهور إلى أنّ الاستعاذة مستحبّة في القراءة بكلّ حال، في الصلاة وخارج الصلاة، وحملوا الأمر في ذلك على الندب. وذهب داوود بن علي وأصحابه إلى وجوبها، حملاً للأمر على الوجوب، كما هو الأصل، حتّى أبطلوا صلاة من لم يستعذ. وقد جنح الإمام فخر الدّين الرازي إلى القول بالوجوب، وحكاه عن عطاء بن أبي رباح، واحتجّ له بظاهر الآية من حيث

(١) الفقيه ١: ٩٢٠/٣٠٦.
(٢) المصدر: ٣٠٠ـ٩١٥/٣٠١.
(٣) المصدر: ٩١٦/٣٠٤.
(٤) الخلاف ١: ٣٢٤؛ المغني ١: ٥١٩.
(٥) المغني ١: ٥١٩.
(٦) المصدر: ٥١٥.
(٧) المصدر. والاستفتاح: قول «سبحانك اللّهم وبحمدك... إلخ».
(٨) الخلاف ١: ٢٢٤ـ٢٢٥.

الأمر، وبمواظبة النبيّ ﷺ عليها. ولأنّها تدرأ شرّ الشيطان. وما لا يتمّ الواجب إلّا به فهو واجب[١].

وظاهر الأمر ـ في الآية ـ أيضاً الإطلاق، سواء في الصلاة أم في غيرها. وسواء صاحبتها التسمية أم لم تصاحبها. وقد مرّ حديث الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: إنّه استعاذ وسمّى ثمّ تلا الآية.

[١ / ١٥١] وفي حديث حَنان بن سدير ـ في الموثّق ـ: صلّيت خلف الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام فتعوّذ بإجهار، ثمّ جهر ببسم الله الرّحمان الرّحيم[٢].

[١ / ١٥٢] قال الإمام الصادق عليه السلام: «الاستعاذة غلق لأبواب المعصية، والتسمية فتح لأبواب الطاعة»[٣].

فإذا كانت التسمية مفتاحاً لأبواب الخير والبركات، فلتكن الاستعاذة قبلها غلقاً لأبواب الوساوس والشرور.

قال المولى الفيض الكاشاني: الاستعاذة تطهير اللّسان عمّا جرى عليه من غير ذكر الله ليستعدّ لذكر الله والتلاوة، والتنظيف للقلب من تلوّث الوسوسة، ليتهيّأ للحضور لدى المذكور ويجد الحلاوة[٤].

قال ابن الجزري: ثمّ إنّ المعنى الذي شرّعت الاستعاذة له، يقتضي أن تكون قبل القراءة، لأنّها طهارة الفم ممّا كان يتعاطاه من اللغو والرفث، وتطييب له، وتهيّؤٌ لتلاوة كلام الله تعالى. فهي التجاء إلى الله تعالى واعتصام بجنابه من خلل يطرأ عليه أو خطإٍ يحصل منه في القراءة وغيرها وإقرار له بالقدرة، واعتراف للعبد بالضعف والعجز عن هذا العدوّ الباطن الذي لا يقدر على دفعه ومنعه إلّا الله الذي خلقه[٥].

* * *

ومحلّها ـ في الصلاة ـ في مفتتحها قبل البسملة في الركعة الأُولى. قال الشهيد: لا تتكرّر الاستعاذة عندنا وعند الأكثر. ولو نسيها في الأُولى لم يأت بها في الثانية[٦]. وذلك للتأسّي ولأنّ الأمر بها توقيف ولاسيّما في الصلاة وهي عبادة، والتجاوز عمّا ورد الأمر به بحاجة إلى دليل.

---

(١) النشر في القراءات العشر ١: ٢٥٧ـ ٢٥٨. وراجع: التفسير الكبير ١: ٦٠.

(٢) وسائل الشيعة ٦: ١٣٤ / ٤.

(٣) البحار ٨٩: ٢١٦ / ٢٤.

(٤) الصافي ١: ١١٥.

(٥) النشر في القراءات العشر ١: ٢٥٦.

(٦) ذكرى الشيعة ١: ٣٣١.

قال الشيخ: التعوّذ مستحبّ في أوّل ركعة دون ما عداها. وللشافعي قولان، أحدهما: مثل قولنا. والثاني: أنّه في كلّ ركعة إذا أراد القراءة. وعلى الأوّل أكثر أصحابه، وبه قال ابن سيرين. قال الشيخ: دليلنا: أنّ ما اعتبرناه مجمع عليه، وتكراره في كلّ ركعة يحتاج إلى دليل، وليس في الشرع ما يدلّ عليه[١].

وأمّا في غير الصلاة فالاستعاذة إنّما هي في مفتتح التلاوة وإن تعدّدت ما لم يتخلّلها أجنبيّ عنها. ولأنّ ظاهر الآية الأمر بها قبل الشروع في القراءة لا في استدامتها آية فآية حتى مع الفصل القصير!

* * *

ذهب الشيخ وعامّة الأصحاب إلى الإسرار بالاستعاذة والإجهار بالبسملة فقط. قال: التعوّذ يُسَرُّ به في جميع الصلوات (الجهرية والإخفاتيّة). وللشافعي فيه قولان، أحدهما: مثل ما قلنا، والثاني: أنّه يجهر به فيما يجهر فيه بالقراءة. قال الشيخ: دليلنا: إجماع الفرقة[٢].

قال الشهيد: ويستحبّ الإسرار بها ولو في الجهريّة. قاله الأكثر. ونقل الشيخ فيه الإجماع منّا[٣]. وحمل حديث حنان بن سدير على إرادة الجواز.

[١٥٣/١] وروى المجلسي الرواية عن قرب الإسناد عن محمّد بن عبد الحميد وعبد الصمد ابن محمّد معاً عن حنان بن سدير، قال: صلّيت خلف أبي عبدالله عليه السلام المغرب، فتعوّذ بإجهار: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بالله أن يحضرون»، ثمّ جهر ببسم الله الرحمان الرحيم[٤]. أي جهر بهما معًا.

وأورد كلام الشهيد وقال: لم أر مستنداً للإسرار، والإجماع لم يثبت، والرواية تدلّ على استحباب الجهر، خصوصاً للإمام، لاسيّما في المغرب. إذ الظاهر اتحاد الواقعة في الروايتين. ويؤيّده عموم ما ورد في إجهار الإمام في سائر الأذكار إلّا ما أخرجه الدليل[٥].

واستجاده الفقيه البحراني بعد نقل كلامه ولم يزد، دليلاً لارتضائه لما ذهب إليه[٦].

---

(١) الخلاف ١: ٣٢٦.
(٢) المصدر: ٣٢٦ـ٣٢٧.
(٣) ذكرى الشيعة ١: ٣٣٠.
(٤) البحار ٨٢: ٣٥/ ٢٥ عن قرب الاسناد: ١٢٤/ ٤٣٦.
(٥) البحار ٨٢: ٣٥.
(٦) راجع: الحدائق الناضرة ٨: ١٩٥.

قال السيّد العاملي: وليعلم أنّه يستحبّ الإخفات بها، كما نصّ عليه أكثر من تعرّض له. وذكر إجماع الخلاف، والنسبة إلى الأكثر من الذكرى وجامع المقاصد والفوائد الملّيّة. وعن التذكرة وإرشاد الجعفريّة: إنّه على ذلك عمل الأئمّة عليهم السلام. ثمّ نقل كلام المجلسي في البحار واستجواد الفقيه البحراني له، وعقّبه بقوله: والإجماع المنقول والسيرة المنقولة عن الأئمّة عليهم السلام وفتوى الأصحاب من غير خلاف، مع شهادة صحيح صفوان، حجّة عليهما[١].

[١/١٥٤] أمّا صحيحة صفوان فهي ما رواه الشيخ بإسناده إلى الحسين بن سعيد عن عبد الرحمان بن أبي نجران عن صفوان، قال: صلّيت خلف أبي عبدالله عليه السلام أيّاماً، كان يقرأ في فاتحة الكتاب. بسم الله الرّحمان الرّحيم. فإذا كان صلاة لا يجهر فيها بالقراءة، جهر ببسم الله الرّحمان الرّحيم، وأخفى ما سوى ذلك[٢].

قال العلّامة المجلسي: قوله: «وأخفى ما سوى ذلك» يدلّ على استحباب الإخفات في الاستعاذة، لأنّ «ما سوى ذلك» يشملها. إذ يبعد تركه عليه السلام للاستعاذة في صلوات متوالية.

ثمّ استدرك ذلك باحتمال إرادة ما سوى البسملة من الفاتحة، ولأنّه الظاهر من السياق. إذ من المعلوم أنّه عليه السلام كان يجهر بالتسبيحات (في الركوع والسجود) وبالتشهّد والقنوت وسائر الأذكار، لاستحباب الإجهار للإمام[٣].[٤]

* * *

قال ابن الجزري: المختار عند الأئمّة القرّاء هو الجهر بالاستعاذة، عن جميع القرّاء، لا نعلم في ذلك خلافاً عن أحد منهم إلّا ما جاء عن حمزة وغيره ممّا نذكره.

قال الحافظ أبو عمرو في جامعه: لا أعلم خلافاً في الجهر بالاستعاذة عند افتتاح القرآن وعند ابتداء كلّ قارئٍ بعرض أو درس أو تلقين في جميع القرآن، إلّا ما جاء عن نافع وحمزة.

[١/١٥٥] وروى ابن المسيّبي عن أبيه عن نافع: أنّه كان يخفي الاستعاذة ويجهر بالبسملة عند افتتاح السور ورؤوس الآيات في جميع القرآن.

---

(١) مفتاح الكرامة ٢: ٣٩٩ ـ ٤٠٠.
(٢) التهذيب ٢: ٦٨/٢٤٦ ـ ١٤.
(٣) ففي الحديث: ينبغي للإمام أن يُسمع من خلفه كلّ ما يقول، التشهّد وغيره. راجع: وسائل الشيعة ٨: ٣٩٦، باب ٥٢ (من أبواب صلاة الجماعة).
(٤) البحار ٨٢: ٣٥ ـ ٣٦.

وروي عن حمزة وجهان: أحدهما: إخفاؤه حيث قرأ القارئ مطلقاً. الثاني: الجهر بالتعوّذ في أوّل الفاتحة فقط وإخفاؤه في سائر القرآن.

[١/١٥٦] رواه الحافظ الكبير أبو الحسن الدارقطني في كتابه، عن أبي الحسن بن المنادي عن الحسن بن العبّاس عن الحلواني عن خلف عن سليم عن حمزة: أنّه كان يجهر بالاستعاذة والتسمية في أوّل سورة فاتحة الكتاب، ثمّ يخفيها بعد ذلك في جميع القرآن...[١].

[١/١٥٧] وقد عرفت في حديث حنان بن سدير: أنّه صلّى خلف الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام فتعوّذ بإجهار، ثمّ جهر ببسم الله الرحمان الرحيم[٢].

وذكر الشيخ محيي الدين النووي للإمام الشافعي قولين في المسألة، أحدهما: يستوي الجهر والإسرار، وهو نصّه في الأُمّ. والثاني: يُسَنُّ الجهر، وهو نصّه في الإملاء. قال: وكان أبو هريرة يجهر بها، وكان ابن عمر يُسِرّ. قال: وهو الأصحّ عند جمهور أصحابنا (العراقيّين) وهو المختار. قال ابن الجزري: نقل عن أبي علي الطبري: أنّه يستحبّ فيه الإسرار. وهذا مذهب أبي حنيفة وأحمد ومذهب مالك، في قيام رمضان.

قال: واختلف المتأخّرون في المراد بالإخفاء. فقال كثير منهم: هو الكتمان. فيكفي فيه الذكر في النفس من غير تلفّظ. وقال الجمهور: المراد به الإسرار، فلايكفي فيه إلّا التلفّظ وإسماع نفسه، وهذا هو الصواب، لأنّ نصوص المتقدّمين كلّها على جعله ضدّاً للجهر، وكونه ضدّ الجهر يقتضي الإسرار به[٣].

* * *

وصورتها المتوافقة مع ظاهر تعبير القرآن، هي العبارة المشهورة: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

[١/١٥٨] ففي حديث عبدالله بن مسعود، قال: «قرأت على رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: أعوذ بالله السميع العليم. فقال لي: ياابن أُمّ عبد، قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. هكذا أقرأنيه جبرئيل»[٤].

---

(١) النشر في القراءات العشر ١: ٢٥٢ ـ ٢٥٣.

(٢) وسائل الشيعة ٦: ١٣٤/٤، وكان حمزة قد تتلمذ للإمام الصادق عليه السلام فيما ذكره الشيخ في رجاله: ١٧٧/٢٠٦.

(٣) النشر في القراءات العشر ١: ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

(٤) عوالي اللئالي ٢: ٤٧ ـ ٤٨/١٢٤.

قال الطبرسي: اتّفقوا على التلفّظ بالتعوّذ قبل التسمية، فيقول ابن كثير وعاصم وأبو عمرو: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم». ونافع وابن عامر والكسائي: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. إنّ الله هو السميع العليم». وحمزة: «نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم». وأبو حاتم: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم»(١).

[١٥٩/١] وبهذا الأخير ورد أيضاً عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام فيما رواه القاضي نعمان المصري في الدعائم، قال عليه السلام: تعوّذ بعد التوجّه، من الشيطان، تقول: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم»(٢).

قال النووي: وصفته المختارة: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم». وكان جماعة من السلف يزيدون: «السميع العليم».

ونقل جلال الدِّين السيوطي عبارات مختلفة، وذكر عن الحُلوانيّ: أن ليس للاستعاذة حدّ يُنْتَهى إليه. من شاء زاد ومن شاء نقص(٣).

* * *

قال ابن الجزري: المختار لجميع القرّاء من حيث الرواية: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم». كما ورد في سورة النحل. فقد حكى الأُستاذ أبو طاهر ابن سوار وأبو العزّ القلانسي وغيرهما: الاتّفاق على هذا اللفظ بعينه. وقال الإمام أبو الحسن السخاوي في كتابه «جمال القرّاء»: إنّ الذي عليه إجماع الأُمّة هو: «أعوذ باللهمن الشيطان الرجيم». وقال الحافظ أبو عمرو الداني: إنّه هو المستعمل عند الحُذّاق، دون غيره. وهو المأخوذ به عند عامّة الفقهاء، كالشافعي وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم.

[١٦٠/١] وقد ورد النصّ بذلك عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه هكذا تعوّذ(٤).

وروي هذا اللفظ من التعوّذ أيضاً من حديث جبير بن مطعم ومن حديث عطاء بن السائب عن السُّلَمي عن ابن مسعود.

[١٦١/١] روى أبو الفضل الخزاعي عن المطوّعي عن الفضل بن الحبّاب عن روح بن

---

(١) مجمع البيان ١: ٤٩.

(٢) دعائم الإسلام ١: ١٥٧. وهكذا روى الصدوق في المقنع: ٩٣.

(٣) الإتقان ١: ٢٩٦ ـ ٢٩٧.

(٤) راجع: مسند أحمد ٥: ٢٥٣ و ٦: ٣٩٤؛ ابن كثير ١: ١٥.

عبد المؤمن، قال: قرأتُ على يعقوب الحضرمي: أعوذ بالسميع العليم.. فقال لي: قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فإنّي قرأت على سلام بن المنذر: أعوذ بالسميع العليم. فقال لي: قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فإنّي قرأت على عاصم بن بهدلة: أعوذ بالله السميع العليم. فقال لي: قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فانّي قرأت على عبدالله بن مسعود: أعوذ بالسميع العليم. فقال لي: قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فإنّي قرأتُ على النبيّ ﷺ: أعوذ بالسميع العليم. فقال لي: «يابن أُمّ عبد، قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. هكذا أخذته عن جبريل عن ميكائيل عن اللوح المحفوظ».

قال ابن الجزري: حديث غريب جيّد الإسناد من هذا الوجه. ورواه مسلسلاً أيضاً وبعدّة طرق. وهكذا قرأ على مشايخه العظام الثقات وكلّهم أقرّوا على هذا اللفظ باتّفاق الكلمة[1].

[١٦٢/١] وروى الخزاعي أيضاً في كتابه «المنتهى» بإسناده إلى عبدالله بن مسلم بن يسار، قال: قرأتُ على أُبَيّ بن كعب: أعوذ بالله السميع العليم. فقال: يابُنَيّ، عمّن أخذت هذا؟ قل: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» كما أمرك الله ﷻ[2].

قال: دعوى الإجماع على هذا اللفظ بعينه مشكلة، والظاهر أنّ المراد: على أنّه المختار، فقد ورد تغيير هذا اللفظ والزيادة عليه والنقص:

فقد نُقل عن حمزة: أستعيذ ونستعيذ واستعذت. قال: ولا يصحّ. ونقل عن الإمام الحافظ العلّامة أبي أمامة محمّد بن علي بن عبد الواحد بن النقاش ـ في كتابه «اللاحق السابق والناطق الصادق في التفسير»: أنّ دخول السين والتاء في الأمر بالاستعاذة («استعذ» «تعوّذ») إنّما هو لمكان الطلب، إيذاناً بطلب التعوّذ. فمعنى «استعذ بالله»: اطلب منه أن يعيذك. فامتثال الأمر هو أن يقول: أعوذ بالله، لأنّ قائله متعوّذ أو مستعيذ قد عاذ والتجأ. والقائل: أستعيذ بالله، ليس بعائذ، إنّما هو طالب العياذ به وطالب للاعتصام. وفرق بين نفس الاعتصام وبين طلب ذلك.. وحسّنه ابن الجزري قال: ولله درّه ما ألطفه وأحسنه!

ثمّ زيّف الحديث الوارد الآتي:

[١٦٣/١] بأنّ رسول الله ﷺ استعاذ بلفظ: «أستعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم». وهكذا ضعّفه شيخه أبو الفداء إسماعيل بن كثير صاحب التفسير، قال: وهذا الأثر غريب وإنّما

(١) النشر في القراءات العشر ١: ٢٤٣ ـ ٢٤٦.
(٢) المصدر.

ذكرناه ليعرف، فإنّ في إسناده ضعفاً وانقطاعاً..»[1]. قال ابن الجزري: ومع ضعفه وانقطاعه وكونه لا تقوم به حجّة؛

[١ / ١٦٤] فإنّ الحافظ أبا عمرو الداني رواه على الصواب من حديث أبي روق أيضاً عن الضحّاك عن ابن عبّاس: أنّ جبرئيل علّمه (النبيّ ﷺ) قال: قل: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» ثمّ قال: قل: «بسم الله الرحمان الرحيم».

قال: والقصد، أنّ الذي تواتر عن النبيّ ﷺ في التعوّذ للقراءة ولسائر تعوّذاته من روايات لا تُحصىٰ، لفظ «أعوذ». وهو الذي أمره الله تعالى به وعلّمه إيّاه فقال: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ. وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾[2]. ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾. ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾. وقال عن موسى ﷺ: ﴿أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[3]. ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾[4]. وعن مريم ﷺ: ﴿أَعُوذُ بِالرَّحْمَانِ مِنْكَ﴾[5].

[١ / ١٦٥] وروى مسلم بإسناده إلى أبي سعيد الخدري عن زيد بن ثابت ـ في حديث ـ قال: إنّ النبيّ ﷺ أقبل علينا بوجهه فقال: «تعوّذوا بالله من عذاب النار، قلنا: نعوذ بالله من عذاب النار. قال: تعوّذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. قلنا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. قال: تعوّذوا بالله من فتنة الدجّال. قلنا: نعوذ بالله من فتنة الدجّال»[6].

... فلم يقولوا في شيء من جوابه ﷺ: نتعوّذ بالله، ولا تعوّذنا، على طبق اللفظ الذي اُمروا به. كما أنّه ﷺ لم يقل: أستعيذ بالله ولا استعذت، على طبق اللفظ الذي أمره الله بـه. ولا كـان هـو وأصحابه يعدلون عن اللفظ المطابق الأوّل المختار إلى غيره، بل كانوا هم أولى بالاتّباع وأقرب إلى الصواب وأعرف بمراد الله تعالى.

كيف وقد علّمنا رسول الله ﷺ كيف يستعاذ:

[١ / ١٦٦] فقال ﷺ: «إذا تشهّد أحدكم فليستعذ بالله من أربع: يقول: أللّهم إنّي أعوذ بك من عذاب جهنّم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شرّ فتنة المسيح الدجّال». رواه

(١) ابن كثير ١: ١٥. واللفظ كما في التفسير: «أستعيذ بالله السميع العليم ...».

(٢) المؤمنون ٢٣: ٩٧ ـ ٩٨.

(٣) البقرة ٢: ٦٧.

(٤) غافر ٤٠: ٢٧.

(٥) مريم ١٩: ١٨.

(٦) مسلم ٨: ١٦٠ ـ ١٦١.

مسلم[١] وغيره. ولا أصرح من ذلك![٢].

* * *

والتغيير بتقديم وتأخير أو تبديل مع المحافظة على أصل المعنى. فممّا ورد في الحديث ولا منع منه.

[١ / ١٦٧] فقد ورد عن النبي ﷺ: «اللّهمّ اعصمني من الشيطان الرجيم»[٣].

[١ / ١٦٨] «اللّهمّ أعذني فيه من الشيطان الرجيم»[٤].

[١ / ١٦٩] «اللّهمّ إنّي أعوذ بك من الشيطان الرجيم»[٥].

[١ / ١٧٠] «اللّهمّ أجرني من الشيطان الرجيم»[٦].

وأمّا الزيادة فقد وردت بألفاظ ذكرها ابن الجزري عن أُناس بأشكال:

[١ / ١٧١] «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم». قال أبو عمرو الداني: «إنّ على استعماله عامّة أهل الأداء من أهل الحرمين والعراقين والشام. وروي عن حمزة وأبي حاتم». قال ابن الجزري: رواه أصحاب السنن الأربعة وأحمد عن أبي سعيد الخدري بإسناد جيّد[٧].

وقال الترمذي: هو أشهر حديث في هذا الباب.

[١ / ١٧٢] وروي عن النبيّ ﷺ: «من قال حين يصبح ثلاث مرّات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم...» رواه أحمد في المسند بإسناد صحيح[٨].

[١ / ١٧٣] «أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم»[٩]. ذكره الداني في جامعه عن أهل مصر وسائر بلاد المغرب.

[١ / ١٧٤] «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. إنّ الله هو السميع العليم»[١٠]. رواه الأهوازي عن

---

(١) راجع: صحيح مسلم ٢: ٩٣، باب ما يستعاذ منه في الصلاة. وكذا ٨: ٧٥، أبواب الاستعاذة من الفتن.

(٢) النشر في القراءات العشر ١: ٢٤٦ ـ ٢٤٨.

(٣) ابن ماجة ١: ٢٥٤ / ٧٧٣.

(٤) الكافي ٤: ٧٥ / ٧؛ المصنّف لعبد الرزاق ١: ٤٢٥ / ١٦٦٣؛ الأذكار النووية: ٣١.

(٥) أبو داوود ٢: ٤٣٣ / ٤٧٨٠.

(٦) الحاكم ١: ٢٠٧؛ البيهقي ٢: ٤٤٢؛ ابن خزيمة ١: ٢٣١؛ ابن حبّان ٥: ٣٩٦.

(٧) مسند أحمد ٣: ٥٠؛ الترمذي ١: ١٥٣ ـ ١٥٤ / ٢٤٢؛ أبو داوود ١: ١٨٠ / ٧٧٥؛ البيهقي ٢: ٣٤.

(٨) مسند أحمد ٥: ٢٦.

(٩) المصنّف ٦: ٩٦ / ٦.

(١٠) المصدر ١: ٢٦٨ / ٤.

أبي عمرو. وروى عن عمر بن الخطّاب وابن يسار وابن سيرين والثوري.

[١ / ١٧٥] «أعوذ بالله العظيم السميع العليم من الشيطان الرجيم». روي عن حفص.

[١ / ١٧٦] «أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم، إنّ الله هو السميع العليم». روي عن ابن كثير.

[١ / ١٧٧] «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم. إنّ الله هو السميع العليم». روي عن الحسن البصري.

[١ / ١٧٨] «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم واستفتح الله وهو خير الفاتحين». روي عن ابن مقسم عن إدريس عن خلف عن حمزة.

[١ / ١٧٩] «أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم». رواه أبو داوود للدخول إلى المسجد، عن عمرو بن العاص عن النبيّ ﷺ[١]. قال ابن الجزري: وروي الحديث بألفاظ مختلفة ذكرها أصحاب الصحاح[٢].

[١ / ١٨٠] ومن التبديل ما روي عن حميد بن قيس: «أعوذ بالله القادر من الشيطان الغادر».

[١ / ١٨١] وعن أبي السمّاك: «أعوذ بالله القويّ من الشيطان الغويّ». قال ابن الجزري: وكلاهما لا يصحّ[٣].

وأمّا النقص:

[١ / ١٨٢] فقد أخرج أبو داوود في السنن من حديث جبير بن مطعم: «أعوذ بالله من الشيطان» من غير ذكر «الرجيم»[٤].

[١ / ١٨٣] وفي حديث أبي هريرة من رواية النسائي: «اللّهمّ احفظني من الشيطان»[٥].

قال ابن الجزري: فهذا الذي أعلمه ورد الاستعاذة من الشيطان في حال القراءة وغيرها. ولا ينبغي أن يُعدَل عمّا صحّ منها، ولا يعدل عمّا ورد عن السلف الصالح، فإنّما نحن متّبعون لا مبتدعون[٦].

---

(١) أبو داوود ١: ١١٣ ـ ١١٤ / ٤٦٦.
(٢) النشر في القراءات العشر ١: ٢٤٩ ـ ٢٥١.
(٣) المصدر: ٢٤٨ ـ ٢٤٩.
(٤) أبو داوود ١: ١٧٨ / ٧٦٤.
(٥) النسائي ٦: ٢٧ / ٩٩١٩.
(٦) النشر في القراءات العشر ١: ٢٥٢.

البسملة

البسملة، شعار الإسلام وشاخصته التي فاقت سائر الشعارات، والرّابط الذي أحكم من أواصر هذه الأمّة بالمبدأ الأعلى ذي القوّة المكين. كما ونفرت منه أصحاب الشغب والشياطين، حيث دوّخهم دويّها الرهيب ولم يطيقوا المقاومة تجاه هيبتها قرع الأسماع ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾[1].

[١٨٤/١] روى العيّاشي بإسناده إلى أبي حمزة الثمالي عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجهر ببسم الله الرحمان الرحيم، ويرفع صوته بها، فإذا سمعها المشركون ولّوا مدبرين. فأنزل الله: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾[2].

[١٨٥/١] وذكر القرطبي في تفسير هذه الآية: أنّ الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام قال: معناه: إذا قلت: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾[3].

[١٨٦/١] أخرج أبو نعيم والدّيلمي عن عائشة قالت: لمّا نزلت ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ ضجّت الجبالُ حتّى سمع أهل مكّة دويّها، فقالوا: سَحَرَ محمّدٌ الجبالَ. فبعث الله دخاناً حتّى أظلّ على أهل مكّة. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من قرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ موقناً، سبّحت معه الجبال، إلّا أنّه لا يُسمع ذلك منها»[4].

---

(١) الإسراء ١٧: ٤٦.

(٢) العيّاشي ١: ٣٤/ ٦.

(٣) القرطبي ١: ٩٢ و ١٠: ٢٧١.

(٤) الدرّ ١: ٢٦.

[١ / ١٨٧] وأخرج الثعلبي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبّاس قال: قام النبيّ ﷺ بمكّة فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ...﴾، فقالت قريش: دقّ الله فاك![1].

[١ / ١٨٨] وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «فُضّلتُ بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾»[2].

[١ / ١٨٩] وقال: «لم تنزل على أحد غيري، سوى ما حكاه الله من كتاب سليمان في سورة النمل»[3].

[١ / ١٩٠] وفي الحديث عن الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: «البسملة تيجان السور»[4].

[١ / ١٩١] وفي الحديث عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «سرقوا أكرم آية في كتاب الله، ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾»[5].

[١ / ١٩٢] وفي حديث الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام: «إنّ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾، أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها»[6].

[١ / ١٩٣] وروى الشيخ أبو جعفر الطوسي بإسناده إلى عبدالله بن يحيى الكاهلي عن الصادق عن أبيه عليهما السلام قال: «﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾، أقرب إلى اسم الله الأعظم من ناظر العين إلى بياضها»[7].

[١ / ١٩٤] وروى السيّد ابن طاووس بإسناده إلى محمّد بن الحسن الصفار، بإسناده إلى معاوية ابن عمّار عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾، اسم الله الأكبر، أو قال: الأعظم»[8].

[١ / ١٩٥] وبرواية ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾، اسم من أسماء الله الأكبر، وما بينه وبين اسم الله الأكبر إلّا كما بين سواد العين وبياضها»[9].

[١ / ١٩٦] وأخرج ابن مردويه عن ابن عبّاس قال: اسم الله الأعظم، هو: الله[10].

---

(١) راجع: الثعلبي ١: ٩٠، وعنه الدرّ ١: ٢٩؛ وأبوالفتوح ١: ٣٤.

(٢) تفسير الإمام: ٥٩؛ البحار ٨٩: ٢٢٧ / ٤.

(٣) وسيأتي في حديث بريدة وغيره. كنزالعمّال ١: ٦٥٥ / ٢٤٩٢؛ ابن كثير ١: ١٩.

(٤) القرطبي ١: ٩٢.

(٥) العيّاشي ١: ٣٣ / ٤.

(٦) العيون ٢: ٨ـ ٩ / ١١؛ الغمّة ٣: ٢١٦؛ البحار ٨٩: ٢٣٣ / ١٥ و: ٢٥٧ / ١٥.

(٧) التهذيب ٢: ٢٨٩ / ١١٥٩.

(٨) البحار ٩٠: ٢٢٣ / ١.

(٩) مهج الدعوات: ٣١٩.

(١٠) الدرّ ١: ٢٣.

[١ / ١٩٧] وأخرج ابن أبي شيبة والبخاري في تاريخه وابن الضريس في فضائله وابن أبي حاتم عن جابر بن زيد قال: اسم الله الأعظم، هو: الله، ألا ترى أنّه في جميع القرآن يبدأ به قبل كلّ اسم[١].

[١ / ١٩٨] وأخرج ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا في الدعاء عن الشعبي قال: اسم الله الأعظم، يا الله[٢].

[١ / ١٩٩] وروي عن الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: «إذا أمّ الرجلُ القومَ، جاء شيطان إلى الشيطان الذي هو قريب إلى الإمام، فيقول: هل ذكر الله، يعني: هل قرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾؟ فإن قال: نعم، هرب منه. وإن قال: لا، ركب عنق الإمام ودلّى رجليه في صدره، فلم يزل الشيطان إمام القوم حتّى يفرغوا من صلاتهم»[٣].

[١ / ٢٠٠] وفي كتاب «جامع الأخبار»: عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «إذا قال المعلّم للصبيّ: قل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾، فقالها الصبيّ، كتب الله براءة للصبيّ، وبراءة لأبويه، وبراءة للمعلّم ...» وذكر فضائل أخرى كثيرة ...[٤].

[١ / ٢٠١] وروى الصدوق بإسناده إلى الإمام أبي محمّد الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أحزنه أمرٌ تعاطاه، فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾، وهو مخلص لله ويُقبل بقلبه إليه، لم ينفكّ من إحدى اثنتين: إمّا بلوغ حاجته في الدنيا، وإمّا يعدّ له عند ربّه ويُدَّخر لديه. وما عند الله خير وأبقى للمؤمنين»[٥].

فضيلة البسملة

وأنّها بركة في الحياة ووقاية من الشرور

[١ / ٢٠٢] جاء في تفسير الإمام: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ هو الذي يتألّه إليه عند الحوائج والشّدائد، كلُّ مخلوق. أي أستعين على أموري كلّها بالله الذي لا تحقّ العبادة إلّا له، المغيث إذا استغيث، والمجيب إذا دُعي[٦].

---

(١) الدرّ ١: ٢٣ ـ ٢٤؛ المصنّف ٧: ٥٨ / ٧، كتاب الدعاء (باب في اسم الله الأعظم)؛ التاريخ ١: ٢٠٩ / ٦٥٨؛ ابن أبي حاتم ١: ٢٥ / ٣.

(٢) الدرّ ١: ٢٤؛ المصنّف ٧: ٥٨، كتاب الدعاء (باب ٣٧).

(٣) العيّاشي ١: ٣٤ / ٧.

(٤) جامع الأخبار: ٤٩؛ البحار ٨٩: ٢٥٧ ـ ٢٥٩ / ٥٢.

(٥) التوحيد: ٢٣٢ / ٥، باب معنى البسملة ٣١، وراجع تفسير الإمام: ٢٨ / ٩، باب الافتتاح بالتسمية.

(٦) تفسير الإمام: ٢١ / ٥.

[٢٠٣/١] قال الصادق عليه السلام: «ولربّما ترك في افتتاح أمر بعضُ أوليائنا ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ فيمتحنه الله بمكروه، لينبّهه على شكر الله تعالى والثناء عليه، ويمحو فيه عنه[١] وصمة تقصيره عند تركه قول: بسم الله».

[٢٠٤/١] دخل عبدالله بن يحيى[٢] على أميرالمؤمنين عليه السلام وبين يديه كرسيّ، فأمره بالجلوس عليه، فجلس فمال به حتّى سقط فأوضح عن عظم رأسه وسال الدم...

ثمّ قال أميرالمؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ: «يا عبدالله، الحمد لله الذي جعل تمحيص ذنوب شيعتنا في الدنيا بِمِحَنِهِمْ، لتسلم لهم طاعاتهم...

فقال عبدالله: لو عرّفتني ذنبي الذي امتحنت به في هذا المجلس حتّى لا أعود إلى مثله؟ قال عليه السلام: تركك ـ حين جلست ـ قول ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾...

قال عليه السلام: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حدّثني عن الله عزّ وجلّ: كلّ أمر ذي بال لم يذكر فيه «بسم الله» فهو أبتر»...[٣].

[٢٠٥/١] وأخرج الحافظ عبدالقادر الرهاوي في الأربعين بسند حسن عن أبي هريرة قال: قال رسول صلى الله عليه وآله: «كلّ أمر ذي بال لا يبدأ فيه بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ أقطع»[٤].

[٢٠٦/١] وأخرج ابن مردويه والثعلبي عن جابر بن عبدالله قال: لمّا نزلت ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ هرب الغيم إلى المشرق، وسكنت الريح، وهاج البحر، وأصغت البهائم بآذانها، ورُجمت الشياطين من السماء، وحلف الله بعزّته وجلاله أن لا يُسمّى على شيء إلّا بارك فيه[٥].

[٢٠٧/١] قال القرطبي: رُوي عن عليّ بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ أنّه قال في قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾: «إنّه شفاء من كلّ داء وعونٌ على كلّ دواءٍ. وأمّا ﴿الرَّحْمَانِ﴾ فهو عونٌ لكلّ من آمن به وهو اسم لم يُسمَّ به غيره. وأمّا ﴿الرَّحِيمِ﴾ فهو لمن تاب وآمن وعمل صالحاً»[٦].

---

(١) وفي التوحيد: «ويمحق عنه» بدل «ويمحو فيه عنه»: راجع: التوحيد: ٢٣٠ ـ ٢٣١ / ٥.

(٢) هو أبو الرضا الحضرمي من خواصّ أصحاب الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام. عدّه المفيد من السابقين والمقرّبين من أصحابه. وهو الذي قال له الإمام يوم الجمل: أبشر يا ابن يحيى، فأنت وأبوك من شرطة الخميس، سمّاكم الله به في السماء. لقد أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله باسمك واسم أبيك. وعدّه البرقي من الأولياء. راجع: معجم رجال الحديث ١٠: ٣٧٨ / ٧٢٢٢.

(٣) تفسير الإمام: ٢٢ ـ ٢٥ / ٧؛ البحار ٨٩: ٢٤٠ ـ ٢٤٢ مع تصرّف واختزال.

(٤) الدرّ ١: ٢٦.

(٥) الثعلبي ١: ٩١؛ الدرّ ١: ٢٦؛ ابن كثير ١: ١٩.

(٦) القرطبي ١: ١٠٧؛ إرشاد القلوب ٢: ٢٤٣؛ البحار ٨٩: ٢٥٩ / ٥٣.

[١/٢٠٨] وروى ثقة الإسلام الكليني بإسناده إلى كلّ من: عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير ... ومحمّد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان عن ابن أبي عمير، وصفوان بن يحيى جميعاً عن معاوية بن عمّار عن الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال:

«... فإذا جعلت رجلك في الركاب فقل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾، بسم الله والله أكبر ...»(١).

[١/٢٠٩] وأخرج أحمد بإسناده إلى ابن جُريج عن عطاء عن جابر بن عبدالله الأنصاري عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «أغلق بابك واذكر اسم الله عزّ وجلّ، فإنّ الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً. وأطفئ مصباحك واذكر اسم الله. وخمّر إناءك، ولو بعود تعرضه عليه، واذكر اسم الله. وأَوْكِ سقاءَك واذكر اسم الله عزّ وجلّ»(٢).

خَمَّر الإناءَ: غطّاه. وأوكى القِرْبَةَ: شدّها بالوكاء وهو رباطه أو كلّ ما شُدّ به رأسه من وعاء ونحوه. والسقاء: القِرْبة، وعاء من جلد للماء واللبن ونحوهما.

[١/٢١٠] وروى الدار قطني بإسناده إلى عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا مسّ طهوره يُسمّي الله تعالى، ثُمَّ يُفرغ الماء على يديه(٣).

[١/٢١١] وأخرج مسلم في صحيحه وكذا غيره من أصحاب الصحاح عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال لعمر بن أبي سَلَمة: «يا غلام، سَمِّ الله وكل بيمينك وكل ما يليك»(٤).

[١/٢١٢] وأخرج الشيخ أبوالفتوح الرازي عنه صلى الله عليه وآله قال: «إذا سَمَّى اللهَ العبدُ على طعام لم ينل الشيطان منه. وإذا لم يسمّه نال منه»(٥).

[١/٢١٣] وأخرج الكليني عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا وضعت المائدة حفّتها أربعة آلاف ملك، فإذا قال العبد: بسم الله، قالت الملائكة: بارك الله عليكم في طعامكم. ثمّ يقولون للشيطان: اخرج يا فاسق، لا سلطان لك عليهم. فإذا فرغوا، فقالوا: الحمدلله، قالت الملائكة: قوم أنعم الله عليهم فأدّوا شكر ربّهم.

وإذا لم يسمّوا، قالت الملائكة للشيطان: أدن يا فاسق فكل معهم. فإذا رفعت المائدة،

(١) الكافي ٤: ٢٨٤ ـ ٢٨٥ / ٢.
(٢) مسند أحمد ٣: ٣١٩؛ كنزالعمّال ١٥: ٣٥١ / ٤١٣٤١.
(٣) الدارقطني ١: ٧٣ ـ ٧٤.
(٤) مسلم ٦: ١٠٩، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام.
(٥) أبوالفتوح ١: ٥١؛ مستدرك الوسائل للنوري ١٦: ٢٧٤ / ١٩٨٥٩.

ولم يذكروا اسم الله عليها، قالت الملائكة: قوم أنعم الله عليهم، فنسوا ربّهم»[١].

[١ / ٢١٤] وأخرج عن محمّد بن مروان عن الصادق عليه السلام قال: «إذا وضع الغداء أو العشاء فقل: بسم الله. فإنّ الشيطان يقول لأصحابه: اخرجوا، فليس هاهنا عشاء ولا مبيت. وإذا نسي أن يسمّي، قال لأصحابه: تعالوا، فإنّ لكم هاهنا عشاءً ومبيتاً»[٢].

[١ / ٢١٥] وبإسناده إلى أبي بصير عنه عليه السلام قال: «إذا وضع الخوان فقل: بسم الله. فإذا أكلت فقل: بسم الله على أوّله وآخره. وإذا رفع فقل: الحمدلله»[٣].

[١ / ٢١٦] ودخل عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وبشير الرحّال على أبي جعفر الباقر عليه السلام فأمر لهم بطعام فجيء بالخوان. وقد كان عليه السلام قال لهم: «ما من شيء إلّا وله حدّ ينتهي إليه. فقالوا له: يا أبا جعفر، هذا الخوان من الشيء؟ فقال: نعم. قالوا: فما حدّه؟ قال: حدّه إذا وضع، قيل: بسم الله. وإذا رفع، قيل: الحمدلله. ويأكل كلّ إنسان ممّا بين يديه ولا يتناول من قدّام الآخر شيئاً»[٤].

[١ / ٢١٧] قال الإمام أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ: «من ذكر الله عزّ وجلّ على الطعام، لم يُسأَل عن نعيم ذلك أبداً»[٥].

[١ / ٢١٨] وعن الصادق عليه السلام بإسناد صحيح: «إذا حضرت المائدة وسمّى رجلٌ منهم أجزأ عنهم أجمعين»[٦]. يعني: إذا نسي البقيّة. وإلّا فالاستحباب ثابت للجميع فرداً فرداً، حسب إطلاق سائر الروايات.

[١ / ٢١٩] وبالإسناد إلى زرارة قال: أكلت مع أبي عبدالله عليه السلام طعاماً، فما أحصي كم مرّةً قال: «الحمد لله الذي جعلني أشتهيه»[٧].

[١ / ٢٢٠] وقال عليه السلام: «اذكر اسم الله عزّ وجلّ على الطعام، فإذا فرغت فقل: الحمد لله الذي يُطعِمُ ولا يُطْعَم»[٨].

[١ / ٢٢١] وعن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا رفعت المائدة قال:

(١) الكافي ٦: ٢٩٢ / ١؛ التهذيب ٩: ٩٨ ـ ٩٩ / ٤٢٧؛ المحاسن ٢: ٤٣١ ـ ٤٣٢ / ٢٥٨.
(٢) الكافي ٦: ٢٩٣ / ٤.
(٣) المصدر: ٢٩٢ / ٢.
(٤) المصدر / ٣.
(٥) المصدر: ٢٩٣ / ٦.
(٦) المصدر: ٢٩٤ / ٩.
(٧) المصدر: ٢٩٥ / ١٧.
(٨) المصدر: ٢٩٤ / ١٣.

«اللّهمّ أكثرت وأطبت وباركت فأشبعت وأرويت، الحمد لله الذي يُطعِم ولا يُطعَم»[١].

[١ / ٢٢٢] وبالإسناد إلى داوود بن فرقد قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: كيف أسمّي على الطعام؟ قال: فقال: إذا اختلفت الآنية فسمّ على كلّ إناء. قلت: فإن نسيت أن أسمّي، قال: تقول: «بسم الله على أوّله وآخره»[٢].

[١ / ٢٢٣] وبالإسناد إلى أحمد بن الحسن الميثمي رفعه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا وضعت المائدة بين يديه قال: «سبحانك اللّهمّ، ما أحسن ما تبتلينا، سبحانك ما أكثر ما تعطينا، سبحانك ما أكثر ما تعافينا. اللّهمّ أوسع علينا وعلى فقراء المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات»[٣].

[١ / ٢٢٤] وبالإسناد إلى أبي يحيى الصنعاني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان عليّ بن الحسين عليه السلام إذا وضع الطعام بين يديه قال: «اللّهمّ هذا من منّك وفضلك وعطائك، فبارك لنا فيه وسوغناه وارزقنا خلفاً إذا أكلناه، وربّ محتاج إليه رزقت فأحسنت. اللّهمّ واجعلنا من الشاكرين».

فإذا رفع الخوان قال: «الحمد لله الذي حملنا في البرّ والبحر ورزقنا من الطيّبات وفضّلنا على كثير من خلقه تفضيلاً»[٤].

والروايات بهذا الشأن كثيرة اقتصرنا على قبسات منها.

[١ / ٢٢٥] وأخرج ابن السنيّ في عمل اليوم والليلة والديلمي عن عليّ عليه السلام مرفوعاً: «إذا وقعت في ورطة فقل: بسم الله الرحمان الرحيم لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم، فإنّ الله يصرف بها ما يشاء من أنواع البلاء»[٥].

[١ / ٢٢٦] وأخرج أبو الشيخ في العظمة عن صفوان بن سليم قال: الجنّ يستمتعون بمتاع الإنس وثيابهم، فمن أخذ منكم ثوباً أو وضعه فليقل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ فإنّ اسم الله طابَع[٦].[٧]

[١ / ٢٢٧] وأخرج الكليني عن مفضّل بن عمر قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «احتجزْ من الناس كلّهم ببسم الله الرحمان الرحيم وبقل هو الله أحد، اقرأها عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن

---

(١) المصدر / ١٥.
(٢) المصدر: ٢٩٥ / ٢٠.
(٣) المصدر: ٢٩٣ / ٨.
(٤) المصدر: ٢٩٤ / ١٢.
(٥) الدرّ ١: ٢٦؛ عمل اليوم والليلة: ١٢٠ / ٣٣٨، للرواية صدر؛ الفردوس بمأثور الخطاب ٥: ٣٢٤ / ٨٣٢٣؛ كنزالعمّال ٢: ١١٨ / ٣٤١٦؛ الكافي ٢: ٥٧٣ / ١٤، كتاب الدعاء باب الحرز والعوذة؛ البحار ٩٢: ١٩٥ و ٢٠٩ عن الصادق عليه السلام.
(٦) والطابَع ـ بفتح الباء ـ: الخاتَم، يختم به الشيء.
(٧) الدرّ ١: ٢٦؛ العظمة ٥: ١٦٧٠ ـ ١٦٧١ / ١١١١ ـ ٣١.

خلفك ومن فوقك ومن تحتك، وإذا دخلت على سلطان جائر فاقرأها حين تنظر إليه ثلاث مرات، واعقد بيدك اليسرى ثمّ لا تفارقها حتّى تخرج من عنده»(١).

[١/٢٢٨] وأخرج عبدالرزّاق في المصنَّف وأبو نعيم في الحلية عن عطاء قال: إذا تناهقت الحمر من الليل فقولوا: «بسم الله الرحمان الرحيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»(٢).

[١/٢٢٩] وروى النسائي عن أبي المليح عن ردف رسول الله ﷺ قال: إنّ رسول الله ﷺ قال: «إذا عثرت بك الدّابة فلا تقل تعس الشيطان فإنّه يتعاظم حتّى يصير مثل البيت ويقول بقوتي صنعته ولكن قل بسم الله الرحمان الرحيم فإنّه يتصاغر حتّى يصير مثل الذباب»(٣).

[١/٢٣٠] قال ابن كثير: وقال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده: حدّثنا محمّد بن جعفر حدّثنا شعبة عن عاصم قال: سمعت أبا تميمة يحدّث عن رديف النبيّ ﷺ قال: عثر بالنبيّ ﷺ حماره فقلت: تعس الشيطان فقال النبيّ ﷺ: «لا تقل تعس الشيطان فإنّك إذا قلت تعس الشيطان تعاظم وقال بقوّتي صرعته، وإذا قلت بسم الله تصاغر حتّى يصير مثل الذباب» هكذا وقع في رواية الإمام أحمد.

[١/٢٣١] وقد روى النسائي في اليوم والليلة وابن مردويه في تفسيره من حديث خالد الحذّاء عن أبي تميمة وهو الهجيمي عن أبي المليح بن أسامة بن عمير عن أبيه قال: كنت رديف النبيّ ﷺ فذكره وقال: «لا تقل هكذا فإنّه يتعاظم حتّى يكون كالبيت ولكن قل بسم الله فإنّه يصغر حتّى يكون كالذبابة»(٤).

[١/٢٣٢] وأخرج الديلمي عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ كتب له بكلّ حرف أربعة آلاف حسنة، ومحي عنه أربعة آلاف سيئة، ورفع له أربعة آلاف درجة»(٥).

[١/٢٣٣] وأخرج وكيع والثعلبي عن ابن مسعود قال: من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة

---

(١) الكافي ٢: ٦٢٤ / ٢٠؛ البحار ٨٩: ٣٥١ / ٢٢، نقلاً عن عدّة الداعي.

(٢) الدرّ ١: ٢٦؛ المصنّف ١: ٥٦٣ / ٢١٤٠؛ الحلية ٣: ٣١٥ (٢٤٤) عطاء بن أبي رباح).

(٣) النسائي ٦: ١٤٢ / ١٠٣٨٨، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا عثرت به دابّته.

(٤) ابن كثير ١: ١٩؛ مسند أحمد ٥: ٥٩. وراجع: النسائي ٦: ١٤٢ / ١٠٣٨٨.

(٥) الدرّ ١: ٢٦؛ فردوس الأخبار ٤: ٢٦ / ٥٥٧٣؛ جامع الأخبار: ١٢٠ / ٢١٦ ـ ٤، فصل ٢٢ (في فضائل بسم الله الرحمان الرحيم)؛ البحار ٨٩: ٢٥٧ ـ ٢٥٨ ضمن الحديث رقم ٥٢؛ أبوالفتوح ١: ٤١.

عشر فليقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ ليجعل الله له بكلّ حرف منها جُنّة من كلّ واحد منهم[١].

[١ / ٢٣٤] وروي عن النبيّ ﷺ، قال: «من قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ بنى الله له في الجنّة سبعين ألف قصر من ياقوتة حمراء، في كلّ قصر سبعون ألف بيت من لؤلؤة بيضاء، في كلّ بيت سبعون ألف سرير من زبرجدة خضراء، فوق كلّ سرير سبعون ألف فراش من سندس وإستبرق، وعليه زوجة من حور العين، ولها سبعون ألف ذؤابة مكللة بالدرّ والياقوت، مكتوب على خدّها الأيمن: محمّد رسول الله، وعلى خدّها الأيسر: عليّ ولي الله، وعلى جبينها: الحسن، وعلى ذقنها: الحسين، وعلى شفتيها: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾. قلت: يا رسول الله، لمن هذه الكرامة؟ قال: «لمن يقول بالحرمة والتعظيم: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾»[٢].

[١ / ٢٣٥] وعن ابن مسعود عن النبيّ ﷺ قال: «من قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ كتب الله له بكلّ حرف أربعة آلاف حسنة، ومحىٰ عنه أربعة آلاف سيئة، ورفع له أربعة آلاف درجة»[٣].

[١ / ٢٣٦] وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني والدارقطني والبيهقي في سننه عن بريدة قال: «قال رسول الله ﷺ: لا أخرج من المسجد حتّى أخبرك بآية أو سورة لم تنزل على نبيّ بعد سليمان غيري. قال: فمشى وتبعته حتّى انتهى إلى باب المسجد، فأخرج احدى رجليه من أسكفة المسجد، وبقيت الأخرى في المسجد، فقلت بيني وبين نفسي: نسي ذلك.. فأقبل عليّ بوجهه فقال: بأيّ شيء تفتتح القرآن إذا افتتحت الصلاة؟ قلت ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ قال: هي هي ... ثمّ خرج»[٤].

[١ / ٢٣٧] وعن النبيّ ﷺ: «لا يردّ دعاء أوّله ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾، فإنّ أمّتي يأتون يوم القيامة وهم يقولون: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ فتثقل حسناتهم في الميزان، فتقول الأمم: ما أرجح موازين أمّة محمّد ﷺ؟! فيقول الأنبياء: إنّ ابتداء كلامهم ثلاثة أسماء من أسماء الله تعالى، لو

---

(١) الدرّ ١: ٢٦؛ الثعلبي ١: ٩١؛ جامع الأخبار: ١١٩ ـ ١٢٠ / ٢١٥ ـ ٣، فصل ٢٢ (في فضائل بسم الله الرحمان الرحيم)؛ البحار ٨٩: ٢٥٧ ـ ٢٥٨ ضمن الحديث رقم ٥٢.

(٢) جامع الأخبار: ١٢٠ / ٢١٧ ـ ٥، فصل ٢٢ (في فضائل بسم الله الرحمان الرحيم...)؛ البحار ٨٩: ٢٥٨، ضمن الحديث ٥٩.

(٣) جامع الأخبار: ١٢٠ / ٢١٦ ـ ٤، فصل ٢٢ (في فضائل بسم الله الرحمان الرحيم)؛ البحار ٨٩: ٢٥٧ ـ ٢٥٨، ضمن الحديث ٥٢؛ الدرّ ١: ٢٦؛ أبوالفتوح ١: ٤١.

(٤) الدرّ ١: ١٩؛ الأوسط ١: ١٩٦ ـ ١٩٧ / ٦٢٥؛ الدارقطني ١: ٣٠٧؛ البيهقي ١٠: ٦٢، كتاب الإيمان، باب ما يقرب من الحنث لا يكون حنثاً.

وُضعت في كفّة الميزان ووضعت سيئات الخلق في كفّةٍ أُخرى لرجحت حسناتهم»[١].

[١/ ٢٣٨] وعنه ﷺ: «إذا مرّ المؤمن على الصراط فيقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ أُطفيء لهب النار، وتقول: جز يا مؤمن فإنّ نورك قد أطفأ لهبي»[٢].

[١/ ٢٣٩] وأخرج الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عبّاس مرفوعاً أنّ المعلّم إذا قال للصبيّ: قل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ كُتب للمعلّم وللصبيّ ولأبويه براءة من النار[٣].

[١/ ٢٤٠] روي أنّه شكا عثمان بن أبي العاص وجعاً كان يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله ﷺ: «ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل: بسم الله، ثلاثاً وقل سبع مرّات: أعوذ بعزّة الله وقدرته من شرّ ما أجد وأحاذر»[٤].

[١/ ٢٤١] وأخرج البخاري في صحيحه عن النبيّ ﷺ: قال: «لو أنّ أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله، اللّهمّ جنّبنا الشيطان وجنّب الشيطان ما رزقتنا، فإنّه إن يقدّر بينهما ولد في ذلك، لم يضرّه شيطان أبدا»[٥].

[١/ ٢٤٢] وروى العيّاشي بإسناده إلى سليمان الجعفري قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: «إذا أتى أحدكم أهله فليكن قبل ذلك ملاطفة فإنّه ألين لقلبها وأسلّ لسخيمتها[٦]، فإذا أفضى إلى حاجته قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ ثلاثاً، فإن قدر أن يقرأ أي آية حضرته من القرآن فعل وإلّا قد كفته التسمية.

فقال له رجل في المجلس: فإن قرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ أوَ يُجْزيه؟ فقال: وأيّ آية أعظم في كتاب الله؟ فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾»[٧].

وذكر الرازي في فضل البسملة أحاديث:

[١/ ٢٤٣] منها ما عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «وإذا غشيت أهلك فقل «بسم الله» فإنّ حفَظَتَك يكتبون لك الحسنات حتّى تغتسل من الجنابة. فإن حصل من تلك الواقعة ولد، كُتب لك من الحسنات بعدد نَفَس ذلك الولد»[٨].

---

(١) البرهان ١: ١٠٤/ ٣٤؛ ربيع الأبرار ٢: ٤٤٩/ ٤، الباب الثاني والثلاثون (الأسماء والكنى و...).

(٢) البرهان ١: ١٠٤/ ٣١؛ جامع الأخبار: ١٢٠/ ٢١٩ ـ ٧، فصل ٢٢؛ البحار ٨٩: ٢٥٨، ضمن الحديث رقم ٥٢.

(٣) الدرّ ١: ٢٦؛ الفردوس بمأثور الخطاب ٤: ١٩٣/ ٦٥٩٧؛ البحار ٨٩: ٢٠٧/ ٥٢.

(٤) كنزالعمّال ١٠: ٦٢/ ٢٨٣٧٣؛ مسلم ٧: ٢٠، كتاب السلام؛ النسائي ٦: ٢٤٨ ـ ٢٤٩/ ١٠٨٣٩؛ القرطبي ١: ٩٨.

(٥) البخاري ٦: ١٦٣، كتاب النكاح باب ما يقول إذا أتى أهله. (٦) السخيمة: الحقد والضغينة.

(٧) العيّاشي ١: ٣٥/ ١٤. (٨) التفسير الكبير ١: ١٧١.

البسملة آية من القرآن

في مفتتح كلّ سورة ومن سورة الحمد بالذات

[١ / ٢٤٤] تقدّم الحديث عن الإمام أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر ﷺ قال: «أكرم آية في كتاب الله، ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾»(١).

[١ / ٢٤٥] وروى العيّاشي بإسناده إلى عيسى بن عبدالله عن أبيه عن جدّه عن عليّ ﷺ قال: بلغه أنّ أُناساً ينزعون ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾! فقال: «هي آية من كتاب الله، أنساهم إيّاها الشيطان»(٢).

[١ / ٢٤٦] وأخرج الثعلبي بإسناده إلى أبي هريرة قال: كنت مع النبيّ ﷺ في المسجد إذ دخل رجل يصلّي، فافتتح الصلاة، وتعوّذ ثمّ قال ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فسمع النبيّ ﷺ فقال: «يا رجل قطعت على نفسك الصلاة، أما علمت أنّ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ من الحمد؟ فمن تركها فقد ترك آية، ومن ترك آية فقد أفسد عليه صلاته»(٣).

[١ / ٢٤٧] وأخرج أيضاً عن عليّ ﷺ أنّه كان إذا افتتح السورة في الصلاة يقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ وكان يقول: «من ترك قراءتها فقد نقص وكان يقول: هي تمام السبع المثاني»(٤).

[١ / ٢٤٨] وأخرج عن طلحة بن عبيد الله قال: قال رسول الله ﷺ «من ترك ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ فقد ترك آية من كتاب الله وقد نزل عليّ فيما عدّ من أمّ الكتاب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾»(٥).

[١ / ٢٤٩] وأخرج الدارقطني وصحّحه والبيهقي في السنن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «إذا قرأتم ﴿الْحَمْدُ﴾ فاقرؤا ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ إنّها أمّ القرآن، وأمّ الكتاب، والسبع المثاني و ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ إحدى آياتها»(٦).

[١ / ٢٥٠] وأخرج الدارقطني عن عليّ بن أبي طالب ﷺ قال: قال النبيّ ﷺ: «كيف تقرأ إذا قمت إلى الصلاة؟ قلت: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: قل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾»(٧).

---

(١) العيّاشي ١: ٣٣ / ٤ تقدّم في الحديث رقم ١ / ١٩١. (٢) المصدر: ٣٥ / ١٢.

(٣) الثعلبي ١: ١٠٤؛ الدرّ ١: ٢١؛ أبوالفتوح ١: ٤٧ ـ ٤٨. (٤) الثعلبي ١: ١٠٤؛ كنزالعمّال ٢: ٢٩٧ / ٤٠٤٩.

(٥) الثعلبي ١: ١٠٤؛ كنزالعمّال ١: ٥٥٦ / ٢٤٩٤؛ أبوالفتوح ١: ٤٨.

(٦) الدرّ ١: ١١؛ الدارقطني ١: ٣١٠ وفيه: إحداها؛ البيهقي ٢: ٤٥ وفيه: إحداها؛ كنزالعمّال ٧: ١٩٦٦٥/٤٣٧؛ القرطبي ١: ٩٣.

(٧) الدرّ ١: ٢٢؛ الدارقطني ١: ٣٠٢، باب وجوب قراءة بسم الله الرحمان الرحيم.

[١ / ٢٥١] وأخرج الطبراني في الأوسط وابن مردويه في تفسيره والبيهقي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ سبع آيات، ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ إحداهن، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم، وهي أمّ القرآن وهي فاتحة الكتاب»[١].

[١ / ٢٥٢] وروى الحاكم بإسناده إلى ابن جُريج قال: أخبرني أبي أنّ سعيد بن جبير أخبره قال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾، قال: هي أمّ القرآن. قال جُريج: وقرأ عليَّ سعيد بن جبير ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ الآية السابعة. قال سعيد: وقرأها عليَّ ابن عبّاس كما قرأتها عليك، ثمّ قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ الآية السابعة. قال ابن عبّاس: فأخرجها الله لكم، وما أخرجها لأحد قبلكم.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

[١ / ٢٥٣] وأخرج من طريق ابن المبارك عن ابن عبّاس أنّه قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ آية من كتاب الله. وكان يقرأها في الركعتين جميعاً.

[١ / ٢٥٤] ومن طريق محمّد بن بكر البرساني عن ابن عبّاس: البسملة، الآية السابعة.

[١ / ٢٥٥] ومن طريق عبدالرزّاق بن همام عن ابن جُريج قال: قلت لأبي: فقد أخبرك سعيد أنّ ابن عبّاس قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ آية من كتاب الله؟ قال: نعم.

[١ / ٢٥٦] ومن طريق حفص بن غياث عن ابن جُريج عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ قال: فاتحة الكتاب؛ قيل لابن عبّاس: فأين السابعة؟ قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾

[١ / ٢٥٧] ومن طريق عثمان بن عمر عن ابن جريج عن أبيه عن سعيد عن ابن عبّاس في قوله تعالى «السبع المثاني» قال: عدّها (ابن عبّاس) عَلَيَّ في يدي: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ. إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ثمّ قال: أخرجها الله لكم، فما أخرجها لغيركم...

[١ / ٢٥٨] وفي حديث آخر: ادّخرها الله لكم، فما أخرجها لأحد قبلكم...[٢]

[١ / ٢٥٩] وروى الصدوق أيضاً مرسلاً قال: قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ أهي من فاتحة الكتاب؟ فقال: نعم كان رسول الله ﷺ يقرأها ويعدّها

(١) الدرّ ١: ١٢؛ الأوسط ٥: ٢٠٨؛ البيهقي ٢: ٤٥؛ مجمع الزوائد ٢: ١٠٩؛ فيه: «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات»؛ كنزالعمّال ١: ٥٦٠ / ٢٥١٩ باختلاف يسير؛ ابن كثير ١: ١٠.

(٢) الحاكم ١: ٥٥٠ ـ ٥٥٢، كتاب فضائل القرآن.

منها ويقول: «فاتحة الكتاب هي السبع المثاني»[١].

[٢٦٠/١] وروى بإسناده عن محمّد بن القاسم المفسّر المعروف بأبي الحسن الجرجاني، قال: حدّثني يوسف بن محمّد بن زياد وعليّ بن محمّد بن سيار، عن أبويهما، عن الحسن بن عليّ، عن أبيه عليّ بن محمّد، عن أبيه محمّد بن عليّ، عن أبيه الرضا عليّ بن موسى، عن أبيه، عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنّه قال: «﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ آية من فاتحة الكتاب وهي سبع آيات تمامها ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إنّ الله تعالى قال لي: يا محمّد ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[٢] فأفرد الامتنان عليّ بفاتحة الكتاب وجعلها بإزاء القرآن العظيم». وإنّ فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش، وإنّ الله عزّ وجلّ خصّ محمّداً صلى الله عليه وآله وشرّفه بها ولم يشرك معه فيها أحداً من أنبيائه ما خلا سليمان عليه السلام، فإنّه أعطاه منها ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، ألا ترى حكى عن بلقيس حين قالت: ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ. إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾»[٣].

[٢٦١/١] وروى الشيخ بإسناده عن محمّد بن عليّ بن محبوب، عن العبّاس، عن محمّد بن أبي عمير، عن أبي أيوب، عن محمّد بن مسلم قال: «سألت أبا عبدالله عليه السلام عن السبع المثاني والقرآن العظيم أهي الفاتحة؟ قال: نعم، قلت: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ من السبع [المثاني]؟ قال: نعم هي أفضلهنّ»[٤].

[٢٦٢/١] وأخرج أبو عبيد وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عبّاس قال: أغفل الناسُ آيةً من كتاب الله لم تنزل على أحد سوى النبيّ صلى الله عليه وآله، إلّا أن يكون سليمان بن داوود عليه السلام ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾[٥].

[٢٦٣/١] وأخرج سعيد بن منصور في سننه وابن خزيمة في كتاب البسملة والبيهقي عن ابن عبّاس ـ واللفظ للأخير ـ أنّه قال: إنّ الشيطان استرق من أهل القرآن أعظم آية في القرآن:

---

(١) الأمالي: ٢٤٠ / ٢٥٤، المجلس ٣٣؛ العيون ١: ٢٦٩ ـ ٢٧٠ / ٥٩؛ الصافي ١: ١٢٢ وفيه: «يعدّها آية منها».

(٢) الحجر ١٥: ٨٧.

(٣) الأمالي: ٢٤٠ ـ ٢٤١ / ٢٥٥، المجلس ٣٣. والآية من سورة النمل ٢٧: ٢٩ ـ ٣٠. سبق تخريجه في الحديث رقم ١ / ١.

(٤) التهذيب ٢: ٢٨٩ / ١١٥٧؛ نورالثقلين ١: ٨ / ٢٤.

(٥) الدرّ ١: ٢٠؛ فضائل القرآن: ١١٥ / ٧ ـ ٣٢ باختلاف؛ الشعب ٢: ٤٣٧ ـ ٤٣٨ / ٢٣٢٨ وفيه: «غفل الناس ... وما أنزلت ...».

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾(١).

[٢٦٤/١] وأخرج ابن الضريس عن ابن عبّاس قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ آية(٢).

[٢٦٥/١] وأخرج الدارقطني والبيهقي عن أبي هريرة أنّ النبيّ ﷺ كان إذا قرأ ـ وهو يؤمّ الناس ـ افتتح ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾. قال أبو هريرة: آية من كتاب الله، اقرؤا إن شئتم فاتحة الكتاب، فإنّها الآية السابعة(٣).

[٢٦٦/١] وأخرج الدارقطني والبيهقي في السنن بسند صحيح عن عبد خير قال: «سئل عليّ ﷺ عن السبع المثاني فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فقيل له: إنّما هي ستّ آيات! فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ آية»(٤).

[٢٦٧/١] وأخرج أبو عبيد وابن سعد في الطبقات، وابن أبي شيبة، وأحمد، وأبو داوود، وابن خزيمة، وابن الأنباري في المصاحف، والدارقطني، والحاكم، وصحّحه، والبيهقي، والخطيب وابن عبد البرّ. كلاهما في كتاب المسألة عن أمّ سلمة قالت: كان النبيّ ﷺ يقرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ...﴾ حتّى يبلغ: ﴿وَ لَا الضَّالِّينَ﴾، يقطع قراءته آية آية، وعدّدها عدّ الإعراب. وعدّ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾، ولم يعدّ ﴿عَلَيْهِمْ﴾(٥).

قوله: ولم يعدّ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي لم يعدّ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آية، ولم يقطع قراءته عليها. وذلك ردّ على من زعم أنّها آية، لكي تكتمل السورة سبع آيات من غير بسم الله الرحمان الرحيم! وهكذا جاء ثبت المصاحف وفي قراءة المشهور: أنّ الآية السابعة هي ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ

(١) البيهقي ٢: ٥٠؛ الدرّ ١: ٢٠.

(٢) الدرّ ١: ٢٠؛ رواه أبو الفتوح ١: ٤٤ عن جماعة منهم: أبو عبيدة وعطاء والزهري وعبدالله بن المبارك، رواه ابن كثير ١: ١٧ عن كثير، منهم عليّ ﷺ وابن عبّاس وغيرهما.

(٣) الدرّ ١: ١٢؛ الدار قطني ١: ٣٠٥؛ البيهقي ٢: ٤٧، كتاب الصلاة «باب الدليل على أنّ «بسم الله الرحمان الرحيم» آية تامّة من الفاتحة.

(٤) الدرّ ١: ١٢؛ الدارقطني ١: ٣١١؛ البيهقي ٢: ٤٥، كتاب الصلاة، باب الدليل على أنّ «بسم الله الرحمان الرحيم» آية تامّة من الفاتحة؛ كنز العمّال ٢: ٢٩٦ ـ ٢٩٧ / ٤٠٤٨؛ ابن كثير ١: ١٠ بلفظ: «وروى البيهقي عن عليّ ﷺ وابن عبّاس وأبي هريرة أنّهم فسّروا قوله تعالى: ﴿سبعاً من المثاني﴾ بالفاتحة وأنّ البسملة الآية السابعة منها».

(٥) الدرّ ١: ١٩؛ فضائل القرآن: ٧٤ / ٣، باب ١٧؛ الطبقات ١: ٣٧٦؛ باب صفة قراءته في الصلاة؛ المصنّف ٢: ٤٠٢، باب ٣٤٦ (في قراءة القرآن)؛ مسند أحمد ٢: ٣٠٢؛ أبو داوود ٢: ٢٤٨ / ٤٠٠١، كتاب الحروف والقراءات؛ ابن خزيمة ١: ٢٤٨ ـ ٢٤٩؛ الدارقطني ١: ٣٠٦؛ الحاكم ١: ٢٣٢؛ البيهقي ٢: ٤٤؛ أبو الفتوح ١: ٤٧.

﴿عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّالِّينَ﴾، باعتبار البسملة هي الآية الأولى من السورة.

[١ / ٢٦٨] وأخرج ابن الأنباري في المصاحف عن أمّ سلَمَة قالت: «قرأ رسول الله ﷺ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ. إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّالِّينَ﴾ وقال: هي سبع يا أمّ سلمة»[١].

[١ / ٢٦٩] وروى الكليني عن محمّد بن يحيى عن محمّد بن الحسين عن محمّد بن إسماعيل عن صالح بن عقبة عن أبي هارون المكفوف قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «الحمد سبع آيات»[٢].

[١ / ٢٧٠] وروى عن عليّ بن إبراهيم عن محمّد بن عيسى عن يونس عن معاوية بن عمّار قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إذا قمت للصلاة أقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ في فاتحة الكتاب؟ قال: نعم، قلت: فإذا قرأت فاتحة الكتاب أقرأ بسم الله الرحمان الرحيم مع السورة؟ قال: نعم»[٣].

[١ / ٢٧١] وعن محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد عن عليّ بن مهزيار عن يحيى بن أبي عمران الهمداني قال: كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام[٤] جعلت فداك ما تقول في رجل ابتدأ ببسم الله الرحمان الرحيم في صلاته وحده في أمّ الكتاب فلمّا صار إلى غير أمّ الكتاب من السورة تركها، فقال العبّاسي[٥]: ليس بذلك بأس؟ فكتب بخطّه يعيدها مرّتين، على رغم أنفه يعني العبّاسي[٦].

[١ / ٢٧٢] وروى الشيخ عن محمّد بن عليّ بن محبوب عن العبّاس عن محمّد بن أبي عمير عن أبي أيوب عن محمّد بن مسلم قال: «سألت أبا عبدالله عليه السلام عن السبع المثاني والقرآن العظيم هي الفاتحة؟ قال: نعم، قلت: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ من السبع المثاني؟ قال: نعم هي أفضلهنّ»[٧].

[١ / ٢٧٣] وروى العيّاشي بإسناده إلى أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «سرقوا أكرم آية في كتاب الله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾»[٨].

[١ / ٢٧٤] وروى الصدوق بإسناده عن الرضا عن آبائه عن عليّ عليه السلام أنّه قال: «إنّ ﴿بِسْمِ اللَّهِ

---

(١) الدرّ ١: ١٢.
(٢) الكافي ٣: ٣١٤ / ١٤.
(٣) المصدر: ٣١٢ـ٣١٣ / ١.
(٤) يعني الجواد عليه السلام.
(٥) يعني الهشام بن إبراهيم العبّاسي وكان يعارض الرضا والجواد عليهما السلام قاله المجلسي رحمه الله (مرآة العقول ١٥: ١٠٦ـ١٠٧).
(٦) الكافي ٣: ٣١٣ / ٢.
(٧) التهذيب ٢: ٢٨٩ / ١١٥٧.
(٨) العيّاشي ١: ٢٣ / ٤.

الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ آية من فاتحة الكتاب، وهي سبع آيات تمامها ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾»(١).

[١ / ٢٧٥] وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن عبدالله بن عمر أنّه كان يقرأ في الصلاة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ فإذا ختم السورة قرأها، يقول: ما كُتِبت في المصحف إلّا لتُقرأ(٢).

[١ / ٢٧٦] وأخرج الطبراني في الأوسط والدارقطني والبيهقي عن نافع، أن عبدالله بن عمر كان إذا افتتح الصلاة يقرأ بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ في أُمّ القرآن وفي السورة التي تليها، ويذكر أنّه سمع ذلك من رسول الله(٣).

[١ / ٢٧٧] وأخرج أبو داوود والترمذي والدارقطني والبيهقي عن ابن عبّاس قال: كان النبيّ ﷺ يفتتح صلاته بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾(٤).

[١ / ٢٧٨] وروى الصدوق بإسناده إلى أميرالمؤمنين عليه السلام في حديث طويل جاء فيه: «قيل لأميرالمؤمنين عليه السلام يا أميرالمؤمنين أخبرنا عن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ أهي من فاتحة الكتاب؟ فقال: نعم كان رسول الله ﷺ يقرأها ويعدّها آية منها: ويقول: فاتحة الكتاب هي السبع المثاني»(٥).

[١ / ٢٧٩] وأخرج الشافعي في الأمّ والدارقطني والحاكم وصحّحه والبيهقي عن معاوية أنّه قدم المدينة فصلّى بهم ولم يقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ ولم يكبّر إذا خفض وإذا رفع، فناداه المهاجرون والأنصار حين سلّم: يا معاوية أسرقت [من] صلاتك، أين ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾؟ وأين التكبير؟ فلمّا صلّى بعد ذلك قرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ لأمّ القرآن، وللسورة التي بعدها، وكبّر حين يهوي ساجداً(٦).

---

(١) العيون ١: ٢٧٠ / ٦٠، باب ٢٨ (فيما جاء عن الإمام عليّ بن موسى عليه السلام من الأخبار المتفرقة)، رواه مطوّلاً؛ الأمالي: ٢٤٠ ـ ٢٤١ / ٢٥٥، المجلس ٣٣، في حديث طويل.

(٢) الدرّ ١: ٢٠؛ الشعب ٢: ٤٣٩ ـ ٤٤٠ / ٢٣٣٦، باب ١٩ (في تعظيم القرآن، فصل في ابتداء السورة بالتسمية).

(٣) الدرّ ١: ٢٢؛ الأوسط ١: ٢٥٧؛ الدارقطني ١: ٣٠٤؛ البيهقي ٢: ٤٨؛ جماع أبواب صفة الصلاة، باب افتتاح القراءة في الصلاة؛ مجمع الزوائد ٢: ١٠٩ كتاب الصلاة، باب في بسم الله الرحمان الرحيم.

(٤) الدرّ ١: ٢١؛ الترمذي ١: ١٥٥ / ٢٤٥؛ الدارقطني ١: ٣٠٣؛ البيهقي ٢: ٤٧.

(٥) العيون ١: ٢٦٩ ـ ٢٧٠ / ٥٩، باب ٢٨ (فيما جاء عن الإمام عليّ بن موسى عليه السلام من الأخبار المتفرقة)؛ الأمالي: ٢٤٠ / ٢٥٤، المجلس ٣٣؛ البحار ٨٩: ٢٢٧ / ٣.

(٦) الدرّ ١: ٢١؛ الأُمّ ١: ١٣٠، باب القراءة بعد التعوّذ؛ الدارقطني ١: ٣٠٨ وقال في الإسناد كلّهم ثقات؛ الحاكم ١: ٢٣٣؛ البيهقي ٢: ٤٩ ـ ٥٠ وقد فصّل في ذكر الحديث بطرق مختلفة وذكر عن الشافعي (الأُمّ ١: ١٣٠): «أنّ إسناد الحديث على ما ذكر في المتن أحفظ»؛ أبوالفتوح ١: ٤٨؛ ابن كثير ١: ١٧.

البسملة، فاتحة كلّ سورة سوى براءة

[١ / ٢٨٠] أخرج الواحدي عن عبدالله بن عمر قال: نزلت ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ في كلّ سورة(١).

[١ / ٢٨١] وأخرج الدارقطني عن عبدالله بن عمر أنّ رسول الله ﷺ قال: «كان جبريل إذا جاءني بالوحي أوّل ما يُلقي عليَّ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾»(٢).

[١ / ٢٨٢] وأخرج البيهقي في شعب الإيمان والواحدي عن عبدالله بن مسعود قال: كنّا لا نعلم فصل ما بين السورتين حتّى تنزل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾(٣).

[١ / ٢٨٣] وأخرج أبو داوود والبزّار والطبراني والحاكم وصحّحه والبيهقي في المعرفة عن ابن عبّاس قال: كان النبيّ ﷺ لا يعرف فصل السورة ـ وفي لفظ: خاتمة السورة ـ حتّى ينزل عليه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾. زاد البزّار، والطبراني: فإذا نزلت عرف أنّ السورة قد خُتِمَت، واستُقْبِلت، أو ابتدِئتْ سورة أخرى(٤).

[١ / ٢٨٤] وأخرج الحاكم وصحّحه والبيهقي في سننه عن ابن عبّاس قال: كان المسلمون لايعرفون انقضاء السورة حتّى تنزل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ فإذا نزلت عرفوا أنّ السورة قد انقضت(٥).

[١ / ٢٨٥] وأخرج الطبراني والحاكم وصحّحه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عبّاس أنّ النبيّ ﷺ كان إذا جاءه جبريل فقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ علم أنّها سورة(٦).

[١ / ٢٨٦] وأخرج أبو عبيد عن سعيد بن جبير أنّه في عهد النبيّ ﷺ كانوا لا يعرفون انقضاء السورة حتّى تنزل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ فإذا نزلت علموا أن قد انقضت السورة ونزلت أخرى(٧).

[١ / ٢٨٧] وروى العيّاشي بإسناده إلى صفوان الجمّال قال: قال أبو عبدالله ؑ: «ما أنزل الله من

---

(١) الدرّ ١: ٢٠؛ أسباب النزول: ١٠ ـ ١١.
(٢) الدرّ ١: ٢٠؛ الدارقطني ١: ٣٠٤.
(٣) الدرّ ١: ٢٠؛ الشعب ٢: ٤٣٩ / ٢٣٣٣، باب ١٩ (في تعظيم القرآن)؛ أسباب النزول: ١٠؛ رواه البغوي (١: ٧٣ ضمن الحديث رقم ٢٧) عن ابن عبّاس.
(٤) الدرّ ١: ٢٠؛ أبو داوود ١: ١٨٣ / ٧٨٨، كتاب الصلاة (باب ١٢٥ من جهر بها)؛ الكبير ١٢: ٦٤؛ الحاكم ١: ٢٣١؛ البيهقي ٢: ٤٢؛ البغوي ١: ٧٣ / ٢٧؛ ابن كثير ١: ١٧.
(٥) الدرّ ١: ٢٠؛ الحاكم ١: ٢٣١ ـ ٢٣٢؛ البيهقي ٢: ٤٣.
(٦) الدرّ ١: ٢٠؛ الكبير ١٢: ٦٤؛ الحاكم ٢: ٦١١؛ الشعب ٢: ٤٣٩ / ٢٣٣٢، باب ١٩ (في تعظيم القرآن).
(٧) الدرّ ١: ٢٠؛ فضائل القرآن: ١١٤ / ٥ ـ ٣٢.

السماء كتاباً إلّا وفاتحته ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾، وإنّما كان يُعرف انقضاء السورة بنزول ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ ابتداءً للأُخرى»[١].

ولعل المراد: ما أنزل الله من السماء سورة على رسول الله ﷺ إلّا وفاتحتها ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾.

ويشهد لذلك ما مرّ من حديث عبدالله بن عمر: أنّ رسول الله ﷺ قال: كان جبرئيل إذا جاءني بالوحي، اوّل ما يُلقى عليّ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾[٢].

البسملة مفتاح كلّ كتاب

[٢٨٨/١] أخرج الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي في الجامع عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ مفتاح كلّ كتاب»[٣].

[٢٨٩/١] روى عليّ بن جعفر في الجعفريّات: أخبرنا عبدالله بن محمّد، قال: أخبرنا محمّد بن محمّد، قال: حدّثني موسى بن إسماعيل، قال: حدّثنا أبي، عن أبيه، عن جدّه عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: «قال رسول الله ﷺ: كلّ كتاب لا يبدأ فيه بذكر الله فهو أقطع»[٤].

[٢٩٠/١] وروى ثقة الإسلام الكليني بإسناده إلى جميل بن درّاج قال: قال أبو عبدالله جعفر ابن محمّد الصادق عليه السلام: «لا تدع ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ وإن كان بعده شعر»[٥].

[٢٩١/١] وروى أحمد بن محمّد السياري في كتاب التنزيل والتحريف: حدّثني بعض الرواة من أصحابنا، قال: من حقّ القلم على من أخذه إذا كتب أن يبدأ بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾[٦].

[٢٩٢/١] وأخرج الخطيب في الجامع عن سعيد بن جبير قال: لا يصلح كتاب إلّا أوّله ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ وإن كان شعراً[٧].

قال القرطبي: وذهب إلى رسم التسمية في أوّل كتب الشعر سعيد بن جبير وتابعه على ذلك

---

(١) العيّاشي ١: ٣٣ـ ٣٤ / ٥. (٢) الدار قطني ١: ٣٠٤؛ الدرّ ١: ٢٠.

(٣) الدرّ ١: ٢٧؛ الجامع ١: ٤٠٧ / ٥٤٧؛ كنزالعمّال ١: ٥٥٥ / ٢٤٩٠.

(٤) مستدرك الوسائل ٨: ٤٣٤ / ٩٩١٧؛ الجعفريات: ٢١٤. (٥) الكافي ٢: ٦٧٢ / ١.

(٦) مستدرك الوسائل ٨: ٤٣٤ / ٩٩١٨؛ التنزيل والتحريف: ٤. (٧) الدرّ ١: ٢٧؛ الجامع ١: ٤٠٧ / ٥٤٦.

أكثر المتأخّرين وقال أبو بكر الخطيب: وهو الذي نختاره ونستحبّه(١).

وقال القرطبي أيضاً: واتفقت الأمّة على جواز كَتبها في أوّل كلّ كتاب من كتب العلم والرسائل، فإن كان الكتاب ديوان شعر فروى مجالد عن الشعبي قال: أجمعوا أن لا يكتبوا أمام الشعر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾. وقال الزهري: مضت السنّة أن لا يكتبوا في الشعر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾(٢) وهذا رأي اختصّ به الشعبي وتبعه الزهري.

[١ / ٢٩٣] وأخرج ابن أبي شيبة وأبوبكر بن أبي داوود والخطيب في الجامع عن الشعبي قال: كانوا يكرهون أن يكتبوا أمام الشعر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾(٣).

[١ / ٢٩٤] وأخرج الخطيب عن الشعبي قال أجمعوا أن لا يكتبوا أمام الشعر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾(٤).

[١ / ٢٩٥] وأخرج الخطيب عن الزهري قال: قضت السنة أن لا يُكتب في الشعر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾.

وفي تفسير القرطبي: مضت السنة أن لا يكتبوا ...(٥).

تفسير البسملة

[١ / ٢٩٦] روى الصدوق بإسناده إلى عليّ بن الحسن بن عليّ بن فضّال عن أبيه قال: سألت الرضا عليّ بن موسى عليه السلام عن «بسم الله ...»؟ قال: «معنى قول القائل: "بسم الله ..." أي أسم على نفسي بسمة من سمات الله عزّ وجلّ وهي: العبوديّة! قلت: ما السمة؟ قال: العلامة»(٦).

وهذا يدلّنا على أنّ «اسم» مأخوذ من «سِمَة» أصله «وَسْم» بمعنى العلامة. وهو مذهب الكوفيّين. لأنّ اسم كلّ شيء سمته التي يعرف بها، أي علامته الدالّة عليه. قال أبو محمّد مكّي بن أبي طالب: هو عند الكوفيّين مشتقّ من السّمة، إذ صاحبه يُعرف به، وأصله وَسْم، ثمّ أعلّ بحذف الفاء وحرّكت العين على غير قياس(٧).

---

(١) القرطبي ١: ٩٧.
(٢) المصدر.
(٣) الدرّ ١: ٢٧؛ المصنّف ٦: ١٨٣، كتاب (٢١) الأدب، باب ١١٣ (من كره أن يكتب أمام الشعر بسم الله ...)؛ الجامع ١: ٤٠٦ / ٥٤٤.
(٤) الدرّ ١: ٢٧؛ الجامع ١: ٤٠٥ / ٥٤٣؛ القرطبي ١: ٩٧.
(٥) الدرّ ١: ٢٧؛ الجامع ١: ٤٠٦ / ٥٤٥؛ القرطبي ١: ٩٧.
(٦) العيون ١: ٢٣٥ ـ ٢٣٦ / ١٩، باب ٢٦؛ معاني الأخبار: ٣ / ١؛ التوحيد: ٢٢٩ ـ ٢٣٠ / ١، باب ٣١.
(٧) مشكل إعراب القرآن ١: ٦٦.

وذهب البصريّون إلى أنّه مأخوذ من «السموّ» وهي الرفعة، فهو معتلّ اللام، بدليل سائر اشتقاقاته: (سمّي. سمّيت. مسمّى...) ولأنّ جمعه «أسماء» منصرف، فلو كان أصله «وسم» لكانت همزته زائدة وكانت غير منصرفة. قال الزمخشري: واشتقاقه من السموّ، تنويهٌ بالمسمّى وإشادةٌ بذكره[١].

قلت: لا إشادة بمجرّد ذكر الإسم على إطلاقه! وأمّا الاشتقاقات والجمع فهي من القلب والتبديل في باب التصريف، وكان سبيلها سبيل التوهّم في التصرّفات، وعلى خلاف القياس، كما هو شائعٌ في لغة العرب. نصّ عليه الكسائي والمحققون من أهل الأدب[٢].

[١ / ٢٩٧] وروى الكليني بإسناده إلى محمّد بن سنان قال: «سألته (أي الرضاﷺ) عن الإسم، ما هو؟ قال: صفة لموصوف»[٣].

ورواه الصدوق بنفس الإسناد أيضاً[٤].

يعني: سأله عن أسمائه تعالى ومدى صلتها بذاته المقدّسة ـ المتعالية عن مقارنة الأوصاف ـ فأجابه الإمام بأنّها محض سمات هي دلائل على ذات الموصوف المتنزّه عن مشابهة سائر المخلوق.

وإلى هذا المعنى يشير ما جاء في مناشدة هشام بن الحكم للإمام أبي عبدالله الصادقﷺ:

[١ / ٢٩٨] روى الكليني عن شيخه عليّ بن إبراهيم القمّي عن أبيه عن النضر بن سويد عن هشام بن الحكم: أنّه سأل أبا عبداللهﷺ عن أسماء الله واشتقاقها... «الله» ممّا هو مشتقّ؟ قال: فقال لي: «يا هشام، الله مشتقّ من «إله»، والإله يقتضي مألوهاً. والإسم غير المسمّى. فمن عبد الإسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً. ومن عبد الإسم والمعنى فقد أشرك وعبد اثنين[٥]. ومن عبد المعنى دون الإسم فذاك التوحيد! أفهمت يا هشام؟

قال: فقلت: زدني! قال: إنّ لله تسعةً وتسعين إسماً، فلو كان الإسم هو المسمّى، لكان كلّ اسم منها إلهاً. ولكن الله معنى يُدَلُّ عليه بهذه الأسماء، وكلّها غيره. يا هشام، الخبز اسم للمأكول، الماء للمشروب، والثوب للملبوس، والنار اسم للمحرق. أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتناضل به

---

(١) الكشاف ١: ٥.

(٢) راجع: شرح الشافية للشيخ رضيّ الدين الأسترآبادي ١: ٢٩ و ٢: ٧٩.

(٣) الكافي ١: ١١٣ / ٣. (٤) العيون ١: ١١٨ / ٢٥، باب ١١؛ التوحيد: ١٩٢ / ٥.

(٥) العبارة مطابقة مع رواية الصدوق عن الكليني (التوحيد: ٢٢١ / ١٣).

أعداءنا والمتّخذين مع الله ـ جلّ وعزّ ـ غيره؟ قلت: نعم. فقال: نفعك الله به وثبّتك يا هشام!

قال هشام: فو الله ما قهرني أحد في التوحيد، حتّى قمت مقامي هذا»[١].

وهذا من جلّة الأحاديث الواردة بشأن الدلائل على وحدانيّة الذات المقدّسة، منزّهةً عن التركيب والمقارنة والتشبيه، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٢].

إنّ الله تبارك وتعالى وصف نفسه بصفات كما وسم نفسه بسمات، وما هي إلّا دلائل على عين الذات، متعالية عن أيّ مقارنة أو تشبيه بمخلوق. فالصفة كالعلامة تدلّ على ذي العلامة (ذات الموصوف) من غير أن تكون ذات أثر في الذات أو حاكية عن اقترانها بشيء؛ نظير الإشارة إلى شيء من غير أن تكون العلامة المشيرة أو ذات الإشارة ذات تأثير في المشار إليه.

عباراتنا شتّى وحسنك واحد وكلّ إلى ذاك الجمال يشير

[١ / ٢٩٩] ولذا قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «وكمال الإخلاص نفي الصفات عنه»[٣] أي نفي مقارنة الذات بمبادىء الصفات ...

ولذلك كان المعبود المتعالي هو الذات، موصوفة بالصفات من غير مقارنة، كما هي مدلول عليها بالسمات من غير مشابهة.

[١ / ٣٠٠] وقال الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «من عبد الإسم والمعنى فقد أشرك. ومن عبد المعنى، بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه، فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه في سرائره وعلانيته، فأولئك أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام حقّاً»[٤].

وقوله عليه السلام في حديث هشام: «الخبز اسم للمأكول ...» إشارة إلى هذا المعنى: فإنّ الذي يُشبع هو المسمى من غير مدخليّة الاسم. وكذا الذي يُروى ويكسو هو المعنى دون اللفظ. وهذا من أحسن التشبيه لمعرفة مفارقة مبادئ الصفات عن الذات وأن لا شأن لها سوى الإشارة إلى الذات محضاً، وأنّه تعالى بذاته من دون مقارنته بشيء، هو المعبود حقّاً وهو الله ربّ العالمين.

[١ / ٣٠١] وفي حديث عبد الأعلى عن الصادق عليه السلام: «اسم الله، غير الله ... إلى قوله: والله يُسَمّى بأسمائه، وهو غير أسمائه، والأسماء غيره»[٥]. أي غيره حقيقةً وفي ماهيّتها سوى الإشارة إليه

(١) الكافي ١: ٨٧ / ٢.

(٢) الشورى ٤٢: ١١.

(٣) نهج البلاغة ١: ١٥، الخطبة ١.

(٤) الكافي ١: ٨٧ / ١، باب المعبود.

(٥) التوحيد: ١٩٢ / ٦، باب ٢٩.

تعالى محضاً.

[١ / ٣٠٢] وفي حديث هشام في مُساءلة الزنديق للإمام الصادق عليه السلام:

قال السائل: فتقول: إنّه سميع بصير؟!

قال الإمام: «هو سميع بصير، سميع بغير جارحة، وبصير بغير آلة. بل يسمع بنفسه، ويُبصر بنفسه. ليس قولي: إنّه يسمع بنفسه ويبصر بنفسه، أنّه شيء والنفس شيء آخر. ولكن أردتُ عبارةً عن نفسي إذ كنتُ مسؤولاً، وإفهاماً لك إذ كنتَ سائلاً. وأقول: يسمع بكلّه، لا أنّ الكلّ منه، له بعض. ولكنّي أردتُ إفهاماً لك والتعبير عن نفسي. وليس مرجعي في ذلك إلّا إلى أنّه السميع البصير العالم الخبير، بلا اختلاف الذات ولا اختلاف المعنى» (أي من غير أن تنثلم الوحدانيّة الذاتيّة).

قال السائل: فما هو؟ قال أبو عبدالله عليه السلام: «هو الربّ، وهو المعبود، وهو الله. وليس قولي: «الله» إثبات هذه الحروف: الف، لام، هاء. ولكنّي أرجع إلى معنىً هو شيء خالق الأشياء وصانعها، وقعت عليه هذه الحروف. وهو المعنى الذي يسمّى به الله والرحمان والرحيم والعزيز وأشباه ذلك من أسمائه، وهو المعبود ـ جلّ وعزّ ـ»[١].

[١ / ٣٠٣] وفي حديث الفتح بن يزيد الجرجاني مع الإمام الرضا عليه السلام: لكنّك قلت: الأحد الصمد، وقلت: لا يُشبه شيئاً، والله واحد والإنسان واحد، أليس قد تشابهت الوحدانيّة؟ قال عليه السلام: «يا فتح، أحلت ـ ثبّتك الله تعالى ـ إنّما التشبيه في المعاني، فأمّا في الأسماء فهي واحدة، وهي دلالة على المسمّى»[٢]. يعني: أنّ أسماءه تعالى وإن تعدّدت وتفاوتت مفهوماً، غير أنّها جُمَعَ ليس سوى دلائل على الذات المقدّسة وإشارات إليه سبحانه من غير دلالة على تعدّد المعاني والمسمّيات.

* * *

«الله» عَلَم شخص له تعالى. أصله «الإلّه»، ثمّ صار علماً بالغلبة؛ قال الراغب: ولتخصّصه به قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[٣]. وحذفت همزته تخفيفاً حيث كثرة الاستعمال، وأدغمت اللّامان، ويفخّم إلّا إذا كانت قبله كسرة.

وفي أصل الإلّه أقوال:

---

(١) المصدر: ١ / ٢٤٥، باب ٣٦.

(٢) العيون ١: ١١٧ / ٢٣، باب ١١ (ما جاء عن الرّضا عليه السلام في التوحيد).

(٣) مريم ١٩: ٦٥.

١ ـ إنّه من «أَلَهَ يَأْلَهُ إلاهةً» بمعنى «عبد يعبد عبادة». قال صاحب القاموس: «أَلَه إلاهَةً وأُلوهَةً وأُلوهيّةً: عَبَد عِبادةً، ومنه لفظ الجلالة. واختلف فيه على عشرين قولاً... وأصحّها: أنّه عَلَم غير مشتق، وأصله «إلٰه» كفعال بمعنى مألوه (نحو كتاب بمعنى مكتوب) وكلّ ما اتّخذ معبوداً إلٰهٌ عند مُتَّخِذِهِ بيّن الإلاهة والألُهانيّة».

وقال ابن الأنباري: والأصل في «الله»: إلاه، من أَلِهَ إذا عُبد. وهو مصدر بمعنى مألوه أي معبود. كقولهم: خَلْق الله بمعنى مخلوق(١).

٢ ـ من «أَلِهَ يَأْلَهُ أَلَهاً» بمعنى «تحيّر». قال ابن الأنباري: وقيل: من أَلِهْتُ أي تحيّرتُ. فسمّي سبحانه إلٰهاً، لتحيّر العقول في كنه ذاته وصفاته. قال الراغب: وقيل: من أَلِه أي تحيّر.

[١ / ٣٠٤] وتسميته تعالى بذلك إشارة إلى ما قال أميرالمؤمنين ﷺ: «كَلَّ دون صفاته تحبير اللّغات، وضلّ هناك تصاريف الصفات»(٢).

٣ ـ من «لاه يلوه لِياهاً» بمعنى «احتجب». قال ابن الأنباري: وقيل: هو من «لاهت العروس إذا احتجبت. فهو سبحانه سمّي إلٰهاً لأنّه احتجب من جهة الكيفيّة عن الأوهام. وقال الراغب: قالوا: وذلك إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾(٣) والمشار إليه في قوله: ﴿وَ الظَّاهِرُ وَ الْبَاطِنُ﴾(٤).

٤ ـ من الوَلَه بمعنى التحيّر من شدّة الوَجْد، أو الفزع واللجوء إلى ركن وثيق. يقال: وَلَه الصبيّ إلى أُمّه إذا فزع إليها. وولهت الأمّ إلى ولدها إذا حنّت إليه.

قال ابن الأنباري: «وقيل: أصله «ولاه» من الوَلَه، لأنّه يُوْلَه إليه في الحوائج [وعند الشدائد]. فأبدلوا من الواو المكسورة همزة كقولهم في وشاح: إشاح. وفي وسادة: إسادة».

قال الراغب: وتسميته بذلك لكون كلّ مخلوق والهاً نحوه، إمّا بالتسخير فقط كالجمادات والحيوانات. وإمّا بالتسخير والإرادة معاً كبعض الناس. ومن هذا الوجه قال بعض الحكماء: الله محبوب الأشياء كلّها. وعليه دلّ قوله تعالى: ﴿وَ إِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾(٥).

---

(١) البيان في إعراب القرآن ١: ٣٢.
(٢) التوحيد: ٤٢؛ الكافي ١: ١٣٤ بتغيير يسير؛ البحار ٤: ٢٦٩.
(٣) الأنعام ٦: ١٠٣.
(٤) الحديد ٥٧: ٣.
(٥) الإسراء ١٧: ٤٤.

فيكون أصل إِلَه : ولاه بمعنى المألوه إليه . وقلب الواو في بدء الكلمة همزة شائع في اللغة كأناة أصله : وناة بمعنى التصبّر [١] . وأجم في وجم بمعنى انقبض وجهه من شدّة الغيظ [٢] . وأحد في وحد وأسماء ـ اسم امرأة ـ أصلها : وسماء . وقيل في أخذ : أصله وَخَذ ، لدلائل ذكرها الرضيّ في شرح الشافية [٣] .

وإذا كانت الواو في أوّل الكلمة مكسورة ، فقال بعضهم بجواز قلبها همزة قياساً ، كما في إعاء ووِعاء . وإلدة في وِلدة جمع وَلَد . وإفادة في وِفادة .

قال سيبويه ـ عند الكلام عن الواو الواقعة فاء الفعل ـ : «واعلم أنّ هذه الواو إذا كانت مضمومة فأنت بالخيار إن شئت تركتها على حالها ، وإن شئت أبدلت الهمزة مكانها .

وذلك نحو قولهم في وُلِدَ : أُلد ، وفي وُجوه : أُجوه . وإنّما كرهوا الواو ، حيث صارت فيها ضمّة . ولمّا كانوا يبدلونها وهي مفتوحة في مثل وَناة وأناة ، كانوا في هذا أجدر أن يبدلوا ، حيث دخله ما يستثقلون ، فصار الإبدال فيه مطّرداً ، حيث كان البدل يدخل فيما هو أخفّ منه وقالوا : وَجَم وأَجَم ووَناة وأَناة وقالوا : أحد وأصله وَحَد ، لأنّه واحد . فأبدلوا الهمزة ، لضعف الواو . وليس ذلك مطّرداً في المفتوحة .

قال : ولكنّ ناساً كثيراً يُجرون الواو إذا كانت مكسورة مجرى المضمومة ، فيهمزون الواو المكسورة إذا كانت أوّلاً ، كرهوا الكسرة فيها ، كما استثقل في ييجل وسيّد [٤] وأشباه ذلك . فمن ذلك قولهم : إسادة وإعاء . وسمعناهم ينشدون البيت لابن مقبل :

إلّا الإِفــادةَ فــاستولَتْ ركــائبُنا عند الجَبابير بالبأساء والنِّعَم» . [٥]

[١ / ٣٠٥] وفي ربيع الأبرار للزمخشري : «قال رجل لجعفر بن محمّد عليه السلام : ما الدليل على الله ، ولا تذكر لي العالم والعرض والجوهر؟ فقال له : هل ركبت البحر؟ قال : نعم ، قال : فهل عصفت بكم الريح حتّى خفتم الغرق؟ قال : نعم ، قال : فهل انقطع رجاؤك من المركب والملّاحين؟ قال : نعم ، قال : فهل تتبعت نفسك أن ثَمَّ من ينجيك؟ قال : نعم ، قال : فإنّ ذاك هو الله سبحانه وتعالى ، قال

---

(١) قال في اللسان : امرأة وناة وأناة وأنيّة : حليمة (وقورة) . الهمزة فيه بدل من الواو .

(٢) الوجوم : السكوت على الغيظ بما يبدو أثره على الوجه . (٣) شرح الشافية ٣ : ٧٩ .

(٤) أصل ييجل يوجل من وجل إذا خاف شيئاً . وسيّد ، أصله سويد من ساد يسود .

(٥) كتاب سيبويه ٢ : ٤٢٨ ـ ٤٢٩ (باب ما كانت الواو فيه أوّلاً وكانت فاء) .

الله ﷻ: ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾(١) و ﴿إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْئَرُونَ﴾(٢)»(٣).

* * *

وهذا الوجه الرابع هو الراجح والذي وردت به الرواية عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

[٣٠٦/١] روى الصدوق بإسناده المتّصل إلى الإمام أبي محمّد الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام في تفسير البسملة قال: «الله هو الذي يَتَألَّه إليه عند الحوائج والشدائد، كلُّ مخلوق وعند انقطاع الرجاء مِن كلّ مَن دونه وتقطّع الأسباب من جميع مَنْ سواه».

[٣٠٧/١] واستشهد بحديث جدّه الإمام الصادق عليه السلام: سأله رجلٌ أن يدلّه على الله ما هو؟ فقال له الإمام: «يا عبدالله، هل ركبت سفينة قطّ؟ قال: نعم، قال: فهل كسرت بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك؟ قال: نعم، قال: فهل تعلّق قلبك هناك أنّ شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلّصك من ورطتك؟ قال: نعم، قال الصادق عليه السلام: فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجي، وعلى الإغاثة حيث لا مغيث»(٤).

[٣٠٨/١] قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: «الله، معناه المعبود الّذي أله الخلق عن إدراك ماهيّته والإحاطة بكيفيّته. تقول العرب: أله الرجل إذا تحيّر في الشيء فلم يحط به علماً، ووله إذا فزع إلى شيء مما يحذره ويخافه. فالإله هو المستور عن حواسّ الخلق».(٥)

[٣٠٩/١] وروى الإمام العسكري عليه السلام بإسنادٍ رفعه إلى الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قام رجل إلى الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام فقال: يا ابن رسول الله ﷺ أخبرني ما معنى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾؟ فقال الإمام زين العابدين: حدّثني أبي عن أخيه عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّ رجلاً سأله عن ذلك فقال:

«إنّ قولك: «الله» أعظم الأسماء من أسمائه تعالى، وهو الاسم الذي لا ينبغي أن يتسمّى به غير الله، ولم يتسمّ به مخلوق».

فقال الرجل: فما تفسير قوله تعالى: «الله»؟

---

(١) الإسراء ١٧: ٦٧. (٢) النحل ١٦: ٥٣.

(٣) ربيع الأبرار ٢: ٤٨/٦، باب ١٩ (الجوابات المسكتة ...)؛ البرهان ١: ١٠٩ ـ ١١٠/١٢.

(٤) معاني الأخبار: ٤ ـ ٥/٢، باب معنى «الله»، وراجع: تفسير الإمام: ٢١ ـ ٢٢/٥ و ٦.

(٥) التوحيد للصدوق ٨٩/٢، باب تفسير قل هو الله.

قال ﷺ: «هو الذي يتألّه إليه عند الحوائج والشدائد كلُّ مخلوق، عند انقطاع الرجاء مِنْ جميع مَنْ دونه، وتقطّع الأسباب من كلّ ما سواه.

وذلك أنّ كلَّ مترَئّسٍ في هذه الدنيا أو متعظّم فيها، وإن عظم غناؤه وطغيانه، إذا كثرت حوائج من دونه إليه، فإنّهم سيحتاجون حوائج لا يقدر عليها هذا المتعاظم. وكذلك هذا المتعاظم يحتاج حوائج لا يقدر عليها، فينقطع إلى الله عند ضرورته وفاقته، حتّى إذا كُفي همّه، عاد إلى شركه. أما تسمع الله ﷻ يقول: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾[1].

قال تعالى لعباده: أيّها الفقراء إلى رحمتي، إنّي قد ألزمتكم الحاجة إليَّ في كلّ حالٍ، وذلّة العبوديّة في كلّ وقت. فإليَّ فافزعوا في كلّ أمر تأخذون به وترجون تمامه وبلوغ غايته. فإنّي إن أردت أن أعطيكم لم يقدر غيري على منعكم، وإن أردت أن أمنعكم لم يقدر غيري على إعطائكم. فأنا أحقّ مَنْ سُئل وأولى من تُضُرّع إليه. فقولوا عند افتتاح كلّ أمر عظيم أو صغير: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ أي أستيعن على هذا الأمر بالله الذي لا تحقّ العبادة لغيره. المغيث إذا استُغيث والمجيب إذا دعي، الرحمان الذي يبسط الرزق علينا، الرحيم بنا في أدياننا ودنيانا وآخرتنا».

[١ / ٣١٠] قال: وقال رسول الله ﷺ: «من أحزنه أمر تعاطاه فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ وهو مخلص لله ﷻ ويُقبل بقلبه إليه، لم ينفكّ عند إحدى اثنتين: إمّا بلوغ حاجته الدنياويّة، وإمّا يُعَدُّ له عنده ويُدَّخر لديه. وما عند الله خير وأبقى للمؤمنين»[2].

وسنذكر روايات أُخرى بهذا الشأن.

* * *

أمّا الوجهان الأوّلان فلا مستند لهما لغويّاً، حيث لم يرد في اللغة «أَله» مهموزاً في أصله، لامفتوح العين ولا مكسوره. وأيضاً لم يرد «أَلَه» بمعنى «عَبَد» وإن ذكره صاحب القاموس، إذ لاشاهد له في اللّغة. وأمّا «أَلِه» بمعنى «تحيّر» فأصله «وَلِهَ» حسبما تقدّم[3].

ودليلاً على أنّ «أله» ــ مهموزاً ــ ليس أصلاً في اللغة: أنّه لم يرد الاشتقاق منه في اللغة ثلاثيّاً. قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: وليس «الله» من الأسماء التي يجوز منها اشتقاق «فَعَل»، كما

(١) الأنعام ٦: ٤٠ ـ ٤١.

(٢) تفسير الإمام: ٢٧ ـ ٢٨ / ٩.

(٣) راجع: مقاييس اللغة ١: ١٢٧.

يجوز في «الرحمان» و «الرحيم»[١].

أمّا الوجه الثالث فأضعف الاحتمالات، إذ كانت حروف الأصل في «لاه يلوه لياهاً» من المعتلّ العين! ولعلّه قد اشتبه الأمر على قائله!

فالصحيح هو الوجه الرابع والذي توافقت عليه الروايات عن السلف. وقد عرفت الرواية عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

[١ / ٣١١] وهكذا روي عن الضحّاك قال: إنّما سمّي «الله» إلّهاً، لأنّ الخلق يتألّهون إليه في حوائجهم ويتضرّعون إليه عند شدائدهم[٢].

وذكر عن الخليل بن أحمد أنّه قال: لأنّ الخلق يَألَهُون إليه ـ بفتح اللام وكسرها (لغتان) ـ[٣].

قال أبوالهيثم: «وأصل «إلّه» وِلاه، فقلبت الواو همزة كما قالوا للوِشاح: إشاح، وللوِجاح ـ وهو السِّتر ـ إجاح. ومعنى «وِلاهٍ»: أنّ الخلق يَوْلَهون إليه في حوائجهم، ويضرعون إليه فيما يصيبهم، ويفزعون إليه في كلّ ما ينوبهم، كما يَوْلَه كلّ طفل إلى أمّه»[٤].

[١ / ٣١٢] وفي حديث وُهَيب بن الورد: إذا وقع العبد في أُلْهانيّة الربّ، ومهيمنيّة الصدّيقين، ورهبانيّة الأبرار، لم يجد أحداً يأخذ بقلبه. قال ابن منظور: أي لم يجد أحداً يُعجبه ولم يحبّ إلّا الله سبحانه[٥].

وقال ابن الأثير: هو مأخوذ من «إلاه»، وتقديرها: فُعلانيّة، بالضم. تقول: إلاهٌ، بيّن الإلٰـهيّة والأُلهانيّة، وأصله من أَلِه يأْلَه إذا تحيّر. يريد: إذا وقع العبد في عظمة الله تعالى وجلاله وغير ذلك من صفات الربوبيّة، وصرف همّه إليها، أبغض الناس حتّى لا يميلَ قلبُه إلى أحد[٦].

* * *

[١ / ٣١٣] لكن روى ثقة الإسلام الكليني بإسناده إلى أحمد بن محمّد البرقي عن القاسم بن يحيى عن جدّه الحسن بن راشد عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: «سُئل عن معنى «الله». فقال: استولى على ما دقّ وجلّ»[٧].

---

(١) راجع: العين ٤: ٩١.
(٢) راجع: القرطبي ١: ١٠٣.
(٣) المصدر.
(٤) راجع: لسان العرب ١٣: ٤٦٨ / باب «ألَه».
(٥) المصدر: ٤٦٧ ورواه ابن عساكر في (٣٣: ٢٥٦) بهذا اللفظ: «إذا دخل العبد في لاهوتيّة الربّ ومهيمنة الصديقين ورهبانية الأبرار لم يلق أحداً يأخذ بقلبه ولا تلحقه عينه».
(٦) النهاية ١: ٦٢.
(٧) الكافي ١: ١١٤ ـ ١١٥ / ٣.

وهكذا رواه الصدوق بإسناده إلى سعد بن عبدالله الأشعري عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن القاسم بن يحيى عن جدّه الحسن بن راشد عن الإمام موسى بن جعفر ﷺ مثله[١].

هذا الحديث ممّا احتار المفسرون في تبيينه، نظراً لأنّ الاستيلاء لا يلائم مفهوم الإلَه، اللّهمّ إلّا إذا أريد لازم معناه!

فهذا الحكيم الفيلسوف صدر المتألهين في شرحه على أصول الكافي يقول: هذا من باب تفسير الشيء بلازمه، فإنّ معنى الإلَهيّة يلزمه الاستيلاء على جميع الأشياء دقيقها وجليلها، غيبها وشهادتها، ملكها ومملوكها، دنياها وآخرتها[٢].

والحكيم الإلَهي المحقق الفيض الكاشاني يقول: لما كان الله اسماً للذات الأحديّة القيّوميّة، فسّر بما يختصّ به الذات، وهو استيلاؤها على الدقيق والجليل[٣].

وقال المولى ميرزا رفيع النائيني (شيخ المجلسي) في تعليقته على الوافي: قوله: عن معنى الله، أي مفهوم هذا الإسم ومناطه، فقال: استولى على ما دقّ وجلّ. أي الاستيلاء على كلّ شيء، هو مناط المعبوديّة بالحقّ لكلّ شيء[٤].

وقال المولى محمّد صالح المازندراني في شرحه على أصول الكافي: من المشهور عقلاً ونقلاً أنّ «الله» اسم للذات المقدّسة التي هي بعينها عين جميع الصفات الذاتيّة الملحوظة في مرتبة الذات، ومن أعظم تلك الصفات هو استيلاؤه على جميع ما سواه من الممكنات دقيقها وجليلها، لأنّ هذه الصفة مستلزمة لجميع الصفات الكماليّة، كالعلم بالكلّيات والجزئيّات، والقدرة الشاملة لجميع الممكنات، والرحمة الكاملة التي وسعت كلّ شيء، فلذلك فسّر ﷺ «الله» تفسيراً له ببعض الوجوه الكامل الشامل[٥].

* * *

لكنّ المولى المحقّق المجلسي العظيم تنبّه لنكتة ربما أغفلها الآخرون، وهو: احتمال التحريف أو غلط النسخة. فإنّ الكليني روى هذا الحديث عن أحمد بن محمّد بن خالد البرقي وأخذه من كتابه «المحاسن» بإسناده إليه. والحديث جاء في الكتاب الأصل كالتالي:

---

(١) معاني الأخبار: ٤ / ١، باب معنى «الله»؛ التوحيد: ٢٣٠ / ٤.

(٢) شرح الأصول من الكافي: ٢٨٩.

(٣) الوافي ١: ٤٧٠ / ٣٨٠ ـ ٢.

(٤) هامش الوافي ١: ١٢١.

(٥) شرح أصول الكافي ٤: ٧ ـ ٩.

[٣١٤/١] «... وسئل عن معنى قول الله: ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[١]؟ فقال: استولى على ما دقّ وجلّ»[٢]. وهكذا رواه صاحب كتاب «الاحتجاج»[٣]. وعليه فلا موضع لتلكم التكلّفات في تفسير ما لم يثبت أصله.

قال العلّامة المجلسي ـ بعد أن ذكر تأويل الحديث حسبما ذكره الشرّاح قريباً ممّا ذكره شيخه المولى رفيع ـ: وقيل: السؤال إنّما كان عن مفهوم الاسم ومناطه، فأجاب الإمام عليه السلام بأنّ الاستيلاء على جميع الأشياء، مناط المعبوديّة بالحقّ لكلّ شيء ـ قال:

الظاهر أنّه سَقَط من الخبر شيء، لأنّه مأخوذ من كتاب البرقي. وروى في المحاسن بهذا السند بعينه عن القاسم عن جدّه الحسن عن أبي الحسن موسى عليه السلام وسئل عن معنى قول الله ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[٤]؟ فقال: استولى على ما دقّ وجلّ. وروى الطبرسي في الاحتجاج أيضاً هكذا. فلا يحتاج إلى هذه التكلّفات، إذ أكثر المفسّرين فسّروا الاستواء بمعنى الاستيلاء. وقد حقّقنا في مواضع من كتبنا أنّ العرش يطلق على جميع مخلوقاته سبحانه، وهذا أحد إطلاقاته، لظهور وجوده وعلمه وقدرته في جميعها.

قال: وهذا [الاشتباه في النقل والرواية] من الكليني غريب [لأنّه غاية في الدقّة والعناية]. ولعلّه من النُسّاخ![٥].

* * *

وأمّا أبو جعفر الطبري فإنّه يرى الإلّه بمعنى المألوه أي المعبود من أله بمعنى عبد كما ذكره الفيروزآبادي في القاموس:

قال: وأمّا تأويل قول الله: «الله»، فإنّه على معنى ما روي لنا عن عبدالله بن عبّاس: هو الذي يألهه كلّ شيء ويعبده كلّ مخلوق.

[٣١٥/١] وذلك أنّ أبا كريب حدّثنا بالإسناد إلى أبي روق عن الضحّاك عن عبدالله بن عبّاس قال: الله، ذو الألوهيّة والمعبوديّة على خلقه أجمعين.

فإن قال لنا قائل: فهل لذلك في «فَعَلَ ويَفْعَلُ» أصل كان منه بناء هذا الإسم؟

---

(١) طه ٢٠: ٥.
(٢) المحاسن ١: ٢٣٨ / ٢١٢.
(٣) الاحتجاج ٢: ١٥٧، (باب احتجاجات أبي الحسن الكاظم عليه السلام)، برواية الحسن بن راشد أيضاً.
(٤) طه ٢٠: ٥.
(٥) مرآة العقول ٢: ٣٩ ـ ٤٠.

قيل: أمّا سماعاً من العرب فلا، ولكن استدلالاً!

يعني: إنّه لم يثبت تصريف أَلَه يَأْلَه بمعنى عَبَد يَعْبُد ثلاثيّاً في أصل اللغة، حسبما قدّمنا. غير أنّه يمكن إثباته استدلالاً... ثمّ أخذ في الاستدلال واستشهد بقول رؤبة بن العجّاج:

لله درّ الغانيات المُدَّهِ سَبَّحْنَ واسترجعن من تألُّهي[1]

يعني: من تعبّدي وطلبي الله بعمل.

قال: وإذ ثبت التألّه بمعنى التعبّد، وهو مزيد فيه، فلابدّ أن هناك في مجرّده الثلاثي أيضاً ثابت!

[٣١٦/١] واستشهد أيضاً بما رواه سفيان بن وكيع رفعه إلى ابن عبّاس: أنّه قرأ: ويذرك وإلاهتك[2]، قال: عبادتك. قال: إنّما كان فرعون يُعْبَد ولايَعْبُد.

وكذلك كان يقرأها عبدالله ومجاهد ويفسّرانها بذلك.

قال: والإلاهة مصدر ثلاثي من قول القائل: أَلَهَ اللهَ فلانٌ إلاهةً، كما يقال: عَبَدَ الله فلان عبادةً، وعَبَرَ الرؤيا عبارةً. فقد ثبت من قول ابن عبّاس ومجاهد: أنّ «أَلَه»: «عَبَد» وأنّ الإلاهة مصدره...[3]

قال ابن عطيّة ـ وهو يتابع ابن جرير ـ: وذهب كثير من أهل العلم إلى أنّ «الله» مشتقّ من «أَلَه الرجلُ» إذا عبد، و«تألّه» إذا تنسّك. ومن ذلك قول رؤبة بن العجّاج... وقوله تعالى: «ويَذَرَك وإلاهتك» على هذه القراءة، فإنّ ابن عبّاس وغيره (يريد به مجاهداً) قال [في تفسيره] وعبادتك. قالوا: فاسم «الله» مشتقّ من هذا الفعل، لأنّه الذي يَأْلَهُهُ كلُّ خلق ويَعْبُدُه ـ حكاه النقّاش في صدر سورة آل عمران ـ فإلاه، فِعَال من هذا[4].

قلت: لا شكّ أنّ اللغة توقيف ولا يحتمل الاجتهاد النظري، فإذ ثبت عدم السماع في «أَلَه» بمعنى «عَبَد»، واعترف به الطبري[5] ـ وهو الرجل الخبير بمواضع اللغة ـ فأيّ موضع بعد ذلك للاستدلال إذا لم يكن له شاهد في اللّغة العربيّة الأولى؟!

وأمّا ما تشبّث به قياساً من شعر رؤبة، فلم يثبت أنّه أراد من التألّه: التنسّك بمعنى العبادة، بل الظاهر أنّه أراد التوغّل والإمعان في ألوهيّة الربّ تعالى أي التفكّر فيها والتخضّع في ساحة قدسه

---

(١) الغانيات، جميع الغانية: المرأة الغنيّة بحسنها وجمالها الفارهة الجمال. والمُدَّه، جمع ماده من مَدَه بمعنى مَدَح تزلّفاً.

(٢) والقراءة المشهورة: «وآلهتك» في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ (الأعراف ٧: ١٢٧).

(٣) الطبري ١: ٨٢ ـ ٨٣ والحديثان رقم ١١٧ و ١١٨ وبعده.

(٤) المحرّر الوجيز ١: ٦٣.

(٥) وقد مرّ في كلام الخليل أيضاً ـ وهو أبو العربيّة ومَحْتِدُها الأصيل ـ!

تعالى، والذي يلزمه التعبّد بعمل قربيّ، فيكون لازمه لا نفسه. والتفسير باللازم شائع كثير.

وهكذا تفسير ابن عبّاس ومجاهد «إلاهتك» بالعبادة إن صحّ، فهو تفسير باللازم. نظراً لأنّ المعنى في الحقيقة: ويذرك وألوهيّتك التي تدّعيها، حيث قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾[1]، فقد كان يدّعي الألوهيّة بمعنى الربوبيّة، أي المالك المتصرّف في شؤون المربوبين، ولم يعهد أنّه دعى الناس إلى عبادته، ولا ثبت أنّهم عبدوه كما يعبدون الأصنام. فلا موضع لقول القائل: وفرعون كان يُعْبَد ولا يَعْبُد! ولم يصحّ استناده إلى مثل ابن عبّاس العربيّ الصميم وكذا تلميذه الذكيّ مجاهد بن جبر!

لم يكن من فرعون سوى دعوى الألوهيّة ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِي﴾[2]. وأنّه يتولّى هدايتهم إلى حيث الرشاد ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَ مَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[3]. نعم إنّه كان قد استخفّ قومه فأطاعوه[4]. أمّا العبادة والعبوديّة بمعناها الخاصّ فلم يعهد ذكره في القرآن أو غيره من كتاب.

* * *

﴿الرَّحْمَانِ﴾ و ﴿الرَّحِيمِ﴾ وصفان من أبرز صفاته تعالى، ليكون الأوّل مظهر رحمته الواسعة ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾[5]. ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[6]. والثاني دليل على عنايته الخاصّة بعباده المؤمنين ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[7]. ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[8].

والرحمان، فَعْلان دلّ على مبالغة في سعة رحمته تعالى، سعة لا يحتملها سوى ذاته المقدّسة فلا يوصف به غيره تعالى. والرحيم، دلّ على رأفة وعناية خاصّة، يوصف به كلّ ذي رأفة وشفقة بالناس، ومن ثَمَّ يوصف به النبيّ الكريم ﷺ لمكان شفقته بالمؤمنين ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[9].

[٣١٧/١] قال الإمام الصادق ﷺ: «الرحمان، اسم خاصّ بصفة عامّة. والرحيم، اسم عامّ بصفة خاصّة»[10].

[٣١٨/١] وفي حديث آخر: «قلت: الرحمان؟ قال: بجميع العالم. قلت: الرحيم؟ قال:

---

(١) النازعات ٧٩: ٢٤.
(٢) القصص ٢٨: ٣٨.
(٣) المؤمن ٤٠: ٢٩.
(٤) من الآية ٥٤ سورة الزخرف ٤٣.
(٥) الأنعام ٦: ١٤٧.
(٦) الأعراف ٧: ١٥٦.
(٧) الأعراف ٧: ١٥٦.
(٨) الأحزاب ٣٣: ٤٣.
(٩) التوبة ١٠: ١٢٨.
(١٠) الصافي ١: ١٢١.

بالمؤمنين خاصّة»[١].

[١ / ٣١٩] وفي حديث عبدالله بن سنان عن الصادق عليه السلام قال: «الرحمان بجميع خلقه، والرحيم بالمؤمنين خاصّة»[٢].

[١ / ٣٢٠] وعنه عليه السلام: «الرحمان خاصّ اللفظ عامّ المعنى، والرحيم عامّ اللفظ خاصّ المعنى»[٣].

[١ / ٣٢١] وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحّاك قال: الرحمان بجميع الخلق، والرحيم بالمؤمنين خاصّة[٤].

[١ / ٣٢٢] ورواه أبو جعفر الطبري بإسناده إلى عثمان بن زفَر قال: سمعت العزرمي يقول: الرحمان الرحيم، الرحمان بجميع الخلق، الرحيم بالمؤمنين[٥].

[١ / ٣٢٣] وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحّاك عن ابن عبّاس: الرحيم: الرقيق الرفيق لمن أُحبّ أن يرحمه، البعيد الشديد على من أحبّ أن يعنف عليه العذاب[٦].

[١ / ٣٢٤] وأخرج بإسناده إلى أبي الأشهب عن الحسن قال: الرحمان، اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه، تسمّى به تبارك وتعالى[٧].

[١ / ٣٢٥] وأخرج الطبري عن الحسن قال: الرحمان، اسم ممنوع[٨]. أي لا يصحّ إطلاقه على غيره تعالى، حيث دلالته على سعة شاملة في رحمته تعالى، مما لا يجوز وصف غيره تعالى به.

وفي اللسان: قال الحسن: الرحمان، اسم ممتنع، لا يسمّى غير الله به، وقد يقال: رجل رحيم[٩].

[١ / ٣٢٦] وأخرج البيهقي عن ابن عبّاس قال: الرحمان، وهو الرفيق. والرحيم، وهو العاطف على خلقه بالرزق. وهما اسمان رقيقان، أحدهما أرقّ من الآخر[١٠].

[١ / ٣٢٧] وأخرج ابن أبي حاتم عن خالد بن صفوان التميمي، قال ـ في الرحمان الرحيم ـ: هما رقيقان أحدهما أرقّ من الآخر[١١].

[١ / ٣٢٨] قال أبو علي الفارسي: الرحمان، اسم عامّ في جميع أنواع الرحمة، يختصّ به الله

---

(١) التوحيد: ٢٣٠ / ٣.

(٢) الكافي ١: ١١٤ / ١، باب معاني الأسماء؛ التوحيد: ٢٣٠ / ٢.

(٣) رواه الشيخ أبوالفتوح الرازي ١: ٥٩.

(٤) ابن أبي حاتم ١: ٢٨ / ٢٠؛ الدرّ ١: ٢٤.

(٥) الطبري ١: ٨٥ / ١٢١.

(٦) ابن أبي حاتم ١: ٢٦ / ٦.

(٧) المصدر: ٧.

(٨) الطبري ١: ٨٩ / ١٢٥؛ الدرّ ١: ٢٤.

(٩) مادة «رحم» (لسان العرب ١٢: ٢٣١).

(١٠) الأسماء والصفات ١: ٥١.

(١١) ابن أبي حاتم ١: ٢٨ / ٢١.

تعالى. والرحيم، إنّما هو من جهة المؤمنين[١].

وعن أبي عُبيدة: رحمان، ذو رحمة. ورحيم، معناه أنّه راحم. وكرّر لضرب من التأكيد، كما قالوا: ندمان ونديم[٢].

قال الجوهري: والرحمان والرحيم، اسمان مشتقّان من الرحمة. ونظيرهما في اللغة: نديم وندمان، وهما بمعنىً. ويجوز تكرير الإسمين إذا اختلف اشتقاقهما على جهة التوكيد، كما يقال: فلان جادّ مجدّ. إلّا أنّ الرحمان اسم مختصّ لله تعالى لا يجوز أن يسمّى به غيره ولا يوصف، ألا ترى أنّه تبارك وتعالى قال: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَانَ﴾، فعادل به الاسم الذي لا يَشْركه فيه غيره[٣].

وزاد ابن منظور: وهما من أبنية المبالغة، ورحمان أبلغ من رحيم. والرحيم يوصف به غير الله تعالى فيقال: رجل رحيم، ولا يقال: رحمان[٤].

قال الأزهري: ولا يجوز أن يقال «رحمان» إلّا لله ﷻ. وفعلان من أبنية ما يبالغ في وصفه. فالرحمان: الذي وسعت رحمته كلَّ شيء ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[٥]. فلا يجوز أن يقال: «رحمان» لغير الله[٦].

[١ / ٣٢٩] وعن عكرمة: الرحمان برحمة واحدة والرحيم بمئة رحمة[٧]. وهذا لا ينافي شمول الرحمة الرحمانيّة العامّة، لأنّها واحدة شاملة. أمّا الرحمة الرحيميّة فهي العناية البالغة المفاضة بجميع أبعادها ومناحيها.

[١ / ٣٣٠] قال الطبرسي: وهذا المعنى قد اقتبسه [عكرمة] من قول الرسول ﷺ: «إنّ لله ﷻ مائة رحمة وإنّه أنزل منها واحدة إلى الأرض فقسّمها بين خلقه، بها يتعاطفون ويتراحمون، وأخّر تسعاً وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة. وروي أنّ الله قابض هذه إلى تلك فيكملها مائة يرحم بها عباده يوم القيامة»[٨].

[١ / ٣٣١] روى عطاء بإسنادٍ رفعه إلى رسول الله ﷺ قال: «إنّ لله تبارك وتعالى من رحمته مأة

(١) القرطبي ١: ١٠٥.
(٢) التبيان ١: ٣٠.
(٣) صحاح الجوهري ٥: ١٩٢٩.
(٤) لسان العرب ١٢: ٢٣١، والظاهر أنّه سقط من النسخة المطبوعة من الجوهري.
(٥) الأعراف ٧: ١٥٦.
(٦) لسان العرب ١٢: ٢٣١.
(٧) مجمع البيان ١: ٥٤.
(٨) المصدر.

جزء، ادّخر منها في خزانة الغيب تسعة وتسعين جزءاً، وفرّق جزءاً واحداً منها على جميع أهل الدنيا، وكلّ رحمة ورأفة وشفقة وعطوفة في هذا العالم إنّما هو من ذلك الجزء الفرد. ثُمَّ يوم القيامة يجتمع هذا الجزء مع التسعة والتسعين جزءاً فتكمل المأة لتشمل عصاة هذه الأمّة ...» حتّى جاء في الحديث:

[١ / ٣٣٢] أنّ إبليس يطمع أن يشمله من تلك الرحمة شيء. أخرجه الشيخ أبو الفتوح الرازي في التفسير[١].

وبذلك يفسّر ما ورد في الدعاء: «رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما».

[١ / ٣٣٣] أخرجه ابن أبي شيبة عن عبد الرحمان بن سابط، قال: كان رسول الله ﷺ يدعو بهذه الكلمات: «اللّهمّ فارج الهمّ، وكاشف الكرب، ومجيب [دعوة] المضطرّين، ورحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما. أنت ترحمني فارحمني رحمة تغنيني بها عمّن سواك»[٢].

[١ / ٣٣٤] وروى الصدوق بإسناده إلى أحمد بن موسى بن سعد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: كنت معه في الطواف، فلمّا صرنا معه بحذاء الركن اليماني قام عليه السلام فرفع يديه، ثمّ قال: «يا الله يا وليّ العافية، ويا خالق العافية، ويا رازق العافية، والمنعم بالعافية، والمتفضّل بالعافية عليّ وعَلَىٰ جميع خلقك، يا رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما، صلّ على محمّد وآل محمّد وارزقنا العافية، ودوام العافية، وتمام العافية، وشكر العافية في الدنيا والآخرة يا أرحم الراحمين»[٣].

ذلك أنّ رحمته تعالى الرحمانيّة كما شملت أهل الدنيا، كذلك شملت أهل الآخرة بفضل عميمها. وهكذا رحمته الرحيميّة شملت المؤمنين ـ في الدنيا ـ في تخفيفه عليهم طاعاته، وللكافرين بالرفق في دعائهم إلى موافقته، كما ورد في تفسير الإمام عليه السلام[٤].

[١ / ٣٣٥] وأمّا ما رواه الطبرسي عن أبي سعيد الخُدري عن النبيّ ﷺ أنّ عيسى بن مريم عليه السلام

---

(١) أبو الفتوح ١: ٦٠.

(٢) المصنّف ٧: ١٤١ / ١، كتاب الدعاء، باب ١٥٧ (ما كان النبيّ يعظمه من الدعاء)؛ الدرّ ١: ٢٤؛ البزار ١: ١٣١ / ٦٢؛ الحاكم ١: ٥١٥ ـ ٥١٦ وصحّحه. البيهقي في الدلائل (٦: ١٧١) عن عائشة عن أبيها عن رسول الله، وذكر نحواً من ذلك. وفي الصحيفة السجاديّة: ٣٠٨ / ٥٤ قال الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام: «يا فارج الهمّ وكاشف الغمّ يا رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما صَلّ على محمّد وآل محمّد...».

(٣) العيون ٢: ١٩ / ٣٧، باب ٣٠ (فيما جاء عن الرضا من الأخبار المنثورة).

(٤) تفسير الإمام: ٣٤ / ١٢.

قال: «الرحمان، رحمان الدنيا. والرحيم، رحيم الآخرة»[١]. فيعني: الرحمانيّة العامّة الشاملة لجميع الخلائق في هذه الحياة. وأمّا الرحيميّة فهي خاصّة بالمؤمنين في الآخرة.

[١ / ٣٣٦] وروي عن ابن عبّاس قال: هما (الرحمان الرحيم) اسمان رقيقان، أحدهما أرقّ من الآخر»[٢]. ومعنى «أرق»: ألطف وأنعم. أي إنّ رحمته تعالى الرحيميّة إنّما تشمل عباده المؤمنين بلطف وعناية بالغة، هي أنعم وألطف من رحمته الرحمانيّة العامّة الشاملة لجميع الخلائق. فالمراد بالرقّة هنا هي النعومة والرفق البالغ، وهي صفة الرحمة في ذاتها مفهوماً، لا شيء هو في ذات الموصوف (أي الله تبارك وتعالى).

[١ / ٣٣٧] وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «رحيم لا يوصف بالرقّة»[٣]. وهذا على خلاف غيره تعالى حيث الرحمة منهم ناشئة عن رقّة في ذوات أنفسهم.

وقد حسب بعضهم الرقّة في حديث ابن عبّاس بإرادتها في الذات المقدّسة كما في سائر الناس، فأنكر الحديث واحتمل التحريف وإرادة الرفق (رفيقان)!

قال الخطّابيّ: وهذا (حديث ابن عبّاس) مشكل، لأنّ الرقّة لا مدخل لها في شيء من صفات الله تعالى. وقال الحسين بن الفضل البَجَلي: هذا وهم من الراوي، لأنّ الرقّة ليست من صفاته تعالى في شيء، وإنّما هما اسمان رفيقان، أحدهما أرفق من الآخر. والرفق من صفات الله عزّ وجلّ.

[١ / ٣٣٨] قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّ الله رفيق يحبّ الرفق، ويُعطي على الرفق ما لا يعطي على العُنف»[٤].

وقد عرفت المعنى الصحيح لحديث ابن عبّاس!

[١ / ٣٣٩] وجاء في حديث الإهليلجيّة عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ رحمة الله، ثوابه لخلقه. والرحمة من العباد شيئان: أحدهما يحدث في القلب، الرأفة والرقّة لما يرى بالمرحوم من الضرّ والحاجة وضروب البلاء. والآخر، ما يحدث منّا بعد الرأفة واللطف على المرحوم...»[٥]

أي الرحمة من العباد، إشفاق نفسي يتبعه إرفاق عملي. أمّا الرحمة من الله فهو فعله تعالى محضاً، فإشفاقه على العبد نفس إرفاقه به.

---

(١) مجمع البيان ١: ٥٤.

(٢) تقدم عن الأسماء والصفات ١: ٨٩.

(٣) نهج البلاغة ٢: ١٠٠، الخطبة ١٧٩.

(٤) القرطبي ١: ١٠٦.

(٥) البحار ٣: ١٩٦.

[١ / ٣٤٠] وروى الشيخ أبو الفتوح الرازي في تفسيره بالإسناد إلى الضحّاك، قال: رحمان بأهل السماء، حين أسكنهم السماوات وطوّقهم الطاعات وقطع عنهم المطاعم واللذّات. ورحيم بأهل الأرض، حين أرسل إليهم الرُسُل وأنزل عليهم الكُتُب[١].

وهذا رأي رآه الضحّاك ـ إن صحّ السند ـ يخصّه.

[١ / ٣٤١] وأيضاً رُوي عن ابن المبارك، قال: رحمان، إذا سُئل أعطى. رحيم، إذا لم يُسأل غضب. ذكره القرطبي في تفسيره[٢].

[١ / ٣٤٢] وعقّبه بما رواه ابن ماجة في سننه والترمذي في جامعه عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يسأل الله يغضب عليه» (هذا لفظ الترمذي). ولفظ ابن ماجة: «من لم يدعُ الله سبحانه غضب عليه»[٣]. وقد أخذ بعض الشعراء هذا المعنى:

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبُنَيَّ آدم حين يُسأل يغضب

* * *

ومن غريب الأمر ما زعمه البعض من كون «الرحمان» لفظة عبرانيّة!!

حكى الأزهري عن أبي عبّاس المبرّد في قوله ﴿الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ قال: جُمع بينهما، لأنّ الرحمان عِبْرانيّ، والرحيم عَرَبيّ. وأنشد لجرير:

لن تَدْرُكُوا المجدَ أو تَشْرَوْا عَباءَكُمُ ... بالخَزّ، أو تجعلوا اليَنْبُوتَ ضَمْراناً

هل تَتْرُكُنَّ إلى القَسَّيْن هِجرَتَكم ... ومَسْحَهم صُلْبَهُم رحْمانَ قرباناً[٤]

وقال أبو اسحاق الزجّاج في معاني القرآن: قال أبو العبّاس (ثعلب) أحمد بن يحيى النحوي: «الرحيم» عربيّ و «الرحمان» عبرانيّ، فلهذا جُمع بينهما. قال أبو إسحاق: وهذا القول مرغوب عنه[٥].

قال أبو جعفر الطوسي: وقال بعضهم: إنّ لفظة «الرحمان» ليست عربيّة، وإنّما هي ببعض اللغات كقسطاس، فإنّها روميّة. واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَانُ أَنَسْجُدُ لِمَا

(١) أبوالفتوح ١: ٦٠.
(٢) القرطبي ١: ١٠٥.
(٣) المصدر: ١٠٦؛ الترمذي ٥: ١٢٦ / ٣٤٣٣، باب ٣؛ ابن ماجة ٢: ١٢٥٨ / ٣٨٢٧، باب ١.
(٤) لسان العرب ١٢: ٢٣١.
(٥) القرطبي ١: ١٠٤؛ ابن كثير ١: ٢٢.

تَأْمُرُنَا﴾[١]، إنكاراً منهم لهذا الاسم. حُكي ذلك عن ثعلب!

والصحيح أنّه معروف واشتقاقه من الرحمة ـ على ما بيّنّا ـ قال الشنفري:

ألا ضربَتْ تلك الفتاةُ هجينها ألا قضَبَ الرحمانُ ربّي يمينها

وقال سلامة بن جندل الطهوي:

عجلتم علينا إذ عجلنا عليكم وما يشأ الرحمان يُعْقَد ويُطْلَق[٢].

وقال زيد بن عمرو بن نفيل في فراق دين قومه:

ولكن أعبد الرحمان ربّي ليغفر ذنبيَ الرّبُّ الغفورُ[٣]

وقد تقدم كلام أبي جعفر الطبري: «وقد زعم بعض أهل الغباء: أنّ العرب كانت لا تعرف الرحمان ولم يكن ذلك في لغتها، ولذلك قال المشركون للنبيّ ﷺ: ﴿وَمَا الرَّحْمَانُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ إنكاراً منهم لهذا الاسم، كأنّه كان محالاً عنده أن ينكر أهل الشرك ما كانوا عالمين بصحّته، أو كأنّه لم يتل من كتاب الله قوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ ـ يعني محمّداً ـ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾[٤]. وهم مع ذلك به مكذّبون ولنبوّته جاحدون. فيعلم بذلك أنّهم قد كانوا يدافعون حقيقة ما قد ثبت عندهم صحّته واستحكمت لديهم معرفته. وقد أُنشد لبعض الجاهليّة الجهلاء:

ألا ضربت تلك الفتاة هجينها ألا قضب الرحمان ربّي يمينها

وقال سلامة بن جندل الطهوي:

عجلتم علينا عُجَيلتنا عليكم وما يشأ الرحمان يُعْقَد ويُطْلَق[٥].

وهكذا ذكر ابن كثير في التفسير[٦].

وقال الرازي ـ في تفسير لفظ الجلالة ـ: قال بعضهم: هذه اللفظة (الرحمان) ليست عربيّة، بل عبرانيّة أو سُريانيّة، فإنّهم يقولون: إلّهاً رحماناً ومرحيانا. فلمّا عُرّب جُعل «الله الرحمان الرحيم». قال: وهذا بعيد، ولا يلزم من المشابهة الحاصلة بين اللّغتين، الطعن في كون هذه اللفظة عربيّة أصليّة ...[٧].

---

(١) الفرقان ٢٥: ٦٠.

(٢) التبيان ١: ٢٩ ـ ٣٠.

(٣) سيرة ابن هشام ١: ٢٤٢؛ روض الأنف ١: ٢٥٧.

(٤) البقرة ٢: ١٤٦.

(٥) الطبري ١: ٨٧ ـ ٨٨، والعُجَيلة ـ مصغّرةً ـ: السير السريع.

(٦) ابن كثير ١: ٢٣.

(٧) التفسير الكبير ١: ١٦٣. وراجع: شرحه لأسماء الله الحسنى: ١٥٣ ـ ١٥٥.

قلت: احتمال كون «الرحمان» عبريّة أو سُريانيّة، جزاف من القول لا يقوله سوى تائه في خيال. أمّا الشعر الذي استند إليه هذا القائل فمحرّف في أصله، قال صاحب التكملة: هكذا أنشده هذا القائل، لكنّ فيه تغييراً من جهات: الأولى: أنّ في البيتين تقديماً وتأخيراً. والثانية: أنّ «رَخْمان» بالخاء المعجمة، موضع في ديار هذيل، عنده قتل تأبّط شرّاً، فقالت أمّه أو أخته ترثيه:

نِعم الفتى غادرتُمُ بِرَخْمانْ ... من ثابت بن جابر بن سفيانْ

يُجدِّل القِرن ويُروى النَّدمانْ ... ذو مَأْقِطٍ يَحمِي وراء الإخوانْ[1]

قال محمّد مرتضى الزبيدي: رَخْمان، غارٌ ببلاد هذيل، رمي فيه تأبّط شرّاً بعد قتله[2]. قال: وبه رُوي شعر جرير: ومسحكم صلبهم رَخْمان قرباناً[3].

قال صاحب التكملة: فإذن لا مدخل له في هذا التركيب[4].

والثالثة: أنّ الرواية ـ على ما جاء في ديوانه بجمع الصاوي ـ:

هل تتركُنَّ إلى القَسَّين هجرتكم ... ومسحهم صلبهم رُحمانَ قرباناً

لن تدركوا المجد أو تشروا عباءكم ... بالخزّ أو تجعلوا التنّوم ضمراناً[5]

فجاء الضبط «رُحْمان» ـ بضم الراء ـ على وزان غُفران وكُفران، مصدراً.

وعلى أيّ تقدير، فلو فرض: أنّه أراد الرَّحمان، اسماً له تعالى، فلا دليل على أنّها لفظة عبرانيّة أو سُريانيّة، لمجرّد أنّ المخاطب المهجوّ بها ـ وهو غياث بن غوث الأخطل التغلبي ـ كان نصرانيّاً! لأنّه شاعر عربيّ مجيد ومقرّب لدى خلفاء بني أُميّة وكان يجيد المدح والقريض وقرّبه عبدالملك إليه لحسن قريضه. وجاء في القصيدة الكثير من أسماء الله تعالى ومصطلحات إسلاميّة عربيّة عريقة، ولا مساس لها بلغات الأجانب؛ كلّ ذلك لأنّ المخاطب عربي صميم وإن كان على غير دين الإسلام. ويقال: إنّه أسلم على يد عبدالملك.

---

(١) معجم البلدان ٣: ٣٨.

(٢) تاج العروس ٨: ٣٠٨.

(٣) المصدر: ٣٠٩.

(٤) هامش تاج العروس ٨: ٣٠٧.

(٥) ديوان جرير ـ تأليف محمّد إسماعيل عبدالله الصاوي. الكتاب الكامل (مكتبة محمّد حسين النوري ـ دمشق) و (الشركة اللبنانيّة للكتاب ـ بيروت).

تفسيرها الرمزي (الإشاري)

اعتاد أهل الإشارة على تفسير كلمات الأكابر على طريقة الرمز والإشارة، وربمّا لا عن قصد التأويل، أي تحميل خواطرهم على تلك التعابير، بل من قبيل تداعي المعاني عند ذكر المناسبات محضاً. الأمر الذي صرّح به الإمام القشيري في تفسيره حسبما يأتي.

ولكن هناك لفيف من أرباب القشور حسبوها تأويلات باطنيّة يعرفها أرباب القلوب! فأخذوها حقائق رقائق وتفاسير رمزيّة لكلام الله العزيز الحميد.

من ذلك ما ذكره القرطبي عن بعضهم أنّه فسّر البسملة على الحروف:

[٣٤٣/١] فروي عن عثمان بن عفّان أنّه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ﴾ فقال: «أمّا الباء فبلاء الله، وروحه ونضرته وبهاؤه. وأمّا السين فسناء الله. وأمّا الميم فملك الله. وأمّا «الله» فلا إلّه غيره. وأمّا «الرحمان» فالعاطف على البرّ والفاجر من خلقه. وأمّا «الرحيم» فالرفيق بالمؤمنين خاصّة»[1].

[٣٤٤/١] ورُوي عن كعب الأحبار أنّه قال: الباء بهاؤه، والسين سناؤه فلا شيء أعلا منه، والميم ملكه وهو على كلّ شيء قدير، فلا شيء يعازّه[2]. أي لا شيء يعارضه في عزّه، عزّت آلاؤه.

وقد قيل: إنّ كلّ حرف ـ من البسملة ـ مفتاح اسم من أسمائه تعالى:

فالباء، مفتاح اسمه «بصير».

والسين، مفتاح اسمه «سميع».

والميم، مفتاح اسمه «مليك».

والألف ـ من «الله» ـ مفتاح اسمه هذا، يعني «الله».

واللام، مفتاح اسمه «لطيف».

والهاء، مفتاح اسمه «هادي».

والراء ـ من «الرحمان» ـ مفتاح اسمه «رازق».

والحاء، مفتاح اسمه «حليم».

---

(١) القرطبي ١: ١٠٧.

(٢) المصدر.

والنون، مفتاح اسمه «نور»(١).

[١/ ٣٤٥] وأخرج ابن أبي حاتم بالإسناد إلى جويبر عن الضحّاك في قوله «بسم الله» قال: الباء من بهاء الله. والسين من سناء الله. والميم من ملك الله. والله: يا إله الخلق(٢).

[١/ ٣٤٦] وأخرج الطبري بإسناده إلى إسماعيل بن عيّاش عن إسماعيل بن يحيى، تارةً عن ابن أبي مليكة عمّن حدّثه عن ابن مسعود. وأخرى عن مِسعَر بن كرام عن عطيّة العَوْفي عن أبي سعيد الخدري. يُرَدُّ إلى رسول الله ﷺ:

«أنّ عيسى بن مريم ﷺ أسلمته أمّه إلى الكُتّاب ليُعلّمه المعلّم، فقال له المعلّم: اكتب «بسم الله»؛ فقال عيسى: وما «بسم»؟ قال له المعلّم: لا أدري! فقال له عيسى: الباء، بهاء الله. والسين، سناؤه. والميم، مملكته».

قال الطبري: أخشى أن يكون غلطاً من المحدّث، وأراد «ب، س، م» على سبيل ما يُعلَّم المبتدى من الصبيان في الكتاب: حروف أبي جاد(٣). فغلط بذلك فوصله فقال: بسم. لأنّه لا معنى لهذا التأويل إذا تلى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ على ما يتلوه القارئ في كتاب الله، لاستحالة معناه على المفهوم به عند جميع العرب وأهل لسانها إذا حمل تأويله على ذلك!!(٤)

[١/ ٣٤٧] والحديث ذكره ابن عديّ ملحقاً به قوله: «والله: إله الآلهة. والرحمان: رحمان الآخرة والدنيا. والرحيم: رحيم الآخرة».

وأضاف: «أبو جاد» ـ يعني: «أبجد» ـ ألف: الله. باء: بهاء الله. جيم: جلال الله. دال: الله الدائم.

«هوّز»، هاء: الهاوية. واو: ويل لأهل النار، وادٍ في جهنّم. زاي: زيّ أهل الدنيا.

«حطّي»، حاء: الله الحليم. طاء: الله الطالب لكل حقّ حتّى يؤدّيه. ياء: آي أهل النار وهو الوجع.

«كلمن»، كاف: الله الكافي. لام: الله العليم(٥). ميم: الله المالك. نون: نون البحر [أي الحوت].

---

(١) المصدر.
(٢) ابن أبي حاتم ١: ٢٥/ ٢.
(٣) أي الحروف الأبجديّة: أبجد. هوّز. حطّي. كلمن. سعفص. قرشت. ثخّذ. ضظغ.
(٤) الطبري ١: ٨١ ـ ٨٢/ ١١٦.
(٥) اختلط الأمر على واضع الحديث!

«صعفص»(١). صاد: الله الصادق. عين: الله العالم. فاء: الله الفرد(٢). صاد: الله الصمد.

«قرسات»(٣). قاف: الجبل المحيط بالدنيا، الذي اخضرّت منه السماء. راء: رؤيا الناس بها. سين: ستر الله. تاء: تمّت أبداً(٤).

قال الشيخ أبو أحمد عبدالله بن عديّ: هذا حديث باطل بهذا الإسناد، لا يرويه غير إسماعيل. ثمّ قال: وبهذا الإسناد أحاديث تركتها مخافة التطويل، وكلّها بواطيل عن مِسْعَر لا يرويها غير إسماعيل(٥) ـ يعني به: إسماعيل بن يحيى بن عبيدالله(٦) وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني بنفس الإسناد والمتن كما ذكره ابن عديّ، وأضاف: «غريب من حديث مِسْعَر، تفرّد به إسماعيل بن عياش عن إسماعيل بن يحيى»(٧).

وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق، وفيه: «والميم: ملكه...»(٨).

وهكذا ابن مردويه والثعلبي، قال جلال الدين السيوطي: بسند ضعيف جدّاً...(٩)

قال ابن كثير: وهذا غريب جدّاً. وقد يكون صحيحاً إلى من دون رسول الله ﷺ. وقد يكون من الإسرائيليّات، لا من المرفوعات [أي إلى النبيّ] والله أعلم(١٠).

وقال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع، محال... قال: ما يضع مثل هذا الحديث إلّا ملحدٌ يريد شين الإسلام، أو جاهل في غاية الجهل وقلّة المبالاة بالدين.

قال: ولا يجوز أن يفرّق حروف الكلمة المجتمعة فيقال: الألف من كذا واللام من كذا. وإنّما هذا يكون في الحروف المقطّعة، فيقال: اقتنع بحرف من كلمته، مثل قولهم في «كهيعص»: الكاف من الكافي، والهاء من الهادي.

فقد جمع واضع هذا الحديث جهلاً وافراً وإقداماً عظيماً وأتى بشيء لا تخفى برودته والكذب

---

(١) اشتبه الأمر عليه، فإنّه «سعفص».

(٢) صحّحناه على نسخة الموضوعات (١: ٢٠٤) لابن الجوزي. وكذا مواضع من الرواية صحّحناها عليه.

(٣) هي: «قرشت» بالشين.

(٤) لم يتمّ، وإنّما فرغت جعبة الواضع من الترّهات!

(٥) راجع: الكامل في ضعفاء الرجال ١: ٣٠٣ ـ ٣٠٤.

(٦) ذكره ابن حجر في لسان الميزان (١: ٤٤١) من المتّهمين بالوضع ورواية الأباطيل.

(٧) الحلية ٧: ٢٥٢.

(٨) ابن عساكر ٤٧: ٣٧٣.

(٩) الدرّ ١: ٢٣.

(١٠) ابن كثير ١: ١٩.

فيه[١].

وهذا الذي ذكره ابن الجوزي كلام متين، إذ لا موضع لتفسير حروف كلمة كانت هي موادّها الذاتيّة في أصل الوضع. فلا يقال في كلمة «علوّ»: إنّ العين من عليم، واللام من لطيف، والواو من ودود، مثلاً. إذ ينتقل الكلام في كلّ من هذه الكلمات الثلاث لتفسير حروفها واحدة واحدة وهلمّ جرّاً إلى مالا نهاية.

نعم إنّما يقال ذلك بشأن حروف كلمة كانت مصطنعة وكانت حروفها مقتبسة من أوائل كلمات، اختصاراً. كما هو المرسوم في تسمية الشركات والمؤسّسات، فيسمّونها باسم هي لفظة مصطنعة ومقتبسة حروفها من مجموعة كلمات هي تشكل عنوان تلك الشركة أو المؤسّسة. مثلاً يرمز للمؤسّسة التجاريّة الإيرانيّة العالمية، بلفظة «متاع»، لتكون الميم إشارة إلى المؤسّسة، والتاء إلى التجاريّة، والألف إلى الإيرانيّة، والعين إلى العالميّة.

فلا يقال في ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: إنّ الصاد اشارة إلى الصدق، والراء إلى الرأفة والألف كذا والطاء كذا... إن هذا إلّا تكلّف بارد!

ولا ريب أنّ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ جملة برأسها تفيد معناها الخاصّ، من غير إرادة معاني أخر مُرْمَزاً إليها بحروف كلماتها... اللّهمّ إلّا إذا أريد التمحّل في الكلام! أو هناك من حاول التشويه في وجه التفسير، ولا غرابة بعد أن لمسنا يداً إسرائيليّة (حديث كعب الأحبار الآنف) لعبت هذا الدور!!

ويزيد الأمر شناعة نسبة ذلك إلى رسول الله ﷺ حسبما عرفت. كما لا غرو بعد ذلك في نسبته إلى شيخ العترة أبي عبدالله الصادق عليه السلام! نسبه إليه الظاهريّون من أهل الحديث ومن تبعهم من أرباب التأويل في الكلام.

[٣٤٨/١] روى الكليني بإسناده عن أحمدبن محمّد بن الخالد البرقي[٢] عن القاسم بن يحيى[٣] عن جدّه الحسن بن راشد[٤] عن عبدالله بن سنان، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن تفسير ﴿بِسْمِ اللَّهِ

---

(١) الموضوعات ١: ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

(٢) كان يكثر الرواية عن الضعفاء وكان يعتمد المراسيل. وقد طعن فيه القمّيّون.

(٣) ضعّفه أصحاب التراجم.

(٤) مولى بني العباس. استوزره كلّ من المهدي وموسى وهارون. وضعّفه أرباب التراجم.

الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾؟ قال: «الباء بهاء الله، والسين سناء الله، والميم مجد الله. قال الكليني: وروى بعضهم: الميم ملك الله. والله إلّه كلّ شيء. الرحمان بجميع خلقه، والرحيم بالمؤمنين خاصّة»(١).

قال المجلسي ـ في شرح الحديث ـ: الحديث ضعيف. واحتمل ـ على فرض الصحّة ـ أن يكون للحروف المفردة أوضاعاً ومعاني متعدّدة لا يعرفها إلّا حجج الله، وهذه إحدى جهات علومهم واستنباطهم من القرآن(٢).

والرواية بعينها رواها العيّاشي بنفس الإسناد والمحتوى تماماً(٣).

وهكذا الصدوق في كتابيه: «التوحيد» و«معاني الأخبار»(٤).

[٣٤٩/١] وأورده بسند آخر عن صفوان بن يحيى عمّن حدّثه عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه سئل عن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾؟ فقال: «الباء بهاء الله. والسين سناء الله. والميم ملك الله.

قال: قلت: الله؟ قال: الألف، آلاء الله على خلقه من النعيم بولايتنا. واللّام، إلزام الله خلقه ولايتنا. قلت: فالهاء؟ قال: هوانٌ لمن خالف محمّداً وآل محمدٍ ـ صلوات الله عليهم ـ. قال قلت: الرحمان؟ قال: بجميع العالم. قلت: الرحيم؟ قال: بالمؤمنين خاصّة»(٥).

قلت: ومواضع الوهن في بعض هذه التعاليل ظاهرة، الأمر الذي ينبو عن كونه صادراً عن مقام العصمة! فضلاً عن انقطاع السند.

[٣٥٠/١] وروى عليّ بن إبراهيم القمّي عن أبيه عن جماعة كلّهم مجاهيل سوى أبي طالب عبدالله بن الصلت عن عليّ بن يحيى (مجهول) عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام. قال: سألته عن تفسير ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾؟ فقال: «الباء، بهاء الله. والسين، سناء الله. والميم، ملك الله. والله إلّه كلّ شيء. والرحمان بجميع خلقه، والرحيم بالمؤمنين خاصّة»(٦).

[٣٥١/١] وقال أبو عبدالرحمان السُّلَمي صاحب التفسير: وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إن صحّ هذا: «الباء، بهاؤه. والسين، سناؤه. والميم، مجده».

---

(١) الكافي ١: ١/١١٤، باب معاني الأسماء واشتقاقها. (٢) مرآة العقول ٢: ٣٧.

(٣) العيّاشي ١: ٣٦/ ١٨ و١٩.

(٤) التوحيد: ٢/٢٣٠، باب ٣١ (معنى البسملة)؛ معاني الأخبار: ١/٣، نفس الباب.

(٥) التوحيد: ٣/٢٣٠؛ معاني الأخبار: ٢/٣. (٦) القمّي ١: ٢٨.

وكان تعليقه بقوله «إن صحّ هذا» ممّا يُنبئ عن ترديده في صحّة النسبة.

[١/٣٥٢] ثمّ قال: سمعت منصور بن عبدالله يقول: سمعت أبا القاسم الإسكندراني يقول: سمعت أبا جعفر المَلَطي يذكر عن عليّ بن موسى الرضا عن أبيه عن جعفر بن محمّد عليه السلام قال: «بسم» الباء بقاؤه، والسين أسماؤه، والميم ملكه. فإيمان المؤمن ذكره ببقائه وخدمة المريد ذكره بأسمائه. والعارف فناه عن المملكة بالمالك لها. وقال أيضاً: «بسم» ثلاثة أحرف: باء وسين وميم، فالباء باب النبوّة، والسين سرّ النبوّة الذي أسرّ النبيّ صلى الله عليه وآله به إلى خواصّ أمّته، والميم مملكة الدين الذي أنعم به للأبيض والأسود[١].

قلت: وليته تنظّر في صحّة مثل هذه النسبة إلى أئمة أهل البيت أيضاً كما تنظّر في صحّة نسبتها إلى جدّهم الرسول صلى الله عليه وآله. فإنّ الراوي عن الإمام الرضا عليه السلام هو أبو جعفر المَلَطي، وقد وصم أصحاب التراجم المَلَطيّين بأجمعهم بالكذب على الأكابر. وكان عبد الغنيّ بن سعيد الحافظ المصري يقول: ليس في الملطيين ثقة[٢].

والأسلم طريقةً ماسلكه أرباب الذوق السليم، من اعتبار ذلك من قبيل تداعي المعاني عند تذكار هذه الحروف بذكر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾، من غير إرادة تفسير أو تأويل أو تحميل.

قال الإمام القُشَيري: «وقوم، عند ذكر هذه الآية، يتذكّرون من الباء برّه بأوليائه، ومن السين سرّه مع أصفيائه، ومن الميم منّته على أهل ولايته. فيعلمون أنّهم ببرّه عرفوا سرّه، وبمنّته عليهم حفظوا أمره، وبه سبحانه وتعالى عرفوا قدره.

وقوم، عند سماع ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ تذكّروا بالباء براءة الله سبحانه وتعالى من كلّ سوء، وبالسين سلامته سبحانه عن كلّ عيب، وبالميم مجده سبحانه بعزّ وصفه.

وآخرون يذكرون عند الباء بهاءه، وعند السين سناءه، وعند الميم ملكه»[٣].

وهي طريقة سليمة ليس فيها تحميل على القرآن ولا تأويل باطل لآياته الكريمة. وإنّما هو خطور ذهني محض عند تذكّر هذه الحروف، الأمر الذي لا مشاحّة فيه.

---

(١) تفسير السُلَمي ١: ٢٥ـ٢٦.

(٢) راجع: الأنساب للسمعاني ٥: ٣٧٩ـ٣٨٠.

(٣) لطائف الإشارات ١: ٥٦.

في الإجهار بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾

[١ / ٣٥٣] أخرج البزّار والدارقطني والبيهقي في شعب الإيمان من طريق أبي الطفيل قال: سمعت عليّ بن أبي طالب وعمّاراً يقولان: «إنّ رسول الله ﷺ كان يجهر في المكتوبات بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ في فاتحة الكتاب»(١).

[١ / ٣٥٤] وأخرج الدارقطني عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يجهر بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾(٢).

[١ / ٣٥٥] وأخرج عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ «أمَّني جبرئيل ﷺ عند الكعبة، فجهر بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾»(٣).

[١ / ٣٥٦] وأخرج عن عليّ بن أبي طالب ﷺ قال «كان النبيّ ﷺ يجهر بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ في السورتين جميعا»(٤).

[١ / ٣٥٧] وأخرج الدارقطني والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يجهر بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ في الصلاة. وزاد البيهقي: فترك الناس ذلك(٥).

[١ / ٣٥٨] وأخرج الدارقطني عن عبدالله بن عمر قال: صلّيت خلف النبيّ ﷺ، وأبي بكر، وعمر فكانوا يجهرون بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾(٦).

[١ / ٣٥٩] وأخرج الطبراني والدارقطني والبيهقي في شعب الإيمان، من طريق أبي الطفيل، والحاكم عن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يجهر بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾(٧).

[١ / ٣٦٠] وأخرج الثعلبي عن عليّ بن زيد بن جدعان أن العبادلة كانوا يستفتحون القراءة

---

(١) الدرّ ١: ٢١ ـ ٢٢؛ الدار قطني ٢: ٣٧؛ الشعب ٢: ٤٣٦ / ٢٣٢٢، باب ١٩ (في تعظيم القرآن)؛ كنزالعمّال ٨: ١١٦ / ٢٢١٦٧.

(٢) الدرّ ١: ٢٢؛ الدار قطني ١: ٣٠٨، باب وجوب قراءة بسم الله الرحمان الرحيم.

(٣) الدرّ ١: ٢٢؛ الدار قطني ١: ٣٠٧.

(٤) الدرّ ١: ٢٢؛ الدار قطني ١: ٣٠٢؛ وكنزالعمّال ٨: ١١٦ / ٢٢١٦٤.

(٥) الدرّ ١: ٢٢؛ الدار قطني ١: ٣٠٦، باب وجوب قراءة بسم الله الرحمان الرحيم؛ الحاكم ١: ٢٠٨؛ البيهقي ٢: ٤٧، جماع أبواب صفة الصلاة، باب افتتاح القراءة في الصلاة ببسم الله الرحمان الرحيم، ورواه ابن كثير (١: ١٨) عن ابن عبّاس.

(٦) الدرّ ١: ٢٢؛ الدار قطني ١: ٣٠٤.

(٧) الدرّ ١: ٢٢؛ الأوسط ١: ١٥، عن ابن عباس؛ الدارقطني ١: ٣٠٧؛ الشعب ٢: ٤٣٦ / ٢٣٢٢، في رواية جابر بن أبي الطفيل عن عليّ وعمار؛ الحاكم ١: ٢٣٣.

بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ يجهرون بها. عبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير[(١)].

[٣٦١/١] وأخرج الشيخ أبوالفتوح الرازي في تفسيره بالإسناد إلى الرضا عن أبيه عن الصادق عليه‌السلام قال: «اجتمع آل محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله على الجهر بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾.[(٢)] وعلى قضاء مافات من الصلاة في الليل بالنهار، وعلى قضاء مافات في النهار بالليل. وعلى أن يقولوا في أصحاب النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله أحسن قول»[(٣)].

[٣٦٢/١] وروى علي بن إبراهيم بإسناده إلى ابن أذينة، قال: قال أبو عبدالله عليه‌السلام: « ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ أحق ما جهر به وهي الآية التي قال الله عزّوجلّ: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً﴾[(٤)]».[(٥)]

[٣٦٣/١] وروى الصدوق بإسناده إلى الأعمش عن جعفر بن محمّد عليه‌السلام أنّه قال: «والإجهار بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ في الصلاة واجب»[(٦)].

[٣٦٤/١] وروى بإسناده إلى الفضل بن شاذان فيما كتبه الرضا عليه‌السلام للمأمون في بيان محض الإسلام، جاء فيه: «والإجهار بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ في جميع الصلوات سنّة»[(٧)].

[٣٦٥/١] وعن الرضا عليه‌السلام أنّه كان يجهر بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ في جميع صلواته بالليل والنهار[(٨)].

[٣٦٦/١] وروى الكليني عن محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد عن الحسين بن سعيد عن القاسم بن محمّد عن صفوان الجمال قال: صلّيت خلف أبي عبدالله عليه‌السلام أيّاماً فكان إذا كانت صلاة لايجهر فيها جهر بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾، وكان يجهر في السورتين جميعاً[(٩)].

[٣٦٧/١] وروى العيّاشي بإسناده إلى خالد بن المختار، قال: سمعت جعفر بن محمّد عليه‌السلام يقول:

---

(١) الدرّ ١: ٢١؛ الثعلبي ١: ١٠٦، وزاد فيه: «وعبدالله بن صفوان»؛ أبو الفتوح ١: ٤٩.

(٢) و هكذا ذكر البيهقي في الخلافيّات: أنّه اجتمع آل الرسول على الجهر بالبسملة (نيل الأوطار، الشوكاني ٢: ٢٠٠).

(٣) أبوالفتوح ١: ٥٠، وعنه النوري في المستدرك ٤: ١٨٩/٤٤٥٦.

(٤) الإسراء ١٧: ٤٦. (٥) القمّي ١: ٢٨.

(٦) الخصال: ٦٠٤/٩، باب الواحد إلى المائة.

(٧) العيون ١: ١٣١/١، باب ٣٥ (ماكتبه الرّضا عليه‌السلام في محض الإسلام وشرائع الدّين).

(٨) المصدر ٢: ١٩٦/٥، باب ٤٤ (في ذكر أخلاقه ووصف عبادته).

(٩) الكافي ٣: ٣١٥/٢٠، كتاب الصلاة، باب قراءة القرآن. و رواه الشيخ في الصحيح عن صفوان (التهذيب ٢: ٦٨/٢٤٦).

«ما لهم عمدوا إلى أعظم آية في كتاب الله فزعموا أنها بدعة إذا أظهروها، وهي ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾»(١).

[١ / ٣٦٨] وبإسناده إلى أبي حمزة، عن أبي جعفر ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ يجهر بـ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ ويرفع صوته بها، فإذا سمعها المشركون ولّوا مدبرين، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً﴾»(٢).

[١ / ٣٦٩] وأخرج الدارقطني عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «علّمني جبرئيل الصلاة فقام فكبّر لنا، ثمّ قرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ فيما يجهر به في كلّ ركعة»(٣).

[١ / ٣٧٠] وأخرج عن الحكم بن عمير وكان بدريّاً قال: صلّيت خلف النبيّ ﷺ فجهر في الصلاة بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ في صلاة الليل، وصلاة الغداة، وصلاة الجمعة(٤).

ما ورد من الإسرار بالبسملة أو تركها

وهي أحاديث غريبة ومعارضة بالأصحّ الأقوى والأشهر، فضلاً عن نكارة فيها سوف ننبّه عليها:

[١ / ٣٧١] أخرج البيهقي عن الزهري قال: من سُنّة الصلاة أن تقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ وإنّ أوّل من أسرّ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ عمرو بن سعيد بن العاص بالمدينة، وكان رجلاً حييا(٥).

[١ / ٣٧٢] وأخرج الطبراني عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يُسرّ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ وأبوبكر، وعمر(٦).

[١ / ٣٧٣] وأخرج ابن أبي شيبة والترمذي والنسائي وابن ماجة والبيهقي عن ابن عبد الله ابن مغفل قال: سمعني أبي وأنا أقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ فقال: أي بُنيّ محدث؟ إيّاك والحدث، قال: صلّيت خلف رسول الله ﷺ وأبي بكر، وعمر، وعثمان، فلم أسمع أحداً منهم جهر

(١) العيّاشي ١: ٣٦/ ١٦.
(٢) المصدر ١: ٣٤/ ٦. والآية من سورة الإسراء ١٧: ٤٧.
(٣) الدرّ ١: ٢٠ ـ ٢١؛ الدار قطني ١: ٣٠٥.
(٤) الدرّ ١: ٢٢ ـ ٢٣؛ الدار قطني ١: ٣٠٨.
(٥) الدرّ ١: ٢١؛ البيهقي ٢: ٥٠، للرواية صدرٌ بلفظ: «... وكان يقول أوّل من قرأ بسم الله الرحمان الرحيم سرّاً بالمدينة عمرو بن سعيد...».
(٦) الدرّ ١: ٢٩؛ الكبير ١: ٢٥٥ ـ ٢٥٦/ ٧٣٩، فصل ممّا أسند أنس بن مالك؛ مجمع الزوائد ٢: ١٠٨، كتاب الصلاة، باب في بسم الله الرحمان الرحيم.

بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾. وفي لفظ الترمذي: لم أسمع أحداً منهم يقولها، فلا تقلها، إذا أنت صلّيت فقل: الحمد لله ربّ العالمين[١].

[١ / ٣٧٤]وروي عن أنس قال: صلّيت خلف النبيّ ﷺ وخلف أبي بكر وعمر، فلم أسمع أحداً منهم يجهر بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾[٢].

* * *

[١ / ٣٧٥]وأخرج الطبراني من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا قرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ هزأ منه المشركون وقالوا: محمّد يذكر إله اليمامة، وكان مسيلمة يتسمّى الرحمان. فلمّا نزلت هذه الآية أمر رسول الله ﷺ أن لا يُجهر بها[٣].

قلت: لا شكّ أنّه حديث مفترى؛ إذ كانت العرب تعرف الرحمان وانّه ربّ العالمين. ﴿وَقَالُوا لَوْ شَآءَ الرَّحْمَانُ مَا عَبَدْنَاهُم﴾[٤]. ﴿قَالُوا مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَ مَآ أَنزَلَ الرَّحْمَانُ مِن شَيْءٍ﴾[٥]. وقد خاطبهم الله سبحانه بهذا الوصف في أكثر من خمسين موضعاً في القرآن! فكيف يا تُرى أنكروا وصفه تعالى بهذا الوصف، وزعم أنّه مستعار من وصف صاحب اليمامة؟!

على أنّ البسملة هي أولى آية نزلت بمكّة وكان النبيّ يجهر بها علانيةً في صلواته وتلاوة القرآن ليله ونهاره. ولم تظهر دعوة كذّاب اليمامة إلّا قبيل سنة عشر من الهجرة[٦]، نعم، الكذوب تخونه ذاكرته.

وأمّا قولهم: ﴿وَمَا الرَّحْمَانُ ...﴾[٧] فهو كقول فرعون: ﴿وَ مَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٨]... استهزاء بموضع النبيّ ﷺ في دعوته إلى عبادة الله إلٰهاً واحداً لا شريك له، ولذلك أتوا بـ«ما» بدل «مَنْ»! وقالوا:

---

(١) الدرّ ١: ٢٩؛ المصنّف ١: ٤٤٧ / ١؛ الترمذي ١: ١٥٤ ـ ١٥٥ / ٢٤٤، أبواب الصلاة، باب ١٨٠ (ما جاء في ترك الجهر ببسم الله ...)، بلفظ: عن ابن عبدالله بن مغفل قال: سمعني أبي وأنا في الصلاة أقول «بسم الله الرحمان الرحيم» فقال لي: أي بنيّ محدث؟ إيّاك والحدث! قال: ولم أر أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ كان أبغض اليه الحدث في الإسلام، يعني منه. وقال: وقد صلّيت مع النبيّ ﷺ ومع أبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحداً منهم يقولها، فلا تقلها إذا أنت صليت، فقل «الحمد لله ربّ العالمين» ...؛ النسائي ١: ٣١٥ ـ ٣١٦ / ٩٨٠؛ ابن ماجة ١: ٢٦٧ ـ ٢٦٨؛ البيهقي ٢: ٥٢.

(٢) القرطبي ١: ٩٦؛ المصنّف ١: ٤٤٨ / ١٧، باب ١٩٣؛ كنزالعمّال ٨: ١١٨ / ٢٢١٧٤.

(٣) الدرّ ١: ٢٩؛ الأوسط ٥: ٨٩؛ مجمع الزوائد ٢: ١٠٨.

(٤) الزخرف ٤٣: ٢٠.

(٥) يس ٣٦: ١٥.

(٦) راجع: سيرة ابن هشام ٤: ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

(٧) الفرقان ٢٥: ٦٠.

(٨) الشعراء ٢٦: ٢٣.

﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾؟ وليس فيه أيّ إشارة إلى كذّاب اليمامة؟

قال أبو جعفر الطبري: وقد زعم بعض أهل الغباء أنّ العرب كانت لا تعرف «الرحمان» ولم يكن ذلك في لغتها، ولذلك قال المشركون للنبيّ ﷺ: ﴿وَمَا الرَّحْمَانُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ إنكاراً منهم لهذا الاسم! كأنّه كان محالاً عنده أن ينكر أهل الشرك ما كانوا عالمين بصحّته، أو كأنّه لم يتل من كتاب الله قول الله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ ـ يعنى محمّداً ـ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ وهم مع ذلك به مكذّبون ولنبوّته جاحدون. فيعلم بذلك أنّهم قد كانوا يدافعون حقيقة ما قد ثبت عندهم صحّته واستحكمت لديهم معرفته. وقد أنشد لبعض الجاهليّة الجهلاء:

ألا ضربت تلك الفتاة هجينها ألا قضب الرحمان ربّي يمينها

وقال سلامة بن جندل الطهوي:

عجلتم علينا عُجَيْلتنا عليكم وما يشأ الرحمان يعقد ويطلق(١)

[١/٣٧٦] وهكذا أخرج أبو داوود في مراسيله عن سعيد بن جبير قال: كان رسول الله ﷺ يجهر بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ بمكة، وكان أهل مكة يدعون مسيلمة: الرحمان. فقالوا: إنّ محمّداً يدعو إلى إله اليمامة، فأمر رسول الله ﷺ بإخفائها، فما جهر بها حتّى مات(٢).

[١/٣٧٧] وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن عباس قال: الجهر بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ قراءة الأعراب!(٣)

[١/٣٧٨] وأخرج ابن أبي شيبة عن إبراهيم [النخعي] قال: جهر الإمام بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ بدعة(٤).

كما نستغرب ما أخرجه أبو جعفر النحاس في معاني القرآن وابن جرير الطبري في التفسير بالإسناد إلى عطاء الخراساني، قال: كان «الرحمان». فلمّا اختزل «الرحمان» من اسمه تعالى صار ﴿الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾!(٥)

---

(١) الطبري ١: ٨٧ ـ ٨٨.

(٢) الدرّ ١: ٢٩؛ المراسيل: ٨٩/٣٤، باب ٩ (ما جاء في الجهر ببسم الله).

(٣) الدرّ ١: ٢٩؛ المصنّف ١: ٤٤٨؛ كنزالعمّال ٨: ١١٩/٢٢١٨١؛ مجمع الزوائد ٢/١٠٨.

(٤) الدرّ ١: ٢٩ ـ ٣٠؛ المصنّف ١: ٤٤٨/١١، كتاب الصلاة، باب ١٩٣ (من كان يجهر ببسم الله ...).

(٥) معاني القرآن ١: ٥٣ ـ ٥٤؛ الطبري ١: ٨٧/١٢٤.

إذ قد عرفت أنّ مسيلمة إنّما تسمّى بالرحمان في أخريات عهد الرسالة في المدينة. وقد نزلت ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾، منذ بدء الرسالة، على مشرّفها آلاف التحيّة والثناء.

* * *

والأغرب ما زعمه البعض من عدم نزول البسملة آية في القرآن، لا في مفتتح السور ولا غيرها سوى سورة النمل. أو أنّ النبيّ ﷺ لم يكتبها حتّى نزلت سورة النمل.

والأعجب قولهم: إنّه ﷺ كان يكتب في أوائل السور شعار الجاهليّة: «باسمك اللّهمّ» بدل شعار الإسلام: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾!

قالوا: كان رسول الله ﷺ يكتب في بدء الأمر على رسم قريش: «باسمك اللّهمّ» حتّى نزلت: ﴿وَ قَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا﴾[1]، فكتب: «باسم الله». حتّى نزلت: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَانَ﴾[2]، فكتب: «باسم الله الرحمان». حتّى نزلت: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾[3]، فكتب مثلها[4].

يالها من سفاسف لا يقبلها عقل سليم!!

[١ / ٣٧٩] وذكر القرطبي ـ ناسباً له إلى الشعبي والأعمش (وحاشاهما) ـ: أنّ رسول الله ﷺ كان يكتب «باسمك اللّهمّ»، حتّى أمر أن يكتب «بسم الله» فكتبها. فلمّا نزلت: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَانَ﴾، كتب «بسم الله الرحمان». فلمّا نزلت: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ كتبها.

[١ / ٣٨٠] قال: وفي مصنّف أبي داوود: قال الشعبي وأبو مالك وقتادة وثابت بن عمارة: إنّ النبيّ ﷺ لم يكتب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ حتّى نزلت سورة النمل[5].

[١ / ٣٨١] قال: وقال الحسن أيضاً: لم تنزل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ في شيء من القرآن إلّا في «طس»: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾[6].

والعمدة: أنّها مراسيل لا موضع لاعتبارها!

---

(١) هود ١١: ٤١.

(٢) الإسراء ١٧: ١١٠.

(٣) النمل ٢٧: ٣٠.

(٤) راجع: البغوي ١: ٧٣/٢٨؛ عبدالرزّاق ٢: ٤٧٧/٢١٥٨.

(٥) القرطبي ١: ٩٢؛ وراجع: سنن أبي داوود ١: ١٨٢ ذيل الحديث رقم ٧٨٧.

(٦) القرطبي ١: ٩٥.

[١/ ٣٨٢] وروى مسلم عن أنس، قال: صلّيت خلف النبيّ ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، فكانوا يفتتحون بـ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، لا يذكرون ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾، لا في أول قراءة ولا في آخرها.

[١/ ٣٨٣] وعنه أيضاً: لم أسمع أحداً منهم يقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾[١]. وجاء في الهامش: معناه: أنّهم كانوا يُسرّون بالبسملة كما يُسرّون بالتعوّذ. وهو المعنيّ بقوله: فكانوا يستفتحون بالحمد لله؛ والدليل على هذا التأويل رواية أنس أيضاً، قال: صلّيت خلف النبيّ ﷺ وخلف أبي بكر وعمر، فلم أسمع أحداً منهم: يجهر بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾[٢].

في كتابة البسملة

[١/ ٣٨٤] روى ثقة الإسلام أبو جعفر محمّد بن يعقوب الكليني بإسناده إلى سيف بن هارون مولى آل جعدة، قال: قال أبو عبدالله جعفر بن محمّد الصادق ؑ: اكتب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ من أجود كتابك، ولا تمدّ الباء حتّى ترفع السين[٣].

قال المحقق الفيض الكاشاني: يعني: لا تمدّ الباء إلى الميم ـ كما وقع التصريح به في حديث الإمام أميرالمؤمنين ؑ. ورفع السين: تضريسه[٤].

وقال الفاضل الأسترآبادي: استحباب رفع السين قبل مدّ الباء، يُحتمل اختصاصه بالخطّ الكوفي[٥].

[١/ ٣٨٥] أخرج الختلي[٦] في مسند عليّ ؑ عن سعيد بن أبي سكينة، قال: بلغني أنّ عليّ بن أبي طالب ؑ نظر إلى رجل يكتب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾، فقال: جوّدها، فإنّ رجلاً جوّدها فغفر له[٧].

---

(١) المصدر، وراجع: مسلم ٢: ١٢؛ ابن كثير ١: ١٨، رواه عن أنس في الصحيحين؛ كنزالعمّال ٨: ١١٨/ ٢٢١٧٥.

(٢) القرطبي ١: ٩٦.

(٣) الكافي ٢: ٦٧٢/ ٢.

(٤) الوافي ٥: ٩-٧/ ٢٩٢٠، باب ١٠٧.

(٥) مرآة العقول ١٢: ٥٨٠.

(٦) هو: أحمد بن محمد بن أبي شحمة الختلي. روى عن أبي سالم الروّاس عن أبي حفص العبدي عن أبان عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من كتب بسم الله الرحمان الرحيم، فحسّنها غفر له». ذكره الخطيب في تاريخه (٥: ٢٣٥ ـ ٢٣٦، ٢٦٩٥). قال: ولم أر من أحمد بن محمّد الختلي سوى هذا الحديث.

(٧) كنزالعمّال ١٠: ٣١١/ ٢٩٥٥٨، أدب الكتابة؛ القرطبي ١: ٩١.

[١ / ٣٨٦] وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: «تنوّق رجل في ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ فغفر له»[١].

[١ / ٣٨٧] وأخرج أبو نعيم في تاريخ أصبهان وابن أشته في المصاحف عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله «من كتب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ مجوّدة تعظيما لله غفر الله له»[٢].

[١ / ٣٨٨] وأخرج ابن أبي داوود السجستاني عن وكيع عن عليّ بن المبارك عن أبي حُكَيْمة العبدي، قال: «كنت أكتب المصاحف بالكوفة فيمرّ علينا عليٌّ عليه السلام فيقوم فينظر فيعجبه خطّنا ويقول: هكذا نوّروا ما نوّر الله».

[١ / ٣٨٩] وعنه أيضاً قال: قال عليٌّ عليه السلام: «اجْلُ قلمك، فقططت منه ثمّ كتبت وهو قائم، فقال: نوّره كما نوّره الله عزّ وجلّ»[٣].

قوله: «اجْلُ قَلَمَكَ» من الجلاء وهو الوضوح والظهور، يقال: جلا الأَمْرَ جلاءً أي كشفه وأوضحه. وجلا السيف: صقله.

[١ / ٣٩٠] وهو المعنيّ بقوله عليه السلام: «الخطّ علامة، فكلّ ما كان أبين كان أحسن»[٤].

[١ / ٣٩١] وروى أبو عبيد القاسم بن سلام بإسناده إلى عبدالله بن سليمان العبدي عن أبي حُكَيمة العبدي قال: كنت أكتب المصاحف، فبينا أنا أكتب مصحفاً إذ مرّ بي عليّ عليه السلام فقام ينظر إلى كتابي فقال: «أجْلِل قلمك»، قال: فقَصَمْت من قلمي قَصْمة، ثمّ جعلت أكتب، فقال: «نعم هكذا نوّره كما نوّره الله عزّ وجلّ»[٥].

والإجلال: رفع العيب، كناية عن الاستواء في الكتابة بلا نقص ولا عيب.

[١ / ٣٩٢] وعن عوانة بن الحكم قال: قال عليٌّ عليه السلام لكاتبه: «أطل جَلْفة قلمك، وأسمنها، وأيمن قطّتك، وأسمعني طنين النون، وحوّر الحاء، وأسمن الصاد، وعرّج العين، واشقق الكاف، وعظّم الفاء، ورتّل اللّام، وأسلس الباء والتّاء والثّاء، وأقم الزّاي، وعَلِّ ذنبها. واجعل قلمك خلف أذنك، يكون أذكر لك»[٦].

---

(١) الدرّ ١: ٢٧؛ الشعب ٢: ٥٤٦ / ٢٦٦٧، باب في تعظيم القرآن؛ كنزالعمّال ٢: ٢٩٦ / ٤٠٤٥.

(٢) الدرّ ١: ٢٧. وذكر أخبار إصبهان ٢: ٣١٣ وفيه: «فجوده» بدل قوله «مجودة».

(٣) المصاحف: ١٣٠ ـ ١٣١.

(٤) كنزالعمّال ١٠: ٣١٢ / ٢٩٥٦٢، أدب الكتابة.

(٥) فضائل القرآن: ٢٤٣ ـ ٢٤٤، باب ٦٦.

(٦) كنزالعمّال ١٠: ٣١٣ / ٢٩٥٦٤.

[٣٩٣/١] وأيضاً قال لكاتبه عُبيدالله بن أبي رافع: «ألِق دواتك. وأطل شقّ قلمك ـ وافرِجْ بين السطور وقرمط بين الحروف»[١].

[٣٩٤/١] وروى الديلمي: أنّ رسول الله ﷺ قال لبعض كتّابه: «ألِقِ الدواة، وحرّف القلم، وانصب الباء، وفرّق السين. ولا تغوّر الميم، وحَسِّن «الله»، ومُدَّ «الرحمان»، وجَوِّد «الرحيم» وضَعْ قلمك على أذنك اليسرى، فإنّه أذكر لك»[٢].

[٣٩٥/١] وأخرج الخطيب في الجامع عن الزهري قال: نهى رسول الله ﷺ أن تمدّ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾[٣] أي تمدّ الباء إلى الميم من غير تضريس السين بينهما كما في الحديث الآتي.

[٣٩٦/١] أخرج السلفي في جزء له عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «لا تمدّ الباء إلى الميم حتّى ترفع السين»[٤].

[٣٩٧/١] وأخرج الديلمي في مسند الفردوس وابن عساكر في تاريخ دمشق عن زيد بن ثابت قال: «قال رسول الله ﷺ: إذا كَتَبْتَ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ فَبَيِّنِ السين فيه»[٥].

[٣٩٨/١] وأخرج الخطيب وابن أشته في المصاحف عن محمّد بن سيرين: أنّه كان يكره أن يمدّ الباء إلى الميم حتّى يكتب السين[٦].

[٣٩٩/١] وأخرج الخطيب عن مطر الورّاق قال: كان معاوية بن أبي سفيان كاتب رسول الله ﷺ فأُمره أن يجمع بين حروف الباء والسين، ثمّ يمدّه إلى الميم، ثمّ يجمع حروف الله، الرحمان، الرحيم، ولا يمدّ شيئاً من أسماء الله في كتابه، ولا قراءته[٧].

[٤٠٠/١] وفي تفسير البغوي: كان عمر بن عبدالعزيز يقول لكتّابه: طوّلوا الباء وأظهروا السين وفرّجوا بينهما ودوِّروا الميم تعظيماً لكتاب الله ﷻ[٨].

[٤٠١/١] وأخرج ابن سعد في طبقاته عن جويريّة بنت أسماء أنّ عمر بن عبدالعزيز عزل كاتبا

---

(١) المصدر / ٢٩٥٦٣.

(٢) المصدر: ٢٩٥٦٦/٣١٤، وراجع: منية المريد للشهيد السعيد زين الدين العاملي: ٢٠٣ ـ ٢٠٤، الخامس عشر من آداب الكتابة؛ الفردوس بمأثور الخطاب ٥: ٨٥٣٣/٣٩٤.

(٣) الدرّ ١: ٢٧؛ الجامع ١: ٥٥٣/٤١١.

(٤) الدرّ ١: ٢٧.

(٥) الدرّ ١: ٢٨؛ فردوس الأخبار ١: ١٠٩٦/٣٤٤؛ ابن عساكر ١٦: ١٨٥٩/٦.

(٦) الدرّ ١: ٢٧؛ الجامع ١: ٤٠٨ ـ ٥٥٠/٤٠٩.

(٧) الدرّ ١: ٢٨؛ الجامع ١: ٤١٢ ـ ٥٥٥/٤١٣.

(٨) البغوي ١: ٧٠؛ أبو الفتوح ١: ٥٢.

له في هذا كتب (بسم) ولم يجعل السين[١]. أي لم يضرّس السين ومدّ الباء إلى الميم.

[٤٠٢/١] وأخرج أبو عبيد عن عمران بن عون أنّ عمر بن عبد العزيز ضرب كاتباً كتب الميم قبل السين[٢]. فقيل له: فيم ضربك أمير المؤمنين؟ فقال: في سين[٣].

[٤٠٣/١] وأخرج أبو عبيد عن ابن عون أنّه كتب لابن سيرين: (بسم)[٤] فقال: مه... اكتب سينا. اتّقوا أن يأثم أحدكم وهو لا يشعر[٥].

[٤٠٤/١] وأخرج ابن سعد عن محمّد بن سيرين أنّه كان يكره أن يكتب الباء، ثمّ يمدّها إلى الميم حتّى يكتب السين، ويقول فيه قولاً شديداً[٦].

[٤٠٥/١] وأخرج الخطيب عن معاذ بن معاذ قال: كتبت عند سوار ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ فمددت الباء ولم أكتب السين. فأمسك يدي وقال: كان محمّد والحسن يكرهان هذا[٧].

[٤٠٦/١] وأخرج الخطيب عن عبدالله بن صالح قال: كتبت ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ ورفعت الباء فطالت فأنكر ذلك الليث وكرهه وقال: غيّرت المعنى، يعني لأنها تصير لاماً[٨][٩].

[٤٠٧/١] وأخرج أبو عبيد عن مسلم بن يسار أنّه كان يكره أن يكتب (بسم) حين يبدأ فيسقط السين[١٠].

[٤٠٨/١] وأخرج الخطيب في الجامع و الديلمي عن أنس عن النبيّ ﷺ قال «إذا كتب أحدكم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ فليمدّ الرحمان»[١١].

* * *

وأوّل من تنوّق في كتابة المصحف وتجويد خطّها، هو خالد بن أبي الهياج، صاحب أمير

---

(١) الدرّ ١: ٢٨؛ الطبقات ٥: ٣٦٧، الطبقة الثالثة من أهل المدينة من التابعين (عمر بن عبدالعزيز).

(٢) أي قبل أن يضرّس السين قبل الميم.

(٣) الدرّ ١: ٢٨؛ فضائل القرآن: ١١٦/١٥ ـ ٣٢.

(٤) أي وصل الباء بالميم من غير فصل السين مضرّسةً.

(٥) الدرّ ١: ٢٨؛ فضائل القرآن: ١١٦/١٤ ـ ٣٢.

(٦) الدرّ ١: ٢٨؛ الطبقات ٧: ١٩٥، باب محمّد بن سيرين.

(٧) الدرّ ١: ٢٨؛ الجامع ١: ٤١٠/٥٥٢، وفيه: كان الحسن ومحمّد....

(٨) ذلك حيث لم ينقّط الخطّ حينذاك. فإذا رفعت ركزة الباء، حسبوها لاماً.

(٩) الدرّ ١: ٢٨؛ الجامع ١: ٤٠٧ ـ ٤٠٨/٥٤٨ وزاد: قال ابن حمدان: لأنّه يصير: لسم الله.

(١٠) الدرّ ١: ٢٨؛ فضائل القرآن: ١١٥/١٣ ـ ٣٢.

(١١) الدرّ ١: ٢٨؛ الجامع ١: ٤١٣ ـ ٤١٤/٥٥٦؛ الفردوس بمأثور الخطاب ١: ٢٩٦/١١٦٨.

المؤمنين عليه السلام (المتوفّى حدود سنة ١٠٠) وكان مشهوراً بجمال خطّه وإناقة ذوقه.

ويقال: إنّ سعداً ـ مولى الوليد وحاجبه ـ اختاره لكتابة المصاحف والشعر والأخبار للوليد ابن عبدالملك (٨٦ ـ ٩٦) فكان هو الذي خطّ قبلة المسجد النبويّ بالمدينة بالذهب من سورة الشمس إلى آخر القرآن. وكان قد جدّد بناءه وأوسعه عمر بن عبدالعزيز والياً على المدينة من قِبَل الوليد وبأمر منه وفرغ من بنائه سنة ٩٠[(١)].

وطلب إليه عمر بن عبد العزيز أن يكتب له مصحفاً على هذا المثال، فكتب له مصحفاً تنوّق فيه، فأقبل عمر يقلّبه ويستحسنه، ولكنّه استكثر من ثمنه فردّه عليه.

قال محمّد بن إسحاق ـ ابن النديم ـ: رأيت مصحفاً بخطّ خالد بن أبي الهياج، صاحب عليّ عليه السلام وكان في مجموعة خطوط أثريّة عند محمّد بن الحسين المعروف بابن أبي بعرة، ثمّ صار إلى أبي عبدالله ابن حاني ـ رحمه الله ـ[(٢)].

[١ / ٤٠٩] وروى ثقة الإسلام الكليني عن شيخه عليّ بن إبراهيم القمّي عن أبيه عن صفوان عن عبدالله بن مسكان عن محمّد بن الورّاق قال: عرضت على الإمام أبي عبدالله عليه السلام كتاباً فيه قرآن مختّم، معشّر بالذهب. وكتب في آخره سورة بالذهب، فأريته إيّاه، فلم يعب فيه شيئاً إلّا كتابة القرآن بالذهب وقال: «لا يُعجبني أن يكتب القرآن إلّا بالسّواد، كما كتب أوّل مرّة»[(٣)].

[١ / ٤١٠] لكن روى عليّ بن جعفر عن أخيه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال: «سألته عن الرجل هل يصلح له أن يكتب المصحف بالأحمر؟ قال: لا بأس»[(٤)].

* * *

[١ / ٤١١] روى الصدوق في جملة مناهي النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه نهى أن يُمحىٰ شيء من كتاب الله عزّ وجلّ بالبزاق أو يكتب منه[(٥)].

[١ / ٤١٢] وروى الكليني بإسناده إلى عبدالملك بن عتبة عن أبي الحسن عليه السلام قال: «سألته عن

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٣: ٣٠ و ٣٦.

(٢) الفهرست لابن النديم (الفن الأوّل من المقالة الأولى ص ٩ والفن الأوّل من المقالة الثانية ص ٤٦).

(٣) الكافي ٢: ٦٢٩ / ٨.

(٤) البحار ٨٩: ٣٤ / ٢، باب كتابة المصحف، عن كتاب قرب الإسناد: ٢٩٥.

(٥) الأمالي: ٥١٠ / ٧٠٧؛ البحار ٨٩: ٣٤ / ٣، باب كتابة المصحف.

القراطيس تجتمع، هل تُحرق بالنار وفيها شيء من ذكر الله؟ قال: لا، تُغْسَل بالماء أوّلاً قبلُ»[١].

[٤١٣/١] وبإسناده إلى عبدالله بن سنان قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «لا تحرقوا القراطيس، ولكن امحوها وحرّقوها»[٢].

[٤١٤/١] وبإسناده ـ من طريق علي بن إبراهيم القمّي ـ إلى زرارة، قال: «سئل أبو عبدالله عليه السلام عن الإسم من أسماء الله يمحوه الرجل بالتفل؟ قال: امحوه بأطهر ما تجدون»[٣].

[٤١٥/١] وأيضاً عن النوفلي عن السكوني عنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «امحوا كتاب الله وذكره بأطهر ما تجدون. ونهى أن يحرق كتاب الله، ونهى أن يمحى بالأقلام»[٤].

[٤١٦/١] وعن إسحاق بن عمّار عن أبي الحسن موسى عليه السلام في الظهور (أي الجلود) التي فيها ذكر الله عزّ وجلّ؟ قال: اغسلها[٥].

[٤١٧/١] وأخرج الخطيب في تالي التلخيص عن أنس مرفوعاً: «من رفع قرطاساً من الأرض فيه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ إجلالاً له أن يُداس، كُتب عندالله من الصدّيقين، وخُفّف عن والديه وإن كانا كافرين»[٦].

[٤١٨/١] وأخرج أبو داوود في مراسيله عن عمر بن عبد العزيز أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله مرّ على كتاب في الأرض فقال لفتى معه: «ما في هذا؟ قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ قال: لُعن من فعل هذا، لا تضعوا ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ إلّا في موضعه»[٧].

[٤١٩/١] وأخرج أبو عبيد وابن أبي شيبة في المصنّف عن مجاهد والشعبي أنّهما كرها أن يكتبَ الْجُنُبُ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾[٨].

---

(١) الكافي ٢: ٦٧٤/١، باب النهي عن إحراق القراطيس المكتوبة.

(٢) المصدر/ ٢. (٣) المصدر/ ٣.

(٤) المصدر/ ٤.

(٥) المصدر/ ٥، وراجع: شرح الأصول للمولى صالح المازندراني ١١: ١٣٩.

(٦) الدرّ ١: ٢٩؛ تالي تلخيص المتشابه ٢: ٤٥٨/ ٢٧٤؛ تاريخ بغداد ١٢: ٦٦٩١/٢٣٥.

(٧) الدرّ ١: ٢٩. المراسيل ١: ٤٩٩/٣٤٢.

(٨) الدرّ ١: ٢٧؛ فضائل القرآن: ١١٥/١٢ ـ ٣٢، باب ٣٢ (ذكر بسم الله وفضلها)؛ المصنّف ١: ٢٢٨، كتاب الطهارات، باب ٢٤٧.

تفسير سورة الحمد

تفسير ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

تبتدئ السورة بحمده تعالى، والحمد هو الثناء الجميل شكراً على جزيل الإنعام. ثُمَّ الوصف بربّ العالمين، كأنّه تعليل لطيف لاستحقاق ذلك الحمد الجامع والثناء الشامل. والرّبّ هو المالك الكافل لشؤون المربوبين وهم الخلائق أجمعون.

وهذه الربوبيّة الكافلة الشاملة، ناشئة من مقام رحمته تعالى الواسعة، وهي الرّحمانيّة العامّة. وعن عنايته البالغة بعباده المؤمنين، وهي الرحيميّة الخاصّة.

كما أنّها (الربوبيّة) تنتهي إلى مالكيّة الأمور بأسرها في يوم الجزاء.

وإذ كان الأمر كذلك، فأجدر به تعالى أن لا يُعبد سواه ولا يستعان بغيره. ثُمّ أولى أن لا تعرض الحوائج إلّا لديه، عزّ شأنه.

هذا إجمال التفسير، وإليك التفصيل على مسرح الروايات:

الحمد هو الثناء على جزيل الإنعام، وليكون شكراً على إفضاله تعالى. وليس الحمد نفس الشكر، بل الشكر غايته. فلو قلت: أحمد الله شكراً، فقد أثنيت على الله أداءً لواجب شكره. فهو من قبيل: ضربته تأديباً.

وذكر كثير من المفسّرين، وفي مقدّمتهم أبو جعفر الطبري، أنّ الحمد هو الشكر، أرادوا

الاتحاد مفهوماً. في حين أنّ الحمد إنّما يقع مصداقاً للشكر لا ذاته. واستدل الطبري على أنّهما بمعنىً، بصحّة قولك: الحمد لله شكراً[1]. بزعم أنه مصدر تأكيدي (مفعول مطلق)! في حين أنّه لبيان الغاية (مفعول له) كما في «ضربته تأديباً».

ومن ثَمَّ ردّ عليه ابن عطيّة بأنّه (أي المثال الذي مثّل به) في الحقيقة دليل على خلاف ما ذهب إليه، لأنّ قولك: «شكراً» إنّما خصّصت به الحمد، لأنّه على نعمةٍ من النعم[2]. أي خصّصت الحمد لغاية الشكر على النعمة! نعم كان الحمد أخصّ من الشكر مورداً، حيث الشكر أعم من أن يكون بالثناء أو بعمل يكون وفاءً بالأداء.

وهذا هو مراد من فسّر الحمد بالشكر، أي بالحمد يتحقّق الشكر لله على نعمائه.

[٤٢٠/١] قال ابن عطاء ـ فيما رواه أبو عبدالرحمان السُّلَمي ـ: معناه (أي الحمد لله): الشكر لله، إذ كان منه الامتنان على تعليمنا إيّاه حتّى حمدناه[3].

[٤٢١/١] قال السُّلَمي: وذُكر عن جعفر الصادقعليه السلام في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، فقال: «مَنْ حمده بجميع صفاته كما وصف نفسه فقد حمده. لأنّ الحمد، حاء وميم ودال. فالحاء من الوحدانيّة، والميم من الملك، والدّال من الدّيمومة. فمن عرفه بالوحدانيّة والملك والدّيمومة، فقد عرفه»[4].

وهذا من الرموز عند أهل الإشارة!

وإليك تفسير الحمد بالشكر على منصّة الروايات:

[٤٢٢/١] أخرج عبد الرزاق في المصنّف والحكيم الترمذي في نوادر الأصول والخطّابي في الغريب والبيهقي في الأدب والديلمي في مسند الفردوس والثعلبي عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن رسول اللهصلى الله عليه وآله أنّه قال: الحمد، رأسُ الشكر، فما شكرَ اللهَ عبدٌ لا يَحْمَدُه[5].

---

(١) قال: فقد صحّ تبادل أحدهما مكان الآخر، وذلك دليل على الاتحاد مفهوماً. الطبري ١: ٩١.

(٢) المحرّر الوجيز ١: ٦٦.

(٣) حقائق التفسير ١: ٣٣. وابن عطاء هذا هو واصل بن عطاء البصري شيخ المعتزلة والمؤسّس لمذهبهم، كانت له ولاء لآل بيت الرسولصلى الله عليه وآله له كتاب «معاني القرآن». توفي سنة ١٣١. وله ترجمة في أمالي المرتضى ١: ١٦٣ـ ١٦٩.

(٤) المصدر.

(٥) الدرّ ١: ٣٠؛ المصنّف ١٠: ٤٢٤/ ١٩٥٧٤؛ النوادر ٢: ٢٠٤؛ الأدب: ٢٩٣/ ٨٨٨؛ فردوس الأخبار ٢: ٢٤٨/ ٢٦٠٧؛ الثعلبي ١: ١٠٩؛ الشعب ٤: ٩٦ـ ٩٧/ ٤٣٩٥، باب تعديد نعم الله وشكرها؛ أبو الفتوح ١: ٦٣.

[١ / ٤٢٣] وأخرج الطبراني في الأوسط عن النوّاس بن سمعان قال: سُرقت ناقة رسول الله ﷺ فقال: «لئن ردّها الله لأشكرنّ ربّي، فوقعت في حيّ من أحياء العرب فيهم إمرأة مسلمة، فوقع في خلدها أن تهرب عليها، فرأت من القوم غفلة فقعدت عليها ثمّ حرّكتها فصبّحت بها المدينة. فلمّا رآها المسلمون فرحوا بها، ومشوا بمجيئها حتّى أتوا رسول الله ﷺ فلمّا رآها قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾! فانتظروا هل يحدث رسول الله ﷺ صوماً أو صلاة؟ فظنّوا أنه نسي، فقالوا: يا رسول الله قد كنت قلت: لئن ردّها الله لأشكرنّ ربّي. قال: ألم أقل ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؟»(١).

[١ / ٤٢٤] وأخرج ابن جرير والحاكم في تاريخ نيسابور والديلمي عن الحكم بن عمير وكانت له صحبة قال: قال رسول الله ﷺ «إذا قلت ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فقد شكرت الله فزادك»(٢).

[١ / ٤٢٥] وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ كلمة الشكر إذا قال العبد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ قال الله شكرني عبدي(٣).

[١ / ٤٢٦] وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «الحمد» هو الشكر والاستخذاء لله، والإقرار بنعمه، وهدايته، وابتدائه، وغير ذلك(٤).

[١ / ٤٢٧] وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: قال عمر: قد علمنا سبحان الله، ولا إله إلّا الله، فما الحمد؟ قال عليّ ﷺ: كلمة رضيها الله لنفسه، وأحبّ أن تقال(٥).

[١ / ٤٢٨] وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن كعب قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثناء على الله(٦).

---

(١) الدرّ ١: ٣٠؛ الأوسط ٢: ١٤؛ مجمع الزوائد ٤: ١٨٧.

(٢) الدرّ ١: ٣٠؛ الطبري ١: ٩٠ / ١٢٧؛ ابن كثير ١: ٢٤؛ كنزالعمّال ١: ٤٦٦ / ٢٠٣٠.

(٣) الدرّ ١: ٣٠؛ ابن أبي حاتم ١: ٢٦ / ٨؛ ابن كثير ١: ٢٤.

(٤) الدرّ ١: ٣٠؛ الطبري ١: ٩٠ / ١٢٦، بلفظ: حدّثنا محمّد بن العلاء قال حدّثنا عثمان بن سعيد قال حدّثنا بشر بن عمارة قال حدّثنا أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس قال قال جبريل لمحمّد قل يا محمّد الحمد لله. قال ابن عباس: الحمد لله هو الشكر والاستخذاء لله والإقرار بنعمته وهدايته وابتدائه وغير ذلك؛ ابن أبي حاتم ١: ٢٦ / ٩؛ ابن كثير ١: ٢٤.

(٥) الدرّ ١: ٣٠؛ ابن أبي حاتم ١: ٢٧ / ١٢؛ ابن كثير ١: ٢٤؛ كنزالعمّال ٢: ٢٥٤ / ٣٩٥٦.

(٦) الدرّ ١: ٣٠؛ الطبري ١: ٩٠ ـ ٩١ / ١٢٨، بلفظ: وقد قيل: إنّ قول القائل الحمد لله ثناء على الله بأسمائه وصفاته الحسنى وقوله الشكر لله ثناء عليه بنعمه وأياديه وقد روي عن كعب الأحبار أنّه قال: الحمد لله ثناء على الله ولم يبين في الرواية عنه من أي معنى الثناء الذي ذكرنا ذلك. حدّثنا يونس بن عبدالأعلى الصدفي قال أنبأنا ابن وهب قال حدّثني عمر بن محمّد عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه قال أخبرني السلولي عن كعب قال من قال الحمد لله فذلك ثناء على الله؛ ابن أبي حاتم ١: ٢٦ / ١٠؛ ابن كثير ١: ٢٣ ـ ٢٤.

[٤٢٩/١] وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال: الحمد، رداء الرحمان[(١)].

[٤٣٠/١] وأخرج ابن المنذر عن أبي عبدالرحمان الجبّائي قال: الصلاة شكر، والصيام شكر، وكلّ خير تفعله لله شكر، وأفضل الشكر، الحمد[(٢)].

يعني: أنّ الشكر تارة يكون بالعمل، وهو الصلاة والصيام لله شكراً على نعمائه. وأخرى يكون ذكراً، وهو قولك: الحمد لله....

[٤٣١/١] وأخرج الترمذي وحسّنه والنسائي وابن ماجه وابن حبّان والبيهقي في شعب الإيمان عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ «أفضل الذكر[(٣)] لا إله إلّا الله، وأفضل الدعاء[(٤)] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾»[(٥)].

[٤٣٢/١] وأخرج ابن ماجة والبيهقي بسند حسن عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «ما أنعم الله على عبده نعمة فقال ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلّا كان الذي أعطى أفضل ممّا أخذه»[(٦)].

[٤٣٣/١] وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد ينعم عليه بنعمة إلّا كان (الحمد) أفضل منها»[(٧)].

[٤٣٤/١] وأخرج عبدالرزاق والبيهقي في الشعب عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنعم الله على عبد نعمة يحمد الله عليها إلّا كان حمد الله أعظم منها، كائنة ما كانت»[(٨)].

[٤٣٥/١] وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أنّ الدنيا كلّها بحذافيرها في يد رجل من أمّتي، ثمّ قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، لكان الحمد أفضل من ذلك»[(٩)].

---

(١) الدرّ ١: ٣١؛ ابن أبي حاتم ١: ٢٦/ ١١؛ ابن كثير ١: ٢٤. (٢) الدرّ ١: ٣١؛ ابن كثير ٣: ٥٣٦.

(٣) شعب الإيمان: «الدعاء» بدل «الذكر». (٤) شعب الإيمان: «الذكر» بدل «الدعاء».

(٥) الدرّ ١: ٣١؛ الترمذي ٥: ١٣٠/ ٣٤٤٣، باب ٩؛ النسائي ٦: ٢٠٨/ ١٠٦٦٧؛ ابن ماجة ٢: ١٢٤٩/ ٣٨٠٠؛ ابن حبّان ٣: ١٢٦، باب ٨ (الأذكار)؛ الشعب ٤: ٩٠/ ٤٣٧١؛ الآداب للبيهقي: ٢٩٣/ ٨٨٨؛ كنزالعمّال ١: ٤١٤/ ٥؛ الحاكم ١: ٤٩٨ و ٥٠٣، كتاب الدعا؛ ابن كثير ١: ٢٤ ـ ٢٥.

(٦) الدرّ ١: ٣١؛ ابن ماجة ٢: ١٢٥٠/ ٣٨٠٥؛ الشعب ٤: ٩٩/ ٤٤٠٦، باب تعديد نعم الله ﷻ وشكرها؛ ابن كثير ١: ٢٥؛ والشكر لله لابن أبي الدنيا: ١٢٢/ ١٠؛ القرطبي ١: ١٣١. (٧) الدرّ ١: ٣١؛ الشعب ٤: ٩٨/ ٤٤٠٤.

(٨) الدرّ ١: ٣١؛ المصنّف لعبد الرزّاق ١٠: ٤٢٤/ ١٩٥٧٥، كتاب الجامع، باب التريد؛ الشعب ٤: ٩٨/ ٤٤٠٥، باب تعديد نعم الله؛ كنزالعمّال ٣: ٢٦٣/ ٦٤٦٧؛ القرطبي ١: ١٣١ وفيه: «قال الحسن: ما من نعمة إلّا والحمد لله أفضل منها»؛ ابن كثير ١: ٢٥، عن أنس. (٩) الدرّ ١: ٣١؛ النوادر ٢: ٢٦٧؛ القرطبي ١: ١٣١؛ ابن كثير ١: ٢٥.

[١/٤٣٦] وأخرج أحمد ومسلم والنسائي عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان و﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ تملأ الميزان، وسبحان الله تملأما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجّة لك أو عليك، كلّ الناس يغدو، فبائع نفسه، فمعتقها أو موبقها»[١].

[١/٤٣٧] وأخرج سعيد بن منصور وأحمد والترمذي وحسّنه وابن مردويه عن رجل من بني سليم أنّ رسول الله ﷺ قال: «سبحان الله نصف الميزان، و﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ تملأ الميزان، والله أكبر يملأ ما بين السماء والأرض، والطهور نصف الميزان، والصوم نصف الصبر»[٢].

[١/٤٣٨] وأخرج الترمذي عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «التسبيح نصف الميزان، والحمد لله تملأه، ولا إله إلّا الله ليس لها دون الله حجاب حتّى تخلص إليه»[٣].

[١/٤٣٩] وأخرج أحمد والبخاري في الأدب المفرد والنسائي والحاكم وصحّحه وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان عن الأسود بن سريع التميمي قال: «قلت: يا رسول الله ألا أنشدك محامد حمدت بها ربي تبارك وتعالى قال: أما إنّ ربّك يحبّ الحمد»[٤].

[١/٤٤٠] وأخرج ابن جرير عن الأسود بن سريع أنّ النبيّ ﷺ قال: «ليس شيء أحبّ إلى الله من قول القائل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾. وكذلك أثنى به على نفسه»[٥].

[١/٤٤١] وأخرج البيهقي عن أنس عن رسول الله ﷺ قال: «التأنّي من الله، والعجلة من الشيطان، وما شيء أكثر معاذير من الله، وما شيء أحبّ إلى الله من الحمد»[٦].

[١/٤٤٢] وأخرج ابن شاهين في السنّة والديلمي من طريق أبان عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «التوحيد ثمن الجنة، و﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثمن كلّ نعمة، ويتقاسمون الجنة بأعمالهم»[٧].

---

(١) مسند أحمد ٥: ٣٤٢؛ مسلم ١: ١٤٠؛ النسائي ٢: ٥/٢٢١٧؛ الدرّ ١: ٣١، نسبه إلى أبي موسى الأشعري.

(٢) الدرّ ١: ٣١؛ مسند أحمد ٤: ٢٦٠؛ الترمذي ٥: ١٩٧/٣٥٨٥، أبواب الدعوات باب ٩٢؛ كنزالعمّال ١: ٤٦٤/٢٠١٨.

(٣) الدرّ ١: ٣١؛ الترمذي ٥: ١٩٧/٣٥٨٤، أبواب الدعوات باب ٩٢؛ كنزالعمّال ١: ٤٦٢/٢٠٠١.

(٤) الدرّ ١: ٣٢؛ مسند أحمد ٣: ٤٣٥؛ الأدب المفرد: ٨٠/٣٤٢، باب من مدح في الشعر؛ النسائي ٤: ٤١٦/٧٧٤٥؛ الحاكم ٣: ٦١٤؛ الحلية ١: ٢٧٠/٩٠٨، باب ١٢٩؛ الشعب ٤: ٨٩/٤٣٦٦؛ مجمع الزوائد ١٠/ ٩٥؛ كنزالعمّال ٣: ٨٥٥/٨٩٤٧.

(٥) أبو الفتوح ١: ٦٤؛ الدرّ ١: ٣٢؛ الطبري ١: ٩١/١٢٩.

(٦) الدرّ ١: ٣٢؛ الشعب ٤: ٨٩/٤٣٦٧؛ مجمع الزوائد ٨: ١٩؛ كنزالعمّال ٣: ١٣٢/٥٨٢٣.

(٧) الدرّ ١: ٣٢؛ الفردوس بمأثور الخطاب ٢: ٧٤/٢٤١٥.

[١ / ٤٤٣] وأخرج الخطيب في تالي التلخيص من طريق ثابت عن أنس مرفوعاً: «التوحيد ثمن الجنة، والحمد وفاء شكر كلّ نعمة»(١).

[١ / ٤٤٤] وأخرج أبو داوود والنسائي وابن ماجة وابن حبّان والبيهقي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كلّ أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع»(٢).

[١ / ٤٤٥] وأخرج البخاري في الأدب المفرد عن ابن عباس قال: إذا عطس أحدكم فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، قال الملك: ربّ العالمين. فإذا قال: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قال الملك: يرحمك الله(٣).

[١ / ٤٤٦] وأخرج البخاري في الأدب وابن السنيّ وأبو نعيم كلاهما في الطبّ النبوي عن عليّ ابن أبي طالب ﷺ قال: «من قال عند كلّ عطسة سمعها ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على كلّ حال ما كان، لم يجد وجع الضرس والأذن أبداً»(٤).

[١ / ٤٤٧] وأخرج الحكيم الترمذي عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: «من بادر العاطس بالحمد لم يضرّه شيء من داء البطن»(٥).

[١ / ٤٤٨] وأخرج الحكيم الترمذي عن موسى بن طلحة قال: أوحى الله إلى سليمان: إن عطس عاطس من وراء سبعة أبحر فاذكرني(٦).

[١ / ٤٤٩] وأخرج البيهقي عن علي ﷺ قال: «بعث رسول الله ﷺ سريّة من أهله فقال: اللّهمّ لك عليّ إن رددتهم سالمين أن أشكرك حق شكرك. فما لبثوا أن جاؤا سالمين، فقال رسول الله ﷺ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على سابغ نعم الله. فقلت: يا رسول الله ألم تقل: إن ردّهم الله أن أشكره حقّ شكره؟ فقال: أو لم أفعل؟»(٧).

[١ / ٤٥٠] وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر وابن مردويه والبيهقي من طريق سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن أبيه عن جدّه قال: «بعث رسول الله ﷺ بعثاً من الأنصار وقال: إن

---

(١) الدرّ ١: ٣٢.

(٢) الدرّ ١: ٣٢؛ النسائي ٦: ١٢٧ / ١٠٣٢٨؛ ابن ماجة ١: ٦١٠ / ١٨٩٤؛ ابن حبّان ١: ١٧٣؛ البيهقي في الشعب ٤: ٩٠ / ٤٣٧٢؛ الكبرى ٣: ٢٠٨ ـ ٢٠٩؛ كنزالعمّال ١: ٥٥٨ / ٢٥٠٩.

(٣) الدرّ ١: ٣٢؛ الأدب المفرد: ١٩٦ / ٩٢٠، باب ما يقول إذا عطس؛ كنزالعمّال ٩: ٢٢٧ / ٢٥٧٦٩.

(٤) الدرّ ١: ٣٢؛ الأدب المفرد: ١٩٨ / ٩٢٦؛ كنزالعمّال ٩: ٢٢٣ / ٢٥٨٠٠.

(٥) الدرّ ١: ٣٢؛ نوادر الأصول ٢: ٨١.

(٦) الدرّ ١: ٣٢؛ نوادر الأصول ٢: ٨٢.

(٧) الدرّ ١: ٣٢ ـ ٣٣؛ الشعب ٤: ٩٥ / ٤٣٩٠؛ كنزالعمّال ٣: ٧٣٦ / ٨٦١٥.

سلّمهم الله وأغنمهم فإنّ لله عليّ في ذلك شكراً. فلم يلبثوا أن غنموا وسلموا فقال بعض أصحابه: سمعناك تقول: إن سلّمهم الله وأغنمهم فإن لله عليّ في ذلك شكراً؟! قال: قد فعلت! قلت: اللّهمّ شكراً، ولك المنّ فضلاً»[1].

[٤٥١/١] وأخرج أبو نعيم في الحلية والبيهقي عن جعفر بن محمّد ﷺ قال: «فَقَدَ أبي بغلته فقال: لئن ردّها الله عليّ لأحمدنّه بمحامد يرضاها. فما لبث أن أتي بها بسرجها ولجامها، فركبها فلمّا استوى عليها رفع رأسه إلى السماء فقال ﴿الْحَمْدُ لله﴾، لم يزد عليها؛ فقيل له في ذلك... فقال: وهل تركت شيئاً أو أبقيت شيئاً؟ جعلت الحمد كلّه لله ﷻ»[2].

[٤٥٢/١] وأخرج البيهقي من طريق منصور عن إبراهيم قال: يقال: إنّ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أكثر الكلام تضعيفاً[3]. أي مضاعفة ومبالغة في الثناء على الله ﷻ.

[٤٥٣/١] وأخرج أبو الشيخ والبيهقي عن محمّد بن حرب قال: قال سفيان الثوري: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ذكر وشكر، وليس شيء يكون ذكراً وشكراً غيره[4].

[٤٥٤/١] وأخرج ابن أبي الدنيا وأبو نعيم في الحلية عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: إنّ العبد إذا قال: سبحان الله فهي صلاة الخلائق، وإذا قال ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فهي كلمة الشكر التي لم يشكر الله عبد قطّ حتّى يقولها؛ وإذا قال لا إله إلّا الله فهي كلمة الإخلاص التي لم يقبل الله من عبد قطّ عملاً حتّى يقولها، وإذا قال: الله أكبر ملأ ما بين السماء والأرض، وإذا قال: لا حول ولا قوّة إلا بالله، قال الله: أسلم واستسلم[5].

[٤٥٥/١] وروى ابن ماجة عن ابن عمر أنّ رسول الله ﷺ حدّثهم: «أن عبداً من عباد الله قال: يا ربّ لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك. فعَضلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها. فصعدا إلى السماء وقالا: يا ربّنا إنّ عبدك قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها؟ قال الله ﷻ ـ وهو أعلم بما قال عبده ـ: ماذا قال عبدي؟ قالا يا ربّ إنّه قد قال: يا رب لك الحمد كما ينبغي

---

(١) الدرّ ١: ٣٣؛ الشكر لله: ١٠٤/١١٣؛ الشعب ٤: ٩٥ ـ ٤٣٩١/٩٦؛ مجمع الزوائد ٤: ١٨٥.

(٢) الدرّ ١: ٣٣؛ الحلية ٣: ١٨٦؛ الشعب ٤: ٤٣٩٢/٩٦. (٣) الدرّ ١: ٣٣؛ الشعب ٤: ٤٣٩٣/٩٦.

(٤) الدرّ ١: ٣٣؛ الشعب ٤: ١١٠ ـ ٤٤٥٧/١١١.

(٥) الدرّ ١: ٣٣؛ الحلية ٩: ١٧؛ المصنّف لعبد الرزّاق ١١: ٢٠٥٧٩/٢٩٥.

بجلال وجهك وعظيم سلطانك، فقال الله لهما: اكتباها كما قال عبدي حتّى يلقاني فأجزيه بها»[(١)].

[١/ ٤٥٦] وروي عن ابن عبّاس أنّه قال: الحمد لله كلمة كلّ شاكر، وإنّ آدم عليه السلام قال حين عطس: الحمد لله[(٢)].

[١/ ٤٥٧] وروى أبو محمّد عبدالغني بن سعيد الحافظ من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «إذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ قال صدق عبدي، الحمد لي»[(٣)].

[١/ ٤٥٨] وروى مسلم عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ الله يرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشّربة فيحمده عليها»[(٤)].

* * *

[١/ ٤٥٩] روى محمّد بن يعقوب، عن عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن بعض أصحابنا، عن محمّد بن هشام، عن ميسر عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «شكر النعمة اجتناب المحارم وتمام الشكر قول الرجل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾»[(٥)].

[١/ ٤٦٠] وروى الصدوق بإسناده إلى عليّ بن الحسين عليه السلام قال: «ومن قال الحمد لله فقد أدّى شكر كلّ نعمة لله تعالى»[(٦)].

[١/ ٤٦١] وروى الكليني بإسناده إلى صفوان الجمّال عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال لي: «ما أنعم الله على عبد بنعمة صَغُرت أو كَبُرت فقال: الحمد لله، إلّا أدّى شكرها»[(٧)].

[١/ ٤٦٢] وبإسناده إلى حمّاد بن عثمان قال: خرج أبو عبدالله عليه السلام من المسجد وقد ضاعت دابّته، فقال: «لئن ردّها الله عليَّ لأشكرنّ الله حقّ شكره قال: فما لبث أن أتي بها، فقال: الحمد لله. فقال له قائل: جعلت فداك أليس قلت: لأشكرنّ الله حقّ شكره؟ فقال أبو عبدالله: ألم تسمعني قلت: الحمد لله؟»[(٨)].

---

(١) ابن ماجة ٢: ١٢٤٩/ ٣٨٠١، كتاب الأدب، باب ٥٥ (فضل الحامدين)؛ ابن كثير ١: ٢٥؛ القرطبي ١: ١٣٢؛ كنزالعمّال ٢: ٥١٢٧/٧٠١.

(٢) القرطبي ١: ١٣٤؛ ابن كثير ١: ٢٤.

(٣) القرطبي ١: ١٣١.

(٤) مسلم ٨: ٨٧؛ القرطبي ١: ١٣١.

(٥) الكافي ٢: ٩٥/ ١٠.

(٦) الخصال: ٢٩٩/ ٧٢، باب الخمسة، للرواية صدرٌ؛ جامع الأخبار: ٣٥٠/ ٩٦٨ ـ ٦، فصل الخامس والثمانون.

(٧) الكافي ٢: ٩٦/ ١٤؛ نور الثقلين ١: ١٥/ ٥٨.

(٨) الكافي ٢: ٩٧/ ١٨؛ نور الثقلين ١: ١٥/ ٥٩.

[٤٦٣/١] وروى عليّ بن عيسى الأربلي بالإسناد إلى الإمام الصادق عليه السلام قال: «فُقِدَ لأبي بغلة، فقال: لئن ردّها الله عليَّ لأحمدنّه بمحامد يرضاها، فما لبث أن أُتي بها بسرجها ولجامها، فلمّا استوى عليها وضمّ إليه ثيابه، رفع رأسه إلى السماء وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، ولم يزد، ثمّ قال: ما تركت ولا أبقيت شيئاً، جعلت جميع أنواع المحامد لله عزّ وجلّ، فما من حمد إلّا وهو داخل فيما قلت».

قال عليّ بن عيسى: صدق وبرّ عليه السلام فإنّ الألف واللام في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، يستغرق الجنس وتفرّده تعالى بالحمد(١).

[٤٦٤/١] وروى الصدوق بإسناده إلى محمّد بن القاسم الأسترآبادي يرفعه إلى الإمام أبي محمّد الحسن العسكري عن أبيه عن جدّه عليهم السلام، قال: جاء رجل إلى الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، فقال له: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ما تفسيره؟

قال: «الحمد لله، هو أن عرّف عباده بعض نعمه عليهم جُمَلاً، إذ لا يقدرون على معرفة جميعها بالتفصيل، لأنّها أكثر من أن تُحصىٰ أو تعرف. فقال لهم: قولوا: الحمد لله، على ما أنعم به علينا ربّ العالمين. وهم الجماعات من كلّ مخلوق من الجمادات والحيوانات ...»(٢).

[٤٦٥/١] وروى الصدوق في حديث آخر: «إذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله: حمدني عبدي. وعلم أنّ النعم التي له من عندي، وأنّ البلايا التي دفعت عنه، بتطوّلي. أشهدكم أنّي أضيف له إلى نعم الدّنيا نعم الآخرة، وأدفع عنه بلايا الآخرة كما دفعت عنه بلايا الدّنيا»(٣).

[٤٦٦/١] وروى الصدوق في الفقيه فيما ذكره الفضل بن شاذان من العلل عن الرضا عليه السلام أنّه قال: «أُمر الناس بالقراءة في الصلاة لئلّا يكون القرآن مهجوراً مضيّعاً وليكون محفوظاً مدروساً فلا يضمحلّ ولا يُجهل. وإنّما بدأ بالحمد دون سائر السور لأنّه ليس شيء من القرآن والكلام جمع فيه من جوامع الخير والحكمة ما جُمع في سورة الحمد، وذلك أنّ قوله عزّ وجلّ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إنّما هو أداء لما أوجب الله عزّ وجلّ على خلقه من الشكر، وشكر لما وفّق عبده من الخير.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ توحيد و تحميد له وإقرار بأنّه هو الخالق المالك لا غيره.

---

(١) كشف الغمّة ٢: ٣٢٩؛ البرهان ١: ٢/١١٠.

(٢) العيون ١: ٣٠/٢٥٥، باب ٢٨ (فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المتفرّقة). وراجع: تفسير الإمام: ١١/٣٠.

(٣) العيون ١: ٥٩/٢٦٩، باب ٢٨.

﴿الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ استعطاف وذكر لآلائه ونعمائه على جميع خلقه.

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، إقرار له بالبعث والحساب والمجازاة وإيجاب ملك الآخرة له كإيجاب ملك الدنيا.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ رغبة وتقرّب إلى الله تعالى ذكره وإخلاص له بالعمل دون غيره.

﴿وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ استزادة من توفيقه وعبادته واستدامة لما أنعم عليه ونصره.

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ استرشاد لدينه واعتصام بحبله واستزادة في المعرفة لربّه ﷻ وكبريائه وعظمته.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ توكيد في السؤال والرغبة وذكر لما قد تقدّم من نعمه على أوليائه ورغبة في مثل تلك النعم.

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ استعاذة من أن يكون من المعاندين الكافرين المستخفّين به وبأمره ونهيه.

﴿وَ لَا الضَّآلِّينَ﴾ اعتصام من أن يكون من الذين ضلّوا عن سبيله من غير معرفة وهم يحسبون أنّهم يُحسنون صنعاً.

فقد اجتمع فيها من جوامع الخير والحكمة من أمر الآخرة والدّنيا ما لا يجمعه شيء من الأشياء...»(١).

[٤٦٧/١] وروى الصدوق كلام الرضا عليه السلام في التوحيد، وفيه: «وربٌّ إذ لا مربوب» وفيه عن عليّ عليه السلام مثله(٢).

[٤٦٨/١] وبإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أصبح قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ كثيراً على كلّ حال ثلاثمئة وستين مرّة، وإذا أمسى قال مثل ذلك»(٣).

[٤٦٩/١] وروى الكليني بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: «من قال أربع مرّات إذا أصبح: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فقد أدّى شكر يومه، ومن قالها إذا أمسى فقد أدّى شكر ليلته»(٤).

---

(١) الفقيه ١: ٣١٠/٩٢٦، أبواب الصلاة، أحكام القراءة؛ البرهان ١: ١١٧ـ١١٨/١٩.

(٢) التوحيد: ٥٦ـ٥٧/١٤، للرواية صدرٌ؛ نور الثقلين ١: ١٦/٦٩.

(٣) الكافي ٢: ٥٠٣/٤؛ نور الثقلين ١: ١٥/٦٤.

(٤) الكافي ٢: ٥٠٣/٥؛ نور الثقلين ١: ١٥/٦٣.

[١ / ٤٧٠] وروى الصدوق بإسناده إلى الإمام أبي عبدالله الصادق عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع من كنّ فيه، كان في نور الله الأعظم: من كانت عصمة أمره شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّي رسول الله. ومن إذا أصابته مصيبةٌ قال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّـآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾. ومن إذا أصاب خيراً قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. ومن إذا أصاب خطيئةً قال: أستغفر الله وأتوب إليه»[١].

[١ / ٤٧١] وروى العيّاشي بإسناده إلى محمّد بن مسلم عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام في حديث قال: «﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، دعوى أهل الجنّة حين شكروا لله حسن الثواب ...»[٢].

تفسير ﴿الْعَالَمِينَ﴾

قد مرّ أنّهم صنوف الناس، ولا يصحّ تفسيره بالعوالم. وقد اضطربت الروايات في تفسيره.

[١ / ٤٧٢] فممّا جاء تفسيره بصنوف الناس ما أورده الراغب في مفرداته عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال: «عُني به الناس، وجعل كلّ واحد منهم عالَماً. وقال: العالَم عالَمان، الكبير وهو الفلك بما فيه. والصغير وهو الإنسان»[٣].

[١ / ٤٧٣] وذكر الشيخ أبو الفتوح الرازي عن أبي معاذ، قال: هم بنو آدم.

[١ / ٤٧٤] وهكذا ذُكِرَ عن الحسين بن الفضل: أنّهم: الناس. لقوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[٤].

وجاء تفسيره بالجنّ والإنس أي العقلاء من الخلق. وفي بعض التفاسير: يشمل الملائكة والشياطين. وبعضهم عمّه لذوات الأرواح ليشمل البهائم والحيوانات أيضاً.

[١ / ٤٧٥] روى الطبري عن محمّد بن سنان القزّاز قال: حدّثنا أبو عاصم عن شبيب عن عكرمة عن ابن عبّاس أنّه قال: ربّ العالمين: الجنّ والإنس[٥].

[١ / ٤٧٦] وعن أحمد بن عبدالرحيم البرقي قال: حدّثني ابن أبي مريم عن ابن لهيعة عن

---

(١) الخصال: ٢٢٢ / ٤٩، باب الأربعة. (٢) العيّاشي ١: ٣٦ / ١٧؛ البحار ٨٩: ٢٣٨ / ٤٠.

(٣) المفردات: ٣٤٥.

(٤) أبوالفتوح ١: ٧٧؛ القرطبي ١: ١٣٨. والآية من سورة الشعراء ٢٦: ١٦٥.

(٥) الطبري ١: ٩٥ / ١٣٢ وبعده: القرطبي ١: ١٣٨؛ البغوي ١: ٧٤؛ ابن كثير ١: ٢٥؛ أبو الفتوح ١: ٧٢؛ الحاكم ٢: ٢٥٨ رواه عن سعيد ابن جبير عن ابن عبّاس.

عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: ابن آدم والجنّ والإنس كلّ أمّة منهم عالم على حدّته(١).

[١ / ٤٧٧] وقال حدّثنا أحمد بن إسحاق بن عيسى الأهوازي قال: حدّثنا أبو أحمد الزبيري قال: حدّثنا قيس عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: الجنّ والإنس(٢).

[١ / ٤٧٨] وأخرج الفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وصحّحه من طرق عن ابن عباس في قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: الجنّ والإنس(٣).

[١ / ٤٧٩] وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد في قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: الجنّ والإنس.

وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير مثله(٤).

[١ / ٤٨٠] وقال الفرّاء وأبو عبيدة: العالم عبارة عمّن يعقل وهم أربعة أُمم: الإنس والجنّ والملائكة والشياطين.

قال ابن كثير: قال الفرّاء وأبو عبيد: العالم عبارة عمّا يعقل وهم الإنس والجنّ والملائكة والشياطين ولا يقال للبهائم عالم. وهكذا قال أبو الفتوح الرازي(٥).

[١ / ٤٨١] وقال زيد بن أسلم: هم المرتزقون(٦).

[١ / ٤٨٢] ونحوه قول أبي عمرو بن العلاءِ: هم الروحانيّون(٧).

[١ / ٤٨٣] وعن زيد بن أسلم وأبي محيصن: العالم، كلّ ماله روح ترفرف(٨).

---

(١) الطبري ١: ٩٥ / ١٣٤.

(٢) الطبري ١: ٩٥ / ١٣٣؛ ابن كثير ١: ٢٥؛ أبو الفتوح ١: ٧٢.

(٣) الدرّ ١: ٣٣؛ الطبري ١: ٩٥ / ١٣٢. وهكذا نقله برقم ١٣٨ عن ابن جُرَيج؛ ابن أبي حاتم ١: ٢٨ / ١٨، وروي عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام بإسناد لا يعتمد عليه مثله؛ البغوي ١: ٧٤؛ ابن كثير ١: ٢٥؛ أبو الفتوح ١: ٧٢.

(٤) الدرّ ١: ٣٣ ـ ٣٤؛ الطبري ١: ٩٥ / ١٣٥ عن مجاهد، و ١٣٣، عن سعيد بن جبير؛ ابن أبي حاتم ١: ٢٨ / ١٨، عن مجاهد.

(٥) القرطبي ١: ١٣٨؛ ابن كثير ١: ٢٥؛ البغوي ١: ٧٤. عن أبي عبيدة؛ أبو الفتوح ١: ٧٢ ـ ٧٣.

(٦) القرطبي ١: ١٣٨؛ أبو الفتوح ١: ٧٣. عن عبدالرحمان بن زيد بن أسلم.

(٧) القرطبي ١: ١٣٨.

(٨) ابن كثير ١: ٢٥.

[١/ ٤٨٤] وعن ابن عبّاس: كلّ ذي روح دبّ على وجه الأرض[١].

وهناك قول بأنّه صنوف الخلائق ممّا سوى الله. وعليه فالفرق بينه وبين العالم اعتباريّ. إذ لو لوحظ ما سوى الله جملةً واحدةً، فيطلق عليه اسم العالم. وأمّا إذا لوحظت صنوفاً وأنواعاً في أشكال وألوان، فكلّ صنف عالم والجميع عوالم وعالمون. غير أنّه يتّحد حينئذٍ مع العوالم، في حين عدم إمكان التبادل بينهما كما نبّهنا سابقاً.

وإليك ما جاء من الروايات بهذا المعنى:

[١/ ٤٨٥] أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عبّاس في قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: إله الخلق كلّه. السّماوات كلّهنّ ومن فيهنّ، والأرضون كلّهنّ ومن فيهنّ ومن بينهنّ ممّا يُعلم وممّا لا يُعلم[٢].

[١/ ٤٨٦] وأخرج ابن جُريج عن قتادة في قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: كلّ صنف عالم[٣].

[١/ ٤٨٧] وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي العالية في قوله ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: الإنس عالم، والجنّ عالم، وما سوى ذلك ثمانية عشر ألف عالم من الملائكة. وللأرض أربع زوايا في كلّ زاوية ثلاثة آلاف عالم وخمسمائة عالم خلقهم لعبادته[٤].

[١/ ٤٨٨] وقال الحافظ ابن عساكر في ترجمة مروان بن محمّد الأموي أنّه قال: خلق الله سبعة عشر ألف عالم. أهل السماوات وأهل الأرض عالم واحد وسائرهم لا يعلمهم إلّا الله ﷻ[٥].

[١/ ٤٨٩] وعن أبي سعيد الخُدري: إنّ لله أربعين ألف عالم، الدنيا من شرقها إلى غربها عالم واحد[٦].

[١/ ٤٩٠] وأخرج أبو الشيخ وأبو نعيم في الحلية عن وهب قال: إنّ لله ﷻ ثمانية عشر ألف

---

(١) القرطبي ١: ١٣٨؛ أبو الفتوح ١: ٧٣.

(٢) الطبري ١: ٩٤ ـ ٩٥/ ١٣٠ و ١٣١؛ ابن أبي حاتم ١: ٢٧/ ١٤؛ الدرّ ١: ٣٤؛ ابن كثير ١: ٢٥.

(٣) الدرّ ١: ٣٤؛ الطبري ١: ٩٥/ ١٣٦؛ البغوي ١: ٧٤، وفيه: قال قتادة ومجاهد والحسن: «جميع المخلوقين»؛ وابن كثير ١: ٢٥؛ ومجمع البيان ١: ٥٦، وفيه: «وقيل إنه اسم لكلّ صنف من الأصناف وأهل كلّ قرن من كلّ صنف يسمّى عالماً ولذلك جمع فقيل عالمون لعالم كلّ زمان وهذا قول أكثر المفسّرين كابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة».

(٤) الدرّ ١: ٣٤؛ الطبري ١: ٩٥/ ١٣٧؛ ابن أبي حاتم ١: ٢٧/ ١٥؛ القرطبي ١: ١٣٨؛ ابن كثير ١: ٣٥.

(٥) ابن عساكر ٥٧: ١٧٨/ ٧٢٨٤، باب ذكر من اسمه المخلّص؛ ابن كثير ١: ٢٥.

(٦) القرطبي ١: ١٣٨؛ ابن كثير ١: ٢٦؛ أبو الفتوح ١: ٧٤.

عالم، الدنيا منها عالم واحد، وما العمران منها في الخراب إلّا كفسطاط في صحراء[١].

[١ / ٤٩١] وعن كعب الأحبار: ولا يحصي عدد العالمين أحد إلّا الله قال: ﴿وَ مَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[٢].

[١ / ٤٩٢] وعن سعيد بن المسيب: لله ألف عالم ستمائة في البحر وأربعمائة في البرّ[٣].

[١ / ٤٩٣] وقال مقاتل: العالمون ثمانون ألف عالَم، أربعون ألف عالم في البرّ وأربعون ألف عالم في البحر[٤].

[١ / ٤٩٤] وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن سُبيع الحميري قال: العالمون ألف أمّة. فستمائة في البحر، وأربعمائة في البرّ[٥].

[١ / ٤٩٥] وأخرج الثعلبي من طريق شهر بن حوشب عن أبيّ بن كعب قال: العالمون الملائكة وهم ثمانية عشر ألف ملك، منهم أربعمائة وخمسمائة ملك بالمشرق، ومثلها بالمغرب، ومثلها بالكتف الثالث من الدنيا، ومثلها بالكتف الرابع من الدنيا، مع كلّ ملك من الأعوان ما لا يعلم عددهم إلّا الله[٦].

[١ / ٤٩٦] وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول وأبو يعلى في مسنده وابن عديّ في الكامل وأبو الشيخ في العظمة والبيهقي في شعب الإيمان والخطيب في التاريخ عن جابر بن عبدالله قال: قلّ الجراد في سنة من سنيّ خلافة عمر بن الخطاب، فسأل عنه فلم يخبر بشيء، فاغتمّ لذلك فأرسل راكباً يضرب إلى كداء (اليمن)، وآخر إلى الشام، وآخر إلى العراق، يسأل هل رؤي من الجراد شيء أو لا؟ فأتاه الراكب الذي من قبل اليمن بقبضة من جراد، فألقاها بين يديه. فلما رآها كبّر ثمّ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خلق الله ألف أمّة. ستّمائة في البحر، وأربعمائة في البرّ،

(١) الدرّ ١: ٣٤؛ العظمة ٤: ١٤٣٤/ ٩٤٦ ـ ٩؛ الحلية ٤: ٧٠؛ البغوي ١: ٧٤؛ القرطبي ١: ١٣٨؛ ابن كثير ١: ٢٦؛ أبو الفتوح ١: ٧٤.

(٢) البغوي ١: ٧٤؛ ابن كثير ١: ٢٦؛ أبو الفتوح ١: ٧٤. والآية من سورة المدّثر ٧٤: ٣١.

(٣) البغوي ١: ٧٤؛ ابن كثير ١: ٢٦؛ أبو الفتوح ١: ٧٣.

(٤) القرطبي ١: ١٣٨؛ البغوي ١: ٧٤؛ ابن كثير ١: ٢٦؛ أبو الفتوح ١: ٧٤.

(٥) الدرّ ١: ٣٤؛ ابن أبي حاتم ١: ٢٧/ ١٦؛ العظمة ٤: ١٤٣٣ ـ ١٤٣٤/ ٩٤٥ ـ ٨؛ القرطبي ١: ١٣٨؛ ابن كثير ١: ٢٥؛ أبو الفتوح ١: ٧٣ عن سعيد بن المسيب.

(٦) الدرّ ١: ٣٤؛ الثعلبي ١: ١١١، وفيه: (الكهف) بدل (الكتف)؛ أبو الفتوح ١: ٧٢، كما في تفسير الثعلبي.

فأوّل شيء يهلك من هذه الأمم الجراد. فإذا أهلكت تتابعت مثل النظام إذا قطع سلكه»(١).

[١ / ٤٩٧] وروى عليّ بن إبراهيم بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام «في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ قال: الشكر لله وفي قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: خالق المخلوقين»(٢).

[١ / ٤٩٨] وتقدّم في حديث الرضا عليه السلام في تفسير ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فيما رواه محمّد بن القاسم الأستر آبادي بالإسناد إلى الإمام العسكريّ عن أبيه عن جدّه. قال: « ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وهم الجماعات من كلّ مخلوق من الجمادات والحيوانات ...»(٣).

[١ / ٤٩٩] وروى الصدوق بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل وفيه: «لعلّك ترى أنّ الله إنّما خلق هذا العالم الواحد وترى أنّ الله لم يخلق غيركم: بلى والله لقد خلق ألف ألف عالم، وألف ألف آدم، أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين»(٤).

[١ / ٥٠٠] وبإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال في حديث طويل: «علم عالم المدينة (يعني: نفسه الكريمة) ينتهي إلى حيث لا يقفو الأثر، ويزجر الطير، ويعلم ما في اللحظة الواحدة مسيرة الشمس تقطع اثني عشر برجاً واثني عشر برّاً واثني عشر بحراً واثني عشر عالماً»(٥).

[١ / ٥٠١] وبإسناده إلى العبّاد بن عبدالخالق عمّن حدّثه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ لله عزّ وجلّ اثني عشر ألف عالَم. كلّ عالَم منهم أكبر من سبع سماوات وسبع أرضين، ما يرى عالَمٌ منهم أنّ لله عزّ وجلّ عالَماً غيرهم»(٦).

[١ / ٥٠٢] وروى الصفّار بإسناده إلى عبيدالله الدهقان عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سمعته يقول: «إنّ لله خلف هذا النطاق زبرجدة خضراء، منها اخضرّت السماء.

---

(١) الدرّ ١: ٣٤؛ النوادر ٢: ١٢ ـ ١٣؛ الكامل ٥: ٣٥٢؛ العظمة ٥: ١٧٨٣ / ١٢٨٥ ـ ١؛ الشعب ٧: ٢٣٤ / ١٠١٣٢؛ التاريخ ١١: ٢١٧ / ٥٩٣٢؛ ابن كثير ١: ٢٦.

وجاء في نوادر الأصول عن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ الله تعالى خلق ألف أمّة. ستمائة في البحر وأربعمائة في البر وأنّ أوّل هلاك هذه الأمّة الجراد. فإذا هلكت الجراد تتابعته الأمم مثل نظام السلك إذا انقطع.

(٢) القمّي ١: ٢٨؛ نور الثقلين ١: ١٥ / ٦٠؛ البرهان ١: ١١٠ ـ ١١١ / ٣.

(٣) العيون: ٢٥٥ / ٣٠. باب ٢٨ (فيما جاء عن الإمام الرضا عليه السلام من الأخبار المتفرقة)؛ تفسير الإمام: ٣٠ / ١١.

(٤) التوحيد: ٢٧٧ / ٢؛ نور الثقلين ١: ١٦ / ٧٠.

(٥) الخصال: ٤٩٠ / ٦٨، باب الاثنى عشر؛ نور الثقلين ١: ١٦ / ٧١؛ كنز الدقائق ١: ٤٥.

(٦) الخصال: ٦٣٩ / ١٤. باب الواحد إلى المائة؛ نور الثقلين ١: ١٦ ـ ١٧ / ٧٢؛ البرهان ١: ١١٢ ـ ١١٣ / ١٣.

قلت: وما النطاق؟ قال: الحجاب. ولله ﷻ وراء ذلك سبعون ألف عالَم، أكثر من عدّة الجنّ والإنس...»[١].

[١ / ٥٠٣] وبالإسناد إلى عجلان أبي صالح، قال: دخل رجل على أبي عبدالله ﷺ فقال: «جُعلت فداك، هذه قبّة آدم؟ قال: نعم، وفيه قباب كثيرة، أما إنّ خلف مغربكم هذا تسعة وتسعون مغرباً، أرضاً بيضاء مملوءة، خلقاً يستضيئون بنورها، لم يعصوا الله طرفة عين، لا يدرون أ خلق الله آدم أم لم يخلقه...»[٢].

[١ / ٥٠٤] وبالإسناد إلى عبدالرحمان بن كثير عن أبي عبدالله ﷺ. ورواه سعد بن عبدالله بإسناده إلى جابر بن يزيد عن أبي جعفر ﷺ قال: «من وراء شمسكم هذه أربعون عين شمس، ما بين عين شمس إلى أخرى أربعون عاماً، فيها خلق كثير. وإنّ وراء قمركم هذا أربعين قرصاً، بين القرص إلى القرص أربعون عاماً، فيها خلق كثير...»[٣].

[١ / ٥٠٥] وروى سعد بن عبدالله بإسناده إلى أبي عبدالله ﷺ قال: «إنّ لله ﷻ ألف عالَم، كلّ عالَم منهم أكثر من سبع سماوات وسبع أرضين. ما يرى كلّ عالم منهم أنّ لله عالَماً غير عالمهم...»[٤].

وهناك روايات تحدّث عن مدينتين، مدينة بالمشرق ومدينة بالمغرب، فيهما خلق كثير لا يعرفون عن عالمنا هذا شيئاً. ولكلّ مدينة أبواب ما بين المصراع إلى المصراع مائة فرسخ[٥].

وعُبّر عنهما بجابرس وجابلق، مدينتين يهوديّتين جاءتا في أساطير اليهود القديمة[٦].

والعمدة أنّها روايات ضعاف الأسناد، ولا يبعد الدسّ فيها، وإن كان بعضها يحتمل التأويل، ممّا لا يخفى على اللبيب النابه.

تفسير ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي القابض على أزمّة الأمور يوم الحساب، قبضاً عن سلطة وملك، لا يضادّه أحد في ملكه. ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئاً وَ الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾[٧].

---

(١) بصائر الدرجات: ٥١٢ / ٧، وراجع: البرهان ١: ١١٢ / ٩. (٢) المصدر: ٥١٣ / ١٠؛ البرهان ١: ١١٢ / ١١.
(٣) المصدر: ٥١٠ / ٣؛ مصحح على البرهان ١: ١١٢ / ١٢. (٤) البرهان ١: ١١٢ ـ ١١٣ / ١٣.
(٥) المصدر: ١١٣ ـ ١١٤ / ١٤؛ بصائر الدرجات: ٥١٠ ـ ٥١١ / ٤.
(٦) راجع: معجم البلدان ٢: ٩٠ ـ ٩١. (٧) الانفطار ٨٢: ١٩.

[٥٠٦/١] قال الإمام أبو محمّد الحسن بن عليّ العسكريّ عليه السلام ـ فيما روى عنه صاحب التفسير المنسوب إليه ـ: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «يوم الدين، هو يوم الحساب.

وقال الإمام عليه السلام: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي قادر على إقامة يوم الدّين وهو يوم الحساب، قادر على تقديمه على وقته وتأخيره بعد وقته، وهو المالك أيضاً في يوم الدين فهو يقضي بالحقّ، لا يملك الحكم والقضاء في ذلك اليوم من يظلم ويجور كما في الدنيا من يملك الأحكام»[١].

[٥٠٧/١] وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عبّاس في قوله ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يقول: لا يملك أحد معه في ذلك اليوم حكماً كملكهم في الدنيا. وفي قوله ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال: يوم حساب الخلائق، وهو يوم القيامة يدينهم بأعمالهم، إن خيراً فخير وإن شرّاً فشرّ، إلّا من عفا عنه[٢].

[٥٠٨/١] وأخرج عن ابن جريج: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال: يوم يُدان الناس بالحساب[٣].

[٥٠٩/١] وأخرج البغوي عن مجاهد، قال: والدين: الحساب[٤].

[٥١٠/١] وأخرج ابن جرير والحاكم وصحّحه عن ابن مسعود وأناس من الصحابة في قوله ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال: هو يوم الحساب[٥].

وفي المجمع أيضاً بالرواية عن ابن عباس[٦].

[٥١١/١] وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة في قوله ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال: يوم يدين الله العباد بأعمالهم[٧].

[٥١٢/١] قال أبو علي الجبّائي في قوله ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾: أراد به يوم الجزاء على الدين[٨].

[٥١٣/١] والدين: الجزاء. وبهذا قال جماعة من التابعين كسعيد بن جبير وقتادة[٩].

---

(١) تفسير الإمام: ١٤/٣٨.

(٢) الطبري ١: ٩٨ و ١٣٩/١٠٢ و ١٤٠؛ ابن أبي حاتم ١: ٢٤/٢٩ و ٢٥؛ الدرّ ١: ٣٧؛ ابن كثير ١: ٢٧؛ البغوي ١: ٧٤. بلفظ: «قال ابن عباس ومقاتل والسدّي: مالك يوم الدين، قاضي يوم الحساب».

(٣) الطبري ١: ١٤٣/١٠٣.

(٤) البغوي ١: ٧٤؛ التبيان ١: ٣٦.

(٥) الطبري ١: ١٤١/١٠٢؛ الحاكم ٢: ٢٥٨؛ الدرّ ١: ٣٧.

(٦) مجمع البيان ١: ٦٠، و ٨: ٣٠٠.

(٧) عبدالرزّاق ١: ١٢/٢٥٦؛ الدرّ ١: ٣٧؛ الطبري ١: ١٤٢/١٠٣؛ التبيان ١: ٣٦، نقلاً عن سعيد بن جبير أيضاً؛ أبو الفتوح ١: ٧٨، نقلاً عن الضحاك أيضاً؛ القرطبي ١: ١٤٣. وفيه: «الدين الجزاء على الأعمال والحساب بها كذلك قال ابن عبّاس وابن مسعود وابن جريج وقتادة وغيرهم وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله».

(٨) مجمع البيان ١: ٦١؛ التبيان ١: ٣٦.

(٩) التبيان ١: ٣٦.

[١ / ٥١٤] وقال الطبرسي: وقيل: ﴿الدين﴾ الحساب وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام[١].

[١ / ٥١٥] وروى الصدوق فيما ذكره الفضل من العلل عن الرضا عليه السلام أنّه قال: «﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ إقرار له بالبعث والحساب والمجازاة وإيجاب ملك الآخرة له كإيجاب ملك الدنيا»[٢].

[١ / ٥١٦] وروى الكليني بإسناده إلى الزهري قال: كان عليّ بن الحسين عليه السلام إذا قرأ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يكرّرها حتّى يكاد أن يموت[٣].

تفسير ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

وهذا إلتفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب، استدعاه ذلك التمجيدُ والثناءُ الجميلُ، كي يرى العبد نفسه حاضراً لدى مولاه الكريم، فيشافهه بالخطاب ويصارحه بالكلام من غير حجاب. ومن ثَمَّ أبدى إخلاصه لديه في العبادة والطاعة، وبالاستعانة به في مهامّ الأمور.

[١ / ٥١٧] وفي تفسير الإمام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله عزّ وجلّ: قولوا: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على طاعتك وعبادتك، وعلى دفع شرور أعدائك وردّ مكائدهم، والمقام على ما أمرت به»[٤].

[١ / ٥١٨] وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يعني إيّاك نوحّد ونخاف ونرجو ربّنا لا غيرك ﴿وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على طاعتك وعلى أمورنا كلّها[٥].

[١ / ٥١٩] وأخرج أبو القاسم البغوي والماوردي معاً في معرفة الصحابة والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الدلائل عن أنس بن مالك عن أبي طلحة قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في غزو، فلقي العدوّ فسمعته يقول: يا ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ. إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: فلقد رأيت الرجال تصرع، تضربها الملائكة من بين يديها ومن خلفها[٦].

---

(١) مجمع البيان ١: ٦٠؛ القمّيّ ١: ٢٨. قال: والدليل على ذلك قوله: ﴿وَ قَالُوا يَاوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ يعني يوم الحساب؛ التبيان ١: ٣٦.

(٢) الفقيه ١: ٩٢٦/٣١٠؛ البحار ٨٢: ٤٦/٥٤.

(٣) الكافي ٢: ١٣/٦٠٢؛ العياشي ١: ٢٣/٣٧؛ البحار ٨٢: ١٢/٢٣.

(٤) تفسير الإمام: ١٨/٤١.

(٥) الدرّ ١: ٣٧؛ الطبري ١: ١٠٣ ـ ١٤٤/١٠٤ و ١٤٥؛ ابن أبي حاتم ١: ٢٧/٢٩ و ٣٠؛ ابن كثير ١: ٢٨. وفيه: «وقال الضحاك عن ابن عبّاس «إيّاك نعبد» يعني إيّاك نوحّد ونخاف ونرجوك يا ربّنا لا غيرك... الحديث».

(٦) الدرّ ١: ٣٨؛ الأوسط ٨: ١٢٣؛ الدلائل: ٣٨٦/٤٥٩، فصل ٢٤؛ مجمع الزوائد ٥: ٣٢٨؛ أبو الفتوح ١: ٨٣.

[١ / ٥٢٠] وروى صاحب كتاب الاحتجاج في حديث طويل عن النبيّ ﷺ وفيه: «كان يقول لأصحابه قولوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي واحداً، لا نقول كما قالت الدهرية: إنّ الأشياء لا بدوّ لها وهي دائمة، ولا كما قال الثنويّة الذين قالوا إنّ النور والظلمة هما المدبّران، ولا كما قال مشركو العرب إنّ أوثاننا آلهة. فلا نشرك بك شيئاً ولا ندعو من دونك إلهاً كما يقول هؤلاء الكفّار، ولا نقول كما تقول اليهود والنصارى إنّ لك ولداً، تعاليت عن ذلك علوّاً كبيراً»(١).

[١ / ٥٢١] وروى الطبرسي في المجمع: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله تعالى منّ عليّ بفاتحة الكتاب، إلى قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إخلاص للعبادة ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أفضل ما طلب به العباد حوائجهم»(٢).

[١ / ٥٢٢] وروى العيّاشي عن الحسن بن محمّد الجمّال عن بعض أصحابنا قال: «اجتمع أبو عبدالله ؑ مع رجل من القدريّة عند عبدالملك بن مروان، فقال القدريّ لأبي عبدالله ؑ: سل عمّا شئت، فقال له: إقرأ سورة الحمد، فجعل القدريّ يقرأ سورة الحمد حتّى بلغ قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. فقال له جعفر: قف، من تستعين؟ وما حاجتك إلى المعونة إن كان الأمر إليك؟! فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين»(٣).

تفسير ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

وهذا ابتهال من العبد إلى الله أن يجعله في كنف رحمته وأن تشمله عنايته طول الحياة. فلا يضلّ الطريق أبداً، لا في حياته المادّيّة ولا في المعنويّات، والاهتداء إلى معالم الإنسانيّة العليا الكريمة، وأن يهديه سبيل الرشاد.

والصراط المستقيم هي سبيل السعادة في الحياة، إن مادّيّاً أو معنويّاً، فيكون ـ تعالى ـ هو وليّه في طول المسير، فيخرجه من الظّلمات (غياهب الحياة ومضلّاتها) إلى النّور ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾(٤). وهذا يعني تداوم عنايته تعالى بعباده المؤمنين، فلا يُجابَهُونَ

---

(١) نور الثقلين ١: ٢٠؛ الاحتجاج ١: ٢٥، باب احتجاجه ﷺ على جماعة من المشركين؛ كنز الدقائق ١: ٦٣ ـ ٦٤؛ البحار ٩: ١/٢٦٦، باب ما احتج الرسول على المشركين.

(٢) مجمع البيان ١: ٧٢؛ البحار ٨٢: ٢١ / ١٠.

(٣) العيّاشي ١: ٢٤/٣٧؛ البحار ٨٩: ٢٣٩ ـ ٢٤٠ / ٤٤، و ٥: ٥٥ ـ ٩٨/٥٦.

(٤) البقرة ٢: ٢٥٧.

منعطفاً عن النهج السّويّ في مسيرة الحياة، لأنّهم، بشراشر وجودهم، آمنون ومطمئنّون في كنف ولايته تعالى، مستريحون في ظلّ عنايته عبر الأبد.

هذا ما يبتغيه كلّ مؤمن، صادق في إيمانه، مصرّاً عليه آنات ليله ونهاره، من نبيّ كريم، ووليّ عظيم، ومؤمن خالص العبوديّة لله ربّ العالمين.

قال المحقق الفيض الكاشاني رحمه الله: لمّا كان العبد محتاجاً إلى الهداية في جميع أموره، آناً فآناً ولحظة فلحظة، فإدامة الهداية هي هداية أخرى بعد الهداية الأولى.

فتفسير [طلب] الهداية بـ[طلب] إدامتها، ليس خروجاً عن ظاهر اللفظ(١).

وعليه فالمبتغى في هذه الآية هو: شمول عنايته تعالى الخاصّة بعباده المؤمنين، وتداومها مع مسيرة الحياة إلى الأبد، حيث دارالرضوان، ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾(٢). ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَآءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾(٣).

وقد وردت روايات في تفسير الصراط المستقيم ـ هنا ـ بما يلتئم وما ذكرناه من معنى:

[١ / ٥٢٣] روى الصدوق ـ فيما ذكره الفضل بن شاذان من العلل ـ عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ استرشاد لدينه، واعتصام بحبله، واستزادة في المعرفة لربّه عزّ وجلّ ولعظمته وكبريائه»(٤).

[١ / ٥٢٤] وروي عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام وكذا عن أبيّ بن كعب في معنى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: أي ثبّتنا(٥). ومعنى «ثبّتنا»: أقمها وأدمها. ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَ لَا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ. نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ وَ لَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَ لَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ. نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾(٦).

[١ / ٥٢٥] وعن السدّي ومقاتل: أرشدنا.

[١ / ٥٢٦] وعن الضحّاك: ألهمنا. وبعضهم قال: بيّن لنا.

قال الشيخ أبو الفتوح الرازي: والمعاني متقاربة. والجميع يرجع إلى ما ذكرناه في تفسير

(١) الصافي ١: ١٢٦.
(٢) التوبة ٩: ٧٢.
(٣) الحديد ٥٧: ٢٧.
(٤) الفقيه ١: ٣١٠/٩٢٦.
(٥) أبو الفتوح ١: ٨٤.
(٦) فصّلت ٤١: ٣٠ـ٣٢.

الاستعانة. وهو: طلب المعونة من الله، والسين للطلب. والمعونة من الله هي ألطافه تعالى وتمهيد أسباب الخير ممّا يقرّب العبد إلى الطاعة ويجنّبه عن ارتكاب العصيان ....

قال: ولو حملت على استبقاء القدرة على الطاعة والكمال والعقل وموجبات الاستكانة لله ﷻ جاز...[١].

[٥٢٧/١] وروى الصدوق بإسناده إلى محمّد بن القاسم الأستر آبادي المفسّر قال: حدّثني يوسف بن محمّد بن زياد وعلي بن محمّد بن سيار عن أبويهما، عن الحسن بن علي بن محمّد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام في قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: «أدم لنا توفيقك الذي به أطعناك في ما مضى من أيّامنا، حتّى نطيعك كذلك في مستقبل أعمارنا، والصراط المستقيم هو صراطان: صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، فأمّا الطريق المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلوّ وارتفع عن التقصير، واستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل، وأمّا الطريق الآخر طريق المؤمنين إلى الجنّة الذي هو مستقيم لا يعدلون عن الجنّة إلى النار، ولا إلى غير النار سوى الجنّة»[٢].

[٥٢٨/١] قال: وقال جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام في قوله ﷻ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: «يقول: أرشدنا إلى الصراط المستقيم، أرشدنا للزوم الطريق المؤدّي إلى محبّتك، والمبلّغ إلى دينك[٣]، والمانع من أن نتبع أهواءنا فنعطب، أو نأخذ بآرائنا فنهلك»[٤].

[٥٢٩/١] وأخرج الطبري عن محمود بن خداش، قال: حدّثنا محمّد بن ربيعة الكلابي، عن إسماعيل الأزرق، عن أبي عمر البزّار، عن ابن الحنفيّة في قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: هو دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره[٥].

[٥٣٠/١] وأخرج عن ابن عباس في قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: ألهمنا الطريق الهادي، وهو دين الله الذي لا عوج له[٦].

---

(١) راجع: تفسيره ـ روض الجنان ـ ١: ٨٤.

(٢) معاني الأخبار: ٣٣/ ٤، باب ٢١ (معنى الصراط)؛ تفسير الإمام: ٤٤/ ٢٠؛ البحار ٢٤: ٩/ ١.

(٣) في تفسير الإمام: «والمبلّغ إلى جنّتك ...».

(٤) معاني الأخبار: ٣٣/ ٤؛ تفسير الإمام: ٤٤.

(٥) الطبري ١: ١١٢؛ القرطبي ١: ١٤٧؛ ابن كثير ١: ٢٩؛ المحرر الوجيز ١: ٧٤.

(٦) الدرّ ١: ٣٨؛ الطبري ١: ١١١.

[١ / ٥٣١] وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يقول ألهمنا دينك الحق[١].

[١ / ٥٣٢] وأخرج الطبراني في الكبير عن ابن مسعود قال: ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الذي تركنا عليه رسول الله ﷺ[٢].

[١ / ٥٣٣] وأخرج ابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعود قال: ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ تركنا رسول الله ﷺ على طرفه، والطرف الآخر في الجنّة[٣].

[١ / ٥٣٤] وقال سعيد بن جبير: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ طريق الجنّة[٤].

[١ / ٥٣٥] وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود وناس من الصحابة: ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الإسلام[٥].

[١ / ٥٣٦] قال ابن كثير: وقال إسماعيل بن عبدالرحمان السّديّ الكبير عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرّة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبيّ ﷺ ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قالوا: هو الإسلام[٦].

[١ / ٥٣٧] وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الإسلام[٧].

[١ / ٥٣٨] وأخرج وكيع وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والمحاملي في أماليه من نسخة المصنف والحاكم وصحّحه عن جابر بن عبدالله في قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: هو الإسلام، وهو أوسع مما بين السماء والأرض[٨].

[١ / ٥٣٩] وأخرج عبد بن حميد عن أبي العالية الرياحي قال: «تعلّموا الإسلام، فإذا علمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم فإنّ ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الإسلام، ولا تحرفوا يميناً وشمالاً»[٩].

---

(١) ابن أبي حاتم ١: ٣٠/ ٣٦؛ الدرّ ١: ٣٨.

(٢) الدرّ ١: ٣٩؛ الكبير ١٠: ١٩٩/ ١٠٤٥٤؛ ابن كثير ١: ٣٠.

(٣) الدرّ ١: ٣٩؛ الشعب ٢: ٢٢٦/ ١٥٩٨.

(٤) البغوي ١: ٧٦؛ أبو الفتوح ١: ٨٥.

(٥) الطبري ١: ١١٢/ ١٥٣؛ الدرّ ١: ٣٨.

(٦) ابن كثير ١: ٢٩.

(٧) الدرّ ١: ٣٨؛ الطبري ١: ١١١/ ١٥١.

(٨) الدرّ ١: ٣٨؛ الطبري ١: ١١١/ ١٤٩؛ الحاكم ٢: ٢٥٩، كتاب التفسير.

(٩) الدرّ ١: ٤٠؛ المصنّف لعبد الرزّاق ١١: ٣٦٧/ ٢٠٧٥٨؛ الكامل لابن عدي ٣: ١٦٣.

[١ / ٥٤٠] وأخرج أحمد والترمذي وحسّنه والنسائي وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ والحاكم وصحّحه وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن النوّاس بن سمعان عن رسول الله ﷺ قال: «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيّها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تَعْوَجّوا. وداع يدعو من جوف الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك، لا تفتحه فإنّك إن تفتحه تلجه. فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المفتّحة محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من جوف واعظ الله تعالى في قلب كلّ مسلم»(١).

[١ / ٥٤١] وأخرج وكيع وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبو بكر ابن الأنباري في كتاب المصاحف والحاكم وصحّحه والبيهقي في شعب الإيمان عن عبدالله بن مسعود في قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: هو كتاب الله(٢).

[١ / ٥٤٢] وأخرج ابن الأنباري عن ابن مسعود قال: إنّ هذا الصراط محتضر تحضره الشياطين. يا عباد الله هذا الصراط فاتّبعوه، و ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ كتاب الله فتمسّكوا به(٣).

[١ / ٥٤٣] وأخرج ابن أبي شيبة والدارمي والترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن عليّ ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستكون فتن. قلت: وما المخرج منها؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل وليس بالهزل، وهو حبل الله المتين، وهو ذكره الحكيم، وهو الصراط

---

(١) الدرّ ١: ٣٩؛ مسند أحمد ٤: ١٨٢؛ الترمذي ٤: ٢٢٢ / ٣٠١٩، أبواب الأمثال عن رسول الله ﷺ باب ١؛ النسائي ٦: ٣٦١، كتاب التفسير، في تفسير آية ٢٥ من سورة يونس؛ الطبري ١: ١١٢ / ١٥٧؛ الحاكم ١: ٧٣؛ الشعب ٥: ٤٤٤ ـ ٤٤٥ / ٧٢١٦؛ كنز العمّال ١: ١٨٢ / ٩٢١؛ ابن كثير ١: ٢٩. وفيه: «وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث اللّيث بن سعد. ورواه الترمذي والنسائي جميعاً عن عليّ بن حجر عن بقية عن بجير بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير عن نفير عن النوّاس بن سمعان. وهو إسناد حسن صحيح والله أعلم». صحّحنا الحديث على مختلف المصادر.

(٢) الدرّ ١: ٣٩؛ الطبري ١: ١١١ / ١٤٨؛ الحاكم ٢: ٢٥٨، كتاب التفسير؛ الشعب ٢: ٣٢٦ / ١٩٣٨؛ ابن كثير ١: ٢٩، وكذا عن عليّ بن أبي طالب ﷺ عن رسول الله ﷺ؛ البغوي ١: ٧٦. وفيه: «وقال ابن مسعود: هو القرآن»؛ مجمع البيان ١: ٦٦؛ التبيان ١: ٤٢.

(٣) الدرّ ١: ٣٩.

المستقيم»[1].

[١ / ٥٤٤] وأخرج البيهقي في الشعب من طريق قيس بن سعد عن رجل عن النبيّ ﷺ قال: «القرآن هو النور المبين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم»[2].

[١ / ٥٤٥] وقال الطبرسي: وقيل في معنى «الصراط» وجوه: أحدها أنّه كتاب الله وهو المرويّ عن النبيّ ﷺ وعن عليّ عليه السلام[3].

[١ / ٥٤٦] وروى الطبري بإسناده إلى الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن النبيّ ﷺ أنّه قال وذكر القرآن فقال: هو الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ.

قال: حدّثنا بذلك موسى بن عبدالرحمان المسروقي قال: حدّثنا حسين الجعفي عن حمزة الزيّات عن أبي المختار الطائي عن ابن أخي الحارث عن الحارث عن عليّ عليه السلام عن النبيّ ﷺ[4].

وهكذا ما ورد من تفسير ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ بصراط الأنبياء.

[١ / ٥٤٧] روى أبو النّصر مسعود بن عيّاش السمرقندي بإسناده إلى محمّد بن مسلم عن الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله منّ عليّ بفاتحة الكتاب من كنز الجنّة ـ إلى قوله ـ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صراط الأنبياء، وهم الذين أنعم الله عليهم»[5].

وكذا ما ورد من تفسيره بولاية الرسول الأعظم وآل بيته الأطياب. فإنّهم العصمة الموصولة بين الله وبين العباد، من تمسّك بحبل ولائهم نجى ومن فارقهم ضلّ وهوى. إنّهم القدوة وبهم الأسوة وإنّهم السُبُل إلى الله وكهف الورى وورثة الأنبياء والمثل الأعلى والدعوة الحسنى وحجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأولى ....

[١ / ٥٤٨] وجاء ـ خطاباً مع الأئمّة المعصومين في زيارتهم ـ: «أنتم الصراط الأقوم، وشهداء دار الفناء، وشفعاء دار البقاء، والرحمة الموصولة، والآية المخزونة، والأمانة المحفوظة، والباب

---

(١) الدرّ ١: ٣٩؛ المصنّف ٧: ١٦٤ / ٢، كتاب ٢٦، باب ١٦ (في التمسّك بالقرآن)؛ الدّارمي ٢: ٤٣٥؛ الترمذي ٤: ٢٤٥ / ٣٠٧٠، باب ١٤ (ما جاء في فضل القرآن)؛ الشعب ٢: ٣٢٥ ـ ٣٢٦ / ١٩٣٥؛ كنزالعمّال ١: ١٧٥ / ٨٨٧؛ القرطبي ١: ٥؛ أبو الفتوح ١: ٨٥.

(٢) الدرّ ١: ٣٩؛ الشعب ٥: ٣٢٦ / ١٩٣٧؛ كنزالعمّال ١: ٥١٧ / ٢٣٠٩.

(٣) نور الثّقلين ١: ٢٠؛ مجمع البيان ١: ٦٦؛ التبيان ١: ٤٢؛ كنز الدقائق ١: ٦٨.

(٤) الطبري ١: ١١٠ ـ ١١١ / ١٤٧؛ البغوي ١: ٧٦.

(٥) العيّاشي ١: ٣٦ / ١٧؛ البحار ٨٩: ٢٣٨ ـ ٢٣٩ / ٤٠.

المبتلى به الناس ، من أتاكم نجى ومن لم يأتكم هلك ... سعد من والاكم ، وهلك من عاداكم ، وخاب من جحدكم ، وضلّ من فارقكم ، وفاز من تمسّك بكم ، وأمن من لجأ إليكم ، وسلم من صدّقكم ، وهُدي من اعتصم بكم ...»[١].

[١ / ٥٤٩] وروى الصدوق بإسناده إلى حنان بن سدير عن جعفر بن محمّد ﷺ قال : «قول الله ﷻ في الحمد ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني : محمّداً وذرّيّته ، صلوات الله عليهم»[٢].

[١ / ٥٥٠] وأخرج الحاكم الحسكاني بإسناده المتّصل إلى مسلم بن حيّان عن أبي بريدة في قول الله : ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال : صراط محمّد وآله ﷺ .[٣]

[١ / ٥٥١] وبإسناده إلى وكيع بن الجرّاح عن سفيان الثوري عن أسباط ومجاهد عن ابن عباس قال : يقول : قولوا معاشر العباد : اهدنا إلى حبّ النبيّ وأهل بيته .

[١ / ٥٥٢] وبإسناده إلى حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ لعليّ بن أبي طالب ﷺ : «أنت الطريق الواضح ، وأنت الصراط المستقيم ، وأنت يعسوب المؤمنين» .

[١ / ٥٥٣] وبإسناده عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ : «إنّ الله جعل عليّاً وزوجته وأبناءه حجج الله على خلقه، وهم أبواب العلم في أمّتي، من اهتدى بهم هدي إلى صراط مستقيم»[٤].

[١ / ٥٥٤] وأخرج بإسناده إلى الإمام أبي جعفر الباقر عن أبيه عن جدّه قال : قال رسول الله ﷺ : «من سرّه أن يجوز على الصراط كالريح العاصف ويلج الجنّة بغير حساب[٥]، فليتولّ وليّي ووصيّ وصاحبي وخليفتي ... فوعزّة ربّي وجلاله ، إنّه لبابُ الله الذي لا يؤتى إلّا منه ، وإنّه الصراط المستقيم ، وإنّه الذي يسأل الله عن ولايته يوم القيامة»[٦].

[١ / ٥٥٥] وقد أخرج الديلمي بإسناده إلى أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال ـ في قوله

(١) الزيارة الجامعة .
(٢) معاني الأخبار : ٣٦ / ٧.
(٣) راجع : الثعلبي ١ : ١٢٠.
(٤) شواهد التنزيل ١ : ٥٧ ـ ٥٨.
(٥) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ. فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ الانشقاق ٨٤ : ٨.
(٦) شواهد التنزيل ١ : ٥٩.

تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[١] ـ: «وقفوهم، إنّهم مسؤولون عن ولاية عليّ»[٢].

قال ابن حجر الهيثمي: وكأنّ هذا هو مراد الواحدي بقوله: رُوي في قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ أي عن ولاية عليّ وأهل البيت، لأنّ الله أمر نبيّه ﷺ أن يعرّف الخلق أنّه لا يسألهم على تبليغ الرسالة أجراً إلّا المودّة في القربى. والمعنى: أنّهم يُسألون: هل والوهم حقّ الموالاة، كما أوصاهم النبيّ ﷺ أم أضاعوها وأهملوها، فتكون عليهم المطالبة والتبعة[٣].

[٥٥٦/١] وروى الحاكم الحسكاني بإسناده إلى عطاء بن السائب عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة أُوقَف أنا وعليٌّ على الصراط، فما يمرّ بنا أحدٌ إلّا سألناه عن ولاية عليّ، فمن كانت معه وإلّا ألقيناه في النار. وذلك قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾»[٤].

[٥٥٧/١] وهكذا روى بإسناده إلى أبي حفص الصائغ عن عبدالله بن الحسن في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾[٥]، قال: يعني: عن ولايتنا، والله يا أبا حفص[٦].

[٥٥٨/١] قال ابن الفارسي الفتّال: وروي في أخبارنا: أنّ النعيم ولاية عليّ بن أبي طالب ﷺ[٧].

[٥٥٩/١] وروى الشيخ في الأمالي بإسناده إلى أبي سليمان، عن جعفر بن محمّد ﷺ في الآية قال: «نحن من النعيم. وفي قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾[٨]، قال: نحن الحبل»[٩].

[٥٦٠/١] وروى الصدوق بإسناده إلى محمّد بن سنان عن المفضل بن عمر قال: حدّثني أبو حمزة ثابت بن دينار الثمالي عن سيّد العابدين علي بن الحسين ﷺ قال: «نحن أبواب الله، ونحن الصراط المستقيم، ونحن عيبة علمه، ونحن تراجمة وحيه، ونحن أركان توحيده، ونحن موضع سرّه»[١٠].

---

(١) الصافات ٣٧: ٢٤.

(٢) هكذا رواه الحاكم الحسكاني بالإسناد إلى أبي سعيد الخُدري وابن عبّاس وأبي جعفر الباقر ﷺ، شواهد التنزيل ٢: ١٠٦ ـ ١٠٨ / ٧٨٥ ـ ٧٩٠، باب ١٣٥.

(٣) الصواعق المحرقة: ٨٩.

(٤) شواهد التنزيل ٢: ١٠٧ / ٧٨٨.

(٥) التكاثر ١٠٢: ٨.

(٦) شواهد التنزيل ٢: ٣٦٩ / ١١٥٢.

(٧) روضة الواعظين للفتّال: ٤٩٣؛ البرهان ٨: ٣٧٤ / ٥.

(٨) آل عمران ٣: ١٠٣.

(٩) الأمالي ١: ٢٧٢ / ٦؛ البرهان ٨: ٣٧٤ / ٦.

(١٠) معاني الأخبار: ٣٥ / ٥٠.

[١ / ٥٦١] وروى علي بن إبراهيم بإسناده إلى الإمام الصادق عليه السلام في الآية قال: «الطريق، هو معرفة الإمام»[١].

[١ / ٥٦٢] وبإسناده إلى عليّ بن رئاب قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: «نحن والله سبيل الله الذي أمر الله باتّباعه، ونحن والله الصراط المستقيم، ونحن والله الذين أمر الله العباد بطاعتهم، فمن شاء فليأخذ هنا، ومن شاء فليأخذ هناك، لا يجدون والله عنّا محيصاً»[٢].

[١ / ٥٦٣] وروى الصدوق بإسناده إلى أبي بصير عن خيثمة الجُعفي عن أبي جعفر عليه السلام في حديث قال: «نحن خيرة الله ونحن الطريق الواضح والصراط المستقيم إلى الله عزّ وجلّ»[٣].

[١ / ٥٦٤] وروى بإسناده إلى المفضّل بن عمر قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الصراط؟ فقال: «هو الطريق إلى معرفة الله عزّ وجلّ. قال: والصراط في الدنيا هو الإمام المفترض الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه، مرّ على الصراط، ومن لم يعرفه زلّت قدمه ...»[٤].

[١ / ٥٦٥] وروى القمّي بإسناده إلى سعدان بن مسلم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن الصراط؟ فقال: «هو أدقّ من الشعر، وأحدّ من السيف، فمنهم من يمرّ عليه مثل البرق، ومنهم من يمرّ عليه مثل عدو الفرس، ومنهم من يمرّ عليه ماشياً، ومنهم من يمرّ عليه حبواً، ومنهم من يمرّ عليه متعلّقاً، فتأخذ النار منه شيئاً وتترك منه شيئاً»[٥].

[١ / ٥٦٦] وروي عن الصادق عليه السلام: إنّ الصورة الإنسانيّة هي الطريق المستقيم إلى كلّ خير، والجسر الممدود بين الجنة والنار[٦].

[١ / ٥٦٧] وفي رواية أخرى: «إنّه مظلم، يسعى الناس عليه على قدر أنوارهم»[٧].

قال المحقق الفيض الكاشاني ـ بعد نقل لفيف من هذه الأحاديث ـ: ومآل الكلّ واحد عند العارفين بأسرارهم. وبيانه ـ على قدر فهمك ـ: أنّ لكلّ إنسان من ابتداء حدوثه إلى منتهى عمره انتقالات جبلّيّة باطنيّة في الكمال، وحركات طبيعيّة ونفسانيّة تنشأ من تكرار الأعمال، وتنشأ منها المقامات والأحوال ومن مقام إلى مقام ومن كمال إلى كمال، حتّى يتّصل بالعالم العقلي

---

(١) القمّي ١: ٢٨.
(٢) المصدر ٢: ٦٦.
(٣) كمال الدين ١: ٢٠٦ / ٢٠.
(٤) بتلخيص عن معاني الأخبار: ٣٢ / ١.
(٥) القمّي ١: ٢٩.
(٦) الصافي ١: ١٢٧.
(٧) المصدر.

والمقرّبين، ويلحق بالملأ الأعلا والسابقين، إن ساعده التوفيق، وكان من الكاملين. أو بأصحاب اليمين، إن كان من المتوسّطين، أو يُحْشَر مع الشياطين وأصحاب الشمال، إن ولّاه الشيطان وقارنه الخذلان في المآل.

وهذا معنى الصراط المستقيم، منه ما إذا سلكه أوصله الجنّة، وهو ما يشتمل عليه الشرع، كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، صراط الله وهو صراط التوحيد والمعرفة والتوسّط بين الأضداد في الأخلاق، والتزام صوالح الأعمال.

وبالجملة: صورة الهدى الذي أنشأه المؤمن لنفسه مادام في دار الدنيا، مقتدياً فيه بهدى إمامه، وهو أدقّ من الشعر وأحدّ من السيف في المعنى، مظلم لا يهتدي إليه إلّا من جعل الله له نوراً يمشي به في الناس، يسعى الناس على قدر أنوارهم...[١].

وبعد تلكم الأحاديث المتظافرة والتي رواها الفريقان بإجماع:

[١ / ٥٦٨] روى عبد بن حميد وابن عساكر من طريق عاصم الأحول[٢] عن أبي العالية في قوله ﴿صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ قال: هو رسول الله ﷺ وصاحباه من بعده. قال: فذكرنا ذلك للحسن، فقال: صدق...[٣].

[١ / ٥٦٩] ولعلّ الأصل هو ما رواه المفسّرون ورواه الطبراني بإسناده إلى الأعمش عن أبي وائل عن عبدالله بن مسعود قال: الصراط المستقيم، الذي تركنا عليه رسول الله ﷺ[٤]. مراداً به النبيّ الأعظم ومن جرى على منهجه وشريعته من صحابته الأخيار والتابعين لهم بإحسان.

قال أبو جعفر الطبري: والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندي ـ أعني: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ـ أن يكون معنيّاً به: وفّقنا للثبات على ما ارتضيته ووفّقت له من أنعمت عليه من عبادك من قول وعمل، وذلك هو الصراط المستقيم. لأنّ من وفّق لما وفّق له من أنعم الله عليه من النبيّين

---

(١) الصافي ١: ١٢٧.

(٢) هو ابن سليمان البصري، مولى عثمان ويقال: آل زياد. كان يتولّى الولايات، فكان بالكوفة على الحسبة في المكاييل والأوزان وكان قاضياً بالمدائن لأبي جعفر. وكان يحيى بن سعيد قليل الميل إليه. وقال ابن إدريس: رأيته أتى السوق فقال: اضربوا هذا، أقيموا هذا، فلا أروي عنه شيئاً. وتركه وُهيب. لأنّه أنكر بعض سيرته. قال عليّ بن المديني عن القطّان: لم يكن بالحافظ. (تهذيب التهذيب ٥: ٤٣ / ٧٣).

(٣) الدرّ ١: ٣٩ ـ ٤٠؛ ابن عساكر ٤٤: ٢٥٩؛ ابن أبي حاتم ١: ٣٠ / ٣٤؛ الحاكم ٢: ٢٥٩.

(٤) راجع: ابن كثير ١: ٣٠؛ الكبير ١٠: ٢٠٠ / ١٠٤٥٤.

والصدّيقين والشهداء، فقد وفّق للإسلام وتصديق الرسل والتمسّك بالكتاب والعمل بما أمر الله به والانزجار عمّا زجره عنه، واتّباع منهج النبيّ ﷺ ومنهاج الخلفاء الأربعة من بعده وكلّ عبد لله صالح. وكلّ ذلك من الصراط المستقيم[1].

تفسير ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّالِّينَ﴾

وهذا تبيين للصراط المستقيم الذي يبتغي العبد الاهتداء إليه والتداوم عليه. ألا وهو سبيل الطاعة المؤدّي إلى الهداية وشمول العناية الإلهيّة الكبرى. ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَـٰئِكَ رَفِيقًا. ذَالِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾[2].

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا. وَإِذًا لَآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا. وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[3].

نعم، عاقبة الطاعة والاستسلام لله تعالى، هو الاهتداء إلى معالم الهداية وشمول العناية، الكافلة لسعادة الدارين.

وهي الطريقة الوسطى لا غلوّ فيها ولا تقصير:

لا غلوّ يستجلب السخط من الله ﴿وَ لَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَ مَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾[4]. ﴿وَ لَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[5].

ولا تقصير يوجب الضلال: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَ قَدْ كَفَرُوا بِمَا جَآءَكُم مِّنَ الْحَقِّ ... وَ مَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ﴾[6].

﴿وَ مَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ﴾[7].

وجاء في الروايات تفسير ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ بالنبيّين وبالذين اتّبعوا الدين الحنيف، ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾. و ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ باليهود الذين غلوا في دينهم وحادوا عن الطريقة الوسطى.

---

(١) راجع: الطبري: ١ / ١١٠، ونقله ابن كثير في التفسير ١: ٣٠.

(٢) النساء ٤: ٦٩ ـ ٧٠.

(٣) النساء ٤: ٦٦ ـ ٦٨.

(٤) طه ٢٠: ٨١.

(٥) النحل ١٦: ١٠٦.

(٦) الممتحنة ٦٠: ١.

(٧) البقرة ٢: ١٠٨.

و ﴿الضَّآلِّينَ﴾ بالنصارى الذين فرّطوا في جنب الله وقالوا: ثالث ثلاثة. ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾(١).

وجاء خطاباً إلى عامّة أهل الكتاب أن يلتزموا الطريقة الوسطى ولا يحيدوا عنها لا يمين ولا يسار. ﴿قُلْ يَآ أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَآءِ السَّبِيلِ﴾(٢).

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾(٣).

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٤).

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾(٥).

[١ / ٥٧٠] روى الصدوق بإسناده إلى الفضل من العلل عن الرضا عليه السلام أنّه قال: «﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ توكيد في السؤال والرغبة، وذكر لما تقدّم من نعمه على أوليائه، ورغبة في مثل تلك النعم ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ استعاذة من أن يكون من المعاندين الكافرين المستخفّين به وبأمره ونهيه ﴿وَلَا الضَّآلِّينَ﴾ اعتصام من أن يكون من الذين ضلّوا عن سبيله، من غير معرفة وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً»(٦).

[١ / ٥٧١] وقال الطبري: حدّثنا القاسم، قال: حدّثنا الحسين، قال: قال وكيع ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ المسلمون(٧).

[١ / ٥٧٢] وأخرج عن ابن زيد في قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ﴾ قال: النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه(٨).

[١ / ٥٧٣] وأخرج عن ابن عباس في قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ قال: المؤمنون(٩).

[١ / ٥٧٤] وقال: حدّثني أحمد بن حازم الغفاري، قال: أخبرنا عبيدالله بن موسى، عن أبي جعفر عن ربيع في قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ قال: النبيّون(١٠).

(١) المائدة ٥: ٧٣.
(٢) المائدة ٥: ٧٧.
(٣) الأنعام ٦: ١٦١.
(٤) آل عمران ٣: ٦٧ ـ ٦٨.
(٥) النساء ٤: ١٢٥.
(٦) الفقيه ١: ٣١٠ / ٩٢٦.
(٧) الطبري ١: ١١٤ / ١٦١؛ ابن كثير ١: ٣١.
(٨) الدرّ ١: ٤١؛ الطبري ١: ١١٤ / ١٦٢.
(٩) الطبري ١: ١١٣ / ١٦٠.
(١٠) المصدر / ١٥٩.

[١ / ٥٧٥] وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يقول: طريق من أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك من الملائكة والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، الذين أطاعوك وعبدوك[١].

[١ / ٥٧٦] وأخرج عبد بن حميد عن الربيع بن أنس في قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ قال: النبيّون ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ قال: اليهود ﴿وَ لَا الضَّآلِّينَ﴾ قال: النصارى[٢].

[١ / ٥٧٧] وأخرج عبد بن حميد عن مجاهد في قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ قال: اليهود ﴿وَ لَا الضَّآلِّينَ﴾ قال: النصارى[٣].

[١ / ٥٧٨] وأخرج عبد بن حميد عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّآلِّينَ﴾ قال: اليهود والنصارى[٤].

[١ / ٥٧٩] وأخرج عبد الرزّاق وعبد بن حميد وابن جرير والبغوي في معجم الصحابة وابن المنذر وأبو الشيخ عن عبدالله بن شقيق قال: «أخبرني من سمع النبيّ ﷺ وهو بوادي القرى على فرسه، وسأله رجل من بني القين فقال: من المغضوب عليهم يا رسول الله؟ قال: اليهود. قال: فمن الضالّون؟ قال: النصارى»[٥].

[١ / ٥٨٠] وفي مسند أحمد: حدّثنا عبدالله حدّثني أبي عن عبدالرزاق عن معمر عن بديل العقيلي: أخبرني عبدالله بن شقيق أنّه أخبره من سمع النبيّ ﷺ وهو بوادي القرى وهو على فرسه فسأله رجل من بلقين فقال: «يا رسول الله من هؤلاء؟ قال: هؤلاء المغضوب عليهم وأشار إلى اليهود. قال: فمن هؤلاء؟ قال: هؤلاء الضالّون يعني النصارى»[٦].

[١ / ٥٨١] وأخرج وكيع وعبد بن حميد وابن جرير عن عبدالله بن شقيق العقيلي، قال: «كان رسول الله ﷺ يحاصر أهل وادي القرى فقال له رجل: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾

---

(١) الدرّ ١: ٤١؛ الطبري ١: ١١٣/ ١٥٨؛ ابن أبي حاتم ١: ٣١/ ٣٧ و ٣٨؛ المحرر الوجيز ١: ٧٥؛ القرطبي ١: ١٤٩.

(٢) الدرّ ١: ٤١؛ الطبري ١: ١١٣ و ١١٩ و ١٢٤/ ١٥٩ و ١٦٦ و ١٧٧؛ معاني القرآن ١: ٦٨. إلى قوله: غير المغضوب...؛ ابن كثير ١: ٣٠ ـ ٣٢.

(٣) الدرّ ١: ٤١؛ الطبري ١: ١١٩ و ١٢٤/ ١٦٨ و ١٧٥.

(٤) الدرّ ١: ٤١ ـ ٤٢.

(٥) الدرّ ١: ٤٢؛ عبدالرزّاق ١: ٢٥٦/ ١٣؛ الطبري ١: ١١٩ و ١٢٣/ ١٦٥ و ١٧٤؛ ابن كثير ١: ٣٢.

(٦) مسند أحمد ٥: ٧٧؛ مجمع الزوائد ٦: ٣١٠ ـ ٣١١. وفيه: «رواه كلّه أحمد ورجال الجميع رجال الصحيح».

يعني اليهود قال: يا رسول الله فمن هؤلاء الطائفة الأخرى؟ قال: هؤلاء ﴿الضَّآلُّونَ﴾ يعني النصارى»[١].

[١ / ٥٨٢] وأخرج ابن مردويه من طريق عبدالله بن شقيق عن أبي ذر قال: «سألت رسول الله ﷺ عن ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾؟ قال: اليهود. قلت: ﴿الضَّآلِّينَ﴾؟ قال: النصارى»[٢].

[١ / ٥٨٣] وأخرج البيهقي في الشعب من طريق عبد الله بن شقيق عن رجل من بلقين عن ابن عمّ له أنّه قال «أتيت رسول الله ﷺ وهو بوادي القرى فقلت: من هؤلاء عندك؟ قال: ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ اليهود و ﴿الضَّآلِّينَ﴾ النصارى»[٣].

[١ / ٥٨٤] وأخرج سفيان بن عيينة في تفسيره وسعيد بن منصور عن اسمعيل بن أبي خالد «أنّ النبيّ ﷺ، قال: ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ اليهود و ﴿الضَّآلُّونَ﴾ هم النصارى»[٤].

[١ / ٥٨٥] وأخرج أحمد وعبد بن حميد والترمذي وحسّنه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان في صحيحه عن عديّ بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ اليهود، وإنّ ﴿الضَّآلِّينَ﴾ النصارى»[٥].

[١ / ٥٨٦] وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود قال: ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ اليهود و ﴿الضَّآلِّينَ﴾ النصارى.

وأخرج ابن جرير عن مجاهد، مثله[٦].

وقال ابن أبي حاتم: لا أعلم في هذا الحرف اختلافاً بين المفسرين في تفسير ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ باليهود و ﴿الضَّآلِّينَ﴾ بالنصارى[٧].

[١ / ٥٨٧] وقال ابن جرير: وحدّثنا أبو كريب، قال: حدّثنا عثمان بن سعيد، قال: حدّثنا بشر ابن عماد، قال: حدّثنا أبو روق عن الضحاك. عن ابن عباس قال: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ يعني

(١) الدرّ ١: ٤٢؛ الطبري ١: ١١٩ و ١٢٣ / ١٦٤ و ١٧٤. (٢) الدرّ ١: ٤٢؛ ابن كثير ١: ٣٢.

(٣) الدرّ ١: ٤٢؛ الشعب ٤: ٦١ / ٤٣٢٩. (٤) الدرّ ١: ٤٢.

(٥) الدرّ ١: ٤٢؛ مسند أحمد ٤: ٣٧٨ ـ ٣٧٩؛ الترمذي ٤: ٢٧٣ / ٣٠ - ٤٠؛ الطبري ١: ١١٨ و ١٢٣ / ١٦٣ و ١٧٣؛ ابن أبي حاتم ١: ٣١ / ٤٠؛ ابن حبان ١٤: ١٣٩ ـ ١٤٠ / ٦٢٤٦؛ مجمع الزوائد ٦: ٢٠٨؛ ابن كثير ١: ٣٢.

(٦) الدرّ ١: ٤٢؛ الطبري ١: ١١٩ و ١٢٤ / ١٦٧ و ١٧٨ عن ابن مسعود، و حديث ١٦٨ و ١٧٥ عن مجاهد.

(٧) ابن أبي حاتم ١: ٣١. الدرّ ١: ٤٢.

اليهود الذين غضب الله عليهم[(١)].

[١/ ٥٨٨] وقال: حدّثنا أحمد بن حازم الغفاري، قال: حدّثنا عبدالله، عن أبي جعفر، عن ربيع قال: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ قال: اليهود[(٢)].

[١/ ٥٨٩] وقال: حدّثنا محمّد بن حميد، قال: حدّثنا مهران، عن سفيان، عن مجاهد في قوله: ﴿وَلَا الضَّآلِّينَ﴾ قال: النصارى[(٣)].

[١/ ٥٩٠] وقال: حدّثنا أبو كريب، قال: حدّثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن عمّار، قال: حدّثنا أبو روق، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: ﴿وَلَا الضَّآلِّينَ﴾ وغير طريق النصارى الذين أضلّهم الله بفِرْيتهم عليه. قال: يقول: فألهمنا دينك الحقّ، وهو لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، حتّى لا تغضبَ علينا كما غضبت على اليهود ولا تضلّنا كما أضللت النصارى فتعذّبنا بما تعذّبهم به. يقول: امنعنا من ذلك برفقك ورحمتك وقدرتك[(٤)].

[١/ ٥٩١] وقال: حدّثنا القاسم، قال: حدّثنا الحسين، قال: حدّثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عبّاس: الضالّين: النصاري[(٥)].

[١/ ٥٩٢] وقال: حدّثني موسى بن هارون الهمداني، قال: حدّثنا عمرو بن حماد، قال: حدّثنا أسباط بن نصر، عن إسماعيل السدي في خبر ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرّة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبيّ ﷺ: ﴿وَلَا الضَّآلِّينَ﴾: هم النصارى[(٦)].

[١/ ٥٩٣] وقال: حدّثني أحمد بن حازم الغفاري، قال: أخبرنا عبيدالله بن موسى، عن أبي جعفر، عن ربيع قال: ﴿وَلَا الضَّآلِّينَ﴾: النصارى[(٧)].

[١/ ٥٩٤] وقال: حدّثني يونس بن عبدالأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال عبدالرحمان بن زيد: ﴿وَلَا الضَّآلِّينَ﴾: النصارى[(٨)].

[١/ ٥٩٥] وقال: حدّثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: حدّثنا عبدالرحمان بن زيد، عن

---

(١) الطبري ١: ١١٩/ ١٦٦.
(٢) المصدر/ ١٦٩.
(٣) المصدر: ١٢٤/ ١٧٥.
(٤) المصدر/ ١٧٦.
(٥) المصدر/ ١٧٧.
(٦) المصدر/ ١٧٨.
(٧) المصدر/ ١٧٩.
(٨) المصدر/ ١٨٠.

أبيه، قال: ﴿وَ لَا الضَّآلِّينَ﴾: النصارى[١].

* * *

وبهذا المعنى أيضاً ما ورد من تفسير ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّـهُ عَلَيْهِم﴾ بمن والا علياً عليه السلام وتفسير ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّآلِّينَ﴾ بمن عاداه.

لأنّ ولاية عليّ عليه السلام هي سبيل المؤمنين حقّاً. ومعاداته هي سبيل الغيّ والضلال.

[٥٩٦/١] وهذا وفقاً لما قاله النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله بشأن عليّ عليه السلام: «لا يحبّه إلّا مؤمن ولا يبغضه إلّا منافق»[٢]. ولا شكّ أن المؤمن ممّن أنعم الله عليه، والمنافق ممّن أبغضه الله وغضب عليه.

[٥٩٧/١] أخرج الصدوق عن الحسن بن محمّد بن سعيد الهاشمي قال: حدّثنا فرات بن إبراهيم، قال: حدّثني عبيد بن كثير، قال: حدّثنا محمّد بن مروان، قال: حدّثنا عبيد بن يحيى بن مهران العطّار قال: حدّثنا محمّد بن الحسين عن أبيه عن جدّه، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله في قول الله عزّ وجلّ: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّآلِّينَ﴾ قال: شيعة عليّ عليه السلام الذين أنعمت عليهم بولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام لم تغضب عليهم ولم يضلّوا»[٣].

[٥٩٨/١] وأخرج عليّ بن إبراهيم القمّي في التفسير قال: حدّثني أبي عن حمّاد عن حريز عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: «المغضوب عليهم: النُصّاب، والضّالين: اليهود والنصارى»[٤].

[٥٩٩/١] وعنه عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّآلِّينَ﴾ قال: «المغضوب عليهم: النُصّاب، والضالّين: الشُكّاك الذين لا يعرفون الإمام»[٥].

[٦٠٠/١] وفي تفسير الإمام عليه السلام في قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّآلِّينَ﴾ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أمر الله عزّ وجلّ عباده أن يسألوه طريق المنعم عليهم، وهم: النبيّون والصدّيقون والشهداء والصالحون. وأن يستعيذوا [به] من طريق المغضوب عليهم وهم اليهود الذين قال الله

---

(١) المصدر/١٨١.

(٢) حديث متواتر، راجع: فضائل الخمسة للفيروز آبادي ٢: ٢٠٧ ـ ٢١٢.

(٣) معاني الأخبار: ٣٦/٨، باب تفسير الصراط؛ تفسير فرات الكوفي: ٥٢.

(٤) القمّيّ ١: ٢٩.

(٥) المصدر.

تعالى فيهم: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾(١) وأن يستعيذوا به من طريق الضالّين، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾(٢) وهم النصارى.

ثمّ قال أمير المؤمنين ﷺ: كلّ من كفر بالله فهو مغضوب عليه، وضالّ عن سبيل الله ﷻ».

[٦٠١/١] وقال الرضا ﷺ كذلك، وزاد فيه، فقال: «ومن تجاوز بأمير المؤمنين ﷺ العبوديّة فهو من المغضوب عليهم ومن الضالّين»(٣).

قوله: ومن تجاوز بأمير المؤمنين العبوديّة، أي غلا فيه واعتلا به عن مرتبة العبوديّة.

[٦٠٢/١] قال أمير المؤمنين ﷺ: «لا تتجاوزوا بنا العبوديّة، ثمّ قولوا ما شئتم ولن تبلغوا(٤) وإيّاكم والغلوّ كغلوّ النصارى، فإنّي بريء من الغالين»(٥).

[٦٠٣/١] وأخرج الصدوق عن محمّد بن القاسم الأسترآبادي المفسّر قال: حدّثني يوسف ابن محمّد بن زياد وعليّ بن محمّد بن سيّار عن أبويهما عن الحسن بن علي بن محمّد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ﷺ «في قول الله ﷻ: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي قولوا: اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك وطاعتك، وهم الذين قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾»(٦).

وحكى هذا بعينه عن أمير المؤمنين ﷺ.

ثمّ قال: ليس هؤلاء المنعم عليهم بالمال وصحّة البدن وإن كان كلّ هذا نعمة من الله ظاهرة، ألا ترون أنّ هؤلاء قد يكونون كفاراً أو فُسّاقاً فما نُدبتم إلى أن تدعوا بأن ترشدوا إلى صراطهم وإنّما أمرتم بالدعاء بأن ترشدوا إلى صراط الذين أُنعم عليهم بالإيمان بالله وتصديق رسوله وبالولاية لمحمّد وآله الطيبين، وأصحابه الخيّرين المنتجبين، وبالتقية الحسنة التي يسلم بها من شرّ عباد الله، ومن الزيادة في آثام أعداء الله وكفرهم، بأن تداريهم ولا تغريهم بأذاك وأذى

(١) المائدة ٥: ٦٠.
(٢) المائدة ٥: ٧٧.
(٣) تفسير الإمام: ٥٠/ ٢٣.
(٤) أي لن تبلغوا وصفنا.
(٥) تفسير الإمام: ٥٠/ ٢٤.
(٦) النساء ٤: ٦٩.

المؤمنين، وبالمعرفة بحقوق الإخوان من المؤمنين.

فإنّه ما من عبد ولا أمةٍ والى محمّداً وآل محمّد ﷺ وعادى من عاداهم إلّا كان قد اتّخذ من عذاب الله حصناً منيعاً وجُنّة حصينة؛ وما من عبد ولا أمة دارى عباد الله فأحسن المداراة فلم يدخل بها في باطل ولم يخرج بها من حقّ إلّا جعل الله ﷻ نَفَسه تسبيحاً، وزكّى عمله، وأعطاه بصيرة على كتمان سرّنا واحتمال الغيظ لما يسمعه من أعدائنا، ثواب المتشحّط بدمه في سبيل الله؛ وما من عبد أخذ نفسه بحقوق إخوانه، فوفّاهم حقوقهم جهده، وأعطاهم ممكنه، ورضي عنهم بعفوهم وترك الاستقصاء عليهم، فيما يكون من زَلَلِهم واغتفرها لهم إلّا قال الله له يوم يلقاه: يا عبدي قضيت حقوق إخوانك، ولم تستقص عليهم فيما لك عليهم، فأنا أجود وأكرم وأولى بمثل ما فعلته من المسامحة والكرم، فإنّي أقضيك اليوم على حقّ [ما] وعدتك به، وأزيدك من فضلي الواسع، ولا أستقصي عليك في تقصيرك في بعض حقوقي، قال: فيلحقهم بمحمّد وآله، ويجعله في خيار شيعتهم. ثمّ قال:

[١/ ٦٠٤] قال رسول الله ﷺ لبعض أصحابه ذات يوم: «يا عبدالله أحبّ في الله؛ وأبغض في الله؛ ووال في الله؛ وعاد في الله؛ فإنّه لا تنال ولاية الله إلّا بذلك، ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتّى يكون كذلك، وقد صارت مؤاخاة الناس يومكم هذا أكثرها في الدُّنيا، عليها يتوادّون، وعليها يتباغضون، وذلك لا يغني عنهم من الله شيئاً.

فقال الرّجل: يا رسول الله فكيف لي أن أعلم أنّي قد واليت وعاديت في الله؛ ومن وليُّ الله حتّى أُواليه؟ ومن عدوّه حتّى أُعاديه؟ فأشار له رسول الله ﷺ إلى عليٍّ ﷺ فقال: أترى هذا؟ قال: بلى. قال: وليّ هذا وليّ الله فواله، وعدوّ هذا عدوّ الله فعاده، ووال وليّ هذا ولو أنّه قاتل أبيك [وولدك] وعاد عدوّ هذا ولو أنّه أبوك أوولدك»[1].

---

(١) معاني الأخبار: ٣٦ـ ٣٧/ ٩، باب معنى الصراط؛ وراجع: تفسير الإمام: ٤٧ـ ٤٩/ ٢٢.

ذكر آمين

هناك وردت روايات باستحباب قول «آمين» عند الفراغ من قراءة الحمد، سواء المنفرد في صلاته أم مع الجماعة، إماماً أو مأموماً.

وفي روايات أهل البيت عليهم السلام استحباب قول «الحمد لله ربّ العالمين» والنهي عن التأمين لأنّه احتذاء بفعلة اليهود والنصارى كالتكفير الذي هو فعلة المجوس(1).

[٦٠٥/١] روى ثقة الإسلام الكليني عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن عبدالله بن المغيرة عن جميل عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إذا كنت خلف إمام فقرأ الحمد وفرغ من قراءتها، فقل أنت: الحمد لله ربّ العالمين. ولا تقل: آمين»(2).

[٦٠٦/١] وروى شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي في كتابيه (التهذيب والاستبصار) بإسناده إلى محمّد الحلبي قال: «سألت أبا عبدالله عليه السلام: «أقول إذا فرغت من فاتحة الكتاب: آمين؟ قال: لا».

[٦٠٧/١] وفي رواية أخرى بالإسناد إلى معاوية بن وهب قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أقول:

---

(1) جاء في حديث زرارة عن الباقر عليه السلام: ولا تكفّر، فإنّما يفعل ذلك المجوس. (الكافي ٣: ٢٩٩/١). قال ابن الأثير: التكفير: هو أن ينحني الإنسان ويطأطئ رأسه في حالة القيام قبل الركوع ومنه حديث أبي معشر: أنّه كان يكره التكفير في الصلاة. النهاية ٤: ١٨٨. وفي اللسان (٥: ١٥٠): التكفير: أن يضع يده أو يديه على صدره. وهو من فعل العِلْج للدّهقان يضع يده على صدره ويتطامن له.

(2) الكافي ٣: ٥/٣١٣.

آمين، إذا قال الإمام: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾؟ قال: هم اليهود والنصارى! ولم يُجب في هذا[١]. أي سكت عن الإجابة صريحاً، وأشار إلى أنّ التأمين أثناء العبادة هي فعلة أهل الكتاب، لا ينبغي الاحتذاء بهم!».

[٦٠٨/١] وفي حديث زرارة عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: «ولا تقولنّ إذا فرغت من قراءتك: آمين. فإن شئت قلت: الحمد لله ربّ العالمين»[٢].

[٦٠٩/١] وروى الصدوق في باب ذكر أخلاق الرّضا عليه السلام ووصف عبادته: «وكان إذا فرغ من الفاتحة قال: الحمد لله ربّ العالمين»[٣].

قال القاضي النعمان المصري: وكرهوا (أي أئمة أهل البيت عليهم السلام) أن يقال بعد فراغ فاتحة الكتاب: «آمين»....

[٦١٠/١] قال: وقال جعفر بن محمّد عليه السلام: «إنّما كانت النصارى تقولها»[٤].

قال أبو القاسم عليّ بن أحمد الكوفي: إنّها كلمة سُريانيّة، معناها بالعربيّة: استجب[٥].

قلت: والكلمة دارجة عند أكثر أهل الأديان القديمة، وقد أخذت عنهم اليهود وجرت عليها النصارى. وقد عرفتها العرب لجوارهم مع أهل الكتاب. أمّا وتداولها عند المسلمين ولا سيّما في قراءة الصلاة، فمن المستحدثات المتأخّرة عن عهد الرسالة، ومن ثمّ قابلها أئمّة أهل البيت عليهم السلام بالإنكار، ورفضها الفقه الإماميّ وعدّها الفقهاء من المكروهات في الصلاة، بل من المبطلات إذا تُعمّدت البدعة فيها، نعم قد يجوز ذلك وهو دعاء إذا لم يكن عن قصد الابتداع.

[٦١١/١] ولذلك وردت الرخصة فيها في صحيحة جميل، قال: «سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الناس في الصلاة جماعة ـ حين يُقرأ فاتحة الكتاب ـ: آمين؟ قال: ما أحسنها، واخفض الصوت بها»[٦]. ولعلّ الأمر بخفض الصوت كان للتجنّب عمّا ابتدعته العامّة من رفع الصوت بها إلى حدّ العجيج.

[٦١٢/١] ففي الدعائم والجعفريّات مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «وما لم تكن لهم ضجّة

---

(١) التهذيب ٢: ٧٤ ـ ٢٧٦/٧٥ و ٢٧٨؛ الاستبصار ١: ٣١٨ ـ ١١٨٦/٣١٩ و ١١٨٨.

(٢) رواه الصدوق في علل الشرائع ٢: ١/٣٥٨، باب ٧٤؛ وسائل الشيعة ٦: ٤/٦٨.

(٣) العيون ٢: ٢٥، باب ٤٤.

(٤) دعائم الإسلام ١: ١٦٠؛ مستدرك الوسائل ٤: ٤/١٧٥.

(٥) كتاب الاستغاثة: ٣٣؛ مستدرك الوسائل ٤: ٥/١٧٥.

(٦) رواه الشيخ في التهذيب ٢: ٢٧٧/٧٥؛ الاستبصار ١: ١١٨٧/٣١٨.

بآمين»[١].

بل في حديث عبدالله ابن عمّ أبي هريرة ما يدلّ على عدم تداولها بين المسلمين في الصدر الأوّل بعد وفاة الرسول ﷺ.

[٦١٣/١] روى ابن ماجة بإسناده إلى عبدالله هذا عن أبي هريرة قال: ترك الناس التأمين. وكان رسول الله ﷺ إذا قال ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّآلِّينَ﴾ قال: آمين، حتّى يسمعها أهل الصفّ الأوّل، فيرتجّ بها المسجد[٢].

أقول: كيف يترك المسلمون ذلك العهد، سنّةً جرىٰ عليها الأصحاب بذلك الشكل الرهيب؟!

وعبدالله هذا اعتمده مالك واستند إليه في فتواه بالجهر بآمين[٣].

[٦١٤/١] وأيضاً تقدّم في حديث سَمُرة بن جندب: أنّ رسول الله ﷺ كانت له سكتة بعد فراغه من سورة الحمد[٤]. قال الصدوق وهذا حجّة قويّة على أنّ رسول الله لم يكن ليؤمّن بعد قراءة الحمد، وأنّه لم يقل: (آمين) لا سرّاً ولا جهراً، لأنّ المتكلّم سرّاً أو علانية لا يكون ساكتاً[٥]. لا سيّما وروايات التأمين متّفقة على السماع المنافي للسكوت محضاً.

[٦١٥/١] روى ابن ماجة في الصحيح بإسناده عن سعيد عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب قال: سكتتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ فأنكر ذلك عُمران بن الحُصَين فكتبنا إلى أُبيّ بن كعب بالمدينة فكتب أنّ سمرة قد حفظ. قال سعيد: فقلنا لقتادة: ما هاتان السكتتان؟ قال: إذا دخل في صلاته وإذا فرغ من القراءة. ثمّ قال بعدُ: وإذا قرأ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّآلِّينَ﴾. قال: وكان يُعجبهم إذا فرغ من القراءة أن يسكت حتّى يترادّ إليه نَفَسُه[٦].

[٦١٦/١] وأيضاً يدلّ على ذلك ما رواه الصدوق بإسناده إلى جماعة عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث طويل يقول فيه عليه السلام بعد أن حكى عن النبيّ ﷺ ما رأى إذ عُرج به وعلّة الأذان والافتتاح: «فلمّا فرغ من التكبيرة والافتتاح، قال الله عزّ وجلّ: الآن وصلت إليّ فسمّ باسمي، فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ

---

(١) دعائم الإسلام ١: ١٦٠؛ الجعفريّات: ٣٤؛ صحّحناه على المستدرك للنوري ٤: ١٧٤ والحديث أورده القاضي برواية الإمام الصادق عن آبائه عن رسول الله ﷺ قال: لا تزال أمّتي بخير وعلى شريعةٍ من دينها حَسَنة جميلة... ما لم يفعلوا كذا وكذا كفعل أهل الكتاب ... وذكر أموراً ثلاثة وقال بشأن الأمر الثالث: «ولم تكن لهم ضجّة بآمين».

(٢) ابن ماجة ١: ٨٥٣/٢٧٨، باب الجهر بآمين وهذا الحديث رواه ابن حبّان في صحيحه بسند آخر، راجع: هامش ابن ماجة.

(٣) راجع: تفسير ابن كثير ١: ٣٣.

(٤) تقدّم ذلك عند الكلام عن قراءة رسول الله ﷺ في الصلاة.

(٥) الخصال: ٧٥.

(٦) ابن ماجة ١: ٢٧٨، باب ٢١٤ (في سكتتي الإمام)؛ أُسد الغابة ٢: ٣٥٥.

الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ فمن أجل ذلك جعل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ في أوّل السورة. ثمّ قال له: أحمدني فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾... فلمّا بلغ ﴿وَ لَا الضَّآلِّينَ﴾ قال النبيّ ﷺ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، شكراً. فقال الله العزيز الجبّار: قطعت ذكري فسمّ باسمي. فمن أجل ذلك جعل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ بعد الحمد في استقبال السورة الأخرى»[١].

ومن ثمّ كان مِن السلف مَنْ لم يكن يتقيّد بها:

[٦١٧/١] فقد أخرج ابن أبي شيبة عن مجاهد قال: إذا قال الإمام ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّآلِّينَ﴾ فقل: أللّهم إنّي أسألك الجنّة وأعوذ بك من النار[٢].

[٦١٨/١] وأخرج أيضاً عن الربيع بن خثيم قال: إذا قال الإمام ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّآلِّينَ﴾ فاستعن من الدعاء ما شئت[٣].

[٦١٩/١] وأخرج عن إبراهيم النخعي قال: كان يستحبّ إذا قال الإمام ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّآلِّينَ﴾ أن يقال: أللّهم اغفر لي (آمين)[٤].

[٦٢٠/١] وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن عبدالله بن عمر: أنّه كان يقرأ في الصلاة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾، فإذا ختم السورة (أي سورة الحمد) قرأها (أي البسملة). وكان يقول: ما كُتبت في المصحف إلّا لتقرأ[٥].

والتعبير بأنّه إذا ختم الحمد بدأ بالتسمية للسورة بعدها، يشعر بأنّه لم يكن ليؤمّن بعد الفراغ من الفاتحة، لأنّه كان يسمّي فور ختمها.

نعم كان أبو هريرة يؤمّن ويقول: والذي نفسي بيده إنّي لأشبهكم صلاةً برسول الله ﷺ.

[٦٢١/١] أخرج الدارقطني والحاكم والبيهقي وصحّحه عن نعيم المجمر قال: كنت وراء أبي هريرة فقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ ثمّ قرأ (بأمّ القرآن) حتّى بلغ ﴿وَ لَا الضَّآلِّينَ﴾ قال: آمين، وقال الناس: آمين. ويقول كلّما سجد: الله أكبر، وإذا قام من الجلوس، قال: الله أكبر، ويقول إذا سلّم: والذي نفسي بيده إنّي لأشبهكم صلاةً برسول الله ﷺ[٦].

ولعلّه ترغيب للناس في قول «آمين» وتأنيب على تركهم له، حسبما سبق من حديث عبدالله

---

(١) علل الشرايع ٢: ٣١٥، باب ١ (في علل الوضوء والأذان والصلاة)؛ البحار ١٨: ٣٥٨/٦٦.

(٢) الدرّ ١: ٤٥؛ المصنّف ٢: ٣١٦/١٤.

(٣) الدرّ ١: ٤٥؛ المصنّف ٢: ٣١٥/١٠.

(٤) الدرّ ١: ٤٥؛ المصنّف ٢: ٣١٥/١٢.

(٥) الدرّ ١: ٢٠؛ الشعب ٢: ٤٣٩ ـ ٤٤٠/٢٣٣٦.

(٦) الدارقطني ١: ٣٠٤؛ الحاكم ١: ٢٣٢؛ البيهقي ٢: ٤٦؛ الدرّ ١: ٢٢.

ابن عمّه في التأنيب على ترك الناس لقول «آمين». على ما رواه ابن ماجة[١].

وإليك ما ورد في سائر الروايات:

[٦٢٢/١] قال جلال الدين السيوطي: أخرج ابن ماجة بسند ضعيف عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على آمين، فأكثروا من قول: آمين!»[٢].

قال ابن كثير: وفي إسناده طلحةُ بن عمرو، وهو ضعيف[٣].

[٦٢٣/١] وأيضاً أخرج ابن ماجة بإسناده إلى عليّ ؏ قال: سمعت رسول الله ﷺ إذا قال: ﴿وَ لَا الضَّآلِّينَ﴾ قال: «آمين».

جاء في الهامش: وفي الزوائد: في سنده ابن أبي ليلى، وضعّفه الجمهور[٤].

[٦٢٤/١] وقال السيوطي أيضاً: وأخرج الطبراني في الدعاء وابن عدي وابن مردويه بسند ضعيف عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «آمين، خاتَم ربّ العالمين على لسان عباده المؤمنين»[٥]. وفي حديث أبي مصبّح المقرائي التالي ما يبيّن معنى الخاتميّة هذه:

[٦٢٥/١] أخرج أبو داوود بإسناده إلى أبي مُصَبّح المَقْرَائيّ قال: كنّا نجلس إلىٰ أبي زُهير النميري وكان من الصحابة، فيحدّث أحسن الحديث، فإذا دعا الرجل منّا بدعاء قال: اختمه «بآمين» فإنّ آمين مثل الطابَع على الصحيفة. قال أبو زهير: ألا أخبركم عن ذلك؟ خرجنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، فأتينا علىٰ رجل قد ألحّ في المسألة، فوقف النبيّ ﷺ يسمع منه، فقال النبيّ ﷺ: «أَوْجَبَ إنْ خَتَم» فقال له رجل من القوم: بأي شيء يختم؟ قال: «بآمين، فإنّه إن ختم بآمين فقد أوجب!» فانصرف الرجل الذي سأل النبيّ ﷺ فأتى الرجل فقال: اختم يا فلان بآمين، وأبشر![٦]

[٦٢٦/١] وأخرج أبو يَعلى في مسنده وابن مردويه بسند جيّد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قال الإمام ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّآلِّينَ﴾ قال الذين خلفه: آمين، التقت من أهل السماء وأهل الأرض، ومن لم يقل: آمين كمثل رجل غزا مع قوم فاقترعوا سهامهم ولم يخرج سهمه فقال: ما لسهمي لم يخرج؟ قال: إنّك لم تقل: آمين»[٧].

---

(١) ابن ماجة ١: ٨٥٣/٢٧٨، باب الجهر بآمين.

(٢) الدرّ ١: ٤٤، وراجع: ابن ماجة ١: ٨٥٧/٢٧٩، باب الجهر بآمين.

(٣) ابن كثير ١: ٣٤.

(٤) ابن ماجة ١: ٨٥٤/٢٧٨.

(٥) الدرّ ١: ٤٤؛ الكامل ٦: ٤٤٠؛ كنزالعمّال ١: ٢٥١٢/٥٥٩.

(٦) أبو داوود ١: ٩٣٨/٢١٣، باب التأمين وراء الإمام.

(٧) الدرّ ١: ٤٣؛ أبو يعلى ١١: ٦٤١١/٢٩٦؛ مجمع الزوائد ٢: ١١٣.

[٦٢٧/١] والحديث كما نقله ابن كثير عن ابن مردويه: قال: حدّثنا أحمد بن الحسن: حدّثنا عبدالله بن محمّد بن سلام: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم: حدّثنا جرير عن ليث عن ابن أبي سليم عن كعب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قال الإمام ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّآلِّينَ﴾، فقال: آمين، فوافق آمينُ أهل الأرض آمينَ أهل السماء غفر الله للعبد ما تقدّم من ذنبه. ومَثَل من لا يقول آمين كمثل رجل غزا مع قوم فاقترعوا فخرجت سهامهم ولم يخرج سهمه، فقال لِمَ لم يخرج سهمي؟ فقيل: إنّك لم تقل آمين»[(١)].

[٦٢٨/١] وأخرج مالك والشافعي وابن أبي شيبة وأحمد والبخاري ومسلم وأبو داوود والترمذي والنسائي وابن ماجة والبيهقي عن أبي هريرة: أنّ رسول الله ﷺ قال: «إذا أمّن الإمام فأمّنوا، فإنّه من وافق تأمينُه تأمينَ الملائكة، غفر له ما تقدّم من ذنبه»[(٢)].

[٦٢٩/١] وأخرج مسلم وأبو داوود والنسائي وابن ماجة وابن أبي شيبة عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ «إذا قرأ ـ يعني الإمام ـ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّآلِّينَ﴾ فقولوا: آمين، يُحبّكم الله»[(٣)].

[٦٣٠/١] وأخرج الديلمي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ﴾ ثمّ قرأ فاتحة الكتاب، ثم قال آمين، لم يبق في السماء ملك مقرّب إلّا استغفر له»[(٤)].

[٦٣١/١] وأخرج جويبر في تفسيره عن الضحّاك عن ابن عباس قال: «قلت: يا رسول الله ما معنى آمين؟ قال: ربّ افعل».

وأخرج الثعلبي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس مثله[(٥)].

[٦٣٢/١] وأخرج ابن شاهين في السنّة عن إسماعيل بن مسلم قال: في حرف أُبيّ بن كعب ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَغَيْرِ الضَّآلِّينَ آمين بسم الله﴾ قال إسماعيل: وكان الحسن إذا سئل عن آمين ما

---

(١) ابن كثير ١: ٣٤.

(٢) الدرّ ١: ٤٣؛ الموطأ ١: ٨٧، باب ١١؛ كتاب المسند للشافعي: ٣٧، باب من كتاب استقبال القبلة في الصلاة؛ المصنف ٢: ٢/٣١٤، باب ٢٦٣؛ مسند أحمد ٢: ٢٣٨؛ البخاري ١: ١٩٠؛ مسلم ٢: ١٧؛ أبو داوود ١: ٩٣٦/٢١٢؛ الترمذي ١: ٢٥٠/١٥٨؛ النسائي ١: ١٠٠٠/٣٢٢؛ ابن ماجة ١: ٨٥١/٢٧٧، بلفظ: «قال: إذا أمّن القاري فأمّنوا فإنّ الملائكة تؤمّن، فمن وافق تأمينُه تأمين الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه»؛ البيهقي ٢: ٥٥؛ القرطبي ١: ١٢٧؛ ابن كثير ١: ٣٣؛ المحرر الوجيز ١: ٧٩ ـ ٨٠؛ كنزالعمّال ٧: ١٩٧١٣/٤٤٧.

(٣) الدرّ ١: ٤٣؛ مسلم ٢: ١٥؛ أبو داوود ١: ٩٧٢/٢٢٠؛ النسائي ١: ٢٢٢ ـ ٦٥١/٢٢٣؛ القرطبي ١: ١٢٩؛ ابن كثير ١: ٣٣.

(٤) الدرّ ١: ٤٥.

(٥) الدرّ ١: ٤٥؛ الثعلبي ١: ١٢٥؛ ابن كثير ١: ٣٣؛ القرطبي ١: ١٢٨.

تفسيرها؟ قال: هو اللّهم استجب[1].

[١/ ٦٣٣] وأخرج وكيع وابن أبي شيبة في المصنَّف عن هلال بن يساف ومجاهد قالا: آمين، اسم من أسماء الله.

وأخرج ابن أبي شيبة عن حكيم بن جبير مثله[2].

[١/ ٦٣٤] وأخرج الطبراني عن وائل بن حجر قال: رأيت رسول الله ﷺ دخل في الصلاة، فلمّا فرغ من فاتحة الكتاب قال: آمين ثلاث مرّات[3].

[١/ ٦٣٥] وأخرج الطبراني والبيهقي عن وائل بن حجر: «أنه سمع رسول الله ﷺ حين قال ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّآلِّينَ﴾ قال: ربّ اغفر لي آمين»[4].

[١/ ٦٣٦] وأخرج وكيع وابن أبي شيبة عن أبي ميسرة قال: لمّا أقرأ جبريل رسول الله ﷺ فاتحة الكتاب فبلغ ﴿وَ لَا الضَّآلِّينَ﴾ قال: «قل آمين. فقال: آمين»[5].

[١/ ٦٣٧] وأخرج ابن ماجة والبيهقي في سننه عن عائشة عن النبيّ ﷺ قال: «ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على التأمين»[6].

[١/ ٦٣٨] وأخرج أحمد بالإسناد إلى عائشة في حديث جاء فيه: ...إنّهم لا يحسدونا على شيء كما يحسدونا على يوم الجمعة التي هدانا الله لها وضلّوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلّوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام: آمين[7].

[١/ ٦٣٩] وأخرج ابن عديّ في الكامل عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ اليهود قوم حُسُد، حسدوكم على ثلاثة أشياء، إفشاء السلام، وإقامة الصّفّ، وآمين»[8].

[١/ ٦٤٠] وأخرج الطبراني في الأوسط عن معاذ بن جبل: أنّ النبيّ ﷺ قال: «إنّ اليهود قوم حُسُد، ولم يحسدوا المسلمين على أفضل من ثلاث: ردّ السلام، وإقامة الصفوف، وقولهم خلف

---

(١) الدرّ ١: ٤٥؛ المحرّر الوجيز ١: ٧٩؛ القرطبي ١: ١٥٠ بلفظ: «قرأ عمر بن الخطاب وأُبيّ بن كعب (غير المغضوب عليهم وغير الضالين).

(٢) الدرّ ١: ٤٥؛ المصنّف ٢: ١٥/٣١٦ و ١٨ عن مجاهد. كتاب صلاة التطوع ... باب ما ذكروا في آمين ومن كان يقولها؛ المحرّر الوجيز ١: ٧٩؛ القرطبي ١: ١٢٨؛ ابن كثير ١: ٣٣. (٣) الدرّ ١: ٤٣؛ الكبير ٢٢: ٢٢؛ مجمع الزوائد ٢: ١١٣.

(٤) الدرّ ١: ٤٣؛ الكبير ٢٢: ٤٢ ـ ٤٣؛ البيهقي ٢: ٥٨؛ مجمع الزوائد ٢: ١١٣.

(٥) الدرّ ١: ٤٣؛ المصنّف ٢: ٥/٣١٥؛ المحرّر الوجيز ١: ٧٩. (٦) الدرّ ١: ٤٤؛ ابن ماجة ١: ٨٥٧/٢٧٩؛ البيهقي ٢: ٥٦.

(٧) مسند أحمد ٦: ١٣٥.

(٨) الدرّ ١: ٤٤؛ الكامل ٣: ٢٥٠. وفيه: (إقامة الصلاة) بدل (إقامة الصّفّ).

إمامهم في المكتوبة: آمين»[١].

[١/٦٤١] وأخرج الحارث ابن أبي أسامة في مسنده والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن مردويه عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «أعطيت ثلاث خصال: أعطيت الصلاة في الصفوف، وأعطيت السّلام وهو تحيّة أهل الجنة، وأعطيت آمين ولم يعطها أحد ممن كان قبلكم إلّا أن يكون الله أعطاها هارون، فإنّ موسى كان يدعو وهارون يؤمّن».

ولفظ الحكيم: «إنّ الله أعطى أمتي ثلاثاً لم يُعْطَها أحد قبلهم: السّلام وهو تحية أهل الجنة، وصفوف الملائكة، وآمين إلا ما كان من موسى وهارون»[٢].

قلت: قد عرفت أنّ كلمة «آمين» أجنبيّة، كانت رائجة عند أرباب الملل كلّها حتّى الوثنيين، كما هو الآن. وإنّما أقحمت على المسلمين إقحاماً... وليست عطيّة إلّهية خاصّة بهذه الأمّة.

اختلافهم في المدّ والجهر والإخفات بلفظ «آمين»

[١/٦٤٢] قال السيوطي: وأخرج وكيع وابن أبي شيبة وأحمد وأبو داوود والترمذي وحسّنه والنسائي وابن ماجة والحاكم وصحّحه والبيهقي في سننه عن وائل بن حجر الحضرمي قال: سمعت رسول الله ﷺ قرأ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّآلِّينَ﴾ فقال: «آمين» يمدّ بها صوته[٣].

[١/٦٤٣] والحاكم أخرجه بلفظ: يخفض بها صوته[٤].

[١/٦٤٤] والبيهقي أخرجه بلفظ: رفع بها صوته[٥].

[١/٦٤٥] وفي سنن ابن ماجة بإسناده إلى عبد الجبار بن وائل عن أبيه قال: صلّيت مع النبيّ ﷺ فلمّا قال: ﴿وَ لَا الضَّآلِّينَ﴾ قال: آمين، فسمعناها[٦].

[١/٦٤٦] وروى بإسناده إلى أبي عبدالله ابن عمّ أبي هريرة، عن أبي هريرة قال: ترك الناس التأمين، وكان رسول الله ﷺ إذا قال: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّآلِّينَ﴾ قال: آمين، حتّى يسمعها أهل الصفّ الأوّل، فيرتجّ بها المسجد[٧] وقد تقدم الحديث.

---

(١) الدرّ ١: ٤٤؛ الأوسط ٥: ١٤٧؛ مجمع الزوائد ٢: ١١٣؛ كنزالعمّال ٩: ١١٩/ ٢٥٢٧٧.

(٢) الدرّ ١: ٤٤. بغية الباحث: ٦٣؛ النوادر ٢: ١٧٧/ ١٤٦؛ كنزالعمّال ٧: ٦٢٥/ ٢٠٥٨٥.

(٣) الدرّ ١: ٤٣.

(٤) الحاكم ٢: ٢٣٢.

(٥) البيهقي ٢: ٥٧؛ وراجع: الترمذي ١: ١٥٧/ ٢٤٨؛ أبو داوود ١: ٢١٢/ ٩٣٢؛ مسند أحمد ٤: ٣١٥/ ٣١٦؛ المصنّف ٢: ٣١٥/ ٤؛ كنزالعمّال ٨: ١٢١/ ٢٢١٩٢.

(٦) ابن ماجة ١: ٢٧٨/ ٨٥٥.

(٧) المصدر/ ٨٥٣.

رموز المصادر

ابن أبي حاتم: تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم.
ابن حبّان: صحيح ابن حبّان.
ابن خزيمة: سنن ابن خزيمة.
ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر.
ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير.
ابن ماجة: سنن ابن ماجة.
أبوداود: سنن أبي داود.
أبوالفتوح: تفسير روض الجِنان ورَوح الجَنان، الرازي.
الإتقان: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي.
الإرشاد: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، المفيد.
الاستبصار: الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، الطوسي.
الأوسط: المعجم الأوسط، الطبراني.
البحار: بحار الأنوار، العلّامة المجلسي.
البخاري: صحيح البخاري.
البرهان: البرهان في علوم القرآن، الزركشي.
البزّار: مسند البزّار.
البصائر: بصائر الدرجات، الصفّار.
البغوي: تفسير معالم التنزيل، البغوي.
البيهقي: السنن الكبرى، البيهقي.
التاريخ: التاريخ الكبير، بخاري
التبيان: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي.
الترمذي: سنن الترمذي.
تفسير الإمام: التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ﷺ.
التهذيب: تهذيب الأحكام، الطوسي.
الثعلبي: تفسير الثعلبي (الكشف و البيان).
الجامع: جامع أحاديث الشيعه.
الجواهر: جواهر الكلام، صاحب الجواهر.
الحاكم: مستدرك الصحيحين، الحاكم النيسابوري.
الحلية: حلية الأولياء، أبونعيم.
الخطيب: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي.
الدار قطني: سنن الدار قطني.
الدّارمي: سنن الدّارمي.
الدرّ: الدرّ المنثور، السيوطي.
الدلائل: دلائل النبوة، البيهقى أو ابونعيم الإصبهاني (حسب المورد).
الذريعة: الذريعة إلى تصانيف الشيعه، آقا بزرگ الطهراني.
الشعب: شعب الإيمان، البيهقي.
الصافي: تفسير الصافي، فيض الكاشاني.
الصغير: المعجم الصغير، الطبراني.
الطبري: جامع البيان، ابن جرير الطبري.
الطبقات: طبقات ابن سعد.
عبدالرزّاق: تفسير عبدالرزّاق.
العلل: علل الشرايع، الصدوق.
العوالي: عوالي اللئالي، أبن أبي جمهور الأحسائي.
العياشي: تفسير العيّاشي
العيون: عيون أخبار الرضا ﷺ.
الفقيه: من لايحضره الفقيه، الصدوق.
القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي.
القميّ: تفسير القميّ، على بن إبراهيم.
الكافي: الأصول من الكافي، الكليني.
الكبير: المعجم الكبير، الطبراني.
مسلم: صحيح مسلم.
المعاني: معاني الأخبار، الصدوق.
الميزان: الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي.
النسائي: السنن الكبرى، النسائي.
النوادر: نوادر الأصول، الترمذي.
النهاية: النهاية في غريب الحديث و الأثر، ابن الأثير.
الوسائل: وسائل الشيعه، الحرّ العاملي.

فهرس مصادر التحقيق

آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره: عمر بن إبراهيم رضوان، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى ـ ١٤١٣ق.

آلاء الرحمان في تفسير القرآن: *البلاغي، محمّد جواد*، مكتبة الوجداني، قم، الطبعة الثانية.

الإتقان في علوم القرآن: *السيوطي، جلال الدّين*، مكتبة المشهد الحسيني، الطبعة الأولى ـ ١٣٨٧ق.

أجود التقريرات: *الخوئي، أبوالقاسم*، مكتبة البوذرجمهري، طهران، الطبعة الثانية.

الاحتجاج: *الطبرسي، أحمد بن على*، دار النّعمان، النجف الأشرف.

الأخبار الدخيلة: *التستري، الشيخ محمّد تقيّ*، مكتبة الصدوق، طهران، الطبعة الثانية ـ ١٤٠١ق.

الاختصاص: *الشيخ المفيد، محمّدبن محمّد بن النعمان*، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرّسين، قم.

الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: *الشيخ المفيد، محمّد بن محمّد*، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، مصنّفات الشيخ الفيد، الجزء ١١.

الاستبصار فيما اختلف من الأخبار: *الطوسي، محمّدبن الحسن*، دار الكتب الإسلاميّة، الطبعةالثانية ـ ١٣٩٠ق.

الأسماء والصّفات: *البيهقي، أحمد بن الحسين*، دار الجيل، بيروت.

الإصابة في تمييز الصحابة: *ابن حجر العسقلاني، أحمد بن عليّ*، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٣٢٨ق.

أصول التفسير: *ابن تيمية، أحمد بن عبدالحكيم*، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٥ق.

أصول السرخسي: *السرخسي، محمّد بن أحمد*، دار المعرفة، بيروت.

الأصول من الكافي: *الكليني، محمّد بن يعقوب*، دار الكتب الإسلامية، الآخوندي، قم، الطبعة الثالثة ـ ١٣٨٨ق.

الأمالي: *الشيخ المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان*، مؤسسة النشر الإسلامي.

الأمالي: *الصدوق، محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي*، مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى ـ ١٤١٧ق.

الأمالي: *الطوسي، محمّد بن الحسن*، دار الثقافة، الطبعة الأولى ـ ١٤١٤ق.

الانتصار: *أبوالحسين الخياط المعتزلي*، مكتبة الثقافة الدينيّة، مصر ـ ١٩٨٨م.

بحار الأنوار الجامعة لدُرر أخبار الأئمّة الأطهار عليهم السلام: *العلّامة المجلسيّ، محمّد باقر*، مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية ـ ١٤٠٣ق.

بحوث جديدة في القرآن: (آراء المستشرقين حول القرآن)، عمر بن *إبراهيم*، دار طيبة، الرياض ـ ١٤١٣ق.

بحوث قرآنيّة (محاولات في القرآن): (آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره)، عمر بن *إبراهيم رضوان*، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى ـ ١٤١٣ق.

البرهان في علوم القرآن: *الزركشي، محمّدبن عبدالله*، داراحياء الكتب العربيّة، الطبعة الأولى ـ ١٣٧٦ق.

بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمّد صلى الله عليه وآله: *الصفّار، محمّدبن الحسن*، مؤسسة الأعلمي، طهران ـ ١٤٠٤ق.
البهجة المرضية في شرح الألفية: *السيوطي، جلال الدّين*.
البيان: *الخوئي، أبوالقاسم*، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، الطبعة الثانية ـ ١٣٨٥ق.
تاريخ ابن عساكر: (تاريخ مدينة دمشق)، *ابن عساكر*، دار الفكر، بيروت ـ ١٤١٥ق.
التاريخ الكبير: *البخاري، إسماعيل بن إبراهيم*، المكتبة الإسلامية، دياربكر.
تاريخ بغداد أو مدينة السلام: *الخطيب البغدادي، أحمد بن عليّ*، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٤١٧ق.
تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة: *السيّد شرف الدّين عليّ بن الحسيني*، مدرسة الإمام المهدي (عج)، قم، الطبعة الأولى ـ ١٤٠٧ق.
التبيان في تفسير القرآن: *الطوسي، محمّدبن الحسن*، مكتبة الأعلام الإسلامي، الطبعة الأولى ـ ١٤٠٩ق.
تدريب الراوي: *السيوطي، جلال الدّين*، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٩ق.
التسهيل لعلوم التنزيل: *ابن جزي، محمّد بن أحمد*، دار الكتب العربيّ، الطبعة الثانية ـ ١٣٩٣ق.
تصحيح الاعتقادات الإماميّة: *الشيخ المفيد، محمّد بن محمّد النعمان*، الطبعة الأولى ـ ١٤١٣ق.
تفسير البحر المحيط: *أبو حيّان الأندلسي، محمّدبن يوسف*، دارالفكر، بيروت، الطبعة الثانية ـ ١٣٩٨ق.
تفسير البغوي: (معالم التنزيل)، *البغوي الشافعي، الحسين بن مسعود*، دار إحياء التراث العربيّ، الطبعة الأولى ـ ١٤٢٠ق.
تفسير البيضاوي: *عبدالله بن عمر*، المكتبة الإسلاميّة، تركية.
تفسير التستري: *سَهل بن عبدالله التستري*، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٤٢٣ق. ودار الثقافية للنشر، مصر، ١٤٢٢ق.
تفسير الثعلبي: (الكشف والبيان)، *الإمام الثعلبي، أبو إسحاق أحمد*، دار إحياء التراث العربيّ، الطبعة الأولى ـ ١٤٢٢ق.
تفسير الخازن: *البغدادي، محمّد بن إبراهيم*، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٤١٥ق.
تفسير السلمي: *الإمام السلمي، محمّدبن الحسين*، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٤٢١ق.
تفسير الصّافي: *المولى محسن الكاشاني، محمّد بن المرتضى*، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الأولى ـ ١٤١٩ق.
تفسير الطبري: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، *ابن جرير الطبري، أبوجعفر محمّد*، دار الفكر، بيروت ـ ١٤١٥ق.
تفسير العياشي: *ابن عيّاش، محمّد بن مسعود*، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٤١١ق.
تفسير القاسمي: (محاسن التأويل)، *القاسميّ، محمّدجمال الدّين*، مؤسسة التاريخ العربيّ، بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٤١٥ق.

تفسير القرآن العظيم: *ابن أبي حاتم، عبدالرحمان بن محمّد*، المكتبةالعصرية، بيروت، الطبعة الثانية ـ ١٤١٩ق.

تفسير القرآن العظيم: *إسماعيل بن كثير الدمشقي*، دار المعرفة، بيروت ـ ١٤١٢ق.

تفسير القرآن الكريم: *ابن عربي، محي الدّين*، مطبعة ناصر خسرو، طهران، الطبعة الثانية ـ ١٩٧٨م.

تفسير القرآن الكريم: *الشيخ محمّد عبده*، الجمعيّة الخيريّة الإسلامية، مصر، الطبعة الثالثة، ١٣٤١ق.

تفسير القمّيّ: *عليّ ابن إبراهيم*، مؤسسة دارالكتب، قم، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ق.

التفسير الكبير: *الفخر الرّازي*، دار الكتب العلمية، طهران، الطبعة الثانيّة.

التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: مدرسة الإمام المهدي، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ق.

تفسير روح المعاني: *الآلوسي، السيّد محمود*، إدارة الطباعة المنيرية، مصر.

تفسير عبدالرزّاق: *الصنعاني، عبدالرزّاق بن همام*، دارالكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأُولى ـ ١٤١٩ق.

التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب: *معرفة، محمّد هادي*، الجامعة الرّضويّة للعلوم الإسلاميّة، مشهد، الطبعة الأولى ـ ١٤١٨ق.

التمهيد: *ابن عبدالبرّ*، وزارة علوم الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، المغرب.

التمهيد في علوم القرآن: *معرفة، محمّد هادي*، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرّسين، قم، الطبعة الثانية ـ ١٤١٦ق.

تنوير الحوالك شرح على مؤطّأ مالك: *السيوطي الشافعي، جلال الدّين*، مشهد رأس الحسين، مصر.

تهذيب الأحكام: *الطوسي، محمّد بن الحسن*، دار الكتب الإسلامية، قم، الطبعة الرابعة، ١٣٦٥ش.

تهذيب التهذيب: *ابن حجر العسقلاني، أحمد بن عليّ*، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٣٢٧ق.

ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: *الصدوق، محمّد بن عليّ*، منشورات الرّضي، الطبعة الثانية ـ ١٣٦٨ش.

جامع أحاديث الشيعة: *المعزيّ الملايري، الشيخ إسماعيل*، مطبعة مهر، قم ـ ١٤١٣ق.

جامع الأخبار أو معارج اليقين في أصول الدّين: *السبزواري، الشيخ محمّد بن محمّد*، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الأولى ـ ١٤١٤ق.

الجامع لأحكام القرآن: *القرطبي، محمّد بن أحمد*، مؤسسة التاريخ العربيّ، بيروت ـ ١٤٠٥ق.

الجرح والتعديل: *الرازي*، شيخ الإسلام، حيدر آباد، هند، الطبعة الأولى ـ ١٣٧١ق.

جمهرة اللغة: *ابن دُريد*، مؤسسة الحلبي، القاهرة، الطبعة الجديدة بالأفست.

جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام: *صاحب الجواهر، الشيخ محمّد حسن النجفي*، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٨١م.

حجة القراءات: *عبد الرحمان بن محمّد*، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ـ ١٣٩٩ق.

الحدائق النّاضرة: *البحراني، الشيخ يوسف*، دار الكتب الإسلامية، النجف ـ ١٣٧٧ق.

حقائق التأويل في متشابه التّنزيل: *الرّضي، السيّد الشريف*، دار المهاجر، بيروت، الطبعة الأولى.
حلية الأولياء: *أبو نعيم الإصبهاني، أحمد بن عبدالله*، دار الكتب العربيّ، الطبعة الرابعة ـ ١٤٠٥ق.
الخصال: *الصدوق، محمّد بن عليّ*، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم.
خلاصة تهذيب التهذيب: *الأنصاري، أحمد بن عبدالله*، مكتبة المطبوعات الإسلامية، بيروت، الطبعة الثانية ـ ١٣٩١.
الخلاف: *الطوسي، محمّدبن الحسن*، مؤسسةالنشرالإسلامي لجماعة المدرّسين، قم، الطبعة الخامسة ـ ١٤١٨ق.
الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور: *السيوطي، جلال الدّين*، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٤٠٣ق.
دعائم الإسلام: *القاضي النعمان المصري*، دار المعارف، القاهرة ـ ١٣٨٣ق.
دعوات الرّاوندي: *قطب الدّين الراوندي، سعيدبن هبة الله*، مدرسةالإمام المهدي، قم، الطبعة الأولى ـ ١٤٠٧ق.
الدفاع عن القرآن ضدّ منتقديه: *عبدالرّحمان بدوي*، مكتبة مدبولي الصّغير، الطبعة الأولى.
دلائل النبوّة: *أبو نعيم الإصبهاني*، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية ـ ١٤١٢ق.
دلائل النبوّة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: *البيهقي، أحمد بن الحسين*، دارالكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٤٠٥ق.
الذّريعة إلى أصول الشريعة: *السيّد المرتضى*، انتشارات دانشگاه، طهران ـ ١٣٤٦ش.
الذّريعة إلى تصانيف الشيعة: *آقا بزرگ الطهراني*.
ذكرى الشيعة: *الشهيد الأوّل، محمّد بن جمال الدّين العاملي*، مؤسسة آل البيت لإحياء التّراث، قم، الطبعة الأولى ـ ١٤١٩ق.
ذيل تاريخ بغداد: *ابن النجار*.
ربيع الأبرار: *الزمخشري، محمود بن عمر*، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٤١٢ق.
رجال الطوسي: *الطوسي، محمّد بن الحسن*، الحيدريّة، النجف، الطبعة الأولى ـ ١٣٨١ق.
رجال العلّامة: *الحلّي، الحسن بن يوسف*، منشورات الرّضي، قم، الطبعة الثانية ـ ١٤٠٢ق.
رجال الكشّي: (اختيار معرفة الرّجال) *الطوسي، أبوجعفر محمّد بن الحسن*، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم ـ ١٤٠٤ق.
رسائل الشريف المرتضى: *الشريف المرتضى*، دار القرآن الكريم، قم ـ ١٤٠٥ق.
رسالة الاعتقادات: (رسالة تصحيح الاعتقاد)*الشيخ المفيد*، المؤتمر العالمي لألفيّة الشيخ المفيد، الطبعة الأولى ـ ١٤١٣ق.
روض الجِنان ورَوح الجَنان في تفسير القرآن: *الشيخ أبوالفتوح الرّازي، حسين بن عليّ*، منشورات القدس الرضوي، مشهد ـ ١٣٧١ش.
سعد السعود: *السيّد بن طاووس*، مركز الأبحاث والدّراسات الإسلامية، قم، الطبعة الأولى ـ ١٤٢٢ق.

سنن ابن ماجة: *محمّد بن يزيد القزويني*، دار الفكر، بيروت.
سنن أبي داود: *السجستاني، سليمان بن الأشعث*، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٤١٠ق.
سنن الترمذي: *محمّد بن عيسى الترمذي*، دار الفكر، بيروت ـ ١٤٠٣ق.
سنن الدارقطني: *عليّ بن عمر*، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٤١٧ق.
سنن الدّارمي: *عبدالله بن بهرام الدّارمي*، مطبعة الاعتدال، دمشق.
سنن سعيد بن منصور: *سعيد بن منصور*، دار العصيمي، الرياض، الطبعة الأولى ـ ١٤١٤ق.
السنن الكبرى: *البيهقي، أحمد بن الحسين*، دار الفكر، بيروت.
السنن الكبرى: *النسائي، أحمدبن شعيب*، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٤١١ق.
سنن النسائي: *النسائي، أحمد بن شعيب*، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٣٤٨ق.
سير أعلام النبلاء: *الذهبي، محمّد بن أحمد*، مؤسسة الرّسالة، بيروت، الطبعة التاسعة ـ ١٤١٣ق.
شبهات و رُدود: *معرفة، محمّد هادي*، مؤسسة التمهيد، قم، الطبعة الأولى ـ ١٤٢٣ق.
شرح الأصول الخمسة: *قاضي عبدالجبّار بن أحمد*، مكتبة وهبة، مصر، الطبعة الأولى ـ ١٣٨٤ق.
شرح العقائد النسفية: *التفتازاني، مسعود بن عمر*، كابل، افغانستان، ١٣١٩.
شرح المعلّقات السبع: *الزوزني*، منشورات أرومية، قم ـ ١٤٠٥ق.
شرح شافية ابن الحاجب: *الأسترآبادي، محمّد بن الحسن*، دار الكتب العلمية، بيروت ـ ١٣٩٥ق.
شعب الإيمان: *البيقهي، أحمد بن الحسين*، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ـ ١٤١٠ق.
شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في آياته النّازلة في أهل البيت عليهم السلام: *الحاكم الحسكاني، عبيد الله بن أحمد*، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، طهران، الطبعة الأولى ـ ١٤١١ق.
صحيح ابن حبّان: *محمّدبن حبّان بن أحمد*، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ـ ١٤١٤ق.
صحيح ابن خزيمة: *النيسابوري، محمّد بن إسحاق*، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ـ ١٤١٢ق.
صحيح البخاري: *البخاري، محمّد بن إسماعيل*، دار الفكر، بيروت.
صحيح مسلم: *النيسابوري، مسلم بن حجّاج*، دار الفكر، بيروت.
الصواعق المحرقة: *ابن حجر الهيثمي، أحمد بن حجر*، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٢٤ق.
صيانة القرآن من التحريف: *معرفة، محمّدهادي*، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة الثانية ـ ١٤١٨ق.
طبّ الأئمّة: *عبداللهبن سابور الزّيات والحسين بن بسطام*، منشورات الرضي، قم، الطبعة الثانية، ١٣٦٣ش.
طبقات ابن سعد: دار صادر، بيروت.
طبقات الحنابلة: *القاضي أبي الحسين محمّد بن أبي يعلى*، دار المعرفة، بيروت.
طبقات المفسّرين: *الداودي، محمّد بن عليّ*، مكتبة وهبة، مصر، الطبعة الأولى ـ ١٣٩٢ق.
عدّة الأصول: *الطوسي، محمّد بن الحسن*، مؤسسة آل البيت، قم، الطبعة الأولى ـ ١٤٠٣

عدّة الدّاعي ونجاح السّاعي: *ابن فهد الحلّي، أحمد*، مكتبة الوجداني، قم.
العظمة: *الإصبهاني، عبدالله بن محمّد*، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ـ ١٤٠٨ق.
علل الشرايع: *الصدوق، محمّد بن عليّ*، مكتبة الحيدريّة، النجف الأشرف ـ ١٣٨٥ق.
عوالي اللئالي: *ابن أبي جمهور الأحسائي، محمّد بن عليّ*، مطبعة سيّد الشهداء، قم، الطبعة الأولى ـ ١٤٠٣ق.
عيون أخبار الرضا عليه السلام: *الصدوق، محمّد بن عليّ*، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٤٠٤ق.
الغدير: *العلّامة الأميني، عبدالحسين أحمد الأميني*، دار الكتاب العربيّ، بيروت، الطبعة الرابعة ـ ١٣٩٧ق.
فتح الباري في شرح صحيح البخاري: *ابن حجر العسقلاني، أحمد بن عليّ*، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.
فتوحات مكيّة: *ابن العربيّ، محيي الدّين*، دار صادر، بيروت.
فردوس الأخبار: (الفردوس بمأثور الخطاب)، *الديلمي، أبو شجاع شيرويه بن شهردار*، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ـ ١٣٨٦ق.
الفرقان: *ابن الخطيب، محمّد محمّد عبداللطيف*، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى ـ ١٣٦٧ق.
فصل الخطاب: *النوري، الشيخ الحسين بن محمّد تقيّ*، طهران، ١٢٩٨ق.
فضائل الخمسة: *الفيروز آبادي، السيّد مرتضى الحسين*، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الثالثة ـ ١٣٩٣ق.
فضائل القرآن: *أبو عبيد، القاسم بن سلام*، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٤١١ق.
فلسفة علم الكلام: *هري اوسترين ولفسين*، المترجم: أحمد آرام.
فوائد الأصول: *الكاظمي الخراساني، محمّد عليّ*، تقريراً لأبحاث الميرزا محمّد الحسيني الغروي النائيني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ ١٤٠٤ق.
الفهرست: *ابن نديم*، مطبعة الاستقامة، القاهرة.
في ظلال القرآن: سيّد قطب، الطبعة السادسة.
قاموس الرجال: *التستري، الشيخ محمّدتقي*، مؤسسة النشر الاسلامي لجماعة المدرّسين، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٠ق.
قرآن در اسلام: *العلّامة الطباطبائي، محمّد حسين*، بالفارسية.
قرب الإسناد: *الحميري، عبد الله بن جعفر القمي*، مكتبة نينوى الحديث، طهران.
قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانيّة: *الدكتور فضل حسن عباس*، دار البشير، الطبعة الثانية ـ ١٤١٠ق.
الكامل في ضعفاء الرّجال: *الجرجاني، عبدالله بن عدي*، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٩ق.
الكبريت الأحمر: (المطبوع على هامش اليواقيت والجواهر)، *الشعراني*، مكتبة مصطفى البابي، مصر، الطبعة الأخيرة ـ ١٣٧٨ق.
كتاب الأمّ: *أبو عبدالله، محمّد بن ادريس*، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ـ ١٤٠٣ق.
كتاب العين: *الفراهيدي، الخليل بن أحمد*، مؤسسة دار الهجرة، قم، الطبعة الأولى ـ ١٤٠٥ق.

كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين: *التميمي البستي*، *محمّد بن حبّان*، دار الوعي، حلب، الطبعة الأولى ـ ١٣٩٦ق.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: *الزمخشري*، *محمود بن عمر*، دار الكتاب العربيّ، بيروت ـ ١٣٦٦ق.

الكشف عن وجوه القراءات السبع: *القيسيّ*، *مكيّ بن أبي طالب*، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ـ ١٣٩٤ق.

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: *حاجي خليفة*، *مصطفى بن عبدالله*، مكتبة المثنى، بغداد.

كفاية الأصول: *الآخوند*، *الشيخ محمّدكاظم الخراساني*، مؤسسة آل‌البيت، قم، الطبعة الأولى ـ ١٤٠٩ق.

كمال الدّين وتمام النّعمة: *الصّدوق*، *محمّد بن عليّ*، مؤسسة النشرالإسلامي لجماعة المدرّسين، قم ـ ١٤٠٥ق.

كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال: *المتّقي الهندي*، *عليّ المتّقي بن حسام الدّين*، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ ١٤٠٩ق.

كنز الفوائد: *الكراجكي*، *محمّد بن عليّ*، مكتبة المصطفوي، قم.

اللئالي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة: *السيوطي*، *جلال الدّين*، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ـ ١٣٩٥ق.

لباب النقول في أسباب النّزول: *السيوطي*، *جلال الدّين*، دار الكتب العلمية، بيروت.

لسان العرب: *ابن منظور*، دار صادر، بيروت.

لسان الميزان: *العسقلاني*، *عليّ بن حجر*، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الثانية ـ ١٣٩٠ق.

مجمع البحرين: *الطريحي*، *الشيخ فخر الدّين*.

مجمع البيان: *الطبرسي*، *أبو عليّ الفضل بن الحسن*، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى ـ ١٤١٥ق.

مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد: *الهيثمي*، *عليّ بن أبي بكر*، دار الكتب العلميّة ـ ١٤٠٨ق.

المحاسن: *البرقي*، *أحمد بن محمّد*، دار الكتب الإسلاميّة، طهران.

المحرّر الوجيز: *ابن عطيّة*، *عبدالحقّ بن غالب*، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٤١٣ق.

المحكم والمحيط الأعظم: *ابن سيّدة*، *عليّ بن إسماعيل*، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٤٢١ق.

المحلّى: *ابن حزم*، *عليّ بن أحمد*، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت.

مختصر بصائر الدّرجات: *الحلّي*، *الحسن بن سليمان*، المطبعة الحيدريّة، النجف الأشرف، الطبعة الأولى ـ ١٣٧٠ق.

مختصر في شواذّ القرآن: *ابن خالويه*، المطبعة الرحمانية، مصر، ١٩٣٤م.

مرآة العقول: *العلّامة المجلسي*، *محمّد باقر*، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثانية ـ ١٣٩٤ق.

مستدرك الصحيحين: *الحاكم النيسابوري*، *محمّد بن محمّد*، دار المعرفة، بيروت ـ ١٤٠٦ق.

مستدرك الوسائل: *النوري الطبرسي*، *الحسين بن محمّد تقي*، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الأولى ـ ١٤٠٨ق.

مسند أبي يعلى: *التميمي*، *أحمد بن عليّ*، دار المأمون للتراث.

مسند أحمد: *أحمد بن حنبل*، دار الكتب العلمية، بيروت.

مسند البزّار: *أحمد بن عمر*، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى ـ ١٤٠٩ق.

المصاحف: *السجستاني، عبدالله بن أبي داود*، المطبعة الرحمانية، مصر، الطبعة الأولى ـ ١٣٥٥ق.

مصباح الأصول: *الحسيني البهسودي، محمّد سرور الواعظ*، (تقرير بحث سيّدنا الخوئي)، النجف ـ ١٣٧٧ق.

مصباح المتهجّد: *الشيخ الطوسي، محمّد بن الحسن*، مؤسسة فقه الشيعة، الطبعة الأولى، ١٤١١ق.

مصنّفات الشيخ المفيد: محمّدبن محمّد، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، الطبعة الأولى ـ ١٤١٣ق.

المصنّف في الأحاديث والآثار: *ابن أبي شيبة*، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٤٠٩ق.

معارج الأصول: *المحقق الحلّي*، مؤسسة آل البيت، قم، الطبعة الأولى ـ ١٤٠٣ق.

معاني الأخبار: *الشيخ الصدوق، محمّد بن عليّ*، مكتبة الإمام صاحب الزّمان العامة الكاظمية، العراق.

معاني القرآن: *أبو جعفر النّحاس*، جامعة أمّ القرى، المملكة العربيّة السعوديّة، الطبعة الأولى ـ ١٤٠٩ق.

معجم أبي يعلى: *التميمي، أحمد بن عليّ*، ادارة العلوم الأثريّة، الطبعة الأولى ـ ١٤٠٧ق.

المعجم الأوسط: *الطبراني، سليمان بن أحمد*، دار الحرمين.

معجم البلدان: *أبو عبدالله، ياقوت بن عبدالله الحموي*، دار صادر، بيروت.

معجم الصّحابة: *ابن قانع، أبو الحسين عبدالباقي*، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنوّرة، الطبعة الأولى ـ ١٤١٨ق.

المعجم الكبير: *الطبراني، سليمان بن أحمد*، دار الكتب العليمة.

معجم رجال الحديث: *الخوئي، السيّد أبوالقاسم*، منشورات مدينة العلم، قم، الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٣ق.

معترك الأقران: *السيوطي، جلال الدّين*، دار الفكر العربيّ.

المغني: *ابن قدامة، عبدالله بن أحمد*، دار الكتاب العربيّ، بيروت، طبعة جديدة بالأوفست ـ ١٤٠٣ق.

المغني في أبواب التوحيد والعدل: *أبوالحسن، عبدالجبّار الأسدآبادي*.

المغني في الضّعفاء: *الذّهبي، محمّد بن أحمد*، دار المعارف، حلب، الطبعة الأولى ـ ١٣٩١ق.

مفتاح الكرامة: *الحسيني العاملي، السيّد محمّد جواد*، مؤسسة آل البيت للطباعة والنشر ـ ١٣٢٤ق.

مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: *الأشعري، عليّ بن إسماعيل*، مكتبة النهضة المصريّة، الطبعة الثانية ـ ١٣٨٩ق.

مقاييس اللّغة: *ابن فارس، أحمد*، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية ـ ١٣٨٩ق.

مقدّمة ابن خلدون: *عبدالرحمن بن محمّد*، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

مقدّمة في أصول التفسير: *ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم*، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٥ق.

المقنع: *الصدوق، محمّد بن عليّ*، مؤسسة الإمام الهادي(ع)، قم ـ ١٤١٥ق.

مكارم الأخلاق: *الطبرسي*، منشورات الشريف الرّضي، الطبعة السادسة ـ ١٣٩٢ق.

المكاسب المحرّمة: *الإمام الخميني ره، روح الله الموسوي*، مؤسسة تنظيم آثار الإمام الخميني، الطبعة الأولى ـ ١٣٧٣ ش.
الملل والنحل: *الشهرستاني، محمّد بن عبدالكريم*، مؤسسة الحلبي وشركاء، مصر ـ ١٣٨٧ ق.
المنار: *السيّد محمّد* رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.
مناقب آل أبي طالب: *ابن شهرآشوب، مطبعة الحيدرية*، النجف الأشرف ـ ١٣٧٦ ق.
مناهل العرفان: *الزرقاني، محمّد عبدالعظيم*، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
منبع الحياة: *الجزائري، السيّد نعمة الله*، مطبعة النجاح، بغداد، الطبعة الأولى.
منتخب مسند عبد بن حميد: *أبو محمّد، عبد بن حميد*، مكتبة النهضة العربيّة، بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٤٠٨ ق.
المنطق: *المظفر، محمّدرضا*.
من لايحضره الفقيه: *الصدوق، محمّد بن عليّ*، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثالثة ـ ١٣٨٨ ق.
مُهَج الدّعوات: *ابن طاووس، عليّ بن موسى*.
الموافقات: *الشاطبي*.
الموضوعات: *عليّ بن الجوزي*، المكتبة السلفيّة، المدينة المنوّرة، الطبعة الأولى ـ ١٣٨٦ ق.
الموطّأ: *مالك بن أنس*، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٤٠٦ ق.
ميزان الاعتدال في نقد الرّجال: *الذهبي، محمّدبن أحمد*، دارالمعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٣٨٢ ق.
الميزان في تفسير القرآن: *العلّامة الطباطبائي، محمّدحسين*، دار الكتب‌الإسلامية، طهران، الطبعة الثانية ـ ١٣٨٩ ق.
النشر في القراءات العشر: *ابن جزري، محمّد بن محمّد الدمشقي*، مطبعة مصطفى محمّد، مصر.
نكت الانتصار: *القاضي الباقلاني*.
نوادر الأصول في أحاديث الرّسول: *الترمذي، محمّد بن عليّ*، دار الجيل، الطبعة الأولى ـ ١٩٩٢ م.
النوادر: *الراوندي، فضل الله بن علي الحسني*، دار الحديث، قم، الطبعة الأولى ـ ١٤٠٧ ق.
النهاية في غريب الحديث والأثر: *ابن الأثير، مبارك بن محمّد*، المكتبة الإسلامية.
نهج البلاغة: *السيّد الرضي*، التحقيق: محمّد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر.
الوافي بالوفيات: *الصفدي، خليل بن أبيك*، دار إحياء التراث‌العربيّ، بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٤٢٠ ق.
وسائل الشيعة: *الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن*، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، الطبعة الثانية ـ ١٤١٤ ق.
وفيات الأعيان: *ابن خلكان، أحمد بن محمّد*، دار الثّقافة، لبنان.
الهداية في الأصول: *الصافي الإصفهاني، الشيخ الحسن*، (تقريراً لأبحاث السيّد الخوئي)، مؤسسة صاحب الأمر، قم، الطبعة الأولى ـ ١٤١٧ ق.